

حرب السويس

بعد أربعين عاما

تحرير

د. رءوف عباس حامد

د. لطيفة محمد سالم
د. محمد صابر عرب
د. جمال شقرة
د. ممدوح أنيس فتحي
د. السيد فليفل
د. طه عبد العليم
د. محمد عبد الوهاب
د. عبد الحميد شلبي
د. يواقيم رزق مرقص
د. سيد عشماوي

القاهرة ١٩٩٧

حرب السويس

بعد أربعين عاما

◆ مطبوعات ◆
مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية

رئيس التحرير
نبيل عبد الفتاح

مدير التحرير
ضيـاء رشـوان

المدير الفنى
السيد عزمى

خطوط
حامد العويضى

سكرتارية التحرير الفنية
حسنى ابراهيم

شارع الجلاء - ت : ٥٧٨٦٠٣٧

المحتويات



تقديـــــم

كان العدوان الثلاثي على مصر عام ١٩٥٦ ، الذى عرف فى الأدبيات الغربية بحرب السويس ، واحدا من الأحداث العالمية الهامة التى تحدد معالم الانتقال من مرحلة إلى أخرى ، ومن نظام عفا عليه الزمن الى نظام جديد . فقد كان لحرب السويس آثارها على الصعيد الدولى، بقدر ما كان لها أثرها على الصعيدين الاقليمى والمحلى ، أفلت نجوم ، وتألقت نجوم جديدة ، وطويت صفحة سياسات ، لتفتح صفحة سياسات جديدة لها آلياتها التى تختلف عن سابقتها. لهذا كله ، كان ذلك الاهتمام العالمى غير العادى بتقييم الحدث بعد أربعين عاما من وقوعه ، فراحت الأ"طراف التى تورطت فيه تمعن النظر فى وثائقها ، لتزن الأمور بموازين جديدة ، بعد ما أيقن الجميع أن اعادة تشكيل الدور الأوربى فى السياسة الدولية كان من تداعيات حرب السويس ١٩٥٦ . ومن ثم كشف النقاب عن وثائق جديدة ، ودبجت المقالات التى تناولت أبطال تلك الملحمة التاريخية العظيمة ، جمال عبد الناصر ، ايزنهاور ، إيدن وغيرهم .

من هذا المنطلق ، جاءت مساهمة وحدة الدراسات التاريخية بمركز الدراسات السياسية والاستراتيجية ، بهذه الدراسات التى تناولت خلفيات الحدث التى مهدت المسرح لوقوعه ، والتواطؤ بين الأطراف التى دبرت العدوان ، ثم الحدث ذاته ، وكيفية مواجهته ، ولم يتسع المجال لتناول نتائج حرب السويس على الأصعدة الدولية والاقليمية والمحلية ، فما ترتب على ذلك الحدث الجلل من نتائج يحتاج إلى مشروع بحثى مستقل ، يقتفى آثار حرب السويس فى صياغة النظام العالمى فى عصر الحرب الباردة ، وقد يمتد البحث إلى أصداء الحدث فى صياغة النظام العالمى فى أعقاب الحرب الباردة . وقد اكتفينا بملاحظات ختامية قدمها المحرر ، أجمل فيها تلك الآثار فيما أطلق عليه " الدلالات التاريخية لحرب السويس " .

وعندما اكتملت هذه المجموعة من الدراسات التاريخية حول حرب السويس ، رأى مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية عقد ندوة يوم ٢٩ اكتوبر ١٩٩٦ ، يوم الذكرى الأربعين للعدوان الثلاثى ، دعا إليها نخبة من الخبراء الذين شارك بعضهم – بصورة أو بأخرى – فى بعض جوانب الحدث ، أو الذين يهتمون

بالتاريخ المعاصر ، وينتمون إلى الجيل الذى عاصر الحدث ، والجيل الذى ولد بعده، وتفتحت مداركه على تداعياته . وعلى مدى يوم كامل ، قدم فريق البحث أوراقه ، ودار نقاش خصب بين المشاركين فى الندوة ، كان هدفه استخلاص الدروس المستفادة من ذلك الحدث ، ومحاولة إعادة التقييم بأعصاب هادئة . وكان من الطبيعى أن تتفاوت الآراء وتتباين ، فهذا شأن من ينقبون فى التاريخ ، تختلف رؤية كل منهم باختلاف موقعه الفكرى والسياسى ، ولكن النقاش كان مثمرا ، ألقى العديد من الأضواء على جوانب الحدث .

وجاءت معظم المناقشات منهجية الطابع ، فطالب الأستاذ السيد يس بضرورة تناول الحدث من منظور واسع يستفيد فيه المؤرخ من منجزات العلوم الاجتماعية الأخرى ، وأن يوضع فى الاعتبار تأثير الذاكرة التاريخية ، ودلالات الفعل الرمزى، وانتقد المعالجة للمردود الاقتصادى للحدث من خلال منطق " التأليف " الذى يراعى السياق التاريخى الذى يملى الاختيار بين بدائل مطروحة ، فى لحظة تاريخية بعينها.

وذهب الدكتور سمعان بطرس إلى ضرورة النظر إلى ما حدث من تغيرات هيكلية فى العالم العربى بعد الحرب العالمية الثانية ، وما ترتب على الاتساع النسبى للطبقة الوسطى من نتائج سياسية ، وخاصة الاتجاه إلى التحرر من السيطرة الاقتصادية الأجنبية ، والعلاقة بين النص على عودة القوات البريطانية إلى القناة فى حالة التهديد بالحرب ، وذلك فى اتفاقية الجلاء ١٩٥٤ ، وانتهاج أحد أسباب الاصطدام بمصالح الغرب ، وكانت له تداعيات كثيرة باعدت بين مصر والغرب .

ودار نقاش خصب حول ادارة مصر للأزمة ، شاركت فيه نخبة من الخبراء العسكريين : اللواء احمد فخر ، اللواء طلعت مسلم ، واللواء د. ممدوح أنيس ، تم فيه التركيز على أن التوازن العسكرى بين مصر واسرائيل كان فى طريقه الى التحقيق فور استيعاب السلاح الشرقى الجديد ، ومن هنا جاء اشتراك اسرائيل لاجهاض ذلك التوازن ، وهو مالم تضعه القيادة السياسية فى اعتبارها . وأجمع أولئك الخبراء على أن مصر لم تهزم فى الحرب ، وأنه لاصحة لما يقال من أن ما حدث فى ١٩٥٦ كان هزيمة عسكرية ونصر سياسى ، فالعبرة فى النصر والهزيمة، نجاح القوات المسلحة فى تأدية مهامها أو عجزها عن ذلك ، وقد قامت القوات المسلحة المصرية بتأدية واجباتها ، فنجحت فى تحقيق الانسحاب من سيناء دون خسائر تذكر لتفادى ما كان مخططا لسحق الجيش المصرى فى سيناء ، ونجحت

أيضا فى الدفاع عن منطقة القناة ، وكان لها دور أساسى فى اعداد وتنظيم المقاومة الشعبية .

وبينما ذهب البعض إلى التهوين من شأن الدور السوفيتى فى الأزمة ، وخاصة أن موسكو استفادت ماديا بتصفية ثورة المجر دون أن يحرك الرأى العام الدولى ساكنا لانشغاله بحرب السويس ، رأت الأستاذة أمينة شفيق أن الانذار السوفيتى والدور السوفيتى عموما فى دعم التنمية الاقتصادية فى مصر ودول العالم الثالث يجب أن يكون محل تقدير ، وأن الدور السوفيتى كان حاسما فى ردع المعتدين . ورأى البعض الآخر ضرورة تقييم الدور السوفيتى فى اطار المصالح السوفيتية ، وكان من مصلحة موسكو أن توسع مجالها بالالتفاف حول شبكة الاحلاف الغربية التى أرادت تطويقها ، ولتوسيع نطاق مشاركتها فى السوق العالمية .

ويرتبط بهذه المسألة ، الحوار الذى دار تعقيبا على الدراسة الخاصة بثورة المجر ١٩٥٦ وعلاقتها بأزمة السويس ، وكان – فى حقيقة الأمر – جدلا أيديولوجى الطابع ، فقد رفض بعض المشاركين من رموز اليسار المصرى المساواة بين الهيمنة الغربية على العالم الثالث والهيمنة السوفيتية على شرق أوربا ، وعارضوا مقولة انتهاز السوفييت فرصة أزمة السويس لسحق ثورة المجر ، فقد حدث نفس الشئ بعد ذلك فى تشيكوسلوفاكيا ، وكان رد الفعل العالمى مساويا فى الدرجة لما حدث فى المجر عام ١٩٥٦ ورأى البعض الآخر عكس ذلك تماما .

كذلك دار حوار خصب حول التنمية المستقلة باعتبارها احدى نتائج حرب السويس ، فعلى حين ذهب الدكتور طه عبد العليم إلى أنها " خرافة " ، وأن الاعتماد المتبادل ، وآليات السوق يمثلان حجر الزاوية فى التنمية ، خالفه الرأى الكثيرين من الحضور ، فاكدوا على أهمية الاستقلال الاقتصادى كمتطلب أساسى لتحقيق الاستقلال السياسى منذ نهاية الحرب العالمية الأولى ، ونبهوا الى وضوح ذلك فى فكر وحركة طلعت حرب ومجموعة بنك مصر ، وأن البعد الاجتماعى للتنمية فى بلاد العالم الثالث لايحظى بالاهتمام فى اطار آليات السوق ، وأن ادارة الدولة للاقتصاد فى عهد عبد الناصر لم تؤد إلى تحجيم مشاركة مصر فى السوق الدولية بقصرها على الكتلة الشرقية ، إذ كان لمصر تعامل متكافئ مع الغرب .

وكان من بين القضايا الهامة تلك المتعلقة بثورة يوليو ، فرغم اتاحة الاطلاع على الوثائق الأوربية والأمريكية للباحثين بعد انقضاء ثلاثين عاما على انتاج تلك الوثائق ، لازالت وثائق تاريخ مصر المعاصر عامة وثورة يوليو خاصة خارج

الولاية القانونية لدار الوثائق القومية ، موزعة بين رئاسة الجمهورية ووزارتى الداخلية والخارجية ، ولايسمح لأحد بالاطلاع على تلك الأرشيفات الثلاثة – ربما لأسباب أمنية – إلا فى حالات معينة ، لا تتوفر للباحثين جميعا . ولما كان المكان الطبيعى لتلك الوثائق هو " دار الوثائق التاريخية القومية " أسوة بما هو متبع فى سائر بلدان العالم، فقد نوه د. رءوف عباس بضرورة تبنى الدولة لهذه القضية حفاظا على تاريخ مصر المعاصر من الضياع . وناشدت الدكتورة هدى عبد الناصر الرئيس حسنى مبارك أن يولى هذه القضية عنايته ، بايجاد نظام يتاح بموجبه الاطلاع على هذه الوثائق في أماكنها أو نقلها إلى دار الوثائق التاريخية القومية ، وطالبت بالاهتمام بجمع الأوراق الخاصة التى تخص الساسة الذين شاركوا فى السلطة فى تلك الحقبة أو غيرها .

هذه كلها لمحات من فيض زاخر من المناقشات التى دارت فى ندوة " حرب السويس بعد أربعين عاما " وهى أن دلت على شئ ، إنما تدل على ما للحدث من أهمية بالغة فى التاريخ العالمى عامة وتاريخنا القومى خاصة ، كما تعكس الروح التى سادت جميع المشاركين ، والحرص على الوصول الى تقييم موضوعى لذلك الحدث الجلل .

وإننى إذ أقدم حصاد جهد عام كامل ، بذله فريق بحث متميز ، ضم باقة من المتخصصين فى تاريخ مصر المعاصر ، روعى فى اختيارهم ما لهم من رصيد أكاديمى ، وميل إلى الموضوعية، أود أن أتوجه بالشكر الخالص لهم جميعا لما بذلوا من جهد ، ولتحملهم مطارداتى لهم حتى يتم انجاز البحث فى الموعد المقرر له .

كما أتوجه بالشكر الجزيل للأساتذة الذين اداروا جلسات الندوة : الأستاذ الدكتور سمعان بطرس ، الأستاذ السيد يسن ، اللواء أحمد فخر ، الدكتور عبد المنعم سعيد، والشكر أيضا للسادة الحضور الذين قدموا مداخلات هامة وشاركوا فى الحوار .

أما مجموعة شباب مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية التى تولت تنظيم الندوة بكفاءة عالية ، فقد عودونا على أداء الواجب دون انتظار لكلمة شكر ، غير أنى أكن لهم جميعا تقديرا خاصا لجهدهم المتميز .

ولما كان الفضل لابد أن ينسب لأهله ، فقد كانت فكرة مشروع البحث من اقتراح الصديق د. عبد المنعم سعيد مدير مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية ،

الذى وضع جميع امكانات المركز بين يدى فريق البحث ، ولا أظن أن كلمات الشكر - مهما بلغت دلالتها - تفيه حقه .

وبعد - أيها القارئ الكريم - لقد حاول فريق البحث القاء الأضواء على فصل هام من فصول تاريخنا القومى ، بهدف ايقاظ الوعى بالتاريخ ، واستخلاص الدروس المستفادة منه . وليس معنى ذلك ، أن الدراسات التى يضمها هذا الكتاب قد صبت فى قالب معين ، فلكل باحث تكوينه وفكره، وانتماؤه السياسى الذى تعكسه رؤيته للزاوية التى عالجها من زوايا الحدث ولست فى حاجة الى التنويه بأن الآراء التى وردت بالدراسات تعبر عن رؤى أصحابها وحدهم .

والله ، والوطن العزيز ، من وراء القصد ،

القاهرة فى ٧ نوفمبر ١٩٩٦

المحرر
د. رءوف عباس حامد

◆ الفصل الأول ◆

السياسة البريطانية تجاه مصر
١٩٥٤ - ١٩٥٦

أ . د . لطيفة محمد سالم

الاتفاقية في التطبيق

وقعت مصر وبريطانيا اتفاقية الجلاء في ١٩ اكتوبر ١٩٥٤ بعد مفاوضات طويلة وصعبة، ورغم بعض نقاط الضعف التي شملتها، إلا أنها أنهت الاحتلال البريطاني لمصر، ومن ثم بدأ عهد جديد للعلاقات بين مصر وبريطانيا، ولقيت الاتفاقية المعارضة في البلدين، لكن في النهاية استتب الأمر، وكان للولايات المتحدة دورها في عقد هذه الاتفاقية، وبالتالي سجلت نقطة لصالحها لدى الطرفين،كما نالت الاتفاقية رضا حلف شمال الأطلنطي لما تقدمه له من تسهيلات .(١)

راحت عين السفير البريطاني في القاهرة ترصد تصرفات حكومة الثورة، وتسجل مدى تقبلها للوضع الجديد، فيذكر أنها على استعداد للوفاء بالتزاماتها، ويصف كيف تقوى وضعها بعد إبرام الاتفاقية، خاصة عقب الإطاحة بالإخوان المسلمين .(٢) ولما كان محمد نجيب رئيس الجمهورية له موقفه المعارض من الاتفاقية، ويمثل عائقا أمام سياسة مجلس قيادة الثورة، فقد تم إقصاؤه عن السلطة، واطمأنت بريطانيا لذلك، حيث يهمها أن تتعاون مع من سهل لها عقد الاتفاقية . ونقلت السفارة البريطانية بالقاهرة الحدث للندن، وبينت كيف انتقلت السلطة لعبد الناصر، وأشارت إلى أن المسألة داخلية، وركزت على أنها غير مؤثرة على طبيعة النظام .(٣) بمعنى استمرارية السياسة البريطانية بشأن الاتفاقية.

ورأى عبد الناصر أن يدعم موقفه في ظل الأوضاع الجديدة، وركز اهتمامه على مجالين في علاقاته مع بريطانيا، المجال العسكري، أي استيراد الأسلحة، وكانت أولى نتائج توقيع الاتفاقية أن رفعت بريطانيا الحظر المفروض على توريد الأسلحة لمصر، وبالتالي فقد تقدم عبد الناصر لها بقائمة تضم أسلحة يريد شراءها، ولقي هذا الطلب التسويف، إذ تعللت لندن بالتصريح الثلاثي لعام ١٩٥٠، والرغبة في المحافظة على التوازن في التسلح بين مصر وإسرائيل .(٤) ولم تسفر المساعي المصرية عن أي تقدم في هذا الشأن.

أما عن المجال الاقتصادي، فقد وجد ناتنج Nutting وزير الدولة البريطاني للشئون الخارجية ضرورة تعزيز العلاقات الاقتصادية، كما ركز على أن الاتفاقية ستفتح صفحة جديدة من التعاون والثقة بين مصر وبريطانيا .(٥) واستجابت لندن لطلب مصر الإفراج عن القسط السنوي من الأرصدة الإسترلينية في أول يناير من كل عام، وأصبحت قيمته عشرين مليون جنيه استرليني بموجب اتفاق أغسطس ١٩٥٥، ووضعت الخطط لتحسين التجارة، ونشطت الغرفة التجارية المصرية البريطانية، وظهرت بوادر مشتريات بريطانيا من القطن المصري، وتعددت لقاءات كل من المسئولين البريطانيين والمصريين لدراسة سبل تنشيط المعاملات التجارية بين البلدين .(٦) ومن ثم دارت العجلة الاقتصادية، ولكن بقدر، حيث ارتكزت السياسة البريطانية على التوسط في معاملاتها مع مصر، وهذا مما دفع الأخيرة لطرق أبواب أخري. وبصفة عامة، فالصورة أعطت الانطباع بأن الاتفاقية قد خلقت مناخا معتدلا، ولكن لم يستمر الأمر طويلا إذ تتابعت الأحداث التي أثرت على الطرفين.

حلف بغداد

شكلت الأحلاف ركيزة أساسية في السياسة الغربية تحقيقا لمبدأ توازن القوى الذي كان منهاجا للحرب الباردة، وبناء عليه نشأ حلف شمال الأطلنطي وحلف جنوب شرق آسيا، وأصبح لزاما أن يكون هناك حلف للشرق الأوسط، نظرا لأهميته الجغرافية و الاستراتيجية والاقتصادية، وقد تبنى إيدن Eden وزير الخارجية البريطاني مهمة التنفيذ، إذ احتضن فكرة دالاس Dulles وزير الخارجية الأمريكي التي تقوم على تكوين حزام شمالي Northern Tiers يكون حاجزا لمنع السوفييت من التقدم جنوبا.(٧)

وبدأت السياسة البريطانية تحيك خيوطها لتستقطب دول الحلف الجديد، وكان العراق الهدف السهل الاقتناص نظرا لتحكم نوري السعيد رئيس وزرائه في أموره . ولم تغب مصر عن عيون بريطانيا، فهي قلب العالم العربي ولها ثقلها السياسي والاستراتيجي والاقتصادي والثقافي في المنطقة، لذا سعت لندن لاستمالتها للحلف، حيث وجد مسئولوها في ذلك تعويضا عن فقدان قاعدة قناة السويس .(٨) عندئذ بدأ الصراع بين بريطانيا ومصر، إذ حاولت الأخيرة وقف تنفيذ السياسة البريطانية تجاه العراق، لكنها أخفقت، ومن ثم جندت جميع امكانياتها للحيلولة دون توسيع حلف

بغداد الذي كان تحت التأسيس، بمعنى إقامة حصار حوله حتى لا تنضم إليه دولة عربية أخرى.

كانت أهم الوسائل الإيجابية التي اتبعتها مصر لكسر التخطيط البريطاني، هي الحرب الإعلامية، وتولت الإذاعة المصرية، خاصة محطة صوت العرب المهمة بنجاح، إذ هاجمت نوري السعيد ومن علي شاكلته، ووجهت النداءات لرفض سياسة الأحلاف، مبينة أن الدفاع عن الشرق الأوسط يجب أن يرتكز على حلف أمن عربي.(٩) ونحت الصحافة نحوها، كما أكد عبد الناصر في تصريحاته هذا المعنى، لأن الحلف يتعارض مع سياسته الرامية إلى الاستقلال والوحدة العربية، بالإضافة إلى أسباب أخرى عديدة دفعته للرفض .(١٠)

ولم تيأس الخارجية البريطانية من هذا الوضع، ورأت تدبير لقاء بين إيدن وعبد الناصر ربما يأتي بالنتيجة المرجوة .(١١) وجرت المقابلة في ٢٠ فبراير ١٩٥٥ حيث تم استعراض العلاقات منذ توقيع اتفاقية الجلاء، وتحدث إيدن عن طبيعة التهديد السوفيتي للشرق الأوسط، وكيف أن الأحلاف هي المخرج من الخطر، ولكن عبد الناصر لم يتجاوب معه، وانتقد العراق مشيرا إلى ضغطها على لبنان وسوريا والأردن لدخول حلف بغداد، وأن مصر لن تسمح بذلك، وانتهى اللقاء على نوع من المقايضة يتمثل في عدم توسيع الحلف مقابل وقف الحرب الإعلامية ضد بريطانيا.(١٢) ولم تمض أربعة أيام على هذا اللقاء، إلا وتم التوقيع الرسمي على ميلاد حلف بغداد بين العراق وتركيا.

قلقت لندن من الموقف المصري المعارض، وطرحت القضية أثناء المحادثات الأنجلوفرنسية عن الشرق الأوسط، وبينت كيف نجح مجلس قيادة الثورة في تشديد قبضته على مصر .(١٣) معنى هذا أن النظام القائم لن يتغير، وبالتالي فالسياسة الرافضة للحلف باقية . ووفقا للسياسة المرسومة انضمت بريطانيا إلى حلف بغداد في أبريل ١٩٥٥، وبناء على نصيحة السفارة البريطانية في القاهرة، أكد إيدن لعبد الناصر ما سبق أن قايضه به في لقائه معه .(١٤) وبنهاية العام، انضمت باكستان إلى حلف بغداد في ١٧ سبتمبر، وإيران في ١١ اكتوبر، ومن ثم تواصلت الأحلاف الغربية الثلاثة.

وعندما أصبح إيدن رئيسا للوزراء في ٦ أبريل ١٩٥٥، وأمسك بزمام السلطة في يده، رأى ضرورة إثبات الدور البريطاني في الشرق الأوسط بصفة عامة ومصر بصفة خاصة، رغم أن الواقع كان قد أعلن أن هذا الدور في طريق الاندثار،

ومع هذا علق رئيس الوزراء البريطاني آماله على مساعدة الولايات المتحدة التي سارت على نفس الدرب ، وإن اختلفت المقاصد، إذ جمع الطرفين الخطر الشيوعي، وبالرغم من ذلك لم تنضم واشنطن لحلف بغداد وإنما شاركت في بعض لجانه وقدمت المساعدات له .(١٥)

وفي أعقاب صفقة الأسلحة التشيكية لمصر، اضطربت الخارجية البريطانية، وأصرت على تقوية حلف بغداد عن طريق الضغط على الأردن، لأنه بمجرد انضمامها يكون التأثير على لبنان .(١٦) ومرة أخرى يحاول تريفليان Trevelyan السفير البريطاني في القاهرة أن يجرى حوارا مع عبد الناصر حول الحلف، أيضا يناقشه السفير الأمريكي في القاهرة حول نفس الموضوع، ولكن عبد الناصر لم يتحرك ويظل ثابتا على موقفه .(١٧)

ومضى التخطيط البريطاني لإدخال الأردن الحلف، ووكل الأمر للجنرال تمبلر Templer رئيس هيئة الأركان العامة للامبراطورية، وبالتالي عادت الحملة الصحفية المضادة لبريطانيا من ناحية، ومارست مصر تأثيرها داخل الأردن من ناحية أخرى، وأثمرت المجهودات المصرية، وسقطت الوزارة الأردنية، وجاءت وزارة أخرى لتعلن معارضتها لسياسة الأحلاف.(١٨) وبذلك وجه عبد الناصر ضربة قوية للندن التي اعترفت بنجاح سياسته، وتسجل السفارة البريطانية في القاهرة أن الجهود البريطانية في ضم الأردن ضاعت هباء.(١٩)

ووفقا للسياسة البريطانية، جرت محاولات لتحسين العلاقات بين الطرفين، ويصل لويد Lloyd وزير الخارجية البريطاني إلي القاهرة في أول مارس ١٩٥٦، ويجتمع مع عبد الناصر ويحاول إقناعه بأن حلف بغداد ينظر شمالا وليس جنوبا، وأنه تكون لصد التغلغل السوفيتي وحماية بترول الشرق الأوسط، ولكن لم يلن عبد الناصر، وأفهمه أنه يقبل الحلف كما هو، وسيقاوم أي محاولة لإدخال دول عربية أخرى فيه.(٢٠) وانتهى اللقاء بنفس النتيجة التي أسفرت عن اجتماع إيدن مع عبد الناصر منذ عام سابق.

وتعقدت الأمور عندما تمت إقالة جلوب Glubb قائد الجيش الأردني من منصبه على يد الملك حسين، حيث عدت لندن هذا الحدث من تخطيط عبد الناصر، وأحست أن ما تبقى من أطلال الامبراطورية قد انهار، وتحدث إيدن أمام مجلس العموم البريطاني بحسرة وأسى، وهاجم مصر بانفعال وعصبية.(٢١) ومن هذه اللحظة تفجر عداء إيدن لعبد الناصر، وأعلن صراحة رغبته في القضاء عليه.(٢٢)

وبذلك يمكن القول أن نتائج هذه الأزمة تمخض عنها تحد كبير، وأصبحت الفترة اللاحقة تحمل الكثير من الصعوبات والصراعات، وصرح عبد الناصر أن إلغاء الحق الذي خوله حلف بغداد للدول العربية في الانضمام إليه هو الوسيلة الوحيدة لتحسين العلاقات، ولكن إيدن قابل ذلك بالرفض، وأعلنت الخارجية البريطانية أنه ليس لأحد الحق في فرض مثل هذا الحظر، وأن الباب مفتوح أمام الدول الراغبة في دخول الحلف .(٢٣) ومضت الحرب الإعلامية في حملاتها العنيفة لكل من الطرفين المصري والبريطاني، وكاد الطريق يصبح مغلقا.

رد الفعل

تمثل رد الفعل المباشر على حلف بغداد في ذلك الاتجاه الذي شمل الدائرة العربية، حيث دوت صيحات عبد الناصر عن القومية العربية في أرجاء العالم العربي، وأمر طبيعي أن ترتاب لندن من نتائج ذلك لتعارضها مع النفوذ البريطاني في المنطقة، وخطت مصر خطواتها الناجحة، فهي تهاجم نوري السعيد العميل البريطاني، و بفضل تأثيرها يتولى شكري القوتلي الحكم في سوريا(٢٤)، وفي مارس ١٩٥٥ توقع مصر وسوريا والسعودية اتفاقية دفاعية، من بين بنودها الابتعاد عن كافة الأحلاف الأجنبية.(٢٥) وتشكو السفارة البريطانية في القاهرة من التقارب المصري السعودي وتتعرض لمشكلة واحة البوريمي، ويلتقي تريفليان مع عبد الناصر محاولا أن تخفف الصحافة المصرية من غلوائها ضد بريطانيا تجاه هذا الموضوع.(٢٦) ولم يأت ذلك بنتيجة إيجابية . ورغم الاختلاف الإيديولوجي بين عبد الناصر وملك السعودية، إلا أن مقاومة النفوذ البريطاني جمعتهما، كما لعب العون المالي السعودي دورا في توجيه السياسة المضادة لبريطانيا.

وجاءت أحداث اضطرابات البحرين التي قامت ضد بريطانيا في ٢ مارس ١٩٥٦ عندما استقبل لويد بالمظاهرات الغاضبة هناك، لتزيد من نقمة لندن على مصر، حتى لقد أعلن وزير الخارجية البريطاني أن عبد الناصر أصبح قادرا على تصدير الثورات من مكانه إلى أي جزء من أجزاء الوطن العربي .(٢٧) وواصل عبد الناصر سياسته وسافر إلى جدة في ٢٠ أبريل ١٩٥٦ واجتمع بالملك سعود، وحضر الاجتماع إمام اليمن، وأسفرت الرحلة عن التوقيع على حلف عسكري ثلاثي، وأثار ذلك بريطانيا، رغم أن محمود فوزي وزير الخارجية المصري التقى بالسفير البريطاني وبين له أن هذا الحلف ليس موجها لضرب المصالح البريطانية.(٢٨) ولكن كانت النتيجة قيام اضطرابات في عدن والمحميات ضد بريطانيا.(٢٩)

فزعت لندن من هذه الأحداث المتلاحقة، وسافر أحد المسئولين البريطانيين إلى واشنطن ليصور حجم الخسارة التي تكبدها مصر لبريطانيا، واستعرض مع الخارجية الأمريكية كيف أن المصالح الإستراتيجية والاقتصادية الغربية مهددة، وارتباط ذلك بالسماح لعبد الناصر ببناء امبراطورية عربية، وأنه من المهم أن تكون هناك سياسة أنجلوأمريكية موحدة لهزيمة تخطيط عبد الناصر والمحافظة على التوازن مع الدول العربية، ولإنجاز ذلك لا بد من تدعيم دول حلف بغداد، وخلق شقاق بين عبد الناصر والسعوديين والسوريين .(٣٠) وكان هذا هو المنهج الذي وضعته لندن.

أسفرت النتائج الإيجابية للدائرة العربية التي رسمها عبد الناصر عن الرغبة في دخول الدائرة الأفريقية، وكما تذكر الخارجية البريطانية، فإن أفريقيا تأتي في المرتبة التالية للبلاد العربية ، وأن عبد الناصر يرى مصر زعيمة للشعوب الأفريقية، فهي بوابة تلك الشعوب للعالم الخارجي، وواجبها يحتم عليها مساعدتهم، وأن هدفه إبعاد النفوذ الأوربي عنها وإحلال الزعامة المصرية مكانه، وعددت الخارجية البريطانية أوجه النشاط المصري في أفريقيا، فتذكر البعثات الدراسية التي تقدمها مصر للأفارقة وخاصة الصوماليين، وتشير إلى الموجات الإذاعية الموجهة إلى السودان وأثيوبيا والصومال والكونجو.(٣١) وتسجل صحيفة ديلي ميلDaily Mailالبريطانية أن برامج مصر الإذاعية وصلت إلى حركة ماوماو في كينيا وإلى المتطرفين في زنزبار" .(٣٢) من هذا المنطلق يتضح كيف حاربت السياسة المصرية بريطانيا حتى إنها ساندت حركة أيوكا في قبرص(٣٣)، تلك القاعدة البريطانية المهمة التي تواجه الساحل الشمالي الأفريقي.

ومع اقتراب موعد جلاء القوات البريطانية عن مصر، شعرت بريطانيا بقرب الأجل المحتوم، وفي ١٣ يونيو ١٩٥٦ غادر مصر آخر جندي بريطاني، وانتهز السفير البريطاني في القاهرة الفرصة وحاول تهدئة أبواق الدعاية المصرية، ولكن سرعان ما تفاقمت الأمور عندما صرح ناتنج بأن العلاقات بين مصر وبريطانيا أصبحت مخيبة للآمال .(٣٤)وكان لذلك رد الفعل السيئ على عبد الناصر الذي التقى بالسفير البريطاني في القاهرة، وبين له أنه من الصعب إقامة علاقة صداقة مباشرة وفقا لرؤية وزير الدولة البريطاني للشئون الخارجية.(٣٥)

وبتولي عبد الناصر رئاسة الجمهورية في ٢٤ يونيو ١٩٥٦ تثبتت مكانته، وتعلق الخارجية البريطانية على الحكومة المصرية بأنها ستبقى دكتاتورية عسكرية، وترسم

لندن الخطوط العريضة لسياستها تجاه عبد الناصر .(٣٦) وبذلك يظهر جليا أن ارتكاز عبد الناصر على محور الدائرة العربية قد أثر في أن يرنو ببصره إلى الدائرة الأفريقية ويحقق ما خطط له في كتابه ؛ فلسفة الثورة« مما كان له انعكاساته على السياسة البريطانية إزاء مصر.

أثمر رد الفعل إزاء حلف بغداد عن طرق عبد الناصر لباب آخر لاستكمال منهجه ومناوأة السياسة البريطانية، فانضم إلي كيان سياسي جديد لا ينتمي إلي أي من الإيديولوجيتين الغربية أو الشيوعية، وانتهج سياسة الحياد الإيجابي،وتشكل من دول الكتلة الأسيوأفريقية، وهي دول حديثة الاستقلال عن الإمبريالية خاصة البريطانية، وعرفت أيضا بدول عدم الانحياز، وأمسك بدفتها الزعيم الهندي نهرو Nehru، المعروف بعدائة للتحالفات، وله موقفه المعارض من حلف بغداد الذي يضم باكستان، ومن هنا كان لقاؤه مع عبد الناصر، وبالتالي جمعتهما علاقة تمخضت عن حضور عبد الناصر لمؤتمر باندونج الذي افتتح في ١٨ أبريل ١٩٥٥، وظهرت فيه شخصيته، حيث دافع عن الاستقلال الوطني والتعاون العربي الأسيوي الأفريقي(٣٧)٠وجاءت قرارات المؤتمر لتتفق مع مبادئ عبد الناصر، وعاد إلي مصر مؤمنا بأن دورها لن يقتصر علي الدائرتين العربية والأفريقية، وإنما لا بد أن يمتد ليشمل تلك الدائرة الجديدة المتمثلة في دول عدم الانحياز التي هي واسطة العقد بين القوتين العالميتين المتنازعتين(٣٨)٠

قلقت لندن لهذا الاتجاه الجديد، وتلك القوة التي أضفت علي عبد الناصر مزيدا من الشهرة، وعبر عن ذلك سفيرها في القاهرة، وأكد رفض عبد الناصر التبعية الغربية، وإيمانه التام بالسياسة الحيادية(٣٩)٠واستكمالا لطريق الحياد حضر عبد الناصر مؤتمر بريوني الذي عقد في ١٨ يوليو ١٩٥٦، وهو علي نفس درب مؤتمر باندونج، في وقت التهبت فيه العلاقات البريطانية المصرية٠وقد طلب محمود فوزي من السفير البريطاني في القاهرة التسليم بالأمر الواقع فيما يختص باتباع مصر سياسة عدم الانحياز دون أي إثارة(٤٠)٠وهكذا يتضح رد فعل عبدالناصر علي حلف بغداد، وكيف نجح في محاربتة من ناحية، في الوقت الذي سجل فية النقاط لصالح شخصيته مما زاد رصيده علي الساحة الدولية من ناحية أخري.

صفقة الأسلحة التشيكية وأصداؤها

بينما كانت مصر تنتظر–– منذ توقيع اتفاقية الجلاء –– إجابه لندن علي طلبها بشأن الأسلحة، شنت إسرائيل في ٢٨فبراير ١٩٥٥ غارة علي قطاع غزة نتج عنها

العديد من القتلي والجرحي، وهنا ألح عبد الناصر في طلب الأسلحة، لكن لم تستجب بريطانيا والولايات المتحدة له، لذا ولى شطره تجاه الاتحاد السوفيتي، وواتته الفرصة أثناء وجوده في باندونج، وكان الواسطة رئيس وزراء الصين الشعبية(٤١)٠ورغم تحذير عبد الناصر للسفيرين البريطاني والأمريكي في القاهرة من استعانته بالسوفييت لتوريد الأسلحة له، إلا أن الوضع لم يتغير، في حين أوكل لفرنسا مهمة تزويد إسرائيل بالأسلحة(٤٢)٠

رحبت موسكو بالطلب المصري، وعرضت التسهيلات، إذ قبلت أن يكون محصول القطن المصري ثمنا لصفقة الأسلحة(٤٣)٠وتقرر أن تنسب إلي تشيكوسلوفاكيا لأكثر من سبب، فقد فضلت موسكو عدم مواجهة الغرب، وحتي يبدو عبد الناصر أقل ميلا لليسار حيث كانت إسرائيل تحصل علي الأسلحة من تشيكوسلوفاكياأثناء حرب فلسطين، كما راوده الأمل في إمكانية أن يغير الغرب موقفه ويستجيب لطلبه، وانتظر بعض الوقت، لكنه اضطر في النهاية إلي الإعلان عن صفقة الأسلحة رسميا في ٢٧ سبتمبر ١٩٥٥، وكان معني ذلك أن سيطرة الغرب علي الأسلحة في الشرق الأوسط قد أصبحت منتهية٠

ثارت لندن، وبين السفير البريطاني في القاهرة لعبد الناصرأن الصفقة تتعارض مع اتفاقية الجلاء، وتهدد أمن القاعدة البريطانية في القناة، ولكن عبد الناصر دحض ذلك وتمسك بموقفه(٤٤)٠وراح المسئولون البريطانيون يفكرون فيما يفعلون، إذ كانت الصفقة تعد جواز مرور للاتحاد السوفيتي إلي الشرق الأوسط٠وتضامنت لندن مع واشنطن إزاء هذا الموقف، وفشلت مهمة المبعوث الأمريكي لعبد الناصر لإثنائه عن إتمام الصفقة(٤٥)٠وكذلك أخفق السفيران البريطاني والأمريكي بالقاهرة في حمل عبد الناصر علي العودة عن قراره، وما لبث أن انتهز الفرصة وأعلن عن وثيقة تدين بريطانيا والولايات المتحدة في توريد الأسلحة لإسرائيل(٤٦)٠ويبعث تريفليان لحكومته بما علمه من أن عبد الناصرسوف يشتري المزيد من الأسلحة من الدول الشيوعية إذا اشترت إسرائيل المزيد من الأسلحة من الولايات المتحدة(٤٧)٠

وسافر إيدن إلي واشنطن حيث عقدت لقاءات أنجلوأمريكية في الفترة من٣٠ يناير حتي أول فبراير ١٩٥٦ لمناقشة أبعاد الموقف في ضوء النشاط السوفيتي، وما أقدمت عليه مصر(٤٨)٠وشغل فكر الساسة البريطانيين والأمريكيين عبد الناصر الذي علا شأنه بعد صفقة الأسلحة، فيقول السفير البريطاني في القاهرة لحكومته ؛ إن العرب اعتبروه بطلهم في مواجهة إسرائيل، وأصبحت الدعاية المصرية موجهة

مباشرة للنفوذ الغربي في جميع أنحاء الشرق الأوسط وأفريقيا، وتوهجت المشاعر المضادة للغرب«(٤٩)٠وبذلك يتبين أثر صفقة الأسلحة وكيف أججت الكراهية لعبد الناصر، الذي مالبث أن خطا خطوة أخري زادت لندن وواشنطن اشتعالا وتعلقت أيضا بصفقة الأسلحة، وهي اعترافه بالصين الشعبية في ١٦مايو ١٩٥٦(٥٠)، علي أساس أنها ليست عضوافي الأمم المتحدة، وبالتالي إذا صدر قرار حظر بيع الأسلحة، فلن يمنع مصر من استيراد الأسلحة منها، هذا من ناحية، ومن ناحية أخري أراد عبد الناصر أن يثبت للغرب عدم تبعيته للاتحاد السوفيتي، وأن هناك آخرين يمدون له يد المساعدة٠

التسوية وتداعيها

لم تدخل بريطانيا في اعتبارها الحصول علي أية مكاسب لصالح إسرائيل وقت مفاوضات الجلاء، وتعرضت الاتفاقية للنقد لهذا السبب، ولكن سرعان ما جري اتفاق بين لندن وواشنطن للعمل من أجل تسوية النزاع العربي الإسرائيلي رغبة في تأمين المصالح الغربية الحيوية بالشرق الأوسط، ومنع التقدم السوفيتي فيه٠ومضي التخطيط الأنجلوأمريكي لتسوية عربية إسرائيلية عرفت بالاسم الرمزي ألفاAlpha وشكلت لجنة من الجانبين لوضع المشروع وإخراجه إلي حيز التنفيذ، وخلصت إلي أن مصر هي نقطة الارتكاز في العالم العربي – لما تمتلكه من إمكانيات– ولها قوة التاثير عليه، وأنه من الممكن أن تصبح حليفة في مقابل تقديم المساعدات الاقتصادية لها خاصة مشروع السد العالي، وتسليمها زعامة اللفانت – Levant شرق البحر المتوسط – والسماح لها بشراء الأسلحة، وتدعيم نظام الحكم القائم فيها، كل ذلك في مقابل قبولها للتسوية(٥١)٠

ورني التقرب من عبد الناصر، وعندما التقي إيدن معه في ٢٠ فبراير ١٩٥٥وعرض عليه الأمر، بين عبد الناصر أن المسألة تحتاج لوقت، وأن الحل يجب أن يكون شاملا، لأن مشكلات الحدود معقدة، ووافقت الخارجية البريطانية علي الشطر الأخير(٥٢)٠والواقع أن السياسة البريطانية لم تكن موفقة في اختيار هذا التوقيت لاستمالة عبد الناصر، إذ أعلن عن التوقيع الرسمي علي حلف بغداد في٢٤فبراير، وفي أعقاب ذلك بأربعة أيام شنت إسرائيل غارتها علي قطاع غزة٠ومع هذا فقد التقي ستفنسون Stevenson السفير البريطاني في القاهرة مع عبد الناصر الذي اشترط لقيام تسوية، عودة اللاجئين الفلسطينيين، والتنازل عن جنوب

صحراء النقب لإقامة حدود متجاورة بين مصر والأردن، وذلك مقابل السلام(٥٣)٠وبالطبع لم تكن إسرائيل لتوافق٠

عاد عبد الناصر من مؤتمر باندونج غير متحمس للمضي في المباحثات، وتوترت حدود خط الهدنة، وتوالت الغارات الإسرائيلية، وفي الإسبوع الأول من أغسطس جاء تريفليان سفيرا جديدا لبريطانيا في القاهرة حاملا معه تعليمات لندن التي تؤكد أن سياسة بريطانيا تهدف لإعطاء مصر كل المساعدة ودفع عبد الناصر ليلعب دورا كبيرا في إنجاز التسوية(٥٤)٠

وأبدي عبد الناصر نوعا من التعاون لشئ في نفسه، إذ رأي تسجيل نقطة لصالحة لدي الغرب، وبالتالي إمكانية تجميد حلف بغداد، والحصول علي المساعدات وخاصة تمويل مشروع السد العالي، بالإضافة لما سيدرعليه الوضع الجديد من شهرة ورفعة، وأخيرا فإنه غير مستعد لدخول حرب مع إسرائيل ٠وما لبث أن ألقي إيدن بيانا في ٩ نوفمبر بدار البلدية Guild Hall وأزاح النقاب عن بعض ما جاء في مشروع التسوية(٥٥)٠ورحب عبد الناصر بالبيان وعده بادرة طيبة نحو تسوية مرضية، وأعلن أنه علي الأمم المتحدة القيام بدور الوسيط(٥٦)٠وعارضت إسرائيل، وكان بن جوريون رئيس وزرائها يري ضرورة اللقاء مع عبد الناصر٠

وحضر وزير الخارجية البريطاني إلي القاهرة في أول مارس ١٩٥٦، وأثار موضوع التسوية مع عبد الناصر، فلم يجد منه أي تشجيع، إذ أن مسألة توسيع حلف بغداد قد سيطرت علي تفكيره،ومن ثم عاد لويد يصاحبه الانطباع السيئ عن عبدالناصر(٥٧)٠وأيقنت لندن أن مؤشر التشاؤم لإمكانية الحصول علي تعاون عبد الناصر سواء في إنجاز التسوية أو في تقليل عداوته للبريطانيين قد ارتفع(٥٨)٠وكان معني هذا أن جميع المحاولات التي بذلتها بريطانيا معه باءت بالفشل، لأنه صمم علي شروط رفضتها إسرائيل، وبالتالي سقط مشروع التسوية٠

وتوترت العلاقات إلي درجة كبيرة بين بريطانيا ومصر، وزاد الحنق علي عبد الناصر، حيث وضع في الاعتبار ما سبق التفكير فيه بشأن الإطاحة به، والواقع أنه حتي النصف الأول من عام ١٩٥٥ ورغم ما أقدم عليه عبد الناصر من سياسة معاكسة لبريطانيا، إلا أنها كانت حريصة علي استمراره في الحكم لخشيتها من الفوضي وعدم الاستقرار، ولكن لم يستمر الأمر طويلا، خاصة بعد انعطافه تجاه الكتلة الشيوعية، فأصبح يمثل صورة سيئة، فهو المعقد والمغرور والعنيد والمناور والمغامر والدكتاتور، إلي غير ذلك من الصفات المشابهة(٥٩)٠

كانت لندن مشغوفة بالعمل مع واشنطن ضد عبد الناصر خاصة بعد أن ظهرت بوادر فشل تسوية النزاع العربي الإسرائيلي، واتفق الطرفان علي أن عبد الناصر يشكل عقبة حقيقية في طريق الغرب ويجب إزالتها في أقرب فرصة ممكنة(٦٠)٠وطرحت فكرة تدبير انقلاب مماثل لما حدث في إيران، ولكن رئي أن الظروف تختلف، ومضي البحث عن بديل لعبد الناصر، واستعرضت بعض الأسماء، مثل محمد نجيب وعلي ماهر ومصطفي النحاس، ولكن سرعان ما استبعدوا، أيضا احتلت مسألة سحب الزعامة من عبد الناصر وأعداد الملك سعود لها مكانا في تفكير المسئولين٠(٦١)

ووصلت درجة كراهية إيدن لعبد الناصر إلي مداها، حتي إنه طالب باغتياله كما يذكرناتنج(٦٢)٠وقد خططت المخابرات البريطانية لتحقيق ذلك، وحاولت إشراك المخابرات المركزية الأمريكية معها، لكن الأخيرة رفضت مثل هذا العمل لما له من آثار سيئة ليس فقط علي المصريين وإنما علي العرب بصفة عامة(٦٣)٠ومن ثم لم يتم التنفيذ الذي تكتنفه الصعوبة من كل جانب٠وكان عبد الناصر مدركا أن بريطانيا تسعي للإطاحة به ولكنه تحدي، وفي حديث له مع تريفليان قال انه لن يكون بإمكانكم استخدام سياسة البوارج ضدي مثلما كنتم تفعلون مع فاروق، فأنا بلا عرش، ولا وضع وراثي، ولا ثروة«(٦٤)٠وهكذا تعرضت السياسة البريطانية تجاه مصر للإخفاق،ولم تبق أمامها إلا خطوة ربما تأتي بثمرة نجاح، إذ كانت تحتفظ مع حليفتها الولايات المتحدة بورقة النيل٠

عرض تمويل السد العالي وسحبه

كان الارتباط وثيقا بين إيجابية الدور المصري في التسوية للنزاع العربي الإسرائيلي وبين التمويل الأنجلوأمريكي لمشروع السد العالي، بمعني أن هذا التمويل يحمل الطابع السياسي، وقد أشارت الخارجية البريطانية لذلك(٦٥)٠وفي أعقاب صفقة الأسلحة التشيكية، صرحت موسكو باستعدادها للمساهمة في بناء السد العالي، عندئذ قرر إيدن ابعاد الدب الروسي عن وادي النيل بأي ثمن«(٦٦)٠واستدعي السفير البريطاني في واشنطن وطلب منه سرعة مساعدة الولايات المتحدة، التي ما لبثت أن وافقت نظرا لاتفاق وجهات النظر فيما يختص بالخطر السوفيتي(٦٧)٠أيضا فإن منهج دالاس يرتكز علي استخدام الضغط الاقتصادي علي مصر لتحقيق التخطيط الغربي٠

أدركت الخارجية البريطانية ما يدور في خلد عبد الناصر،فذكرت أنه ما دام حصل علي صفقة الأسلحة من الشرق، فإنه يفضل أن تكون مساعدات السد العالي من الغرب، إلا في حالة وجود صعوبات، عندئذ لن يرفض مساعدة الكتلة السوفيتية(٦٨)٠وتم الاتفاق المبدئي علي مساهمة البنك الدولي والولايات المتحدة وبريطانيا في تمويل مشروع السد العالي في ١٦ ديسمبر ١٩٥٥، ولكن وضعت شروط تقيد مصر ماليا، واستاء عبد الناصر، واستحضر في ذهنه أزمة مصر المالية في عهدالخديو اسماعيل، واتخذت المفاوضات طريقها(٦٩)،واقترح عبد الناصر بعض التعديلات للتخفيف من حدة إجراءات البنك الدولي٠

من هذا المنطلق ارتبط المشروع بتحقيق أغراض بريطانيا والولايات المتحدة التي تتعارض مع استراتيجية مصر، لذا أصبح متوقعا أن الأهداف لن تتلاقي، وخاصة مع إخفاق السياسة الغربية في تطويع عبد الناصر، وارتفعت الأصوات في بريطانيا تطالب بسحب العرض، وتولي الإعلام البريطاني المهمة، وردا علي ذلك صرح عبد الناصر في ٢ أبريل ١٩٥٦ بأن العرض السوفيتي لتمويل المشروع ما زال قائما(٧٠)٠وبناء علي موقفة المضاد جري الاتفاق بين لندن وواشنطن علي الترتيبات الخاصة بسحب العرض(٧١)٠وأصبحت الدلائل تشير إلي التصدع الذي ينذر بالانهيار، وفي ١٩يونيو حدد رئيس البنك الدولي لمصر فترة لقبول شروط البنك، وإلا فإن واشنطن في حل من العرض٠هنا أدرك عبد الناصر أن ساعة الفصل قد قربت حتي ولو قبل جميع شروط البنك وسحب تعديلاته المقترحة، لكنه أراد كشف الأمور علي حقيقتها، وأبلغ السفير المصري في واشنطن بموافقة مصر علي جميع الشروط، وقبل أن ينقل السفير الخبر إلي دالاس، أعلن الأخير في ١٩يوليو سحب العرض الأمريكي لتمويل السد العالي(٧٢)٠

وأعلنت لندن تضامنها مع واشنطن، وسحبت هي الأخري عرضها، ومن ثم سقط قرض البنك الدولي تلقائياالارتباطه بمساهمة الدولتين، وعدد وزير الخارجية البريطاني أبواب العجز المالي في مصر، موضحا كيف أنها تتنافي مع تنفيذ المشروع(٧٣)٠وقد رأت السياسة البريطانية أن هذا الإجراء يقضي علي حلم عبد الناصر، ويؤدي إلي خيبة أمله بين صفوف شعبه، وفي ذلك ما يكفي للإطاحة به(٧٤)٠

علم عبد الناصر بقرار السحب أثناء عودته من مؤتمر بريوني، واختمرت في ذهنه كيفية الرد، وفي ٢٤ يوليو أعلن أن الاقتصاد المصري سليم، وأن البريطانيين

والأمريكيين لن يستطيعوا التحكم في مصر(٧٥)•وعليه يمكن القول أن السياسة البريطانية قد ربحت بهذه الورقة، واعتقدت أن رد فعلها سيكون إيجابيا لها، ومن ثم يتحقق هدفها، ولكن الواقع كان شيئا آخر•

تأميم شركة قناة السويس وانعكاساته

ارتبطت السياسة البريطانية بقناة السويس منذ إنشائها، وحرصت لندن علي أن يكون لها السطوة داخل الشركة التي مارست سلطتها على القناة، وكانت مدة امتيازها تنتهي عام ١٩٦٨، وعليه أصبح القلق شعارا لما بعد هذه الفترة، وقد أظهرت فرنسا اهتمامها بهذا الوضع خاصة فى أعقاب توقيع اتفاقية الجلاء، وعلى جانب آخر، فإن تلك الاتفاقية دفعت عبد الناصر ليعد عدته لتأميم شركة قناة السويس.(٧٦) وتمثل القناة أهمية بالغة لبريطانيا، فهي من أكثر الدول انتفاعا بها، سواء من ناحية مرور تجارتها خاصة البترول، أو مرور جنودها إلى القواعد البريطانية، كما أنها طريقها إلى الكومنولث .(٧٧) لذا خشيت عليها من عبد الناصر، وناقشت الخارجية البريطانية ذلك، وبينت أن نمو قوة عبد الناصر وارتباطه بالاتحاد السوفيتي يعطيه قبضة خطيرة على الاستخدام الدولي للقناة .(٧٨) وفي هذا ما يعني أن لندن ترى في القناة مؤسسة دولية.

وبعثت الخارجية البريطانية لسفيرها في القاهرة في ٢٣ أبريل ١٩٥٦ لتسجل ضرورة المحافظة على المصالح البريطانية في القناة .(٧٩) وجرت مناقشات في مجلس العموم البريطاني، ووصفت القناة بأنها ممر ملاحي دولي، وطالبت بإبعاد سيطرة عبد الناصر عليه، وصرح ناتنج بأن الحكومة البريطانية تشعر بوجوب عقد اتفاق مرض بشأن مستقبل القناة، وضرورة بحث ذلك مع الحكومة المصرية .(٨٠)

وفي نفس الوقت، عقد عبد الناصر العزم على تأميم شركة قناة السويس، واستغل الظروف المساندة، وأعلن ذلك في٢٦ يوليو، بعد ترتيب الأمور مع محمود يونس الذي وكل له مهمة الاستيلاء على مقر الشركة . وفقد إيدن توازنه، وجمع المسئولين ومعهم السفير الفرنسي والقائم بالأعمال الأمريكي في لندن، وبين كيف أن الحياة أصبحت مهددة في أوربا، وأنه لا بد من التحرك الفوري والاستيلاء على القناة، وعد التأميم خرقا لاتفاقية القسطنطينية لعام ١٨٨٨، وطلب التنسيق بين لندن وباريس وواشنطن .(٨١)

كان رئيس الوزراء البريطاني واثقا من تعاون فرنسا، إذ ملأ الحقد قلب موليه Mollet رئيس وزرائها على عبد الناصر، فشركة قناة السويس تجسد بالنسبة له ما تبقى من النفوذ الفرنسي في مصر ، والأهم ما يقوم به عبد الناصر ضد الوجود الفرنسي في شمال أفريقيا بصفة عامة والجزائر بصفة خاصة، أما بالنسبة للولايات المتحدة فقد كانت لها رؤية مختلفة، ولم تؤيد السياسة البريطانية العنيفة، في الوقت الذي لم تكن فيه راضية عن التأميم . وفي اليوم التالي لصدور قرار التأميم، سلمت الخارجية البريطانية مذكرة للسفير المصري تحتج فيها على هذا العمل وتصفه بالتعسف، وإنه يشكل انتهاكا خطيرا لحرية الملاحة في مجرى مائي له أهمية دولية حيوية، وتلقي مسئولية النتائج على كاهل الحكومة المصرية، فما كان من عبد الناصر إلا أن أعادها للسفارة البريطانية .(٨٢)

واصلت بريطانيا تخطيطها، ومنذ تلك اللحظة أصبحت لندن محور الاجتماعات الدولية، وقدم الإعلام البريطاني خدماته في هذا الشأن، وترددت مقولات إيدن التي شبه فيها ما أقدم عليه عبد الناصر بما قام به هتلر Hitler في ميونخ، وعقد رئيس الوزراء البريطاني المقارنة بين كتابي «فلسفة الثورة» و «كفاحي»، ومن أجل ديناميكية التحرك شكل لجنة من الوزراء المقربين عرفت باسم لجنة مصر» وعدت بمثابة مجلس وزراء مصغر لتيسير أمور إدارة الأزمة .(٨٣)، وحتي يمارس تأثيره على أعضائها.

وفي صخب هذه التحركات، فرضت بريطانيا العقوبات الاقتصادية على مصر في ٢٨ يوليو، وذلك بتجميد أرصدتها الإسترلينية في لندن .(٨٤) وكان هذا الإجراء بالغ القسوة ومناقضا لاتفاقية العملة لعام ١٩٥٥، أيضا وقعت لندن حظر تصدير الأسلحة إلى مصر .(٨٥)

وبدأت المداولات في العاصمة البريطانية بين وزراء خارجية الدول الثلاث، وكان رأي الوزيرين البريطاني والفرنسي اللجوء إلى استخدام القوة التي وجد فيها وزير الخارجية الأمريكي آخر وسيلة لعلاج الموقف، وصدر بيان ٢ أغسطس ١٩٥٦ الذي انتهى إلى أن قناة السويس تحمل الطابع الدولي، واقترح عقد مؤتمر دولي بلندن في ١٦ أغسطس .(٨٦) وصاحب الاقتراح هو دالاس وأيده إيدن ريثما يعد الخطة العسكرية بالاشتراك مع فرنسا . ومن ثم يتبين أن السياسة البريطانية تجاه مصر أصبح لها اتجاهان يخدم كل منهما الآخر، الاتجاه الأول ظاهري يتمثل

في مجاراة البحث عن الحلول السلمية، والاتجاه الثاني الإعداد لحل عسكري لتيقن لندن من رفض مصر تدويل القناة.

مشروعات التدويل

تولت بريطانيا تنظيم مؤتمر لندن الأول، فدعت الدول التسع الموقعة على اتفاقية القسطنطينية لعام ١٨٨٨، كما وجهت الدعوة لست عشرة دولة أخرى معنية باستخدام الملاحة في القناة إما بالنسبة لحمولة سفنها أو نوعية تجارتها(٨٧)، وجاء الاختيار بعناية حيث وقع معظمه على الدول المساندة للغرب . ودعيت مصر للمؤتمر، وفكر عبد الناصر في حضوره، ولكن في ٨ أغسطس ١٩٥٦ بثت لندن عبر الإذاعة والتليفزيون نص خطاب لإيدن قال فيه ؛إننا لسنا في نزاع مع مصر ولا مع العالم العربي، وإنما مع الرئيس ناصر« .(٨٨) ومن هنا رفض عبد الناصر الدعوة، وحاول إحباط مسعى تدويل القناة، فأصدر بيانا في ١٢ أغسطس تحدى به إيدن، وأعلن عن استعداد مصر للقيام بعقد مؤتمر دولي لإعادة النظر في اتفاقية القسطنطينية لعام ١٨٨٨ بما يؤكد من جديد حرية الملاحة في قناة السويس، ولكن رفضت لندن ذلك.(٨٩)

وعقد مؤتمر لندن الأول في ١٦ أغسطس، وحضرته اثنتان وعشرون دولة، وظهرت شخصية دالاس القيادية على مسرح المؤتمر، وعرض مشروعه الذي يتلخص في وضع القناة تحت إشراف هيئة دولية تنظمها معاهدة وتخضع للأمم المتحدة على اعتبار أنها ممر مائي دولي، وفصلها عن السياسة، وتعويض شركة القناة، وحق مصر في حصولها على دخل عادل. وأيد وزير الخارجية البريطاني المشروع، وأعلن صراحة عن التدابير العسكرية البريطانية، وكان هناك أربع دول تقف مع مصر وكأنها تتحدث بلسانها تمثلت في الاتحاد السوفيتي والهند وأندونيسيا وسيلان، ومن ثم رفضت المشروع، أما الدول الثماني عشرة فقد أيدت المشروع، وذهب بعضها مثل السويد وأسبانيا وإيطاليا وإيران وباكستان إلى التصريح بأن التأميم إجراء قانوني، بينما عده الباقي عملا يتسم بالارتجال وعدم التبصر .(٩٠)

اختتم المؤتمر أعماله في ٢٢ أغسطس مؤكدا مسألة الإشراف الدولي علي القناة بعد الموافقة على مشروع دالاس، الذي اقترح أن يكلف المؤتمر وفدا ليعرض الأمر على عبد الناصر، ووقع الاختيار على منزيس Menzies رئيس الوزراء الأسترالي، ولم يكن الاختيار موفقا، وقبل وصول اللجنة أعلن عبد الناصر مرة أخرى رفضه الإشراف الدولي على القناة.(٩١) وعندما التقى مع منزيس، كان الأخير فظا في

أسلوبه ملوحا بالتحركات العسكرية الأنجلو فرنسية، وهنا أحس عبد الناصر بنبرة التهديد، فأنهى الموقف ورفض مشروع دالاس.(٩٢) وعليه أخفق مؤتمر لندن الأول.

في أعقاب ذلك، حاول عبد الناصر إجهاض السياسة البريطانية التي تعد نفسها لاستخدام القوة، فتقدمت مصر بمذكرة رسمية إلى عواصم العالم في ١٠ سبتمبر شملت اقتراحا شبيها بما احتواه بيان ١٢ أغسطس، ولكن رفضتها لندن، وأعلن إيدن في مجلس العموم البريطاني أن مصر عارضت كل مسعى لإيجاد تسوية سلمية.(٩٣) ولجأت بريطانيا وفرنسا إلى حيلة تقضي بسحب جميع مستخدمي شركة قناة السويس الأجانب لإيقاف الملاحة ليلة ١٥/١٤ سبتمبر، وإرسال عدد كبير من السفن يكون فوق طاقة القناة، بهدف عرقلة الملاحة وإثبات إخفاق الإدارة المصرية، ومن ثم يتم التدخل الأنجلوفرنسي العسكري، ولكن المخابرات المصرية تمكنت من الوصول إلى هذه الخطة .(٩٤) ونجح محمود يونس سواء عن طريق مرشدين أجانب جددا أو مصريين من تسيير دفة الملاحة على أحسن وجه.

ومحاولة للخروج من هذا الوضع، وبناء على رفض عبد الناصر مشروع دالاس، رأى وزير الخارجية الأمريكي تكوين هيئة المنتفعين «SCUA وتتشكل من مندوبين عن الدول الثماني عشرة، وتتعاون مع الإدارة المصرية وتستأجر المرشدين وتحصل الرسوم .(٩٥) ووافق إيدن على الفور رغبة منه في كسب الوقت، ووفقا للخطة المرسومة، وللمرة الثانية وجهت لندن الدعوة إلى الدول الثماني عشرة لحضور مؤتمر لندن الثاني لوضع حجر أساس هيئة المنتفعين . وافتتح المؤتمر في ١٩ سبتمبر، وكرر وزير الخارجية البريطاني قوله بشأن الإشراف الدولي على القناة، ودارت المناقشات حول اختصاص هذه الهيئة وعلاقتها بمصر، وانتهى المؤتمر في ٢١ سبتمبر معربا عن الرغبة في إمكانية عرض المسألة على الأمم المتحدة، والتصريح بإنشاء هيئة المنتفعين .(٩٦) وكان التشويش ملحوظا ، وانفض المؤتمر ليرفع المؤتمرون المقترحات لدولهم..

ومرة أخرى توجه لندن الدعوة للدول التي اشتركت في مؤتمر لندن الثاني لحضور مؤتمر لندن الثالث لتدشين هيئة المنتفعين، وافتتح المؤتمر في أول اكتوبر، وتقرر تشكيل لجان الهيئة، واختير مقرها ورئيسها، ومع هذا حدث خلاف بين المؤتمرين .(٩٧) وتقرر اللجوء للأمم المتحدة.

قناة السويس أمام مجلس الأمن

سلمت كل من بريطانيا وفرنسا خطابا إلى مجلس الأمن في ٢٣ سبتمبر ١٩٥٦يتضمن ما أقدم عليه عبد الناصر وكيف أقصى الدولية عن قناة السويس.(٩٨) وخطا إيدن هذه الخطوة رغبة في وقف الحملات الداخلية المضادة له، وكسب الدول المؤيدة لهذا الاتجاه، وإعطاء فسحة من الوقت حتى تتم التجهيزات العسكرية . وعلى الفور قدمت مصر شكواها إلى مجلس الأمن في اليوم التالي ضد بريطانيا وفرنسا لما تقومان به من أعمال تعد خطرا على السلام، وساعدت الولايات المتحدة مصر في إدراج شكواها(٩٩)، حيث بدا التعارض بين وجهتي نظر لندن وواشنطن.

كان الاتجاه السائد قبل اجتماع مجلس الأمن تسوية المسألة عن طريق المفاوضات، وافتتحت الجلسات في ٥ اكتوبر وتكلم وزير الخارجية البريطاني وعرض مشروع قرار باسم بريطانيا وفرنسا يطالب بتطبيق مقترحات مشروع دالاس، وأن تتعاون مصر مع هيئة المنتفعين، وركز على الطابع الدولي للقناة، وبناء على اقتراح همرشولد Hammarskjold السكرتير العام للأمم المتحدة وتأييد وزير الخارجية الأمريكي تقرر أن تعقد جلسات جانبية مغلقة تضم أطراف النزاع لإمكانية التوصل إلى تسوية في مناخ يسوده الهدوء .(١٠٠)

جمعت هذه الجلسات وزراء خارجية بريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة ومصر والسكرتير العام للأمم المتحدة، واتسمت المحادثات بالصعوبة، وبفضل مهارة همرشولد وضعت خطوط عريضة عرفت باسم المبادئ الستة لتكون أساسا للمفاوضات لتسوية الأزمة . وفي جلسة ١٣ اكتوبر تقدمت بريطانيا وفرنسا بمشروع قرار تضمن هذه المبادئ، وتقضي بأن تكون حرية العبور مكفولة والقناة مفتوحة للجميع دون أي تمييز، واحترام سيادة مصر، وعزل القناة عن السياسة، وتحديد الرسوم بين مصر ومستخدمي القناة بطريقة يتفق عليها، وتخصيص نسبة عادلة من الرسوم لإنماء القناة والنهوض بها وتشغيلها، وأخيرا فإنه عند حدوث أي نزاع بين شركة قناة السويس والحكومة المصرية فيما يختص بالشئون المعلقة يحل النزاع بطريقة التحكيم. كان هذا ما اتفق عليه في الجلسات المغلقة، ولكن تمكنت بريطانيا وفرنسا من إضافة قسم آخرلمشروع القرار يختص بمشروع دالاس وهيئة المنتفعين ودعوة مصر لتقدم اقتراحاتها . وتمت الموافقة على القسم الأول من

المشروع الخاص بالمبادئ الستة بالإجماع، اما القسم الثاني فقد استخدم الاتحاد السوفيتي ضدى حق الفيتو، وبالتالي أسقط .(١١٠)

وطار إيدن إلى باريس في ١٦ اكتوبر، وعقب مباحثاته مع موليه صدر بيان رسمي تضمن دعوة مصر إلى اقتراح نظام لإدارة القناة يتفق مع مشروع دالاس، كما صرح لويد بأن نظام المنتفعين سيمضي قدما، وطلب من همرشولد التعجيل بمزاولتها العمل .(١٠٢) وقام الأخير بالاتصالات بين لندن وباريس والقاهرة بشأن استئناف المفاوضات وفقا للمبادئ الستة، وتحدد يوم ٢٩ اكتوبر موعدا للقاء بمقر الأمم المتحدة في جنيف(١٠٣)

وتبعا للسياسة البريطانية، كانت الخطة الحربية في مرحلتها النهائية، وألقى إيدن بيانه في مجلس العموم البريطاني معلنا عدم الرضا عن مناقشات مجلس الأمن، وانهال على مصر بالاتهامات.(١٠٤) وبناء على التخطيط الأنجلوفرنسي، تم إدراج شكوى ضد مصر في مجلس الأمن لعدم تقديمها المقترحات، كما طالبت الشكوى بأن تتفق المقترحات مع مشروع دالاس.(١٠٥) وكان الهدف جليا، وهو الحصول على الفيتو السوفيتي، وبالتالي تكون الفرص قد استنفدت، ولا مفر من اللجوء إلي القوة العسكرية.

الإعداد للغزو

عندما رسمت بريطانيا سياستها تجاه مصر، لم تفكر أنه سيكون هناك عامل مشترك يجمعها مع فرنسا ويؤثر على هذه السياسة، وتمثل ذلك العامل في عداء عبد الناصر، ومن هنا حدث ائتلاف أنجلوفرنسي أعاد الوفاق الودي مرة أخرى . وكان من الصعب أن تقوم كل دولة بعمل منفرد نظرا للظروف الصعبة التي تمر بها كل منهما منذ نهاية الحرب العالمية الثانية.

وعقب إعلان عبد الناصر قرار تأميم شركة قناة السويس، قرر إيدن غزو مصر والاستيلاء على القناة، وأصدر تعليماته لدراسة الموقف الحربي والتجهيزات العسكرية.(١٠٦) وبعثت الخارجية البريطانية إلى سفيرها في باريس بقواعد الترتيبات التي ستقوم عليها وحدة السياسة الأنجلوفرنسية، وشملت إسقاط عبد الناصر ونظامه، وإيجاد حكومة مصرية أخرى تكون صديقة للغرب وتتمتع بشعبية وتبدي استعدادها لقبول تسوية دولية جديدة لقناة السويس، وحتى يتم ذلك، لا بد من احتلال منطقة القناة وإخضاعها لحكم عسكري، وأنه من الممكن أن يتبع هذا احتلال

مصر كلها، كما تشير لندن إلى أهمية أن يبقى التخطيط سرا، ويكون التظاهر بأن العمليات العسكرية محدودة .(١٠٧)

وتشكلت لجنة متابعة في باريس من الجانبين البريطاني والفرنسي، ومضى البحث عن الحاكم الجديد، وتردد اسم الملك السابق فاروق ولكنه استبعد .(١٠٨) وأخفق إيدن في الحصول على أية مساعدة عسكرية من الولايات المتحدة، أيضا واجه مصاعب معارضة حزب العمال وحزب الأحرار، إذ رأى الحزبان أن يكون استخدام القوة عن طريق الأمم المتحدة(١٠٩)، ولكن ذلك لم يثنه . وأرسلت الخارجية البريطانية إلى سفرائها في الشرق الأوسط بعد انتهاء مؤتمر لندن الثاني لتتعرف على مركز عبد الناصر في المنطقة، حتى تكون على بينة من رد الفعل عند إسقاطه، وجاءتها الإجابات متباينة وغير شافية ، كما وصلها من سفيرها في القاهرة أن عبد الناصر قد كسب أرضية خاصة بين الشباب. (١١٠)

ورغم التوافق والتعاون بين بريطانيا وفرنسا، فإن الأخيرة رأت أن تفتح قناة اتصال مع اسرائيل وتضعها على خريطة العدوان العسكري على مصر . وفي أعقاب قرار التأميم طرح رئيس الوزراء الفرنسي على نظيره البريطاني فكرة تعاون اسرائيل معهما، لكن إيدن كان متخوفا نظرا لعلاقة بريطانيا بالعرب ومصالحها الاقتصادية والاستراتيجية لديهم .(١١١) ومرة أخرى وفي أعقاب مؤتمر لندن الثاني تحاول باريس مع لندن، وجاءت استجابة إيدن بشرط ألا تهاجم اسرائيل الأردن.(١١٢) وكان الخناق قد ضاق عليه بتصعيد المعارضة الداخلية، وبتخلي واشنطن عنه فيما يختص باستخدام القوة، وبنجاح مصر في إدارة الملاحة في قناة السويس، وبحماقته التي وصلت لأعلى مؤشراتها في مواجهة عبد الناصر.

وفي٢٦ سبتمبر وافق رئيس الوزراء البريطاني على تعاون إسرائيل، ولكن ليس كحليف مشارك، وإنما كذريعة للتدخل الأنجلوفرنسي المسلح .(١١٣) ولم يجد إلحاق اسرائيل بالخطة ارتياحا لدى كثير من المسئولين البريطانيين .(١١٤) ومع هذا فإن تصميم إيدن كان أقوى طالما الأمر يتعلق بعبد الناصر. وفي ٢٤ اكتوبر تم التوقيع على اتفاق التعاون بين بريطانيا وفرنسا واسرائيل في سيفر Sevres إحدى ضواحي باريس، وتقرر أن يبدأ الغزو الإسرائيلي لمصر في٢٩ اكتوبر، وهو اليوم الذي كان قد تحدد فيه استئناف المفاوضات وفقا للمبادئ الستة التي أقرها مجلس الأمن . وجمع إيدن مجلس الوزراء وشرح ما توصل اليه التخطيط البريطاني، وكيف أن

عبد الناصر يهدد الوجود الإسرائيلي، وعلى الفور أدرك المجلس أن الأمر قد خرج من يده.(١١٥)

الخلاصة :

من خلال الصفحات السابقة نلمس المؤثرات المختلفة التي خضعت لها العلاقات الأنجلو مصرية، وكيف أن هذه المؤثرات وضحت منذ اللحظة الأولى التي وقعت فيها اتفاقية الجلاء. وكان من المتوقع أن تبدأ مرحلة جديدة يسودها الهدوء والتعاون بين الطرفين، ولكن اختلفت الأهداف، وبالتالي أصبح التنافر والشقاق هما الصبغة التي اصطبغت بها العلاقات، فقد رأت بريطانيا أنه لابد من انتهاج سياسة التعويض، بمعنى أن تبحث عن إعادة لسلطتها في المنطقة بعد فقدانها قناة السويس، ومن هنا بذلت مساعيها من أجل استقطاب مصر إلى حلف بغداد الذي راحت تخطط له مع الولايات المتحدة ليكون حزاما شماليا لمنع تقدم السوفيت إلى المراكز الاستراتيجية والاقتصادية المهمة في الشرق الأوسط، بينما وجدت مصر في هذه السياسة تضاربا مع مركزها الجديد، ولم تكتف بالرفض، وإنما اتبعت سياسة تقوم على قاعدتين، القاعدة الأولى ارتكزت على اتجاه العروبة الذي سلكته، والقاعدة الثانية تأسست علي اتجاه سياسة الحياد الذي اتبعته، وعليه اتسعت خطوات التباعد بين بريطانيا ومصر.

وجاءت صفقة الأسلحة التشيكية التي أقدمت عليها مصر لتزيد من سوء العلاقات بين الطرفين، ولتكون لها النتائج الخطيرة ليس فقط فيما يخص طرفي النزاع، ولكن على مستوى العلاقات بين الشرق والغرب، حيث تمكنت مصر من كسر احتكار الغرب لتصدير السلاح إلى المنطقة، وأيضا كسر حاجز العزلة الذي كان مفروضا علي الاتحاد السوفيتي، مما كان له انعكاسات بعيدة المدى. واصبحت مصر تمثل عقبة كأداة في تحقيق السياسة البريطانية، ورغم ذلك فقد حاولت لندن أن تستخدم كل الطرق لإمكانية جذبها مرة أخرى إلى معسكرها، وإبعادها عن المعسكر السوفيتي المضاد، وكانت مسألة إيجاد تسوية لإنهاء النزاع بين العرب وإسرائيل إحدى غاياتها، وحاولت بالاشتراك مع واشنطن الضغط على مصر من أجل التنفيذ، ولكن الإخفاق في ذلك قلب الأوضاع تماما، وكانت نتيجته سحب عرض تمويل السد العالي لإحراج مصر وإذلالها، إذ رئي أنه عندئذ يمكن تطويعها.

وتمثل رد فعل مصر في تأميم عبد الناصرلشركة قناة السويس الذي أفقد ما تبقى من صواب السياسة البريطانية التي وضعت لنفسها أسسا جديدة قامت على استخدام سياسة العنف، ولحين التنفيذ كان التجنيد من الناحية المعنوية بتلك المؤتمرات التي

عقدت في لندن، وبعرض قضية التأميم على مجلس الأمن، لكن ذلك جميعه لـم يكـن إلا كسبا للوقت حتى تصبح الخطة العسكرية جاهزة لضرب مصر، تلك التي أعدت بالاتفاق بين كل من لندن وباريس وتل أبيب. وبذلك يتبين أن الفترة الزمنية منذ خريف عام ١٩٥٤ وحتى صيف ١٩٥٦ اتسمت بفقدان المصداقية في العلاقات الأنجلو مصرية، حيث ترددت الأوضاع، وأصبحت الحالة تنذر بوقوع حدث جلل .

هوامش الدراسة

1 - F.O. 371/108445، Dec. 17th، 1954
2 - Ibid، 108442، JE 1192/716، Cairo - F.O.، Nov. 1st، 1954
3 - Ibid، 108318، JE 1015/74، Cairo - F.O.، Nov. 20th، 1954.
4 - Ibid، 108781، JE 10511/20، F.O.- Cairo، Nov. 12th، 1954.
٥ - الأهرام ، عدد ١٤٨٠٣ فى ٢٢ أكتوبر ١٩٥٤ .
٦ - نفس الدورية ، عدد ٢٤٨٠٣ في ٢٣ نوفمبر ١٩٥٤، عدد ٢٥١١١ في ١٣ اغسطس ١٩٥٥، عدد ٢٤٨٥٢ في ١٠ ديسمبر ١٩٥٤، عدد ٢٤٨١٧ في ٥ نوفمبر ١٩٥٤، عدد ٢٤٨٥٩ في ١٧ ديسمبر ١٩٥٤.
7 - Kyle، Keith، Suez، Weidenfeld and Nicolson، London 1991، p. 56.
8 - Ibid، p.57 ،
صلاح بسيوني، مصر وأزمة السويس، دار المعارف، القاهرة ١٩٧٠، ص ١٣ ..
9 - F.O. 371/118855، Chronology، The development of Egyptian Neutralism.
١٠ - ناتنج، أنتوني، ناصر، ترجمة شاكر ابراهيم سعيد، الطبعة الثانية، مكتبة مدبولي، القاهرة ١٩٩٣، ص ص ١٠٨ ، ١٠٩ ، ١١٨، نيف، دونالد، حرب السويس، ترجمة أحمد خضر، عبد السلام رضوان، مكتبة مدبولي، القاهرة ١٩٩٠، ص ص ٩٧ ، ٩٨ .
11 - F.O. 371/115865، VR 1046/22، Shuckburgh - Patrich، Feb. 16th، 1955.
12 - Kyle، op. cit، p.60،
محمد حسنين هيكل، ملفات السويس، الطبعة الأولى، مركز الأهرام للترجمة والنشر، القاهرة ١٩٨٦، ص ص ٣٣٢ – ٣٣٧ .
13 - F.O. 371/115468، Levant Dep. Feb. 24th 1955.
١٤ - ناتنج، المرجع المذكور، ص ١٥.
١٥ - إيدن، أنتوني، مذكرات، ترجمة خيري حماد، القسم الثاني، دار مكتبة الحياة للطباعة والنشر، بيروت ١٩٦٠، ص ١١٢ .
16 - F.O. 371/115469، V 1023/19c. F.O. Oct. 30th، 1955.

17 - Ibid، 115471، V 1025/2، Cairo - F.O.، Nov. 5th، 1955، 115469، V 1023/20،
Cairo - F.O.، Nov. 3rd، 1955.
18 - Kyle، op. cit، pp. 90،91، -
نيف، المرجع المذكور، ص ص ٢٣٩، ٢٤ ..
19 - F.O. 371/118830، JE11٠1/1، Cairo- F.O.،Jan. 13th، 1956.
20 - Ibid، 121234، V1054/41، F.o.، Feb. 27th، 1955.
21 - Ibid، 121235، V1054/72، House of Commons، March، 7th 1956.
٢٢- نيف، المرجع المذكور،ص ٢٤٦ .
٢٣- الاهرام، عدد٢٥٣١٩ في٢٦مارس١٩٥٦
24 - F.O. 371/118830، JE11٠1/1، Cairo - F.O.، Jan. 13th، 1956.
٢٥- ناتنج، المرجع المذكور، ص١٣٧ .
26 - F.O. 371/113579، JE1015/35، Cairo - F.O.، July 18th، 1955، 115471،
V1025/2، Cairo - F.O.، Nov.5th، 1955.
٢٧- تشايلدرز، ارسكين، الطريق إلي السويس، تعريب خيري حماد، الدار القومية للطباعة والنشر، د.ت، ص ١٦٥.
28 - F.O. 371/118862، JE1053/25، Cairo - F.O.، April 25th، 1956.
٢٩- الأهرام، عدد ٢٥٣٤٦ في ٢٢ أبريل ١٩٥٦، عدد ٢٥٣٤٨ في ٢٤ أبريل ١٩٥٦، عدد ٢٥٣٨١ في ٢٠ مايو ١٩٥٦.
30 - F.O. 371/118853، V1075/111 C، Dixon's Report، April 3rd، 1956.
31 - Ibid، 125427، F.O. Sept. 30th، 1956.
٣٢- الأهرام ٢٥٣٢٠ في مارس ١٩٥٦.
33 - F.O. 371/118843، July 10th، 1956.
34 - Ibid، 118864، JE 1053/62، Cairo - F.O. June 16th 1956.
35 - Ibid، JE 1053/59، Cairo - F.O. June 17th، 1956.
36 - Ibid ،125427، F.O.، Sept.30th،1956.
37 - Ibid،118855، Chronology، the development of Egyptian Neutralism.
38 - Dessouki، Ali E. Hillal، Nasser and the Struggle for

Independence، In Suez 1956، the crisis and its Consequences، Edited By WM.
Roger Louis and Roger Owen، clarendon press، Oxford 1989، pp.33،34.

39 - F. O. 371/121233، P 1054/24، cairo - F. O.، Feb. 9th، 1956.

40 - Ibid، 118864، JE 1053/73، F. O.، june 12th، 1956.

٤١- ناتنج، المرجع المذكور، ص١٣٣، نيف، المرجع المذكور، ص١٠١ .

٤٢- صلاح بسيوني، المرجع المذكور،ص٨٠

43 - Kyle، op. cit.، P.73.

٤٤- عبد اللطيف البغدادي، مذكرات، الجزء الأول، المكتب المصري الحديث، القاهرة ١٩٧٧،ص ٢١١، الأهرام، عدد ٢٥١٣٩ في ٢٨ سبتمبر ١٩٥٥.

٤٥- ناتنج، المرجع المذكور، ص ص١٥٠-١٥١ .

٤٦- الأهرام، عدد٢٥١٤٥ في ٤ أكتوبر ١٩٥٥، عدد٢٥١٥٠ في ٩ أكتوبر ١٩٥٥.

47 - F.O. 371/118832، JE 11٠5/A، F.O.، Dec. 7th، 1955.

٤٨- الأهرام، عدد٢٥٢٦٦ في ٢ فبراير ١٩٥٦.

49 - F.O. 371/118842، JE 1053/20، cairo - F.O.، March، 22nd 1956.

50 - Ibid، 118855، Chronolgy، the development of Egyptian Neutralism.

51 - Ibid، 115863، V 1076/15.

52 - Ibid، 115866، VR 1076/38، F.O.، Feb. 25th، 1955.

٥٣- ناتنج، المرجع المذكور، ص ٢٧ .

54 - Kyle، op. cit.، P. 69.

55 - F.O. 371/121233، F.O.، Nov. 1955.

٥٦- تشايلدرز، المرجع المذكور، ص ص ١٥٩ ، ١٦٠ ..

٥٧- نيف، المرجع المذكور، ص٢٣٧ .

58 - F.O. 371/121235، V1057/87، F.O.، April 14th، 1956.

59 - Ibid، 11834، JE 11٠5/97، Cairo - F.O. dec. 6th، 1956.

٦٠- ناتنج، المرجع المذكور، ص١٦٢ .

٦١- نفس المرجع، ص١٧٢

F.O. 371/118862، JE 1053/ Kyle، op.cit.، p.81، 31، Cairo - F.O.، May 5th، 1956.

٦٢- الأهرام، عدد٣٥٩٥٨ في ٢٥ مايو ١٩٨٥.

٦٣- محمدحسنين هيكل، المرجع المذكور، ص ص ٤٠٣ – ٤٠٥ ، ٤١٩، ٩٢٤، نيف، المرجع المذكور، ص ص٥٩٥ – ٥٩٧ .

64 - F.O. 371/118834، JE 11٠5/97، Cairo - F.O.، Dec. 6th، 1956.

65 - Ibid، 115865، VR 1076/21، F.O.، Feb. 12th، 1955.

٦٦- ناتنج، المرجع المذكور، ص ١٦٦.

67- F.O. 371/115469، V 1023/22، Washington - F.O.، Nov.7th،1955.

68 - Ibid، 118832، JE 11٠5/A، F.O.، Dec. 7th، 1955.

٦٩- ناتنج، المرجع المذكور، ص ص ١٦٨ – ١٧٠ ..

٧٠- الأهرام، عدد ٢٥٣٢٧ في ٣ أبريل ١٩٥٦.

71 - Bowie، Robert، Eisenhower، Dulles، and the Suez Crisis، In Suez 1956، the Crisis and its Consequences، Edited By WM. Roger Louis and Roger Owen، Clarendon press، Oxford 1989، p. 192.

72 - Ibid، p. 193

صلاح بسيوني، المرجع المذكور، ص ص ٢٤ ، ٢٥

73 - F.O. 371/118864، JE 1053/74 G، F.O. July 19th، 1956.

٧٤- ناتنج، المرجع المذكور، ص ١٧١.

٧٥- الأهرام، عدد٢٥٤٣٥ في ٢٥ يوليو ١٩٥٦.

٧٦- عبد اللطيف البغدادي، المرجع المذكور، ص.٣١٨، Kyle، op. cit، p.120

٧٧- نيف، المرجع المذكور، ص ٣٨٥.

78 - F.O. 371/118855، V 1075/111C، Dixon's Report، April، 3rd - 5th 1956.

79 - Ibid، 118862، F.O. - Cairo، April 23th، 1956.

٨٠- الأهرام، عدد٢٥٣٦٢ في مايو ١٩٥٦.

81- Bowie، op.cit، p.197

ايدن، المصدر المذكور، ص٢٣٤، محمدحسنين هيكل، المرجع المذكور، ص ص٤٧٠-٤٧٢، نيف ، المرجع المذكور، ص ص ٣٧٦ – ٣٧٧..

٨٢- الأهرام. عدد ٢٥٤٣٨ في ٢٨ يوليو ١٩٥٦.
83 - F.O. 371/118871، Record of a Meeting، August 3rd،1956.
٨٤- الأهرام، عدد٢٥٤٣٩ في ٢٩ يوليو ١٩٥٦.
٨٥- نفس الدورية، عدد٢٥٤٤١ في ٣١ يوليو ١٩٥٦.
٨٦- محمد صفوت، مسألة قناة السويس، ص ص ٤٥-٤٧.
٨٧- نفس المرجع، ص١٢، الأهرام، عدد٢٥٤٤٤ في ٨ أغسطس ١٩٥٦
٨٨- نفس الدورية، عدد٢٥٤٥٠ في ٨ أغسطس ١٩٥٦.
٨٩- نفس الدورية، عدد٢٥٤٥٤ في أغسطس ١٩٥٦، ناتنج، المرجع المذكور، ص ١٩١.
٩٠- محمد صفوت، المرجع المذكور، ص ص ٩٦٦٩-١-٩،١٢٥-١٤٤، صلاح بسيوني، المرجع المذكور، ص ص٨٥-٨٧ ، مصطفي الحناوي، قناة السويس ومشكلاتها المعاصرة، الجزء الثالث، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ١٩٥٧، ص ص ٥٩٥ ، ٦٠٤، ٦٠٦ ..
٩١- الأهرام، عدد٢٥٤٧٥ في ٣ سبتمبر ١٩٥٦.
92 - Higgins،Rosalyn،United Nations Peace Keeping،1946 - 1967،I.The Middle East، Oxford University Press،1969،P.224
الأهرام ، عدد٩٧٤٥٢ ، ٧ سبتمبر ١٩٥٦.
٩٣- نفس الدورية، عدد٢٥٤٨٣ في ١١سبتمبر ١٩٥٦، تشايلدرز، المرجع المذكور، ص ٩٥٢ ..
٩٤- محمد شكري حافظ، عبدالناصر والمخابرات البريطانية، كتاب الحرية، الطبعة الأولي، القاهرة ١٩٨٩، ص ص ١٢٤،١٢٨.
٩٥- محمد صفوت ، المرجع المذكور ، ص ٢٠٥.
٩٦- الأهرام ، عد٢٥٤٩٢ في ٢٠ سبتمبر ١٩٥٦، عدد٢٥٤٩٤ في ٢٢ سبتمبر ١٩٥٦، عدد ٢٥٤٩٥ في ٢٣ سبتمبر ١٩٥٦،
Kyle،op.cit.،PP.252،253
٩٧- نفس الدورية، عدد ٢٥٥٠٤ في ٢ أكتوبر ١٩٥٦، عدد ٢٥٥٢٣ في ٢١ أكتوبر ١٩٥٦، إيدن، المصدر المذكور، ص ص ٣٤٠،٣٤٢.
٩٨- نفس الدورية ، العدد ٢٥٤٩٦ في ٢٤ سبتمبر ١٩٥٦، نفس المصدر، ص ص ٣٠٥،٣٠٦،٣١٦ ..

٩٩- نفس الدورية ، عدد ٧٩٤٥٢ في ٢٥ سبتمبر ١٩٥٦، نفس المصدر، ص ٣٤..

١٠٠- نفس الدورية، عدد ٢٥٥١١ في ٩ أكتوبر ١٩٥٦،محمد صفوت ، المرجع المذكور، ص ص ٢٨٢ - ٣٠٦ ..

١٠١- نفس الدورية ، عدد ٢٥٥١٦ في ١٤ أكتوبر ١٩٥٦،

Higgins, op. cit، P. 225

١٠٢- نفس الدورية ، عدد ٢٥٥١٨ في ١٦ أكتوبر ١٩٥٦، عدد ٢٥٥٢٠ في ١٨ أكتوبر ١٩٥٦، عدد ٢٥٥١٨ في ١٩أ كتوبر ١٩٥٦.

١٠٣- نفس الدورية، عدد ٢٥٥٢٣ في ٢١ أكتوبر ١٩٥٦.

١٠٤- نفس الدورية، عدد ٢٥٥٢٦ في ٢٤ أكتوبر ١٩٥٦.

١٠٥- ناتنج ، المرجع المذكور، ص ١٩٩.

106 - F.O. 371/118871، Record of Meeting، Aug. 3rd، 1956.

107 - Ibid، JE 1073/3G، F.O. - Paris، Aug. 10th، 1956.

108 - Ibid، the Suez Canal Crisis، Aug. 11th، 1956.

١٠٩- الأهرام، عدد ٢٥٤٥٥ في ١٤ أغسطس ١٩٥٦، عدد ٢٥٤٥٦ في ١٥ أغسطس ١٩٥٦.

110 - F.O. 371/11865، JE 1022/50، 50 P، 50 E، 50D، 51،52، Sept. 25th، 26th، 1956.

١١١- تشايلدرز ، المرجع المذكور، ص ٢٦٤ ،

Kyle ، op. cit، P. 170

112 -Dayan، Moshe، Story of my Life. William Marrow and Company، New york 1976، PP. 185، 190.

١١٣- وزارة الدفاع ، هيئة البحوث العسكرية، حرب العدوان الثلاثي علي مصر، الجزء الأول، ص ٨٠ ..

114 - Kyle، op. cit. PP. 302،326.،

نيف، المرجع المذكور، ص ص٤٥٩،٤٦٠.

115 - Ibid، PP. 322،333.

◆ الفصل الثانى ◆

اسرائيل وثورة يوليو
١٩٥٣ - ١٩٥٦

د . جمال شقرة

شهدت مصر فى الثالث والعشرين من يوليو سنة ١٩٥٢ ، نجاح تنظيم الضباط الأحرار، بقيادة " جمال عبد الناصر " ، فى الثورة على النظام الملكى المتهرئ . وفى السادس والعشرين من نفس الشهر ، طرد الملك فاروق من مصر ، وأخذ الضباط السلطة كاملة فى أيديهم ، وكان عليهم من اللحظة الأولى ، أن يواجهوا مشاكل وتحديات عديدة فى مقدمتها ، طرد المستعمر الانجليزى من مصر ، وعلاج الازمة الاقتصادية - الاجتماعية الخانقة ، وتنمية القطاع الصناعى ، لزيادة القدرة الانتاجية للبلاد ، وتحويل مصر إلى بلد زراعية صناعية فى آن واحد. كما كان عليهم أن يحددوا موقفهم من المعسكرين المتصارعين ، ومن قضايا الحرب الباردة التى كانت تتفجر بين الحين والآخر (١) .

ولقد فرضت القضية الوطنية نفسها على الضباط الأحرار ، بعد طرد الملك ، حيث كان القضاء على الاستعمار فى مقدمة الأهداف الستة التى أعلنها تنظيم الضباط الأحرار قبل ٢٣ يوليو ، وكان ايجاد حل للمسألة السودانية ، مطلبا استراتيجيا ملحا ، حيث أدرك الضباط انه ليس من السهل تحرير مصر أو البدء فى مفاوضات الجلاء ، بدون حل لمشكلة السودان ، فهى العقبة الكؤود والصخرة التى تحطمت عليها معظم المفاوضات المصرية - البريطانية ، ولعل هذا يفسر بدء الضباط بقضية السودان (٢) . أما القضية الفلسطينية وإشكالية الصراع العربى الإسرائيلى ، فلم تكن مدرجة ضمن أولويات الضباط ، يذكر محمود رياض : " إنه بعدما شعر بالقلق من موقف ، رئيس الوزراء الإسرائيلى " ديفيد بن جوريون " المتشدد ، واتجاهه إلى زيادة القوة العسكرية الإسرائيلية ، أخبر الرئيس " جمال عبد الناصر " و " عبد الحكيم عامر " بضرورة تقوية الجيش المصرى ، بغرض الحفاظ على توازن القوى ، بما يحول دون إقدام اسرائيل على مغامرة عسكرية من أجل التوسع إلا أن الرئيس " عبد الناصر " كان من رأيه ، ضرورة اعطاء مشاريع التنمية الأولوية المطلقة فى الانفاق ، لأنه كان مقتنعا بأن اتفاقية الهدنة تحول دون قيام نزاع مسلح بين مصر وإسرائيل ... " (٣) . وحسب ملاحظات هيكل ، فإن تجربة " عبدالناصر " فى فلسطين سنة ١٩٤٨ ، جعلته

يركز أنظاره على مصر أولا(٤) . ولقد ورد هذا المعنى صراحة فى فلسفة الثورة : " كنا نحارب فى فلسطين ، ولكن أحلامنا كلها كانت فى مصر " (٥).

وكانت إسرائيل قد استقبلت الحدث الكبير ، الذى وقع فى مصر ليلة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ، باهتمام شديد ، ونشطت أجهزة مخابراتها ، منذ الساعات الأولى التى أعقبت نجاح الثورة ، تجمع المعلومات عن الضباط الذين فجروا الثورة ، خاصة عن اللواء " محمد نجيب " الذى تصدرت صوره الصحف المصرية ، باعتباره قائد الحركة المباركة (٦) . وكان يهم الحكومة الإسرائيلية بالطبع ، معرفة موقفهم من القضية الفلسطينية ، ومن الصراع العربى الإسرائيلى ، خاصة بعدما ذكرته بعض الصحف عن اللواء " محمد نجيب " وعن سيرته وبطولاته فى معارك فلسطين سنة ١٩٤٨(٧) . وبعبارة أخرى ، كان يهم إسرائيل معرفة أولويات الضباط الذين سيحكمون أهم بلد عربى ، بل أهم بلدان الشرق الأوسط على الاطلاق (٨) .

ولم يضيع مجلس الوزراء الإسرائيلى وقته ، حيث بادر محاولا التأثير على أولويات الضباط – باصدار بيان فى الساعة الواحدة والنصف ظهر يوم ٢٣ يوليو ، موجه الى القيادة الجديدة فى مصر ، أهم ماجاء فيه : " أن الحكومة الإسرائيلية تأمل أن تستطيع مصر وإسرائيل ، أن تجدا سبيلا للعيش المشترك فى جوار حسن ، وسلام مستقر ، فى الشرق الاوسط .. " (٩) وفى نفس اليوم صدر عن " بن جوريون " تصريح صحفى جاءت فيه عبارة طريفة ، لكنها ذات دلالة ، حيث ذكر : " إن إسرائيل ليس لديها عداء مع مصر بسبب ما فعله الفراعنة مع أجدادنا ، ولا بسبب عدوانها علينا مرة أخرى منذ أربع سنوات – بقصد مشاركة مصر فى حرب ١٩٤٨– ماجرى ، ونحن على استعداد للصفح ونسيان الماضى ! " (١٠) .

ولعلنا نسبق الاحداث فنذكر أن " بن جوريون " كان يتخوف من أن يظهر بين العرب ، زعيم من طراز " كمال اتاتورك " يعيد إلى العرب ثقتهم بأنفسهم ، ويقودهم بنجاح إلى طريق التنمية والتحديث (١١) . ولايوجد ما يمنع من أنه فى اللحظات الأولى ، بعد نجاح ثورة يوليو ، قد تخوف من أن يكون هذا الزعيم قد ظهر فى مصر .

على أية حال ، أعقب التصريح الأول ، للحكومة الإسرائيلية ، محاولة تالية ، للتأثير على توجهات وأولويات النظام الجديد فى مصر ، وذلك عن طريق نشاط الدبلوماسية الاسرائيلية فى الولايات المتحدة الامريكية ، حيث طلب " أبا ايبان " السفير الإسرائيلى فى واشنطن ، من كل من، مساعد وزير الخارجية الأمريكية "

باركر هارت " ورئيس شئون مكتب مصر فى وزارة الخارجية الامريكية " ستايلر " أن يكلفا السفير الامريكى فى القاهرة " كافرى " بتوجيه النصح للقيادة الجديدة فى مصر فى شأن السلام مع إسرائيل ، وأن يعمل على اقناع الضباط المصريين بأن التفاهم مع إسرائيل يجب أن يقدم فى أولوياتهم على التفاوض مع بريطانيا (١٢) . ولم ينس السفير الاسرائيلى أن يذكر المسئولين بوزارة الخارجية الامريكية أن اسرائيل ، ترقب الاحداث الجارية فى مصر باهتمام بالغ ، وانها لاتقبل ما يتردد حول تركيز النظام الجديد فى مصر على المفاوضات مع انجلترا ، وأشار " آبا ايبان" أيضا إلى تخوف حكومته من لجهة الصحف المصرية التى لا تكف عن الربط بين " اللواء محمد نجيب " وحرب فلسطين ، بالاضافة إلى قيام الحكومة المصرية بإعادة فتح ملف قضية الأسلحة الفاسدة ، واعتبارها السبب الأساسى فى هزيمة الجيش المصرى فى حرب ١٩٤٨ ، وهذه اللهجة من وجهة نظر الحكومة الإسرائيلية تساعد على انماء الافكار العدوانية ضد إسرائيل ، كما المح السفير الإسرائيلى أيضا ، إلى أن حكومته قلقة لأنها أصبحت محاطة بالديكتاتوريات العسكرية ، وإن هذا يؤدى إلى ضمور الفكر المدنى وتفخم الفكر العسكرى وسوف يؤثر هذا الوضع بالطبع على مستقبل إسرائيل (١٣) .

وفى الثامن عشر من أغسطس ، وجه " بن جوريون " من فوق منصة الكنيست الاسرائيلى ، نداء إلى النظام الجديد فى مصر ، حاول من خلاله إظهار حسن نية إسرائيل تجاه مصر ، ولقد استهدف هذا البيان كسابقه ، حسب شهادة " موشى شاريت " لفت انظار الضباط إلى ضرورة إدراج إسرائيل ضمن أولوياتهم (١٤) .

لقد انزعجت إسرائيل بشدة من برنامج الضباط الاحرار ، رغم خلوه من أية اشارة للصراع العربى الإسرائيلى ، ورغم حرص الضباط وفى مقدمتهم – فى هذا الوقت المبكر – "اللواء محمد نجيب" على استبعاد موضوع إسرائيل ، من خططهم مؤقتا وإلى أن تحصل مصر على استقلالها كاملا أولا (١٥) .

وتلقى وثائق الخارجية الامريكية ، وكذا المذكرات العديدة التى نشرت لحكام إسرائيل ، الضوء على أسباب الانزعاج الإسرائيلى ، والمواقف التى اتخذتها إسرائيل حيال الثورة المصرية الوليدة، بناء على هذا الانزعاج ، ويمكن فى الحقيقة تقسيم هذه المواقف إلى موقفين رئيسيين :-

الأول : محاولات جر مصر إلى " عقد سلام " أو إذا شئنا الدقة " فرض السلام الإسرائيلي بصلح منفرد " مع مصر ، وهى المحاولات التى بدأتها الحكومة الإسرائيلية عقب قيام الثورة مباشرة .

الثانى : تخريب حلم مصر فى التنمية والتحديث ، والاتجاه إلى دعم ترسانة الاسلحة الإسرائيلية وتبنى سياسة " الردع العسكرى " ، بل أيضا الشروع فى تصنيع السلاح النووى .

على أية حال ، انزعجت إسرائيل من اصرار القيادة الجديدة فى مصر ، على النظر إلى مشكلة قناة السويس باعتبارها خلافا خاصا بين مصر وبريطانيا ، حيث كانت تعتبر نفسها طرفا أصيلا فى هذا الخلاف ، فكانت الحكومة الإسرائيلية ترى أن خروج القوات البريطانية من مصر سيؤدى إلى انقلاب فى التوازن الاستراتيجى فى المنطقة ، بما يتيحه من حرية حركة للجيش المصرى ، وبما يفتحه من احتمالات التعاون والتنسيق بين مصر وبقية الدول العربية ، ثم بما يضعه فى أيدى مصر من تسهيلات قاعدة القناة ومعداتها (١٦) . وحسب ملاحظة " بن جوريون" فإنه كان يكفى أن تتذكر إسرائيل ، المطارات العسكرية القائمة بمنطقة القناة ، لكى تتضح لها خطورة مايمكن أن يحدث على الحدود بين مصر وإسرائيل ، بعد رحيل القوات البريطانية (١٧) لقد خلص " بن جوريون " إلى أن " نقل منطقة القناة إلى السلطة العسكرية فى مصر ، يزيد بضربة واحدة ، وإلى حد كبير ، من قوتها العسكرية الفعالة وقدرتها على العدوان ضد إسرائيل...." (١٨).

وانطلاقا من هذا التخوف والانزعاج ، طلبت اسرائيل من انجلترا ، اطلاعها على ما يدور بينها وبين مصر من مفاوضات ، كما طالبت بأن تشمل الاتفاقية المصرية – البريطانية ، المزمع عقدها ، ضمانات محددة ، أهمها أن تنص على تعهد مصر بعدم استخدام قاعدة السويس، تحت أى ظرف ضد أية دولة من جيرانها – والمقصود بالطبع إسرائيل – كما طالبت بأن يرد نص تتعهد بمقتضاه مصر باحترام حق إسرائيل فى استخدام قناة السويس ، شأنها فى ذلك شأن غيرها من القوى البحرية (١٩) ، بل وصل الامر إلى حد يثير الدهشة ، حيث اقترح رئيس الوزراء الاسرائيلى ، على انجلترا ، نقل قاعدة قناة السويس إلى منطقة " النقب " التى تحتلها فى جنوب فلسطين ، وفى محاولة لاغراء انجلترا ، أكد رئيس الوزراء الإسرائيلى ، أن اقتراح نقل القاعدة إلى " النقب " سيحقق أهدافا عديدة يأتى فى مقدمتها :–

أولا : إن انتقال القاعدة إلى النقب سيكون ردا على لطمة خروج انجلترا من مصر .

ثانيا : إن وجود القاعدة في " النقب " سيؤدى إلى تثبيت الوضع في الشرق الاوسط .

ثالثا : سيساعد وجود القاعدة في " النقب " على منع أى عدوان سوفيتى .

وبالطبع لم ينس رئيس الوزراء الإسرائيلي ، الاشارة إلى أن نقل قاعدة السويس إلى "النقب" سيحمى إسرائيل عسكريا واقتصاديا (٢٠) .

وتجدر الاشارة إلى أن إسرائيل ، حاولت في هذا الوقت ، ابتزاز انجلترا ، فطالما انها – أى انجلترا – ستتسبب فى إحداث خلل استراتيجى فى المنطقة ، سيؤثر فى المستقبل القريب على الأمن الإسرائيلى ، وذلك بانسحابها من ناحية ، وتسليمها قاعدة القناة بكل ما فيها من معدات لمصر ، من ناحية أخرى ، فإن عليها فى المقابل أن تعطى إسرائيل سلاحا يمكنها من موازنة الميزة التى ستحصل عليها مصر(٢١).

ولقد أزعج اسرائيل فى هذا الوقت المبكر أيضا ، نشاط " رجال عبد الناصر " داخل الدائرة العربية (٢٢) بالاضافة إلى تشديد مصر للحصار على السفن الإسرائيلية ومنعها من المرور عبر خليج العقبة وقناة السويس ، ولقد لاحظ " موشى ديان " " أن الحكومة المصرية ، كانت قبل نهاية عام ١٩٥٣ ، تسمح بمرور بعض البضائع إلى إسرائيل ، على سفن غير إسرائيلية ، طالما إنها بضائع غير استراتيجية، لكنها مع نهاية سنة ١٩٥٣ ، فرضت حصارا كاملا ، على مرور جميع البضائع من وإلى اسرائيل ... " (٢٣) . كما تبرمت اسرائيل بشدة أيضا ، من التقارب المصرى– الامريكى ، وأزعجها – كما اتضح من وثائق الخارجية الامريكية– أن تتسبب مغازلة الولايات المتحدة الأمريكية لمصر والعرب ، إبان محاولة إزاحة انجلترا من المنطقة ، فى كسر التوازن العسكرى فى الشرق الأوسط لصالح العرب (٢٤) . وأيضا تبرمت من اتجاه الولايات المتحدة الأمريكية إلى تأجيل موضوع الصراع العربى الإسرائيلى – كما كان يريد عبد الناصر– إلى أن تنتهى المفاوضات المصرية البريطانية (٢٥) . لذا بدأت إسرائيل تضغط على الولايات المتحدة الامريكية ، عبر طريق جماعات الضغط الصهيونية ، وبوسائل أخرى ، لتمنع عن مصر المساعدات الاقتصادية والعسكرية الامريكية (٢٦) هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى بدأت رسل " موشى شاريت " رئيس الوزراء الاسرائيلى

الجديد ، الذى اشتهر بدبلوماسيته الهادئة ، و " ناحوم جولدمان " رئيس الوكالة اليهودية ، تنقل إلى " جمال عبد الناصر " - بعدما عرفت أنه الرجل الأقوى فى مصر ، ومفجر وقائد الثورة الحقيقى - رغبة إسرائيل فى عقد اتفاقية سلام مع مصر (٢٧) .

كانت محاولات انشاء قناة اتصال سرية مع النظام الجديد فى مصر ، قد بدأت في الحقيقة عقب اعتزال " بن جوريون " وكانت حكومة إسرائيل تعتقد أن الموقف الذى ستتخذه مصر ، سوف يؤثر بالضرورة ، على مواقف الدول العربية الاخرى تجاهها ، وكانت تصوراتها حسب ما صرح به " بنحاس لافون " وزير الدفاع الإسرائيلى ، للسفارة الأمريكية فى تل ابيب ، انه إذا ما استطاعت إسرائيل ، أن تصل إلى اتفاق مع مصر ، فإن الامور سوف تصبح فى وضعها المناسب على الفور - بالطبع بالنسبة لإسرائيل ليس لديها مشاكل مع لبنان الذى ينتظر فقط ، أن تقوم احدى الدول العربية الكبرى بالتحرك نحو الصلح مع إسرائيل ، لكى يحذو حذوها ، والأردن يمكن تسوية المشاكل معه ، بواسطة انجلترا ، أما سوريا فهى ضعيفة كما أنها منقسمة داخليا ، إلى حد يجعلها لا تشكل مشكلة حقيقية بالنسبة لإسرائيل ، وكان " بن جوريون " نفسه يرى أن مصر هى مفتاح أى تقدم نحو تصفية النزاع العربى الاسرائيلى (٢٨) .

لكن محاولات " بن جوريون " لفتح قناة الاتصال مع مصر وئدت فى مهدها ، ويعود ذلك فى تقديرى إلى ثلاثة أسباب رئيسية :-

الأول : إن إسرائيل كانت تستهدف من وراء فتح قناة الاتصال هذه ، استطلاع وجهات نظر النظام الجديد ومعرفة أولوياته فقط ، واستكشاف إمكانيات " فرض السلام الإسرائيلى " على مصر .

الثانى : إن القيادة الجديدة فى مصر ، كانت قد قررت ، البدء أولا بالمفاوضات مع انجلترا ، فلم تلتفت إلى عروض " بن جوريون " وتصريحاته .

الثالث : إن وجود "اللواء نجيب " على رأس النظام حتى أزمة مارس ١٩٥٤ ، بتوجهاته المعتدلة - اذا ما قورنت بتوجهات عبد الناصر وبعض أعضاء مجلس قيادة الثورة - تسبب فى إحداث شئ من التعتيم على التوجهات الحقيقية للضباط ، وبهذا الصدد فلا قيمة حقيقية للتطمينات الشفيهة السرية التى منحها " نجيب " ومن قبله " على ماهر " للخارجية الأمريكية .

على أية حال ، كلف " موشى شاريت " هو الآخر ، بعدما أصبح رئيسا للوزراء، شخصيات عالمية ، كان يعرف أن لها صلة ما بـ " جمال عبد الناصر " كلفها بأن تنقل إليه ، رغبة الحكومة الإسرائيلية ، فى التفاوض مع مصر من أجل السلام ، كان من بين رسل إسرائيل، بعض نواب حزب العمال البريطانى فى مجلس العموم(٢٩) وبعض كبار الصحفيين الانجليز (٣٠) وكذا بعض الصحفيين من الولايات المتحدة الامريكية (٣١) . وحسب شهادة " محمود رياض " فإن " محاولات استكشاف الطريق إلى حل الصراع وتحقيق السلام لم تتوقف منذ توقيع اتفاقيات الهدنة وبروتوكول " لوزان " ، وإنه قابل طوال الفترة مابين ١٩٥٣-١٩٥٥ شخصيات أمريكية يهودية عديدة ، منهم مستر " جاكوب بلوستاين " وهو رجل أعمال كان يمتلك شركة بترول ، الذى سأله عن موقف مصر من إسرائيل ، وكيفية اقرار سلام دائم فى المنطقة.. وحسب شهادة محمود رياض ايضا ، فان رد مصر كان باستمرار تمسكها بضرورة عودة اللاجئين وبقرار التقسيم الصادر عن الامم المتحدة .. " (٣٢) .

ولقد اصغى عبد الناصر جيدا لرسل " شاريت وجولدمان " وغيرهما ، إلا أنه رفض فكرة التفاوض المباشر مع إسرائيل رفضا قاطعا (٣٣) . وظل متمسكا بأن موضوع إسرائيل موضوع لايخص مصر وحدها ، بل يخص الدول العربية جميعها، لأنها جميعا طرف فى الصراع العربى الإسرائيلى ، كما أن فلسطين لاتمثل جزءا من السيادة المصرية ، بل هى مسئولية عربية جماعية ، لا تملك أى دولة عربية أن تقترب منها منفردة (٣٤) كما ظل متمسكا بضرورة الفصل بين عقد اتفاقية الجلاء ، وبين ترتيبات الدفاع عن الشرق الاوسط من ناحية ، وبين حل مشكلة الصراع العربى - الإسرائيلى من ناحية أخرى (٣٥) وهو ما اعتبرته إسرائيل ، " تكتيكا خادعا " ومناورة ذكية من " عبد الناصر " ، يستهدف من ورائها، الخلاص من الانجليز أولا ، وبناء مصر الصناعية القوية ، ثم يتفرغ بعد ذلك لها(٣٦) .

والمتتبع للحركة السياسية المصرية فى الفترة المبكرة من تاريخ ثورة يوليو يدرك على الفور أن " عبد الناصر " لم ينتظر الانتهاء من المفاوضات مع انجلترا ، وان سياسات " مجلس قيادة الثورة " الذى كان يسيطر عليه ، كانت جديرة بأن تحظى باهتمام اسرائيل. فمن ناحية ، نجح فى تثبيت أقدام ثورته ، ودعم وجودها ، واكتسب لها قدرا من الشرعية ، وقام بضرب وتهميش القوى السياسية المناوئة له ، واقتحم قضية التنمية الاقتصادية ، فواجه القضايا الاقتصادية الملحة ، وبدأت أولى

خطواته نحو تنمية القطاع الصناعى (٣٧) ومن ناحية أخرى ، كلف " عبد الناصر " زكريا محى الدين ، عضو مجلس قيادة الثورة ، بانشاء جهاز مخابرات قويا ، لحماية الثورة الوليدة من اعدائها (٣٨) كما كلف أحد الضباط الاحرار (٣٩) بانشاء فرع للشئون العربية يتبع المخابرات العامة ، وطلب منه اعداد خطة لسياسة مصر فى الدائرة العربية ، على أن يكون هدف الخطة هو " ربط الوطن العربى بالقاهرة ، تمهيدا لممارسة دور ايجابى فى تحرير الأجزاء المحتلة ، باعتبار أن استقلال وتحرير مصر سيظل منقوصا وقاصرا مالم يتم تحرير باقى أجزاء الوطن العربى(٤٠) واعتقد أنه من الضرورى ، عرض الخطوط العامة لهذه الخطة ، خاصة وإن نشاط " عبد الناصر " فى الدائرة العربية سيكون من العوامل الاساسية والهامة التى ستؤثر فى الموقف الإسرائيلى من ثورة يوليو . لعل أهم ما اشتملت عليه هذه الخطة :

اولا : انشاء اذاعة خاصة تتفرغ تفرغا كاملا لتغطية شئون الوطن العربى باسم " صوت العرب " وتتولى هذه الاذاعة الآتى :

(١) استقطاب اهتمام المواطن العربى وتوعيته بالمخططات التآمرية التى تدبر ضده .

(٢) ايضاح أهداف ثورة يوليو التحررية .

(٣) تناول مشاكل الوطن العربى وتحليلها .

ثانيا : القيام بدراسة ميدانية للواقع العربى ، للتعرف على تفاصيل هذا الواقع ، والتعرف على مختلف القوى المحركة والمؤثرة فى مجرى حياة جماهير كل ساحة ، سياسيا واجتماعيا .

ثالثا : القيام بدراسة تفصيلية لواقع الاحزاب السياسية التقدمية ، التى ترفع شعارات قومية، من خلال الاحتكاك المباشر بها وبقياداتها .

رابعا : الاستفادة من الأعداد الكثيرة من المدرسين المعارين لكافة أجزاء الوطن العربى ، كدعاة للثورة . وكذا الاستفادة من الأعداد الضخمة من الطلاب العرب الذين يدرسون بالقاهرة وايضا الاستفادة باللاجئين العرب .

كما نصت الخطة التى وافق عليها " عبد الناصر " يوم ٣١ مارس ١٩٥٣ ، على أن يبدأ فرع الشئون العربية ، العمل فورا بعملية استكشاف لجميع اقطار الدائرة العربية (٤١) ، وبالفعل بدأ " رجال جمال عبد الناصر " رحلاتهم السرية إلى جميع

عواصم الدول العربية (٤٢) ويهمنا هنا ان نشاط مصر المبكر فى الدائرة العربية ، لم يكن بعيدا عن أعين المخابرات الاسرائيلية والبريطانية على وجه الخصوص(٤٣) مما سيؤثر على تقدير اسرائيل لحقيقة توجهات النظام المصرى الجديد(٤٤) .

وبعد ذلك ، أصدر عبد الناصر ، فلسفة الثورة ، حيث تحدث فيها عن فكرة الدوائر الثلاث ، وموقع مصر من الدائرة العربية ، كما تحدث صراحة عن جذور وعيه ووعى أعضاء مجلس قيادة الثورة بفكرة القومية العربية ، وعن الأثر الذى تركته حرب فلسطين ١٩٤٨ ، فى فكر ووجدان جيل كامل من الضباط العرب ، كما تحدث عن الدور الهائم الذى أرهقه التجوال ، واستقر به المطاف على حدود مصر يدفعها دفعا لتنهض وتتزعم الدول العربية (٤٥) ولم يخف " عبد الناصر " فى هذا الكتيب ، حقيقة انحيازاته فى مجال العلاقات الدولية ، فبعدما تحدث عن انحيازه لحركات التحرر العربية ، تحدث عن انحيازه لدول القارة الافريقية فى صراعها ضد الاستعمار (٤٦) ليس ذلك فقط بل أعلن بصراحة ووضوح ، أن تعاون مصر مع دول الدائرة الاسلامية العملاقة سيفجر طاقات هائلة (٤٧) .

وفى تقديرى ، أن أخطر ماجاء فى فلسفة الثورة ، واستفز الغرب وإسرائيل كان حديث "عبد الناصر" عن البترول العربى ، كأحد أهم مصادر قوة الوطن العربى ، فبالإضافة إلى الرباط المادى والمعنوى ، الذى يربط ويوحد الشعوب العربية ، وبالاضافة إلى إمكانيات الموقع الاستراتيجى لدول الوطن العربى مجتمعة ، يأتى البترول " عصب الحضارة المادية ، والذى بدونه تستحيل كل أدواتها إلى قطع من الحديد يعلوها الصدأ ، ولا تنبعث منها حركة أو حياة..."(٤٨) .

هكذا حدد " عبد الناصر " فى فلسفة الثورة ، الأسباب التى كان لابد وأن تدفعه إلى الصدام مع الامبريالية وإسرائيل ، حيث هدد المصالح الغربية ، وفى مقدمتها البترول ، كما هدد أمن ، ووجود إسرائيل ، بدعوته إلى توحيد الجهود العربية فى مواجهتها " ما دامت المنطقة واحدة ، وأحوالها واحدة ، ومشاكلها واحدة ، ومستقبلها واحدا .. والعدو واحدا .. فلماذا تتشتت جهودنا"(٤٩) . كما حدد الموقع الاستراتيجى ، الذى سيدور عليه ومن أجله الصراع ، أى الدوائر الثلاثة ومصر فى القلب منها ، وهو موقع كان يدور حوله ومن أجله وعليه صراع أعنف وأشرس ، رغم برودته ، بين المعسكرين الشرقى والغربى ، ولم تكن إسرائيل بعيدة أيضا عن تداعيات الحرب الباردة .

ولقد تلقفت الأجهزة ، والقيادات الإسرائيلية والغربية أيضا (٥٠) كتيب " عبد الناصر " ودرسته باهتمام ، وفهمت ما جاء فيه وبين سطوره جيدا ، واعتبره " بن جوريون " أسوأ من كتاب " كفاحى " الذى نشره " هتلر " واعتبرت إسرائيل صدوره كارثة ، زادت من قلقها ، وبدأت تنظر إلى " عبد الناصر " على إنه " هتلر " جديد ، ولد على أرض مصر ، لكى يهدد وجودها كأسلافه الفراعنة !! وأخذت فكرة " بن جوريون " حول أمن إسرائيل ، التى كانت تدور حول أن: أمن إسرائيل لن يتحقق بالمفاوضات ، دائما من خلال قدرتها على الدفاع عن نفسها ، حتى لايقتادها " عبد الناصر " ، كالخراف إلى المذبح .. " (٥١) بدأت تجد قبولا ورواجا داخل إسرائيل(٥٢) ولعل هذا يفسر اتجاه الحكومة الإسرائيلية – قبل عقد اتفاقية الجلاء – إلى التخطيط والسعى لتخريب العلاقات المصرية – الامريكية ، وسعيها لتقوية برنامجها الدفاعى ، بهدف اقناع الولايات المتحدة الامريكية ، بأن تفوق إسرائيل العسكرى هو الضمان الوحيد لاستقرار الشرق الاوسط " ، كما يفسر أيضا قيام إسرائيل بتفجير الموقف على الحدود المصرية والعربية كما سنرى (٥٣) .

لم تهدأ إسرائيل ، على أية حال ، وأخذت ترقب المفاوضات المصرية – البريطانية ، وترقب التقارب المصرى – الامريكى ، بحذر وتوجس شديدين ، وتتفحص بدقة كل مايصدر عن " عبد الناصر " وأعضاء مجلس قيادة الثورة من خطب وتصريحات وأحاديث ، وكان " بن جوريون " على وجه الخصوص منزعجا من التحولات التى وقعت فى مصر فى مارس ١٩٥٤، فلم يكن راضيا عن نتائج أزمة مارس ، التى ادت إلى غروب شمس اللواء " محمد نجيب " وصعود عبد الناصر إلى مركز السلطة ، وكان يشاركه فى ذلك " موشى ديان " رئيس الأركان و" شيمون بيريز " سكرتير عام وزارة الدفاع ، وظلت مجموعة " بن جوريون " هذه، على قناعتها بأن " عبد الناصر " يناور وانه يخدع الادارة الامريكية بمهارة ، وإنه لن ينضم الى ترتيبات الدفاع الغربية ، عن الشرق الاوسط بعد حصوله على الجلاء وتحريره بلاده (٥٤) .

وربما تجدر الاشارة إلى أن اسرائيل ، حاولت تنبيه الولايات المتحدة الامريكية إلى "تكتيكات عبد الناصر الخادعة" وانها أى الولايات المتحدة " اذا كانت تتصور أن " جمال عبدالناصر" سوف ينخرط فى سياستها ، ويدور فى فلكها بعد حصوله على الجلاء البريطانى ، فإن واشنطن سوف تستيقظ على صدمة كبيرة فى مصر .. إن مشاعر المصريين تجاه الامريكيين لاتختلف عن مشاعرهم تجاه الانجليز ، وكل ما هنالك أن عبد الناصر ، يحاول أكل السندوتش قضمة بعد قضمة .. " (٥٥) . ومع

أن النص لايحتاج إلا تعليق ، إلا اننا نبادر بالاشارة إلى أن وثائق الخارجية الامريكية فضلا عن تطور الأحداث بالشكل الذى أوصل " عبد الناصر " إلى الصدام مع الغرب ، تثبت أن " عبد الناصر " لكى يحصل على استقلال حقيقى لمصر ، ولكى يحقق الحلم الذى ظل يراود الشعب المصرى منذ أن وقع الاحتلال البريطانى لمصر سنة ١٨٨٢، لم يكن أمامه إلا المناورة واستخدام التكتيكات الخادعة على حد تعبير " بن جوريون " وهو اسلوب وفن مشروع فى العمل السياسى ، تفوق عبد الناصر فى استخدامه لصالح بلاده ، بشهادة الكثير من الكتابات الغربية (٥٦) ففى الوقت الذى كانت تحاول فيه الولايات المتحدة إغواء وإغراء " عبد الناصر " ليرتبط " بترتيبات الدفاع الغربية " وذلك عن طريق المعونة الاقتصادية(٥٧) كان عبد الناصر يسعى لاستغلال التناقض الانجلو-أمريكى لصالحه ، وكان يبنى خططه ، ويحدد أولوياته منطلقا من اقتناعه بأن الحرب العالمية الثالثة لن تقوم ، وأن هدفه الأول ، هو الحصول على النص الخاص بالجلاء ، وبعد ذلك ستصبح بقية نصوص الاتفاقية ، مجرد حبر على ورق ، بإمكانه ألا يلتزم بها ، واذا ما تعرض لضغوط بسبب موقفه هذا ، خاصة اذا ما اضطر للافصاح عنه ، فبإمكانه وقتئذ أن يتعامل مع كل موقف وفقا لظروفه ومستجداته(٥٨) .

والمعروف أن المفاوضات المصرية - البريطانية ، استؤنفت فى العاشر من يوليو سنة ١٩٥٤، وبدأت الولايات المتحدة على الفور تستعد لبدء المباحثات المتعلقة باتفاقيات المعونة الاقتصادية والعسكرية لمصر (٥٩) وتشير وثائق الخارجية الامريكية والمصرية إلى أن الولايات المتحدة ، ربطت بوضوح بين نجاح المفاوضات بين مصر وانجلترا ، وهطول المعونة الاقتصادية والعسكرية عليها ، وتوضح هذه الوثائق أيضا أن الولايات المتحدة ، كانت مضطرة لانتهاج هذه السياسة تجاه مصر ، لما لموقعها الاستراتيجى من أهمية مباشرة فى الدفاع عن منطقة الشرق الأوسط والعالم الحر (٦٠) .

وفى السابع والعشرين من يوليو ١٩٥٤ ، وقع الطرفان المصرى والبريطانى ، بالأحرف الأولى ، على اتفاقية الجلاء ، التى نصت على انسحاب كل القوات البريطانية من قاعدة القناة ، على أن يتم الانسحاب على مراحل ، خلال عشرين شهرا من توقيع الاتفاقية ، كما نصت على أن تسمح مصر بإعادة تشغيل القاعدة ، عند عودة القوات البريطانية اليها ، وذلك فى حالة الهجوم على مصر أو على احدى الدول العربية الموقعة على ميثاق الضمان الجماعى المشترك ، أو تركيا فقط ، واستبعدت إسرائيل ، كما استبعدت ايران (٦١) .

ومع أن " عبد الناصر " رفض صراحة الربط بين الاتفاقية وانضمام مصر إلى منظمة للدفاع عن الشرق الاوسط (MEDO) (٦٢) إلا أن الفقرة الخاصة باعادة استخدام انجلترا (الغرب) للقاعدة ، اذا ما اندلعت الحرب بين المعسكرين كانت تعنى، أو على الاقل هكذا فسرتها الدوائر الغربية ، انه بات حليفا ومواليا للغرب(٦٣) . فى اعتقادى أن الخلاف بين قراءة الغرب لنصوص الاتفاقية ، ونوايا أو قراءة " عبد الناصر " الحقيقية لها ، من أهم القضايا التى تفسر انتقال علاقة " عبد الناصر " بالغرب ، خاصة بالولايات المتحدة الامريكية ، من التقارب إلى المواجهة والصدام ، وكان لهذا التحول أثره الواضح على سياسات إسرائيل تجاه الثورة المصرية. فضلا عن أن إسرائيل كانت لها قراءتها الخاصة لنصوص الاتفاقية .

ولقد حاولت انجلترا وكذا الولايات المتحدة الامريكية ، تهدئة مخاوف إسرائيل ، حيث اكدت لها انجلترا أن عقد الاتفاقية بالشكل الذى تم الاعلان عنه ، سيساعد الحكومة المصرية على أن تبدأ محادثات سلام معها ، وشرح وزير الخارجية الامريكى " جون فوستر دالاس " للسفير الإسرائيلى فى واشنطن " ابا ايبان " أن " الحكومة الأمريكية تنوى أن تمارس كل ما يمكنها من ضغوط على مصر ، لعقد تسوية مع إسرائيل بمجرد أن يتم التوصل إلى اتفاق بين انجلترا ومصر، بل إن " دالاس " حاول أن يطمئن الحكومة الاسرائيلية أكثر ، وذلك عندما أخبر " ابا ايبان " الاتفاقية لاتنص على أن تتسلم مصر على الفور المنشآت البريطانية فى القناة ، ومن ثم فإن آثارها لن تظهر قبل سبع سنوات فى حالة انسحاب القوات البريطاينة كلها من منطقة القناة(٦٤).

ورغم هذه التطمينات والتأكيدات ، فان إسرائيل ، استشاطت غضبا بعد الاعلان عن توقيع الاتفاقية بالأحرف الأولى ، وشهد الكنيست الاسرائيلى جلسة عاصفة ، هوجمت خلالها السياسة الامريكية والبريطانية فى الشرق الاوسط ، التى انتهت – حسب وجهة النظر الإسرائيلية بالطبع– " بتوجيه ضربة خطيرة لمصالح إسرائيل السياسية والاقتصادية والأمنية ، وفى نفس الوقت فإن هذه السياسة عرضت السلام فى الشرق الأوسط للخطر ، وضربت احتمالات عقد معاهدة سلام بين اسرائيل والدول العربية .. "(٦٥) ووصل الغضب الإسرائيلى إلى حد أن طالب بعض أعضاء الكنيست " بضرورة مطالبة المسرح الدولى بتوحيد أرض إسرائيل المنقسمة، أى اسرائيل والاردن " ! " (٦٦) وبضرورة سعى الحكومة الاسرائيلية لمنع تزويد الدول العربية بالأسلحة ، ومنع الاخلال بتوازن القوى العسكرى .. " (٦٧) .

لقد تركزت انتقادات إسرائيل لاتفاقية الجلاء ، حسبما ورد فى خطاب رئيس الوزراء الإسرائيلى " موشى شاريت " يوم ٣٠ أغسطس ١٩٥٤ ، فى انها لم تنص على حق إسرائيل فى استخدام قناة السويس ، وانها لم تكن ضمن الدول التى إذا هوجمت سوف يسمح لبريطانيا بأن تعيد قواتها إلى القواعد فى قناة السويس (٦٨) . وفى نفس الوقت ، تزايدت مخاوف إسرائيل من اتجاه الولايات المتحدة وانجلترا نحو إقامة ترتيبات دفاع اقليمية تشترك فيها الدول العربية ، وكانت المباحثات قد بدأت مع العراق فى هذا الموضوع بالفعل ، وكما ذكر " ابا ايبان، "لدالاس" فإن إسرائيل كانت تتخوف من أن وجود الحلف المقترح سيؤدى إلى عزلتها ، وتراجع دورها وأهميتها فى الاستراتيجية الغربية إرضاء للعرب (٦٩) .

على كل حال ، أخذ " بن جوريون " والمجموعة التى التفت حوله ، وآمنت بأفكاره المتشددة – حتى قبل عودته إلى رئاسة الوزارة مرة ثانية – أخذ يعمل على دعم ترسانة إسرائيل العسكرية بالأسلحة الغربية ، فوقعت إسرائيل فى اغسطس ١٩٥٤ صفقة أسلحة سرية مع فرنسا، تضمنت حصولها على سربين من المقاتلات من طراز " أوراجون " وشبكة رادار ، وبعض المعدات الاخرى ، وبعد اسبوعين دارت مفاوضات بين " شيمون بيريز " وشركة " داسو " الفرنسية ، حول حصول إسرائيل على طائرات " المستير "(٧٠) ليس فقط بل إن جهود " ارنست بيرجمان " الأب الروحى للقنبلة النووية الاسرائيلية ، بدأت فى هذه الفترة ، بالتنسيق مع جماعة "بن جوريون" فى التخطيط لبناء مفاعل ديمونة(٧١) . واستمر " بن جوريون " يردد فى تصريحاته ، حاجة إسرائيل الملحة للمزيد من الأراضى والمياه ، لاستيعاب المهجرين الجدد(٧٢).

وفى هذا الوقت أيضا ، نفذت المخابرات الإسرائيلية " عملية سوزانا " التى عرفت فيما بعد " بفضيحة لافون " حيث شكلت شبكة من العملاء ، بعضهم من اليهود المصريين ، وبعضهم من إسرائيل ، وكلفوا بتخريب المنشآت الامريكية والبريطانية فى مصر ، وبعض دور السينما الاجنبية ، وطرق المواصلات ، ومكاتب البريد ، وبالفعل تمكن أفراد الشبكة من اشعال الحرائق فى مكتب الاستعلامات الامريكى فى القاهرة والاسكندرية واشعلوا النيران أيضا فى سينما "ريفولى" و " راديو " بالقاهرة ، وكلتاهما من الممتلكات الانجليزية ، ثم قبض على أحد أعضاء الشبكة وهو يحاول إحراق سينما " ريو " فى الاسكندرية ، وفشلت المؤامرة ، ومن خلال أوراق القضية اتضح أن الهدف الرئيسى لعملية " سوزانا " هذه كان تخريب العلاقات المصرية – الأمريكية من ناحية ، وارهاب الخبراء

الالمان الذين كانوا يعملون فى مصر وقتئذ من ناحية أخرى ، بالاضافة إلى وأد أية محاولة للتفاوض بين إسرائيل ومصر (٧٣) .

وفى الثامن والعشرين من سبتمبر ١٩٥٤ ، حاولت إسرائيل تصعيد الموقف بينها وبين مصر، عندما دفعت بالسفينة التجارية " بات جاليم " إلى مدخل قناة السويس ، وكان هذا التصرف يستهدف اثارة ضجة حول موقف مصر من حرية الملاحة فى قناة السويس ، حيث كانت إسرائيل تعرف أن مصر سترفض مرور السفينة ، وهو ما حدث بالفعل ، حيث أوقفت السلطات المصرية الباخرة التى كانت ترفع العلم الاسرائيلى بتحد سافر ، وصادرتها ، ثم اطلقت سراح بحارتها(٧٤) ورغم الحملة الدعائية التى نظمتها إسرائيل ضد مصر ، إلا أن أهدافها من وراء هذه العملية لم تتحقق ، بل زادت المقاطعة المصرية للسفن الإسرائيلية حدة وعنفا ، كما لاحظ موشى ديان(٧٥). ولقد اثار فشل اسرائيل في الحصول على حق المرور فى قناة السويس ، موجة من السخط والاستياء وخيبة الأمل ، للدرجة التى دفعت " موشى ديان " إلى وصف عام ١٩٥٤ كله بانه " سنة صعبة مليئة بالتحديات .. "(٧٦) .

وفى هذا الوقت ، أدار " عبد الناصر " معركة عنيفة ضد حلف بغداد ، وضد " نورى السعيد " رئيس وزراء العراق ، وهى معركة استفزت إسرائيل واقلقتها إلى حد بعيد ،(٧٧) كما رفض عبد الناصر صراحة ، قبول المساعدات العسكرية الامريكية وفقا لقانون الأمن المتبادل الأمريكى " (٧٨) ومع ذلك ظلت الولايات المتحدة الامريكية حتى نهاية عام ١٩٥٤ ، تضغط على "عبد الناصر" ليحصل على الأسلحة الامريكية مقابل توقيعه على اتفاقية تلزم مصر بمتطلبات قانون " الأمن المتبادل الامريكى " وظل عبد الناصر يرفض ذلك ، بل ويعرب عن مقته الشديد لهذا التشريع الذى يلزمه - فى حالة توقيعه - باستقبال مجموعة استشارية أمريكية، تقوم بالاشراف على نقل الأسلحة ، فضلا عن الزامه بالارتباط باستراتيجية الدفاع العالمية الامريكية (٧٩) وحتى يتخلص عبد الناصر ، من ملاحقة الولايات المتحدة له ، لم يجد مفرا من أن يعلن لمبعوثى وزارة الدفاع الامريكية " جيرهارو دايفلاند " خلال زيارتهما لمصر اوائل نوفمبر ١٩٥٤ ، رفض الدوران فى فلك الولايات المتحدة الامريكية ، ورفضه للاصطفاف فى حلف دفاعى ضد الاتحاد السوفيتى ، لانه لايرى فى الاتحاد السوفيتى عدوا ملحا لمصر ولا للدول العربية ، وان عدوه الحقيقى هو إسرائيل (٨٠) . وفى منتصف نفس الشهر ، نقل "عبدالناصر" أفكاره هذه ، مرة ثانية " لنورمان بول " الذى جاء إلى القاهرة ، ليتابع بعض المسائل المتعلقة بالمعونة الاقتصادية ، وأعرب له عن قلقه البالغ ازاء اختلال التوازن

العسكرى بين قدرات مصر العسكرية ، وقدرات إسرائيل ، بل ابلغه صراحة إنه يرفض السلاح الامريكى رغم حاجته اليه ، وانه لن يوقع على اتفاقية يقال بعدها إنه باع مصر للأمريكيين ، وإنه إذ لم تبع له الولايات المتحدة الامريكية ما يحتاجه من أسلحة فانه سيكون مضطرا لان يطلب السلاح من السوفيت (٨١) .

وربما تجدر الاشارة إلى أن السياسة الأمريكية ، فى ذلك الوقت كانت قد بدأت تتخلى عن الفكرة القديمة التى كانت تخطط لجعل مصر ، الدولة المحورية فى منظمة الدفاع عن الشرق الاوسط ، وبدأت تنفذ سلسلة من التحالفات ، هدفها بناء الحزام الشمالى (تركيا – ايران – باكستان) ليس فقط بل بدأت توغل فى عمق الشرق الاوسط بالسعى لضم (العراق وسوريا ولبنان والاردن)(٨٢) وفى نفس الوقت كانت الولايات المتحدة الامريكية تخطط لابعاد ، المملكة العربية السعودية ، عن الاحلاف ، والابقاء عليها كمنطقة نفوذ أمريكية ، والأهم أنها كانت تخطط لإلحاق اسرائيل أيضا بالتنظيم الدفاعى للشرق الاوسط (٨٣) .

على أية حال ، كان التناقض بين سياسات " عبد الناصر " ، والسياسات الغربية من ناحية، والمخططات الإسرائيلية ، من ناحية أخرى ، حتى قبل باندونج ، وقبل عقد صفقة الأسلحة التشيكية ، قد أصبح واضحا ، فبينما كان " عبد الناصر " يسعى إلى مساعدة حركات التحرر فى الوطن العربى كان الغرب يسعى إلى تكبيل هذه الدول ومعها مصر بقيود الاتفاقيات والمعاهدات، حتى يضمن استمرار سيطرته على مواردها وأسواقها ، وإرادتها أيضا ، وفى الوقت الذى كان "عبدالناصر" يفكر فى تكوين حزام من الدول العربية ، حول إسرائيل كان الغرب يخطط لعزله داخل حدوده ليواجه إسرائيل منفردا . وفى نفس الوقت كان يخطط لإغرائه بين الحين والآخر بمزايا قبول " السلام الإسرائيلى " فضلا عن مزايا الارتباط بترتيبات الدفاع الغربية .

كل هذا يفسر ، هجوم " عبد الناصر " العنيف على حلف بغداد ، حيث تشير وثائق منشية البكرى ، إلى أنه كلف رجاله بالاسراع فى إعداد تقارير وافية عن الدول والحكومات والبنى الأجتماعية لسكان الدول ، التى شرعت فى الانضمام للحلف ، ومن الواضح انه كان يسعى لمعرفة طبيعة ظروف هذه الدول ، وربما كان قد بدأ يخطط لتصدير الثورة اليها(٨٤) . كما تشير نفس الوثائق إلى انشغاله بصفقات الاسلحة التى كانت تقوم اسرائيل بعقدها (٨٥) . وخلال مقابلة "عبدالناصر لرئيس الوزراء البريطانى " انتونى ايدن " يوم ٢٠ فبراير ١٩٥٥ ، أكد له ان مصر

ستظل ثابتة على موقفها العدائى من الاحلاف الغربية ، كما انه سيظل يحارب حلف بغداد ، اذا ما حاولت العراق الضغط لضم دول عربية أخرى ، كما أوضح له انه فيما يخص اسرائيل لايزال مصرا على أن أية تسوية يجب أن تكون تسوية شاملة للمشكلة العربية الاسرائيلية برمتها (٨٦) .

وفى مواجهة إعلان حلف بغداد ، حيث وقع الميثاق يوم ٢٤ فبراير ١٩٥٥ ، وافق "عبدالناصر" على الاقتراح السورى ، بإقامة جيش عربى موحد ، يضم الجيشين المصرى والسورى (٨٧) لكنه مع ذلك كان يعرف أن مشكلته الحقيقية هى افتقاده للسلاح ، وان توحيد الجيشين لايعنى الشئ الكثير أمام ترسانة إسرائيل العسكرية التى كانت تتضخم يوما بعد يوم بأحدث الاسلحة والمعدات الغربية .

ومع أن المخابرات البريطانية نقلت إلى اسرائيل ، ان الجيش السورى على أقصى تقدير لايزيد عن خمسة وعشرين الف رجل وثمانى طائرات نفاثة ، وعليها بالتالى أن تطمئن فليست سوريا بالحليف العسكرى الذى يمكن " لعبد الناصر " أن يعتمد عليه ، إلا أن " بن جوريون " نظر إلى التحالف المصرى السورى ، على انه خطوة فى طريق الوحدة العربية ، وليس هناك أخطر على وجود إسرائيل ذاته من فكرة الوحدة العربية (٨٨) .

وفى الوقت الحافل بالتطورات ، والمشحون بالأزمات ، ابت إسرائيل أن تقف بمعزل عن الفوران الذى كان فى طريقه ، لاعادة تشكيل خريطة منطقة الشرق الاوسط ، سياسيا واقتصاديا وحضاريا وعسكريا ، ففجرت الموقف بالغارة الشهيرة على غزة يوم ٢٨ فبراير ١٩٥٥ (٨٩) بهدف اظهار عجز مصر أمام الدول العربية، والنيل من كرامة " عبد الناصر " ، وزعزعة أركان النظام المصرى ، والأهم أن هذه الغارة استهدفت لفت انظار الولايات المتحدة وانجلترا إلى أن اسرائيل طرف فاعل وأصيل فى معادلة الشرق الأوسط ، لايجوز تجاهله ، بل يجب أن يحتفظ له بدور فى التنظيمات الدفاعية الجديدة (٩٠) .

ولقد كانت هذه الغارة ، نقطة تحول جوهرية ، ليس فقط فى تاريخ الصراع العربى الاسرائيلى، بل وفى تاريخ الحرب الباردة ، التى كانت قد ازدادت اشتعالا بين الكتلتين بعد شروع الامبريالية الغربية فى تكوين سلسلة من الاحلاف تطوق بها الاتحاد السوفيتى . فنتيجة لتصاعد الخطر على الحدود المصرية الإسرائيلية ، وشعور " عبد الناصر " بأن إسرائيل لن تتركه ينفذ حلمه فى تنمية وتحديث مصر ، ونتيجة لإدراكه – من خلال تقارير السفير المصرى بواشنطن – ومن مصادر

أخرى (٩١) استحالة حصوله على السلاح من الولايات المتحدة الامريكية ، إلا اذا وقع على ميثاق الأمن المتبادل الامريكى ، لم يكن أمامه إلا أن يحصل على السلاح من الاتحاد السوفيتى ، وينفذ تهديده الذى طالما حاول من خلاله استفزاز الغرب ليعطيه السلاح (٩٢) .

ويبدو من ظاهرة الحوادث ، أن " عبد الناصر " كان قد نجح قبل انعقاد مؤتمر "باندونج"، فى فتح قناة اتصال مع قيادات الكرملين ، وانه استغل مشاركته فى هذا المؤتمر ١٨-٢٤ أبريل ١٩٥٥ ، فوسط " شواين لاى " ليسهل له حصوله على السلاح من الاتحاد السوفيتى(٩٣) وفى هذا المؤتمر أدار " عبد الناصر " معركة عنيفة وناجحة ضد اسرائيل انتهت بحرمانها من المشاركة فى المؤتمر (٩١) . وبعد عودته من " باندونج " قام بشن حملة عنيفة ضد إسرائيل ، فأخذ يصفها بين الحين والآخر بانها " الطفل المدلل للدول العظمى .. الذى قام بارتكاب أكبر جريمة فى التاريخ الحديث حين قضى على شعب فلسطين .. " (٩٥) وفى يوليو ١٩٥٥ اشار "عبد الناصر " إلى الضغوط التى تمارس عليه للدخول فى مفاوضات مع إسرائيل "لقد دفعونا دفعا إلى التفاوض مع إسرائيل ، لكننا رفضنا .. ولن ننخدع بنداءات السلام .. " (٩٦) .

وعلى الطرف الآخر ، تزايدت الهجمات الاسرائيلية على قطاع غزة بعد عودة "عبدالناصر" من باندونج ، حيث اجتازت قوة اسرائيلية ، خط الهدنة ، يوم ٣٠ مايو ١٩٥٥، وقامت بمهاجمة أحد المواقع المصرية ، وحاولت احتلال مركز البوليس ، وقطع الطريق بين غزة ورفح (٩٧) .

وفى السادس والعشرين من يوليو ، جرت الانتخابات العامة فى إسرائيل ، وفاز بها "حزب حيروت" وترتب على ذلك عودة " ديفيد بن جوريون " إلى رئاسة الوزارة، وكان هذا التطور يعنى ، دق طبول الحرب ، ووأد أية محاولة لتحقيق سلام عادل فى الشرق الاوسط ، وبالفعل سرعان ما ازداد الموقف اشتعالا على خطوط الهدنة بين مصر وإسرائيل ، فتكرر الاعتداء على المواقع المصرية فى غزة يوم ٢٢ اغسطس ، واستخدمت القوات المهاجمة نيران الهاونات الثقيلة ومدافع الميدان ، وردت قوات الصاعقة المصرية بالمثل ، حيث تسللت داخل الأراضى التى تحتلها إسرائيل، ونفذت بعض العمليات بنجاح ، وبعد ستة أيام صدت القوات المصرية هجوما إسرائيليا آخر على قطاع غزة ، وفى نهاية شهر أغسطس ، تعرضت " خان يونس " للهجوم ، وردت قوات الصاعقة المصرية فى نفس الليلة

بقتل تسعة عشر إسرائيليا ، وفى الاول من سبتمبر حاولت القوات الاسرائيلية قطع الطريق للمرة الثانية بين غزة ورفح ، لكن المحاولة أخفقت ، ورد الفدائيون المصريون على الغارات بالمثل (٩٨) .

ونتيجة لانفجار الموقف على الحدود المصرية ، تدخل السكرتير العام للامم المتحدة " داج همرشولد " وطلب من الجنرال " بيرنز " قائد قوات المراقبة الدولية ، أن يحاول تخفيف حدة التوتر فى قطاع غزة ، لكن مصر رفضت مقترحات " بيرنز" التى كانت تتطلب اجتماع ضباط مصريين مع نظرائهم من الاسرائيليين (٩٩) . وفى هذا الوقت حمل السفير الامريكي الجديد فى القاهرة " بايرود " رسالة من "دالاس " استهدفت لفت انظاره ، إلى أن الولايات المتحدة ترى انه قد آن الآوان لاجراء تسوية عامة فى الشرق الاوسط ، تتضمن إقرار الأمن بين الطرفين فى مقابل اعتراف العرب بوجود اسرائيل ، لكن عبد الناصر كان مهموما وقتئذ بمشكلة السلاح وبضرورة تحقيق التوازن الاستراتيجى بينه وبين اسرائيل ، فلم يعر رسالة "دالاس " أى أهمية(١٠٠) . بل نجده يزيد من فعالية نظام المقاطعة المصرية ، فى مدخل خليج العقبة ، فيصدر بيانا فى الحادى عشر من سبتمبر ١٩٥٥ ، حذر بمقتضاه شركات النقل البحرى والجوى من أن المرور عبر المضايق ، جوا وبحرا، هو مرور فى اراض ومياه اقليمية مصرية ، ولذا يستلزم موافقة من السلطات المصرية (١٠١) . وعلى اثر هذا البيان بدأت السلطات المصرية ، تطبق بحزم المقاطعة ، وبالفعل شلت الحركة فى ميناء ايلات (١٠٢) وتحول إلى شاطئ بحيرة مغلقة ، الخروج منها رهن بموافقة عبد الناصر .. " على حد تعبير " موشى ديان"(١٠٣) . كما أوقفت شركة الطيران الإسرائيلية (ال – عل) رحلاتها على خط ، إسرائيل – جنوب افريقيا ، الذى يمر فوق المضايق (١٠٤) .

ولقد تبرمت إسرائيل بشدة ، من تزايد فعالية نظام المقاطعة ، وزعمت أن المضايق ممر مائى دولى ، وحذرت مصر من أن هذا الاجراء " غير قانونى " وانه سيؤدى إلى تفاقم الحوادث (١٠٥) ، بل إن " ديان " اعتبر هذا الاجراء – وقتئذ – بمثابة القشة التى قصمت ظهر البعير(١٠٦) لكنها لم تكن كذلك ، فبعد أيام قليلة وعلى وجه التحديد فى السابع والعشرين من سبتمبر ١٩٥٥ ، أعلن " عبد الناصر " عن صفقة الأسلحة التشيكية ، وكان لهذا الاعلان دوى هائل فى العالم العربى على امتداده ، بل وفى العالم كله ، ووقف العالم بالفعل على حافة أزمة حرجة (١٠٧) .

ولقد صدمت إسرائيل ، صدمة عنيفة ، نتيجة لجرأة " عبد الناصر " وتجاوزه كل الحدود بعقده لصفقة أسلحة مع السوفيت (١٠٨) . وسيطر على الرأى العام الاسرائيلى هاجس مؤداه أن خطر إبادة إسرائيل على يد الدول العربية ، أصبح فجأة واقعا قابلا للحدوث .."(١٠٩) ، ونتيجة لموجة الهلع التى اصابت إسرائيل ، هرع الآلاف من الإسرائيليين الذين استبد بهم القلق والخوف، للتبرع بأموالهم وجواهرهم، وبأشياء ثمينة أخرى ، للحكومة الإسرائيلية ، من أجل مساعدتها على شراء السلاح(١١٢) ، وصورت آلة الدعاية الإسرائيلية " عبد الناصر " على انه شيطان "، يهدد وجود اسرائيل ، وازدادت كراهية " بن جوريون " له فأخذ يصفه بين الحين والآخر بأنه " نموذج عربى مضلل ومخادع "(١١١) .

وطبقا لما ذكره " موشى ديان " فى مذكراته ، فإن الحكومة الإسرائيلية ، نظرت إلى عقد"عبد الناصر" لصفقة الأسلحة التشيكية ، على إنه خطة فى الاعداد لصدام حاسم ومصرى مع إسرائيل فى المستقبل القريب ، وربطت بين هذه الصفقة ، وحصار عبد الناصر لخليج العقبة من ناحية ، ومساعدته للفدائيين الفلسطينيين من ناحية أخرى . " إن سياسة عبد الناصر هذه لم تترك فى نظرنا أية شكوك ، بشأن نوايا مصر بطردنا ، أو على الأقل تحقيق انتصار عسكرى حاسم يحولنا إلى وضع مستسلم .. " (١١٢) ولعل هذا يفسر الاعتداءات العسكرية المتكررة التى قامت بها إسرائيل على المراكز العسكرية فى قطاع غزة ، خلال شهرى اكتوبر ونوفمبر ، حيث تعرضت نقطة حراسة " الكونتلا " فى جنوب سيناء ، لهجوم كبير فى الثامن والعشرين من اكتوبر راح ضحيته إثنا عشر مصريا ، وجرح مثلهم تقريبا (١١٣) ، وفى الثانى من نوفمبر قامت قوة إسرائيلية كبيرة ، بهجوم مفاجئ على منطقة " الصبحة " بشبه جزيرة سيناء ، وانتهت هذه الغارة بقتل حوالى ثمانين من أفراد السرية المصرية(١١٤) .

وحسب ما ذكره " موشى ديان " أيضا فى مذكراته فانه اقترح فى العاشر من نوفمبر القيام بعملية عسكرية فى أقرب وقت يكون هدفها احتلال قطاع غزة باعتبارها قاعدة العمليات الفدائية ، ثم الاعداد للاستيلاء على شرم الشيخ ، لتوجيه ضربة حاسمة للحصار المصرى على خليج العقبة.. " (١١٥) . كما فكرت الحكومة الإسرائيلية فى تدمير الأسلحة السوفيتية قبل وصولها إلى مصر (١١٦).

ومن ناحية أخرى تحركت الدبلوماسية الاسرائيلية ، فذكرت الولايات المتحدة الامريكية برأيها القديم فى " عبد الناصر " وتكتيكاته الخادعة، وطالبتها بالتعاون معا

فى ضرب شعبية (الديكتاتور المصرى) فى العالم العربى، واسقاطه ، وحجب المعونة الاقتصادية عن مصر(١١٧)، كما طالبت اسرائيل الولايات المتحدة بإمدادها بالأسلحة بل بضمان وجودها كدولة، ووصل الأمر إلى حد أن اقترح " بن جوريون" على الولايات المتحدة بان تقبل " تحول إسرائيل كلها إلى قاعدة لها تستخدمها فى حالة وقوع اضطرابات فى الشرق الاوسط ، على أن تقوم الولايات المتحدة بانشاء المطارات والطرق والموانئ ، وتقدم التجهيزات الصناعية المطلوبة(١١٨).

لكن الولايات المتحدة ، تحت تأثير الرسائل الهامة التى كانت تأتيها من مصر(١١٩). رفضت الاستجابة للمخططات الإسرائيلية ، وابلغ " دالاس " السفير الإسرائيلى فى واشنطن ، بأن الولايات المتحدة الامريكية ، ليس بمقدروها ضمان خطوط هدنة مؤقتة ، وإنه يجب على إسرائيل أن تحدد أولا حدودها ، قبل أن تطلب من الولايات المتحدة ضمان هذه الحدود(١٢٠) . ومعروف أن " بن جوريون " كان يرفض بإصرار أى حديث عن حدود إسرائيل ، كما كان يرفض أى اقتراح يقيد من إمكانية التوسع الإسرائيلى للحصول على السلاح من الولايات المتحدة الامريكية(١٢٢) .

وفى هذا الوقت ، استغلت إسرائيل انعقاد مؤتمر وزراء الخارجية فى جنيف ، وحاولت الحصول على السلاح ، فأوفدت " موشى شاريت " ليتسول السلاح لإسرائيل ، على حد تعبير "موشى ديان "(١٢٣) . وبلغت جرأته أنه حاول حث ، وزير الخارجية السوفيتى " مولوتوف " على تقييد مبيعات الاسلحة لمصر ، وحسب ملاحظة " ابا ايبان " الذى شارك " شاريت " فى زيارته لجنيف ، فإن " مولوتوف " لم يعر " شاريت " أدنى اهتمام ، واعتبر سلوكه تطفلا لا علاقة له بمؤتمر جنيف .. فموضوع المؤتمر لم يكن علاقة إسرائيل بمصر والدول العربية ، وإنما علاقة الولايات المتحدة الامريكية بالاتحاد السوفيتى (١٢٤) .

أما " بن جوريون " فلم يعلق أى آمال على مساعى " شاريت " ، فبينما كان " شاريت " يتجول فى أوربا ليتسول السلاح لإسرائيل ، كان " بن جوريون " يصوغ وينسق استراتيجية الحرب ضد مصر ، وكان الهدف الرئيسى من اعتداءات إسرائيل فى هذا الوقت "منطقة العوجة" وهى منطقة منزوعة السلاح ، تقع على الحدود المصرية ، جنوب شرق مدينة العريش الساحلية. وكانت السيطرة على منطقة العوجة هذه التى تبلغ مساحتها حوالى ١٤٥ كيلو مترا مربعا ، أمرا بالغ الاهمية للهجوم الاسرائيلى الذى كان يفكر فيه " بن جوريون " وموشى ديان " على شمال

ووسط سيناء ، حيث تتحكم " العوجة " فى ملتقى طرق شديدة الاهمية ، تتجه شمالا إلى الساحل وغربا إلى قناة السويس ، حيث الطريق الوحيد الممهد الذى كان يربط فلسطين بمصر وقتئذ ، لذا أخذت اسرائيل تحشد قواتها العسكرية بالقرب منها ، وأخذت تعتدى عليها بين الحين والآخر تمهيدا لإحتلالها (١٢٥) .

وربما تجدر الاشارة إلى أن " بن جوريون " كان بين الحين والآخر ، يتهم مصر بأنها تشن حربا من طرف واحد ، ففى حديثه أمام الكنيست الإسرائيلى ، فى الثانى من نوفمبر ١٩٥٥، ذكر أن الغارات التى شنت من قطاع غزة فقط ، سببت فى الأشهر التسعة الأولى من هذا العام ، خسارة مائة وثلاثة وخمسين من القتلى والجرحى (١٢٦) . فى صيغة تهديد لاتخطؤها الأذن ، أوضح " بن جوريون " شروعه فى شن الحرب على مصر حين قال : " إن مصر هذه ، تحاول الآن أن تسد الطريق على السفن الإسرائيلية فى خليج البحر الأحمر ، بما يتعارض مع القانون الدولى .. وهذه الحرب التى تقوم من جانب واحد لابد وأن تتوقف.."(١٢٧).

وفى الأول من ديسمبر ، أستدعى رئيس الوزراء الإسرائيلى " الجنرال بيرنز " واتهم مصر بانها وراء عمليات الفدائيين ، وطلب منه أن يطلب من " عبد الناصر " تنفيذ اتفاقيات الهدنة ، تنفيذا كاملا ، خاصة تنفيذ المادة الخاصة بوقف اطلاق النيران(١٢٨) .وفى نفس الوقت، كانت إسرائيل قد تمكنت من عقد صفقة سلاح سرية مع فرنسا لشراء ، عشرين دبابة من طراز (.A.M .X) وستين دبابة من طراز (شيرمان) وأربع وعشرين طائرة من طراز (مستير ٤) فضلا عن كمية من المدافع والمعدات الحربية الأخرى(١٢٩) . والأهم أن إسرائيل تمكنت من توثيق وتطوير علاقاتها مع فرنسا ، حيث استغلت حنق الحكومة الفرنسية على " عبد الناصر " نتيجة لتأييده ودعمه لثورة الجزائر(١٣٠) ، وأخذت الدبلوماسية الإسرائيلية تضرب على هذا الوتر الحساس ، وتذكر الفرنسيين باستمرار بأن " الديكتاتور المصرى بات عدوا لباريس وتل أبيب معا(١٣١).

ولقد كشف " موشى ديان " فى يومياته ، أن " بن جوريون " كان قد حسم أمره – قبل عودته إلى رئاسة الوزارة – على ضرورة الهجوم على مصر ، وانه حدد أهدافه **الأساسية من وراء هذا الهجوم فيما يلى :**

أولا : ضرب قواعد الفدائيين المصريين فى سيناء .

ثانيا : الاستيلاء على مضايق ايلات (شرم الشيخ - رأس نصرانى - جزر تيران وصنافير).

ثالثا : الاستيلاء على قطاع غزة إذا لزم الأمر .

رابعا : اسقاط عبد الناصر بعد كسر هيبته .

ومع أن مجلس الوزراء الإسرائيلى الذى انعقد فى الخامس من ديسمبر ١٩٥٥ ، رفض الخطط التى عرضها " بن جوريون " حيث كانت الاغلبية ترى أن الوقت غير مناسب للهجوم على مصر ، ورنى أن " تعمل إسرائيل فى المكان والزمان اللذين يبدوان مناسبين لها .. "(١٣٢) فإن " بن جوريون " كلف " موشى ديان " بأن يستعد للهجوم .."(١٣٣) . وكان " ديان " هو الآخر يرى أن استمرار اعتراف إسرائيل باتفاقية الهدنة المصرية - الإسرائيلية - بعد تشديد مصر للمقاطعة وعقدها لصفقة الاسلحة السوفيتية - بمثابة تنازل فعلى من جانبها عن حرية الملاحة والطيران فى مجال المضايق(١٣٤) .

هكذا انفجر الموقف وازداد حدة وعنفا ، بين مصر وإسرائيل ما بين سبتمبر والنصف الأول من ديسمبر ١٩٥٥ ، ولقد لاحظ فريق المراقبين الدوليين التابع للأمم المتحدة ، أن الحرب واقعة لا محالة ، وان الأمر يتوقف فقط على من سيبدأ بالهجوم من الطرفين (١٣٥) لكن هذا الموقف المتفجر ذاته ، كان السبب فى إرجاء الصدام المسلح بين الطرفين لعدة شهور ، حيث يبدو من ظاهر الحوادث ، أن صفقة الأسلحة التشيكية وإن كانت قد خلقت موجة غضب عنيفة فى الغرب وداخل اسرائيل - كما رأينا - ضد " عبدالناصر " ، إلا أنها اتاحت الفرصة أمام مبادرات السلام الغربية ، خاصة الامريكية .

وربما تجدر الاشارة إلى أن عام ١٩٥٥ ، شهد أكبر عدد من المحاولات لعلاج مشكلة الشرق الأوسط ، وكانت الولايات المتحدة جادة بالفعل لايجاد حالة من الاستقرار فى هذه المنطقة الساخنة من العالم ، كما تجدر الاشارة أيضا إلى أن الرئيس الامريكى ايزنهاور كان يمثل آخر جيل الرؤساء الأقوياء فى الولايات المتحدة ، وأن الإدارة الأمريكية لم تكن فى عهده قد وقعت بعد تحت السيطرة الصهيونية(١٣٦) ولقد أجرت الولايات المتحدة فى هذا العام اتصالات عديدة فى معظم العواصم العربية ، خاصة مع الدول المحيطة باسرائيل ، وكان التركيز - كما رأينا - دائما على مصر .

على أيــة حــال ففــى الوقت الــذى كــانت فيــه جهــود " اريــك جونسـون "(١٣٧) ، المندوب الشخصى لايزنهاور ، تتعـثر عنـد محاولتـه التوفيق بيـن المخطـط العربـى والمخططـات الاسـرائيلية والامريكيـة لاسـتغلال ميـاه نهـر الاردن ، نتيجـة لتعسـف إسرائيل ومحاولتها الحصـول علـى نصيـب الاسد(١٣٨) جـاء إلـى مصـر " المـور جاكسون " مندوب جماعة " الكويكرز " في الامـم المتحدة ، وحـاول أن يبحـث عـن نقـاط التقـاء بيـن " عبـد النـاصـر " و " بـن جوريـون " لكـن محاولتـه بــاءت بالفشـل أيضا(١٣٩) ، وكانت الادارة الأمريكية ترى ضرورة علاج المشـاكل الثـلاث التـى مازلت معلقة بعد توقيع اتفاقيات الهدنة وهى :

الأولى : مشكلة اللاجئين ، وكان دالاس قد أعلن فـى اغسـطس ١٩٥٥ ضـرورة اعادة اللاجئين إلى الحدود الممكنة عمليا . وتعويضـهم ، ووعد بأن الولايات المتحـدة ستساعد إسرائيل فى دفع التعويضات .

الثانية : مشكلة الحدود ، وكان يرى ضرورة تحويـل خطـوط الهدنـة إلـى حـدود دائمة ، وضرورة وقف القتال ومنع العدوان .

الثالثة : مشكلة القدس ، وكانت الولايات المتحدة الامريكيـة تؤيـد أن تقـوم الأمـم المتحدة ببحث مستقبلها .

ولقد اعترضت اسرائيل على الخطوط العريضة التى ظـل دالاس يكررهـا طـوال النصف الثانى من عام ١٩٥٥ ، وفى نفس الوقت لم تكن هناك دولــة عربيـة يمكنهـا ان تتحدث باسم الفلسطينيين ، وتقبل بالتنازلات التى أعلنها " دالاس " والتـى جـاءت مخالفة على الأقل لقرارات الامم المتحدة(١٤٠) .

ومع ذلك قرر " ايزنهاور " القيام بمحاولة جديدة وهى المبادرة التى أطلق عليها " الفا " حيث كلـف الرئيـس الامريكـى مبعوثـه الرسـمى " روبـرت اندرسـون "(١٤١) بحمل أفكار هذه المبادرة البريطانية – الامريكية – إلى كل من " عبـد النـاصـر " و " بن جوريون " . وكانت "الفا" نتيجة لاقتراح من رئيس الـوزراء البريطـانى " انتونـى ايدن " قدمه إلى وزير الخارجية الأمريكى، حيث اتفقا علـى أن يعمـلا سـويا لتحقيـق تسوية نهائية للنزاع العربى الإسرائيلى ، وللقضيــة الفلسـطينية ، وشـكل لهـذه الغايـة فريق بريطانى أمريكى مشترك ، كان الفريـق البريطـانى ممثـلا فـى السير " ايفليـن شاكبور " الوكيل الدائم لوزارة الخارجية البريطانية ، ومعه " روبرت سكوت " القائم باعمال السفارة البريطانية فى واشنطن . وكان الفريق الامريكى ممثلا فى " هربرت

هوفر المساعد الأول لوزارة الخارجية ، و " فرانسيس راسل " المساعد الخاص لوزير الخارجية والمسئول الاول عن المبادرة ، والسفير " ريموند هير "(١٤٢). ونظرا لخطورة وسرية هذه المبادرة ، تقرر وضعها تحت الاختصاص المباشر لمجلس الأمن القومى فى البيت الابيض ، وكانت جماعة " الفا " هذه ، تعمل بمعزل عن وزارتى الخارجية الأمريكية والبريطانية(١٤٣).

كانت الفكرة المحورية " لألفا " أن يتم تناول مشكلة النزاع العربى الاسرائيلى على غرار الطريقة وبنفس الاسلوب الذى عولجت به قضية " تريستا "(١٤٤) . فكان على فريق " الفا " أن يساوم أحد أطراف الصراع على مطالبه ، حتى يصل إلى أقصى حد أدنى لها ، ثم ينتقل إلى الطرف الثانى لكى يصل معه هو الآخر إلى الحد الأدنى لمطالبه ، على أن تتم الاتصالات بحذر شديد وتحت أقصى درجات السرية المطلقة(١٤٥) .

وكانت الولايات المتحدة الأمريكية وانجلترا قد اقتنعتا - كما رأينا - بأن " عبد الناصر " هو الشخص الوحيد بين الحكام العرب ، الذى يستطيع توقيع اتفاقية سلام دائم مع إسرائيل ، كما يستطيع أن يضمن لهذه الاتفاقية أن تبقى(١٤٦) . ومن ناحية أخرى كان "عبد الناصر" قد نجح فى امتصاص وتهدئة غضب الولايات المتحدة الامريكية ، بعد عقده لصفقة الأسلحة التشيكية ، ولم يعرض نفسه لإنقلاب شبيه بالانقلاب الذى نفذته المخابرات الأمريكية ، ضد " أربينز " فى "جواتيمالا" ، على اثر تعاقده على صفقة سلاح صغيرة مع السوفيت ، حيث بادر بتحميل الولايات المتحدة الامريكية وإسرائيل ، مسئولية تحوله نحو الاتحاد السوفيتى ليحصل منه على السلاح(١٤٧) وانه " اضطر إلى ذلك بسبب تصاعد الهجوم الإسرائيلى على الحدود المصرية ، بعد غارة غزة فى فبراير ١٩٥٥ .. حتى يدافع عن حدوده ويضمن بقاءه فى الحكم ويتقى تذمر جنوده وضباطه .. "(١٤٨) . وكانت مبررات " عبد الناصر " هذه تلقى قبولا وترحيبا فى الكثير من دوائر صنع القرار الامريكى ، التى كانت مقتنعة بأن " عبد الناصر " ليس شيوعيا(١٤٩) ، وان إسرائيل مسئولة بالفعل بعدوانها المتكرر على الحدود المصرية ، عن اندفاع " عبد الناصر " شرقا(١٥٠) .

هكذا فإنه فى الوقت الذى كان فيه " عبد الناصر " يسعى لتهدئة مخاوف الولايات المتحدة الامريكية ، كانت الدبلوماسية الامريكية والبريطانية ، تخطط سرا لتمنع وقوع الحرب بين مصر وإسرائيل ، وتحاول جاهدة استرداد نفوذ الغرب فى الشرق

الأوسط ، الذى بدأ يتقلص على نحو خطير ، خاصة فى مصر وسوريا ، نتيجة لتغلغل النفوذ السوفيتى . ولعل هذا يفسر التناقض الذى بدا واضحا فى ذلك الوقت ، بين غضب انجلترا وحنقها الشديد على " عبد الناصر " ، وهرولتها للمشاركة فى المناقشات الدائرة حول مشروع بناء السد العالى(١٥١). ويفسر أيضا ، موافقة وزير الخارجية الامريكية " جون فوستر دالاس " رغم كراهيته الشديدة " لعبد الناصر " على الانضمام للبريطانيين والبنك الدولى فى تمويل المشروع الكبير(١٥٢) . حيث بنيت المبادرة أساسا على الربط بين تحقيق تسوية ما ، بين مصر وإسرائيل ، وتمويل مشروع السد العالى(١٥٣) . وعلى مصر بعد ذلك أن تجر الدول العربية للاعتراف باسرائيل . ومما له دلالة أن " انتونى ايدن " رئيس الوزراء البريطانى كان يردد وقتئذ – وذكر ايضا فى مذكراته – انه "يجب علينا ألا نسمح للسوفيت ، بالوصول إلى وادى النيل ، مهما كان الثمن "(١٥٤) .

وعن طريق " الفا " كانت الولايات المتحدة الامريكية على استعداد لتقديم " اغراءات " اخرى كثيرة " لعبد الناصر " بجانب تمويل مشروع السد العالى ، من ذلك ، منحه صفقات الاسلحة التى كان يلح فى طلبها ، ودعم برامج التنمية ، وبناء معمل للنظائر المشعة ، ومن ذلك أيضا تزويد مصر بفوائض القمح الامريكى ، ومساعدات فى تسويق محصولها من القطن ، فضلا عن تسليط الاضواء عليها وذلك بعقد بعض المؤتمرات الدولية فى القاهرة(١٥٥) .

على أية حال ، كان عرض تمويل مشروع السد العالى ، طمعا " لعبد الناصر " فهل ابتلع "عبد الناصر" الطعم ؟ سوف نؤجل الاجابة على هذا السؤال قليلا ، ونبادر بالاشارة إلى أن المفاوضات الخاصة بمشروع السد العالى والتى تعثرت من قبل كثيرا سرعان ما انتهت ، وتم الاعلان فى السادس عشر من ديسمبر ١٩٥٥ ، عن التوصل لاتفاق بمقتضاه سيتولى البنك الدولى والولايات المتحدة وانجلترا ، تمويل المشروع العملاق بتكلفة تقديرية حوالى ١,٣ مليار دولار ، سيقدم البنك الدولى ٢٠٠ مليون دولار ، وتقدم الولايات المتحدة وانجلترا ٢٠٠ مليون دولار ، والباقى ستوفره مصر بالعملة المحلية(١٥٦) .

وربما تجدر الاشارة أيضا ، إلى أن تعيين " هنرى بايرود " سفيرا للولايات المتحدة الامريكية فى مصر ، قد ارتبط بهذه المبادرة ، حيث سيطر اعتقاد على إدارة ايزنهاور مؤداه أن شخصية " بايرود " الذكية ، وخبرته العسكرية ، ستساعد كثيرا فى اقناع " عبد الناصر " بعقد معاهدة سلام مع إسرائيل ، وكذا اقناعه بجر

الدول العربية الاخرى لكى تحذو حذوه(١٥٧). وكان " ايدن " بنفسه قد حاول التمهيد للمبادرة عندما قابل " عبد الناصر " فى القاهرة فى فبراير ١٩٥٥، حيث أخبره صراحة بأن الولايات المتحدة الامريكية وانجلترا يخططان معا لترتيب أوضاع منطقة الشرق وعقد معاهدة سلام دائمة بين العرب واسرائيل ، لكن " ايدن " أحبط بعد مقابلته هذه " لعبد الناصر " وذلك نتيجة لأن " عبد الناصر " أكد له – كما رأينا – إصراره على موقفه العدائى من حلف بغداد ، ورفضه لأى تسوية جزئية لمشكلة الشرق الاوسط ، ولقد خرج "ايدن" بعد مقابلته " لعبد الناصر " " بنتيجة وحيدة ، هى أن " عبد الناصر " يسعى لزعامة العالم العربى(١٥٨) .

ولقد حاول " بايرود " هو الآخر طرح أفكار " الفا " على " عبد الناصر " ، لكن الغارة الإسرائيلية الشهيرة على غزة ، جعلت الظروف غير مواتية لطرحها على الاطلاق (١٥٩) حيث دلت هذه الغارة ، بما لا يدع مجالا للشك ، على نوايا إسرائيل العدوانية .

على أية حال ، بدأ المبعوث الأمريكى الرسمى " لايزنهاور " رحلاته المكوكية مع بداية عام ١٩٥٦ ، إلا انه أدرك من الوهلة الأولى أن مهمته ليست بالسهولة التى كان يتوقعها ، وان صنع السلام فى " الارض المقدسة " مسألة بالغة التعقيد وتبدو مستحيلة(١٦٠) ، فبعد عدة لقاءات مع " عبد الناصر " وبعد أن عرض عليه المساعدات والدعم الأمريكى وبقية الاغراءات التى ستقدمها الولايات المتحدة لمصر، إذا قدم قليلا من التنازلات لاسرائيل (١٦١) ، فاجأه عبدالناصر بشروط مصر ، أو الاسس المبدئية(١٦٢). التى يراها لتحقيق التسوية التى جاء من أجلها وهى:-

اولا : إن التفكير فى التسوية ، يجب أن يتم على أساس تسوية المشكلة العربية الإسرائيلية برمتها .

ثانيا : ضرورة تعديل الحدود بين العرب وإسرائيل بما يكفل تحقيق الاتصال بين أجزاء العالم العربى .

ثالثا : مستقبل مصر ومايراه المجتمع الدولى مقبولا بشأن مشكلة القدس .

رابعا : بالنسبة لمشكلة اللاجئين ، لابد وأن تقبل اسرائيل إعادة بعض اللاجئين وتدفع تعويضات لايدفعها عنها سواها للبعض الآخر .

وعندما استفسر " أندرسون " عن موضوع الحدود ، والتعديلات التى يراها "عبد الناصر" لتحقيق الاتصال الجغرافى بين أجزاء العالم العربى ، فاجأه " عبد الناصر" مرة ثانية ، بأن مصر، وهذا ليس جديدا – فقد اعلنه من قبل فى " باندونج " – أنه على استعداد للقبول بقرار التقسيم الصادر عن الجمعية العامة للأمم المتحدة سنة ١٩٤٧ ، وانه سيكون مستعدا لكى يقنع بقية الدول العربية بقبول تنفيذ هذا القرار(١٦٣) ، كما أكد له أن مصر تقبل الذى أعده " الكونت برنادوت " وسيط الأمم المتحدة الذى اغتاله الاسرائيليون سنة ١٩٤٨ ، وعندما استفسر " اندرسون " مرة ثانية عن"النقب" أوضح له " عبد الناصر " على خريطة العالم العربى ، كيف قسمت اسرائيل الدول العربية إلى قسمين ، وانه يطالب بضرورة أن تكون المنطقة من " الظهرية " إلى " الخليل " إلى "غزة " عربية ، وأن يكون مثلث " سمخ " والمنطقة المحيطة ببحيرة " طبرية " فى يد سوريا ، وفى كل الاحوال تكون عربية(١٦٤) . وأكد " عبد الناصر " أيضا انه لن يقبل أقل من النقب ، وان هذه الجزئية غير مطروحة للتفاوض(!٦٥) .

وتجدر الاشارة أيضا إلى أن " عبد الناصر " رفض رفضا قاطعا ، اجراء مفاوضات مباشرة مع الاسرائيليين ، سواء مع شخصيات رسمية أم غير رسمية أو حتى يهودية تحمل الجنسية الأمريكية(١٦٦) بل إنه رفض أن يتجه "أندرسون" من القاهرة إلى تل أبيب مباشرة(١٦٧) وكان تقدير عبد الناصر – كما ذكر على صبرى– أن المفاوضات المباشرة ستحرق زعامته فى العالم العربى ، بل انها قد تتسبب فى اغتياله ، انها بمثابة الانتحار السياسى على حد تعبيره " لأندرسون"(١٦٨) . خاصة وانه كان على يقين من أن " بن جوريون " لايريد السلام ، وانه لن يفرط فى الأرض التى اغتصبتها إسرائيل ، بل انه يخطط للحرب والتوسع على حساب الدول العربية(١٦٩).

ولقد اثبتت مفاوضات " اندرسون " مع " بن جوريون " من الوهلة الاولى ، صحة تقدير عبد الناصر لسياسات إسرائيل ، حيث رفض " رئيس الوزراء الاسرائيلى " رفضا قاطعا ، مناقشة إمكانية تنازل إسرائيل عن بوصة واحدة من الارض مقابل السلام ، بل انه اعتبر أن " السلام الذى ينطوى على خسارة فى أرض إسرائيل المحدودة جدا يعد انتحارا أكثر منه سلاما..!!"(١٧٠) . كما رفض حل مشكلة اللاجئين الفلسطينيين ، وأكد "لاندرسون" انه يرى أن "عبد الناصر" مخادع ، وان حديثه عن السلام ليس إلا محاولة لخداع الرئيس ايزنهاور " وخداع إسرائيل ، وانه

يرى أن الوساطة عن بعد مضيعة للوقت ، وان معيار اتساق كلام "عبدالناصر" مع تصرفاته هو قبوله باجتماع على مستوى عال بين مصر وإسرائيل(١٧١) .

على أية حال ، فشلت مهمة " اندرسون " نتيجة لموقف " بن جوريون " فهو المسئول بالدرجة الأولى عن ذلك ، باصراره على التمسك بكل شبر اغتصبته إسرائيل من الأراضى العربية ، واصراره على ضرورة اجراء تفاوض مباشر مع " عبد الناصر " وهو مدرك بالطبع لخطورة واستحالة تنفيذ هذه الخطوة وقتئذ . وإن كنا نؤكد أيضا أن " عبد الناصر " هو الآخر كان "يناور" وانه ما استقبل " اندرسون" إلا ليمتص غضب الولايات المتحدة الامريكية الذى انفجر على اثر عقد صفقة الاسلحة التشيكية، ولقد صرح " عبد الناصر " بذلك قبل استقبال المبعوث الامريكى، حيث أخبرهم ، " ان الهدف هو تفويت الفرصة على الولايات المتحدة وامتصاص غضبها حتى تصبح صفقة الأسلحة أمرا واقعا .." (١٧٢) . ويدعم هذا التصور أن "عبد الناصر" رغم ثبوت ما توقعه من تعنت " بن جوريون " كان صاحب القرار فى إنهاء مهمة " اندرسون " حيث أخبر الفريق الذى كان مكلفا بالتفاوض مع " أندرسون " بانهاء الموضوع "(١٧٣) .

ومع ذلك فانه تجدر الاشارة إلى أن المبادرة " الفا " ولدت ميتة ، وكان محكوم عليها بالفشل ، فمن ناحية كان الصراع فى المنطقة بالغ الحدة والتعقيد ، ومن ناحية ثانية كان " ايدن " نفسه متورطا علنا فى حلف بغداد الذى يحاربه " عبد الناصر " بعنف ، ومن ناحية ثالثة وأخيرة، فان " الفا " افترضت اجراء تعديلات فى الحدود والأراضى ، وهذا ما كانت ترفضه العقلية الاسرائيلية بشدة(١٧٤) .

ويبدو من ظاهر الحوادث أن ما أراده " عبد الناصر " وخطط له قبل اعلان الصفقة ، قد تحقق جزئيا ، فخلال الفترة ما بين ٢٧ سبتمبر ١٩٥٥ وحتى ١٥ مارس ١٩٥٦، كانت صفقة الاسلحة قد أصبحت أمرا واقعا ، إلا أن غضب الولايات المتحدة ، وكذا انجلترا وفرنسا وإسرائيل قد تصاعد بدرجة عنيفة ، فمن ناحية ازداد غضب الولايات المتحدة وانجلترا لفشلهما فى تسويق اتفاقية سلام مقابل المساهمة فى تمويل بناء مشروع مصر الطموح " السد العالى " لكى تضمن استقرار الاوضاع فى الشرق الاوسط ، والمعروف أن التوتر فى هذه المنطقة كان -- ولايزال- يهدد مصالحها ، بل وأمنها القومى على حد تعبير ايزنهاور(١٧٥) ومن ناحية ثانية كان المعسكر الغربى كله حانقا على " عبد الناصر " الذى سمح للاتحاد السوفيتى بالقفز فوق حلفابغداد(١٧٦) . ومن ناحية ثالثة ازدادت فرنسا حنقا

وكراهية " لعبدالناصر " بسبب استمرار مساعدته لثورة الجزائر (١٧٧) . كما اتهمته انجلترا بانه وراء طرد " جلوب باشا " من الاردن(١٧٨) .

وبالطبع كان هذا المناخ وراء تراجع مخططات تسوية مشكلة النزاع العربى الاسرائيلى، واستبدالها بمخططات أجهزة المخابرات الغربية للتخلص من " عبدالناصر " (١٧٩) ويهمنا بالطبع موقف إسرائيل ، فلم تنتظر رحيل " أندرسون " وأخذت فى شن حملة دعائية عنيفة ضد مصر ، وركزت الدبلوماسية الاسرائيلية والدوائر الصهيونية فى الولايات المتحدة هجومها على مشروع السد العالى والقروض المزمع منحها لمصر ، ووصلت هذه الحملة إلى الذروة فى أواخر شهر يونيه واوائل يوليو سنة ١٩٥٦ (١٨٠) ومن ناحية أخرى أقدمت إسرائيل على محاولة لاغتيال " عبد الناصر " لكنها فشلت (١٨١) . ومع ذلك ظلت إسرائيل تنتظر الفرصة المواتية للهجوم على مصر واسقاط عبد الناصر .

ولم تنتظر إسرائيل فى الواقع كثيرا ، فسرعان ما اتاح لها تصاعد الخلاف والصدام بين "عبد الناصر" والغرب ، الذى تتابع وتصاعد بعد فشل مهمة "أندرسون" على شكل أفعال وردود أفعال سريعة ومتلاحقة ، فرصة نادرة لم تتردد فى افتتاحها . ففى مواجهة الإتجاه إلى تحديد صادرات السلاح إلى الشرق الاوسط - بعد زيارة خروشوف إلى لندن - أعلن " عبد الناصر " اعترافه بالصين الشعبية يوم ١٩ مايو ١٩٥٦ (١٨٢) . وكان هذا الاعتراف صفعة جديدة عنيفة للغرب ، اعتبرتها الدوائر الغربية مظهرا وبرهانا جديدا على انحراف " عبد الناصر " واندفاعه صوب الشرق(١٨٣) . وفى الشهر التالى أجرى " عبد الناصر " فى القاهرة محادثات مع وزير الخارجية السوفيتى " شبيلوف " حول صفقة أسلحة ثانية لمصر (١٨٤) ، وحول إمكانية تمويل السوفيت لمشروع السد العالى ، ولم تكن أعين أجهزة المخابرات الغربية بعيدة عما دار بين "عبدالناصر" و " شبيلوف "(١٨٥) .

وردا على سياسات "عبد الناصر" التى أعقبت عقد اتفاقية الجلاء ، بداية بمحاربته لحلف بغداد، ومرورا بحضوره مؤتمر باندونج ، وعقده لصفقة الأسلحة التشيكية ، وافشاله لمهمة "اندرسون" ، وانتهاء باعلان اعترافه بالصين الشعبية وشروعه فى عقد صفقة أسلحة جديدة مع السوفيت ، وتلويحه بامكانية اعتماده على السوفيت فى بناء السد العالى(١٨٦) ، اعلنت الولايات المتحدة الامريكية فى التاسع عشر من يوليو ١٩٥٦ ، سحب عرضها بتمويل مشروع السد العالى بطريقة مهينة لمصر ،

وتبعتها انجلترا ، واضطر " يوجين بلاك " إلى سحب مساهمة البنك الدولى أيضا(١٨٧) .

ولقد رد " عبد الناصر " على قرار الولايات المتحدة المهين - وهو قرار سياسى اقتصادى فى آن واحد - بقراره التاريخى بتأميم الشركة العالمية لقناة السويس ، فى السادس والعشرين من يوليو سنة ١٩٥٦ ، وهو قرار سياسى اقتصادى تمخضت عنه نتائج كثيرة على درجة كبيرة من الأهمية ، يهمنا هنا ما يتعلق منها بسياسات اسرائيل تجاه مصر .

كانت اسرائيل قد عادت قبيل تأميم القناة إلى تكرار هجماتها الخاطفة على الحدود المصرية ، وقامت باحتلال منطقة " العوجة " ، ورفضت السماح لمراقب الامم المتحدة بالبقاء فيها(١٨٨) . وفشل " همر شولد " فى الوصول إلى حل مع " بن جوريون " وطوال شهر أغسطس تصاعدت أحداث العنف ، وأستمرت إسرائيل فى بناء الاستحكامات العسكرية فى المناطق المنزوعة السلاح، للدرجة التى دفعت الجنرال " بريرنز " إلى وصف السلوك الإسرائيلى فى قطاع غزة فى هذه الفترة بأنه "انفلات "(١٨٩) ولم تأت رسائل " همرشولد " العنيفة إلى رئيس الوزراء الإسرائيلى بأى نتيجة بل راحت كل جهوده سدى(١٩٠) .

كان رئيس الوزراء الاسرائيلى قد قرر الحرب ضد مصر ، وكان الانتهاء من احتلال منطقة " العوجة " جزءا من التمهيد لها ، حيث ثبت لإسرائيل فشل سياسة " الردع المحدود " وبدأت تخطط للقيام بعمليات عسكرية واسعة ، فبعد ثلاثة أيام من تأميم " عبد الناصر " للقناة ، عرض " موشى ديان " على رئيس الوزراء الاسرائيلى، ثلاث عمليات كبيرة يمكن أن تقوم بها إسرائيل قبل أن تتلقى الضربة الاولى من مصر ، كانت العملية الاولى تتمثل فى قيام اسرائيل باحتلال شبه جزيرة سيناء حتى القناة ، واخضاع القناة بعد ذلك للرقابة الدولية ، وكانت العملية الثانية عبارة عن قيام القوات الاسرائيلية بالاستيلاء على شرم الشيخ ووضع حد للحصار المصرى المفروض على خليج العقبة ، أما العملية الثالثة فكانت ، الاستيلاء على قطاع غزة (١٩١) .

لكن " بن جوريون " ومع انه كان يتحرق شوقا لاسقاط " عبد الناصر " ، إلا انه نصح "ديان" بالتريث قليلا ، نظرا لعدم تسلم إسرائيل للأسلحة الثقيلة ، والعتاد اللازم لشن حرب كهذه ، ومع أن " بن جوريون " كان يرى أن إقدام " عبد الناصر " على

تأميم القناة . قد خلق أوضاعا دولية مواتية تسمح بتنفيذ خطط " ديان " إلا انه قرر " الصبر وانتظار أوضاع أخرى مناسبة"(١٩٢).

وحسب ماذكره " ديان " فانه كان يتعين على اسرائيل ، ما بين يوليو واكتوبر ١٩٥٦ ، "ملاحقة الاوضاع المناسبة " بكل همة ونشاط ، بين لندن وباريس (١٩٣). حيث قررت الحكومتان الانجليزية والفرنسية ، القيام بعملية عسكرية للاستيلاء على قناة السويس ، والاحتفاظ بها ، واسقاط " جمال عبد الناصر " . كان عليهما استدعاء الاحتياطى ، وحشد قواته فى قبرص ومالطا ، واعداد السفن لعمليات بر – مائية كبيرة ، فى مستوى عمليات حرب عالمية(١٩٤) . وكانت إسرائيل وهى تلاحق تصاعد الصراع بين " عبد الناصر " والغرب على النحو السابق حسبما صورها " ديان " بدقة أشبه " براكب الدراجة الذى يسافر إلى اعلى الجبل ، فيجد فى طريقه عربة ، يستطيع أن يستخدمها " .. وعندما يصل إلى هدفه يتركها ويشق طريقه بنفسه (١٩٥) ، واعتقد انه ليس مهما من الذى سعى إلى الآخر السيارة أم الدراجة ، بل الأهم أن التواطؤ الثلاثى قد حدث بالفعل . حيث انتهى الأمر باشراك إسرائيل فى العملية التى اختاروا لها الاسم الرمزى "هاميلكار " ثم عدلوه بعد ذلك ليصبح " الفارس " " Musketeer " (١٩٦) . ولقد تحددت الخطوط الرئيسية لهذه الخطة – قبل اشراك اسرائيل – فى القيام بهجوم بحرى على مدينة الاسكندرية ، تعقبه عملية إنزال واسعة النطاق ، بنفس الاسلوب الذى اتبع فى عمليات الحرب العالمية الثانية ، وبعد ثلاثة أيام تتم عملية انزال أخرى تستهدف احتلال منطقة قناة السويس ، فى الوقت الذى تكون فيه القوات المصرية قد ابتلعت الطعم وتوجهت لصد الانزال الاول (١٩٧) . ولقد اقرت الحكومتان الفرنسية والبريطانية هذه الخطة وتم اعتمادها يوم ١٥ أغسطس ، وبدأت عملية شحن معدات الطيران الفرنسية إلى قاعدة قبرص اعتبارا من يوم ٢٤ اغسطس ، وتقرر ان تغادر الأنساق الاولى للقوات البريطانية مرساها اعتبارا من أول سبتمبر ، كما تغادر الأنساق الأولى للقوات الفرنسية المرابطة فى الجزائر قواعدها يوم ٥ سبتمبر ، وتقرر أيضا أن تلقى القنابل الأولى على مصر يوم ١٣ سبتمبر ويتبع ذلك الغزو البرى فى صباح الخامس عشر من نفس الشهر ، وكانت هذه الخطة تعتبر الأسكندرية مجرد هدف مبدئى ، أما الهدف الأساسى فهو القاهرة ، وذلك حتى تتمكن انجلترا وفرنسا من اسقاط نظام الحكم بعد تدمير القوات المصرية(١٩٨) . إلا انه بعد اشراك إسرائيل تم استبدال الاسكندرية ببورسعيد ، وادخلت عدة تعديلات فنية أخرى على الخطة " فارس " لتصبح " فارس المعدلة " حتى تتوافق مع الخطة الاسرائيلية " قادس المعدلة " (١٩٩) .

وفى الرابع والعشرين من اكتوبر ١٩٥٦ ، تم اقرار الخطة النهائية فى اجتماع سرى ثلاثى عقد فى ضاحية " سيفر " بالقرب من باريس (٢٠٠) حضره عن الجانب الإسرائيلى " بن جوريون " و " موشى ديان " و" شيمون بيريز " ومن الجانب الفرنسى " جى موليه " رئيس الوزراء ، و " كريستيان بينو " وزير الخارجية، و" برجيس مانورى " وزير الحربية ، وعن الجانب البريطانى ، شارك " سلوين لويد " وزير الخارجية ، و " باتريك دين " وكيل وزارة الخارجية ، وكانت الفكرة الاساسية لخطة العدوان تعتمد على قيام اسرائيل باستدراج الجيش المصرى إلى شرك تنصبه له بمهارة داخل سيناء ، وبعد ذلك يبدأ هجوم القوات البريطانية الفرنسية المشتركة على منطقة القناة ، بهدف الاستيلاء عليها وعزل القوات المسلحة المصرية داخل سيناء لتصبح فريسة لا حول لها ولا قوة ويتم تدميرها بالكامل ، وعندئذ يسقط نظام " جمال عبد الناصر " (٢٠١) . وبالفعل تم الهجوم فى موعده ، لكن المؤامرة الثلاثية ، لم تحقق أهدافها الأساسية ، فلم تتمكن اسرائيل من تدمير الجيش المصرى ، حيث تمكنت القوات المصرية من الافلات من الفخ الذى نصب لها بمهارة فى سيناء ، وقام " عبد الناصر " بالاعلان عن الغاء اتفاق ١٩ اكتوبر ١٩٥٤ ، الذى كان ينص على السماح لانجترا بالعودة الى قاعدة القناة واستخدامها فى حالة وقوع هجوم مسلح على مصر أو أى دولة من الدول العربية ، الموقعة على ميثاق الضمان الجماعى المشترك أو تركيا ، وخلصت القناة لمصر التى أصبحت لأول مرة فى تاريخها منذ قرون عديدة دولة مستقلة بكل ما تحمله هذه الكلمة من معنى . والأهم أن "عبدالناصر" لم يسقط ، بل إن حرب السويس ، ساعدت على تألق نجمه وذيوع صيته فى العالم كله ، وأصبح – بتعبير الوزير البريطانى – أنتونى ناتنج " يلقى كل تقدير واحترام باعتباره "صلاح الدين" العصر الحديث (٢٠٢) لقد اصبح شهيد الانتقام الغربى بطلا ومخططا لاذلال الغرب وهزيمته ، وأصبح مجرد ذكر اسمه يلقى وترا سحريا فى كل وطنى عربى ، وعلقت صوره فى الأسواق والمقاهى والمحال التجارية وداخل سيارات الأجرة من المحيط الاطلسى إلى المحيط الهندى .."(٢٠٣) وبديهى فإن فشل إسرائيل فى تحقيق هدفها الرئيسى ، أى القضاء على "عبدالناصر" كان وراء تخطيطها لمؤامرة تالية سوف تنسج خيوطها ما بين ١٩٧٥ وحتى ٥ يونيه ١٩٦٧ .

الهوامش

١ – حول تنظيم الضباط الأحرار ، ونجاح ثورة يوليو والتحديات التى واجهتها خلال الفترة المبكرة من تاريخها راجع ، جمال شقره ، الحركة السياسية فى مصر ١٩٥٢–١٩٥٤ (رسالة ماجستير ، غير منشورة ، اداب عين شمس ، ١٩٨٥) .

٢ – نفس المرجع ، ص ٢٠٩ .

٣ – محمود رياض ، مذكرات ، البحث عن السلام والصراع فى الشرق الاوسط (بيروت، ١٩٨١) ص ص ١٧–١٨ .

٤ – محمد حسنين هيكل ، المفاوضات السرية بين العرب واسرائيل ، الكتاب الثانى (القاهرة، ١٩٩٦) ص٣٦ .

٥ – جمال عبد الناصر ، فلسفة الثورة (القاهرة ، ١٩٥٤) ص ١٠ .

٦ – هيكل ، المرجع السابق ، ص ٣٣ .

٧ – نفس المرجع ، ص ٣٤ .

٨ – ورد هذا المعنى كثيرا فى وثائق الخارجية الأمريكية طوال الخمسينات .

٩ – هيكل ، المرجع السابق ، ص ٣٤ .

١٠– نفس المرجع ، ص ٣٥ .

١١– نفس المرجع ، ص ٣٣ ، وراجع أيضا ، ديفيد بن جوريون : إسرائيل ، تاريخ شخص، الجزء الاول (اعداد مركز البحوث والمعلومات ، القاهرة ، بدون) .

12- F.R.U.S. 1952-1954.V.I.1x .Memorandum of conversation , by the officer in charge of Egypt and Angola - Egyptian Sudan Affairs (Washington , July 31, 1952).

وانظر ايضا ، هيكل ، المرجع السابق ، ص ص٤٠–٤١ ، فادية سراج الدين ، المواجهة (القاهرة ، ١٩٩٣) ص ص٢٢–٢٣ . حيث وردت نفس الوثيقة .

13 - Ibid

١٤– هيكل ، المرجع السابق ، ص ٤٢ .

١٥- وثائق الخارجية المصرية ، مذكرة رقم (٨٧) عن مقابلة السفير المصرى فى واشنطن " أحمد حسين " " لكيم روزفلت وبايرود " يوم ١٧ يوليو ١٩٥٣ ، انظر ايضا ،

F.R.U.S.1952 - 1954 and Vol. 1x. The Ambasador in Egypt (Caffery) to the Department of State Cairo ,Sep.18,1952, November, 10,1952).

١٦- ديفيد بن جوريون ، المصدر السابق ، ج٢ ، ص ٤٥٧ ، وانظر ايضا ، جيفرى أرونسن ، واشنطن تخرج من الظل (بيروت ، ١٩٨٧) ص ١٢٨،

F.R.U.S. 1952 - 1954 . Vol IX . Memoradum of counversation by officer charge of palastine - Israel - Jordan Affair (wshington , Jan. 15,1954, tmes, May. 14,1953) p.1.

١٧- بن جوريون ، المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٤٥٧ ، وراجع أيضا دونالدنيف ، حرب السويس (ترجمة، أحمد خضر ، وآخر (القاهرة ، ١٩٩٠) ص ص ٧٠-٧١ .

١٨- نفس المصدر ، ص ٤٥٨ .

١٩- وثائق الخارجية المصرية نص الرسالة رقم (٥٠) من رسائل السفير أحمد حسين إلى وزير الخارجية بتاريخ ٤ مايو ١٩٥٣ ، وتحوى هذه الرسالة مذكرة السكرتير الثالث ، محمود صلاح الدين حسن ، حول مقابلته لرئيس قسم فلسطين والاردن فى وزارة الخارجية الامريكية .

٢٠- محمد حسنين هيكل ، ملفات السويس (القاهرة ، ١٩٨٦) ص ص ٣٩٣ - ٣٩٤.

٢١- نفس المرجع ، ص٢ ٢٩٠ .

٢٢- محضر نقاش مع فتحى الديب يوم ١٩٨٩/١١/١٨ .

23 - Dayan, M., Story of my life (LONDON , 1979) p.p.14.2.-144.

24 - Ibid . P. 143 .

25 - Ibid., see also, F.R.U.S. 1952-1954.Vol. 1x, The Ambasadorin Egypt (Caffery) to the Department of State (Cairo,Sep.18,1952).

٢٦- وثائق الخارجية المصرية ، مذكرة السفير المصرى فى واشنطن ، احمد حسين إلى وزيرالخارجية بتاريخ ١٣ اغسطس ١٩٥٤ ، انظر ايضا ،

ارسكين تشيلدرز ، الطريق إلى السويس (ترجمة ، خيرى حماد ، القاهرة، ١٩٦٤) ص ١٧٤ .

٢٧- انظر ، ناحوم جولدمان ، إلى أين تمضى اسرائيل (اعداد ، مركز البحوث والمعلومات ، القاهرة ، بدون " باريس ١٩٧٥ ") ص ص ٢١ ، ٧٤ -٧٥ وله أيضا ، التناقض اليهودى (ترجمة ، هيئة الاستعلامات ، كتب مترجمة ، رقم (٧٣٦) القاهرة ، ١٩٨٠)، جولدا مائير ، حياتى (ترجمة منير بهجت ، وآخر ، ط٢ (بيروت ، ١٩٨٨) ص ص ٢١٤ - ٢١٥ ، يحى حقى ، ذكريات مطوية (القاهرة ، ١٩٩٣) ص ١٨٦ ، هيكل ، زيارة جديدة للتاريخ (بيروت ، ١٩٨٧) ص ص ١٩١ - ٢٤٤ .

٢٨- راجع وثائق الخارجية الامريكية 1962-1954 - Vol. 1X حيث تكرر هذا التحليل فى أكثر من وثيقة ، انظر على سبيل المثال ،

F.R.U.S.1952-1954.Vol. 1x. The Ambasdor in Israel to the Department of state. (Tel AVIV, Aug,22,1952).

٢٩- منهم " كروسمان ، انيورين بيفن ، جورج براون ، ودوريات ، وباربرا كاسل " .

٣٠- من أمثال " كنجزلى مارتن ، دنيس هاملتون " .

٣١- منهم " والترليمان ، جوزيف الوب ، جيمس رستون ، ادمورو " .

٣٢- محمود رياض ، مذكرات ، الجزء الثانى ، الأمن القومى العربى بين الانجاز والفشل (القاهرة ، ١٩٨٦) ص ١٣٤ ، انظر ايضا ، هيكل ، المفاوضات السرية ، ج٢ ، ص ص٥٤-٥٥.

٣٣- أرشيف منشية البكرى ، مذكرات بخصوص عروض السلام الاسرائيلية تحمل جميعها تأشيرة للحفظ .

٣٤- وثائق الخارجية المصرية ، مذكرة السفير أحمد حسين رقم (٧٢) إلى وزير الخارجية ، بتاريخ ١١ يونيو ١٩٥٣ ، والمذكرة رقم (٨٧) بتاريخ ١٧ يوليو ١٩٥٣ ، ولقد وردت نفس المعانى فى العديد من وثائق الخارجية المصرية ، صور بمنشية البكرى ، وثمة ترجمات حرفية لها فى العديد من وثائق الخارجية الامريكية ، انظر على سبيل المثال ،

(F.R.U.S.1952-1954. Vol,1x. The ambasador in Egypt (Caffery) tothe Department of State (Cairo, Sept. 18, Nov.10,1953).

٣٥- وثائق الخارجية المصرية المذكرة رقم (٧٢) ، انظر تفاصيل هامة وموثقة فى هيكل ، ملفات السويس ، ص ص ١٧٩ ، ١٩٠-١٩١ . ويلاحظ أن هذا الرأى تمسك به "عبدالناصر" قد ورد على استحياء فى بعض الوثائق الخارجية الامريكية قبل توقيع اتفاقية الجلاء، ثم ورد بشكل صريح وقاطع فى العديد من الوثائق التى اعقبت توقيع الاتفاقية بالاحرف الاولى يوم ٢٧ سبتمبر ١٩٥٤ ، انظر على سبيل المثال ،

F.R.U.S., 1952-1954, Vol.1x Memorandum by the operations coordinator (Radius) to the acting secretary of state (Washington, Sep.28,1954, (Top Secret).and see also .F.R.U.S. No,1358, 1359, 1360, 1361, 1363, 1364.

٣٦- نص بيان رئيس الوزراء الاسرائيلى " موشى شاريت " أمام الكنيست الاسرائيلى يوم ٣٠ اغسطس ١٩٥٤ ، نشره " بن جوريون " ، المصدر السابق ، ج٢ ، ص ص ٤٥٧- ٤٥٨ .

٣٧- انظر ، جمال شقره ، الحكرة السياسية فى مصر ١٩٥٤ - ١٩٦١ (رسالة دكتوراه ، غير منشورة ، اداب عين شمس ، ١٩٩٣) ص ص١٩١-٢٤٤.

٣٨- محضر نقاش مع فتحى الديب ، بتاريخ ١٩٨٩/١١/٢٣ .

٣٩- هو ، " فتحي الديب " الذى تولي مسئولية الشئون العربية منذ هذا التاريخ ، وشغل بعد ذلك مناصب سياسية وتنفيذية متعددة من بينها ، أمين الشئون العربية بالاتحاد الاشتراكى العربى، وأمين عام القيادة السياسية الموحدة مع العراق ، وأمين عام ميثاق دول طرابلس، والأهم انه كان دائما قريبا من صنع القرار ورسم سياسة مصر العربية .

٤٠- اطلع الباحث على أصل الوثيقة .

٤١- خطة فرع الشئون العربية وافق عليها عبد الناصر يوم ١٩٥٣/٣/٣١ .

٤٢- مجموعة تقارير ورد بها تعريف بالاحوال الاقتصادية والاجتماعية والسياسية لدول العالم العربى ، محفوظة بأرشيف منشية البكرى .

٤٣- مسودة كتاب لم ينشر للسيد " فتحى الديب " بعنوان " ثورة يوليو والمشرق العربى"، وانظر ايضا ،

F.R.U.S. 1952-1954.Vol. 1x1. The Ambasador in Egypt (Caffery) to Department of State (Cairo,Feb.4.1954. Secret).

٤٤- انظر على سبيل المثال :

F.R.U.S. Vol. 1x. The Ambasador in the United Kingdom (Gifford) to the Department of state (London, JAN.3.1953.sECRET), f.o. 371/108478, Brief for Secretary of State

٤٥- جمال عبد الناصر ، فلسفة الثورة (القاهرة ، ١٩٥٤) ص ص ٥٨ - ٨٠ .

٤٦- نفس المصدر ، ص ص ٧٧ - ٧٨ .

٤٧- نفس المصدر ، ص ٨٠ .

٤٨- نفس المصدر ، ٧٥ .

٤٩- نفس المصدر ، ص ٧٢ .

٥٠- تذكر بعض الدراسات ، أن " جى موليه " ، رئيس وزراء فرنسا ، احتفظ بنسخة من كتاب فلسفة الثورة على مكتبة واعتبره آخر ، بمعنى انه مماثل لكتاب "كفاحى" الذى نشره هتلر ، ونفس الشئ فعله " ديفيد بن جوريون " وانظر ، دونالدنيف ، المرجع السابق ، ص٢٧٨ .

٥١- بن جوريون ، المصدر السابق ، ص ٢٥ ، ناحوم جولدمان ، إلى أين تمضى اسرائيل ، ص ٢٦ . سيمور هيرش ، الخيار شمشون (ترجمة ، حسن صبرى ، القاهرة ، ١٩٩١) ص ٢٣ .

٥٢- ايريش فولات، عين داود (ترجمة ، أسيمة جانو،القاهرة ، ١٩٨٧) ص ص ٨٩ - ١١٤ ، سيمور هيرش ، المرجع السابق ، ص ٢٤٠ .

٥٣- راجع ، تفاصيل كثيرة وموثقة جيدا ، هيكل ، ملفات السويس ، ص ص ٢٩٣ - ٣٠١.

٥٤- حول شكوك اسرائيل فى " عبد الناصر " انظر على سبيل المثال :
F. R.U.S. 1952-1954 Vol.1x.The Ambassador in the United Kingdom (Aldrich) to the Department of state (London, May,17,1954. Top Secret).

٥٥- انظر تفاصيل كثيرة وموثقة جيدا ، هيكل ، ملفات السويس ، ص ص ٢٩١ -٢٩٣، انظر ايضا ، جولدا مائير ، المصدر السابق ، ص ص ٢١٣ - ٢٢١ ، وبن جوريون ، المصدر السابق ، ص٤٥٧.

٥٦- انتونى ناتنج ، ناصر (ترجمة شاكر ابراهيم ، القاهرة ، ١٩٨٥) ، جيفرى أردنش، المرجع السابق ، كيت كايل ، معركة السويس (ندوة السويس الدولية ، القاهرة ١٩٨٩) ص ص٣٢٢ - ٣٢٣ .

٥٧- انظر على سبيل المثال :

F.R.U.S. 1952-1954 Vol. 1x. The Department of State to Embassy in Egypt (Washington .,Sept.30,1952. Secret).
F.R.U.S.-1952-1954.Vol. 1x. The Ambassador in Egypt (Caffery) to the Department of state (Cairo, Nov.21,25, 26, 28, Dec. 3,11,13, 1952).

٥٨- محاضر نقاش الباحث مع اعضاء مجلس قيادة الثورة ، خاصة مع عبد اللطيف البغدادى، حسن إبراهيم ، وكمال الدين حسين ، وخالد محى الدين ، وأيضا مع على صبرى نائب رئيس الجمهورية الاسبق ، وانظر تفصيل لهذه الفكرة الهامة فى ، خالد محى الدين ، والآن أتكلم (القاهرة ، ١٩٩٢)

ص ١٩٤ ، ويمكن الوصول بيسر إلى اولوياته واستراتيجيات عبدالناصر في هذه المرحلة من خلال الدراسة التحليلية لوثائق الخارجية الامريكية ، انظر ، رسائل السفير الامريكي " كافري " على سبيل المثال : ما بين يوليو ١٩٥٢ ويوليو ١٩٥٤ ،

F.R.U.S.1952-1954- Vol.1x.f.r.u.s. 1952-1954 - vOL. 1X.

- F.R.U.S. -1952-1954 Vol. 1x. The Acting Secretary of State to the Embassy in the United Kingdom (Washingon , April, 29,1954, Top Secret).

٦٠- انظر على سبيل المثال :

F.R.U.S. 195201954 The. Secretary of State to the Embassies in Egypt and the United Kingdom (Wasshington , April,30, 1954, Top Secret).

٦١- جمهورية مصر ، القضية المصرية ١٨٨٢ - ١٩٥٤ (كتاب وثائقي - المطبقة الأميرية، القاهرة ١٩٥٥) ص ٧٧٥ .

٦٢- وثائق الخارجية المصرية ، ملف رقم ٣/١/٥ ، نص رسالة السفير أحمد حسين إلى وزير الخارجية ، بتاريخ ١١ يونيو ١٩٥٣ ، وثيقة رقم (٧٢) ، مذكرة رقم (٨٧) بتاريخ ١٧ يوليو ١٩٥٣ عن مقابلة السفير المصري لكل من ، كيم روزفلت وبايرود .

- N.S.C. Memorandum , Discussion of the 5248 Meeting (July, 13,1954).

وانظر رفض " عبد الناصر " القاطع لهذا التفسير في :

NEW yORK TIMES (JULY 2O, 1954).

٦٤- فادية سراج الدين ، المرجع السابق ، ص ٣٤ .

٦٥- بن جوريون ، المصدر السابق ، ص ص ٤٥٧ - ٤٥٩ .

٦٦- بن جوريون ، المصدر السابق ، ص ص ٤٥٧-٤٥٩ .

٦٧- نفس المصدر ، ص ٤٥٩ .

٦٨- نفس المصدر ، ص ٤٥٨ .

٦٩- انظر تلاإصيل هام' وموقة م، وثائ الخارجية الامريكية ، فادية سراج الدين، المرجع السابق ، ص ٣٥ .

٧٠- هيكل ، ملفات السويس ، ص ص ٣٠٠ - ٣٠١ .

٧١- سيمور هيرش ، المرجع السابق ، ص ٢٥ ، وانظر ايضا ، ايجال الون ، انشاء وتكوين الجيش الاسرائيلى (ترجمة عثمان سعيد ، بيروت ، ١٩٧١) .
٧٢- وصل اسرئيل خلال الفترة ما بين ١٩٤٨ - ١٩٥٣ مايقرب من سبعمائة الف مهاجر ، انظر محمود رياض ، مذكرات ، ج١ ، ص ١٧ .
٧٣- القضية رقم ١٧٦/٦٧٨ جنايات العطارين ، الاسكندرية ، تخابر عسكرية عليا ، المعروفة بقضية "لافون " المتهم فيها " إبرام دار " المسمى " جون دارلنج " وآخرين .
٧٤- راجع ، موشى ديان ، يوميات معركة سيناء (ترجمة ، محمد على عبد الباقى ، القاهرة، بدون) ص ص ٣٠ - ٣١ ، بن جوريون ، المصدر السابق ، ص ٤٦٠ ، ارسكين تشيلدرز ، المرجع السابق ، ١٢٠ .
٧٥- موشى ديان ، المصدر السابق ، ص ص ٣٠ - ٣١ .
76 - DAYON , M, op. cit, pp.142-144.
٧٧- محضر نقاش مع على صبرى يوم ١٩٩٠/١/٦ .

- F.R.U.S. 1952-1954 VI. 1x . The Ambassador in Egypt (Caffery) to the Department of State (Cairo, Aug.19,1954, Secret).

وثائق الخارجية المصرية ، نص الرسالة رقم (١٣١) من السفير أحمد حسين إلى الدكتور محمود فوزى بتاريخ ١٩٥٤/٩/٣ .
٧٩- وثائق الخارجية المصرية ، نص رسالة السفير أحمد حسين إلى وزير الخارجية بتاريخ ٢٣ اكتوبر ١٩٥٤ ،
F.R.U.S. 1952-1954 Vol. 1x. Doc.No. 1369 (NOV. 15.1954)
أردنش ، المرجع السابق ، ص ١٧٣ .

- F.R.U.S. 1952-1954 Vol. 1x. Ambassador in Egypt (Caffery) to the Department of State (Cairo, Sep.18,1952, Secret), Eveland, W.Ropes of sand (New York , 1980,) 96-1.5.

81 - F.R.U.S. 1952-1954- vOL. 1X. Doc. Nov.1373,1374. ,
مايلز كوبلاند ، لعبة الامم (ترجمة ، مروان خير ، بيروت ، ١٩٧٠) ص ص ١٦٧ - ١٧٠ .

- N.S.C. Memorandum, Discussion of the 174 Meeting (July, I.1953)and see also, New York , Times (May. 27,1953).P>1.

محمود فوزى ، حرب السويس (ترجمة ، مختار الجمال ، القاهرة ، ١٩٨٧) ص ص٣٧-٣٨.

٨٣- اردنش ، المرجع السابق ، ص ص ١٣٧ - ١٦٢ ، هيكل ، ملفات السويس، ص٣٢٤.

٨٤- أرشيف منشية البكرى ، مجموعة تقارير حول أوضاع العراق والاردن ولبنان .

٨٥- نفس الارشيف ، ملف حول تسليح إسرائيل ، يشتمل على عدة تقارير ومراسلات بعضها بتوقيع " عزت جعفر " وجميعها مرفوعة إلى الرئيس " عبد الناصر " شخصيا ، وبعضها مرسل إلى سكرتيرهالخاص أمين شاكر ، وانظر ايضا،

LOVE , K, SUEZ THE TWICE FOUGHT WAR (LONDONG, 1969), PP.289.

٨٦- هيكل ، ملفات السويس ، ص ص ٣٣٠ - ٣٣٨ .

٨٧- لمزيد من التفاصيل ، انظر ، حسن البدرى ، التعاون العسكرى المشترك (الرياض، ١٩٨٢) ص ص ٧٤ - ٧٦ .

٨٨- دونالدنيف ، المرجع السابق ، ص ٤٢ ، وانظر ايضا ، جولدا مائير ، المصدر السابق ، ص ٢٢١ .

٨٩- راح ضحية هذه الغارة (٣٢) جنديا مصريا ، وفى تقديرات أخرى (٣٩) بالاضافة إلى عدد من الجرحىالعسكريين والمدنيين ، انظر ، عبد الرحمن الرافعى ، ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ (القاهرة ، ١٩٥٩) ص ص ١٤١ ، ١٤٣ ، دونالدنيف ، المرجع السابق ، ص ص٣١-٣٨ ، ٥٩ .

- F.R.U.S. 1955 - 1975 Vol. The Department of State to the Embassy in Israel (Washington , Feb. 14,1955).

٩١- انظر على سبيل المثال ، وثائق الخارجية المصرية ، رسالة السفير أحمد حسين إلى وزير الخارجية بتاريخ ١٩٥٣/١٢/٣ ، تحمل نص مذكرة (ايفلاند) عن موقف الولايات المتحدة من امداد مصر بالاسلحة ، ترجمها أحمد حسين وارسلها إلى عبد الحكيم عامر بتاريخ ١٩٥٣/١٢/١٨ ، ملف رقم (١٧٠) خاص بشراء الاسلحة .

٩٢- كان " عبد الناصر" من خلال السفير المصرى فى واشنطن ، يستفز إدارة ايزنهاور بين الحين والآخر بانه سيضطر إلى اللجوء إلى الاتحاد السوفيتى ليعطيه السلاح ، ولقد استخدم فى هذه العملية أيضاالسفير كافرى وكذا

رجال المخابرات الامريكية الذين كانوا يترددون على بجوازات سفر دبلوماسية .

٩٣- راجع .

Yado fat, A., Arab Politics in Soviet Mirror (New Jersy 1973), PP35 - 36 ; Behbhani, H., The Soviet Union and Arab Nationalism. 1917 - 1960 (London 1968).

٩٤- محمد حسنين هيكل ، حكاية العرب والسوفيتى (الكويت ، ١٩٧٩) ص ص ٤٣ -٤٥.

٩٥- خطب وتصريحات عبد الناصر ، الجزء الاول ، ١٩٥٢ - ١٩٥٨ ، ص ص ٣٤٧٣٥.

٩٦- نفس المصدر ، ص ٣٤٩ .

٩٧- الرافعى ، المرجع السابق ، ص ١٦٣ .

٩٨- راجع ، مايكل بريشر ، نظام السياسة الخارجية الاسرائيلية (ترجمة مركز البحوث، القاهرة ، ١٩٧٤) ص ٥٧٠ .

٩٩- هيكل ، ملفات السويس ، ص ٣٥٦ .

١٠٠- نفس المرجع ، ص ص ٣٥٦ - ٣٥٧ .

١٠١- دونالحنيف ، المرجع السابق ، ص ١٣٤ ، انظر ايضا ، ديان ، يوميات ، ص ص٣٢ - ٣٤ .

١٠٢- ديانه ، يوميات ، ص ٣٤ .

١٠٣- نفس المصدر ، ص ٣٢ .

١٠٤- انظر:

DAYAN , M., OP. CIT. , P. 159.

١٠٥- دونالدنيف ، المرجع السابق ، ص ١٣٤ .

١٠٦- راجع ، ديان ، يوميات ، ص ص ٣٢ - ٣٤ .

١٠٧- هيكل ، ملفات السويس ، حرب ٣٦١ وانظر أيضا عبد الحميد أبو بكر ، قناة السويس والأيام التى هزت الدنيا (القاهرة ١٩٧٨ ٩ .

١٠٨- انظر على سبيل المثال :

F.R.U.S.1955-1957 Vol. xV.the Ambassador in Israel to the Department of State (Tek AVIV Oct. 14. 1955) see also WhElock, K. Nasser;s New Egypt (London 1960,). p.233.

١٠٩- راجع ، دونالدنيف ، المرجع السابق ، ص ١٣٥ ، جولدا مائير ، المصدر السابق، ص ص ٢١٩ - ٢٢٠ .

١١٠- نفس المرجع ، ص ١٣٥ .

111- Dayan, M., op, cit.,P, 147 .

١١٢- الرافعى ، المرجع السابق ، ص ص١٦٣ - ١٦٤ ، هيكل ، ملفات السويس. ٣٨٩ .

١١٣- نفس المرجع ، ص ص ١٧٤-١٧٨ .

114- Dayan , M , op , cit, P. 149.

- F.R.U.S. 19550 1957 Vol. xl.V.The Ambassardor in Israel to the Department of State (Tel AVIV , Oct. 14,1955).

١١٦- لمزيد من التفاصيل ، راجع فادية سراج الدين ، المرجع السابق ، ص ١٥١.

١١٧- دونالدنيف ، المرجع السابق ، ص١٢٦ .

١١٨- انظر على سبيل المثال ،

F.R.U.S.1955-1957.Vol. x1v., The Ambassador in Egypt to the Department of State (Cairo , Sept. 21.1955).

١١٩- دونالدنيف ، المرجع السابق ، ص ١٣١ .

١٢٠- راجع ، بن جوريون ، المصدر السابق ، ج٢ ، ص ص ٤٥٩ ، دونالدنيف، المرجع السابق ، ص ص ١٣٢ - ١٣٣ .

١٢١- دونالدنيف ، المرجع السابق ، ص ١٣٧ .

١٢٢- نفس المرجع ، ص ١٤٧ .

١٢٣- نفس المرجع ، ص ١٤٦ .

١٢٤- نفس المرجع ، ص ١٤٩ .

١٢٥- ديان ، يوميات ، ص ٣٣ .

١٢٦- نفس المرجع ، ص ص ٣٣ - ٣٤ .

١٢٧- نفس المرجع ، ص ص ٣٨ - ٣٩ .

١٢٨- نفس المرجع ، ص ٣٩ .

١٢٩- هيكل ، ملفات السويس ، ص ٣٧٦ .

١٣٠- دونالدنيف ، المرجع السابق ، ص ص ٤٠٢ - ٤٠٣ .

١٣١- ديانه ، يوميات ، ص ٣٦ .

٣٢- دونالدنيف ، المرجع السابق ، ص ١٥٣ .

١٣٣- ديان ، المصدر السابق ، ص ٣٥ .

١٣٤- دونالدنيف ، المرجع السابق ، ص ١٤٩ .

١٣٥- محمود رياض ، مذكرات ، ج٢ ، ص ١٣٤ .

١٣٦- نفس المصدر ، ص ص ٧٧-٨٦ .

١٣٧- نفس المصدر ، ص ص ١٣٥ .
١٣٨- نفس المصدر ، ص ص ١٣٤ - ١٣٥ .
١٣٩- نفس المصدر ، ص ١٣٥ .
١٤٠- روبرت اندرسون ، رجل اعمال من تكساس ، تولى منصب وزير البحرية عامى ١٩٥٣-١٩٥٤ ثم أصبح نائب وزير الدفاع حتى يوليو ١٩٥٥ ، وخلط جورج همنرى كوزير للخزانة .
١٤١- تعليق هيكل على محاضرة ، كيث كايل ، وثائق ندوة السويس الدولية ، ص٣٣٦، دونالدنيف ، المرجعالسابق ، ١٦٧ .
١٤٢- دونالدنيف ، المرجع السابق ، ص ص ١٧٣ - ١٧٤ .
١٤٣- مدينة تريستا تقع فى الشمال الشرقى من ايطاليا وامكن بالوساطة الوصول فيها إلى تسوية بين يوغوسلافيا وايطاليا .
١٤٤- كيث كابل ، المرجع السابق ، ص ص ٣١٩ - ٣٢٠ .
١٤٥- تردد هذا المعنى كثيرا فى وثائق الخارجية الامريكية حتى بعد باندونج ، وبعد عقد صفقة الاسلحة التشيكية ، انظر عل ى سبيل المثال :

F.R.U.S. - 1952- 1954. Vol. Ix. The Secretary of State to Embassy in Egypt (Washington, Sept.30,1952), F.R.U.S. 1955-1957 Vol.x1v. Memorandum of .
OF A CONVERSATION ,DEPARTMENT OF STATE (WASHINGTON, OCT, 17,1955).
146- F.R.U:S. 1955-1957 . Vl. xlV. Ambassador in Egypt to the Department of State (Cairo Sep. 21,1955).

147- Ibid.

- F.R.U.S. 1955-1957 . Vol. xlV. The Ambassador in Egypt to the Department of State (Sep.20,1955).
- Ibid.F,R,U.S. 1955-1957 .Vol. x IV. MEMORANDUM OF A CONVERSATION, DEPARTMENT OF STATE (WASHINGTON , Nov. 21,1955).

١٥٠- كيث كايل ، المرجع السابق ، ص ص ٣١٩ - ٣٢٤ .
١٥١- نفس المرجع ، ص ٣٢٣ .
١٥٢- دونالدنيف ، المرجع السابق ، ص ١٧٢ .
١٥٣- انتونى ايدن ، مذكرات ، (الجزء الثانى ، ترجمة خيرى حماد ، بيروت ، ١٩٦٠) ص ٢٢٩ ، دونالدنيف ، المرجع السابق ، ص ١٦٧ .

١٥٤- هيكل ، المفاوضات السرية ، ج ٢ ، ص ص ٧٠-٧١ .
٥٥- دونالدنيف ، المرجع السابق ، ص ١٧١ .
١٥٦- هيكل ، المفاوضات السرية ، ج٢ ، ص ٧١ .
١٥٧- نفس المرجع ، ص ٧٤ .
١٥٨- لمزيد من التفاصيل ، انظر ، نفس المرجع ، ص ص ٧٢ - ٧٤ .
١٥٩- دونالدنيف ، المرجع السابق ، ص ص ١٧٩ - ١٨١ ، هيكل ، المفاوضات السرية ج٢، ص ص ٩٥ - ٩٧ .
١٦٠- لمزيد من التفاصيل ، انظر ، هيكل ، المفاوضات السرية ، ج٢ ، ص ص٦٩-٧٠.
١٦١- أرشيف منشية البكرى ، ملف عروض اسرائيلية ، مذكرة مرفوعة من زكريا محي الدين الى الرئيس " عبد الناصر " بخصوص مهمة اندرسون ، بتاريخ ١٩٥٦/٣/١٥ .
١٦٢- محضر نقاش مع على صبرى يوم ١٥ ، ١٩٩٠/٤/١٧ ، ولم تختلف فى الواقع روايته عما ورد فى وثائق الخارجية الامريكية .
١٦٣- نفس المصدر فى ١٩٩٠/٤/١٧ ، انظر ، هيكل ، المفاوضات السرية ، ج٢، ص ص ٩٦ - ٩٧ .
١٦٤- نفس المصدر ، وانظر تفاصيل أخرى ، فادية سراج الدين ، المرجع السابق ، ص ص ٢٠٤ - ٢٠٥.
١٦٥- نفس المصدر .
١٦٦- طلب عبد الناصر من " اندرسون " ألا يقصد فى رحلاته المكوكية ، الطريق من القاهرة إلى تل ابيب مباشرة ، وأشار عليه بأن يتوقف فى قبرص أو اثينا . المصدر السابق . ونفس الملاحظة ذكرها هيكل، ملفات السويس ، ص ٣٨٩ .
١٦٧- وردت الاشارة بهذه الصورة فى محضر نقاش مع صبرى يوم ١٩٩٠/٤/١٧ ، وأوردتها بعد ذلك فادية سراج الدين ، نقلا عن رسالة " لاندرسون " إلى الخارجية الامريكية ، بتاريخ ٢٢ يناير ١٩٥٦ .
١٦٨- حضر نقاس مع على صبرى ١٩٩٠/٤/١٧ ، وانظر ، دونالدنيف ، المرجع السابق ، ص !٨١ .
١٦٩- نفس المصدر .

١٧٠- هيكل ، المفاوضات السرية ، ج٢ ، ص ص ٩٩-١٠٠(وتفاصيل اخرى فى ملفات السويس ، ص ص٣٨٩ - ٣٩٠ .
١٧١- محضر نقاش مع على صبرى يوم ١٩٩٠/٤/١٧ .
١٧٢- نفس المصدر .
١٧٣- راجع تقييم " كيم روزفلت ، المرجع السابق ، ص ١٧٩ .
١٧٤- انظر ، هيكل ، ملفات السويس ، ص ص ١٦٩ - ١٧٠ .
١٧٥- اشارت الوثيقة التالية بوضوح ، لاسباب كراهية الغرب لعبد الناصر ، راجع،
F.R.U.S. 1955-1957 - Vol. XV. Memorandum by the Director of the Office of Near Eastern Affairs (Washington March. 14.1956).
١٧٦- كلود جوليان ، فرنسا وأزمة السويس ، وثائق ندوة السويس الدولية ، ص ص١٧٦ - ١٩٠ ، وحول دعم ثورة يوليو لثوار الجزائر ، انظر ، فتحى الديب ، عبد الناصر وثورة الجزائر (القاهرة ، ١٩٨٤).
١٧٧- راجع ، هيكل ، ملفات السويس ، ص ص ٤١٣ - ٤١٥ ، حلوب ، مذكرات ١٨٩٧- ١٩٨٣ (اعداد طه التكريتى ، بغداد ، ١٩٨٨) .
١٧٨- حول محاولة وكالات المخابرات الغربية تصفية " عبد الناصر " بعد فشل مهمة اندرسون، انظر ، بيتر رايت ، صائد الجواسيس (ترجمة محمد مصطفى شردى ، القاهرة ، ١٩٨٨) ص ٥٠ ، هيكل ، تعليق على محاضرة ، كيف كايل ، المرجع السابق، ص ص ٣٤٠-٣٤١ .
١٧٩- وثائق الخارجية المصرية ، نص رسالة السفير أحمد حسين إلى وكيل الخارجية ، نص الصورة فىأرشيف منشية البكرى ، بتاريخ ١٩٥٦/٤/١٩، انظر ايضا ، أرسكين تشيلدرز، المرجع السابق ، ص١٧٤ .
١٨٠- جندت اسرائيل " اندرياس " متعهد الحفلات الرسمية ، وكان يعمل بمحل "جروبى" وكلفته بأن يدس السم " لجمال عبد الناصر " ومع انه فعل ما كلف به ، لكن اعصابه اهتزت فى اللحظة الأخيرة وكشفت المؤامرة .
١٨١- انظر ، جمال شقرة ، الحركة السياسية فى مصر ١٩٥٤ - ١٩٦١ ، ص ٣٧٧ ، ناتنج ، المرجع السابق ، ص ص ١٧٣ - ١٧٤ .
١٨٢- وثائق الخارجية المصرية ، نص رسالة السفير المصرى أحمد حسين إلى وكيل الخارجية الدائم يوم ٢ اغسطس ١٩٥٦ ، محمود رياض ، م كرات ج٢ ، ص ص ١٣١-١٣٢.

١٨٣- راجع هنرى أرو ، فخ السويس (ترجمة ، محمود حسن ابراهيم ، القاهرة ، ١٩٦٦) ص ١٣٣ .

١٨٤- أوضح " بيتر رايت " ، أنه أمكن التجسس على السفارات المصرية قبيل تأميم قناة السويس، راجع ، ص ص ٥٠ - ٥٣ .

١٨٥- محضر نقاش مع على صبرى يوم ١٩٩٠/٤/١٧ ، وانظر نص محاضرة ديمتشنكو ، موقف الاتحاد السوفيتى من أزمة السويس ، وثائق ندوة السويس الدولية، ص ص٨٣-٩٠ .

١٨٦- وثائق الخارجية المصرية ، نص رسالة للسفير أحمد حسين بتاريخ ١٩٥٦/٨/٢ إلى وكيل وزارة الخارجية الدائم ، الصورة محفوظة فى ارشيف منشية البكرى . وأنظر ايضا

Love, K., op. cit. pp. 326. Finer , H, Dulles over Suez (London 1964p.60 .

١٨٧- ديان ، يوميات ، ص ص ٢٨ - ١٩ ، ١٠٠ - ١٠١ ، دونالدنيف ، المرجع السابق ، ص ١٤٧ .

١٨٨- نفس المصدر ، ص ص ٢٨ - ٢٩ ، انظر أيضا ، جولدا مائير ، المصدر السابق ، ص ٢١٥ .

١٨٩- دونالدنيف ، المرجع السابق ، ص ١٥٠ ، جولدا مائير ، المصدر السابق ، ص٢١٩ .

190– Dayan, M., op. cit. p.149.

١٩١- ديان ، يوميات ، ص ٩٥ .

192 - Dayan , M, op.eit .

جولد مائير ، المصدر السابق ، ص ص ٢٢٢-٢٢٣ .

193 - Ibid. pp.149- 150.

١٩٤- ديان ، يوميات ، ص ٩٥ ، وانظر ايضا ، جولدا مائير ، المصدر السابق ، ص ص ٢٢٢ -٢٢٤ .

١٩٥- حول الخطط العسكرية " ٧٠٠ وانتهاء بالخطة فارس المعدلة ، ومرورا بالخطة هاميلكار، وفارس ، وأومليت ، وتلسكوب " انظر ، وزارة الدفاع ، حرب العدوان الثلاثى على مصر (ج١ ، القاهرة ، ١٩٩٢) ص ص ١٠٥ - ١١٣ . وانظر ايضا ،

Day an, M., Op. cit . 151-194.

196 - day an , M. Op. cit. pp. 190.-193 ,.

١٩٧- وزارة الدفاع ، المصدر السابق ، ص ص ١٠٥ - ١١٣ .

١٩٨- نفس المصـدر ، ص ص ٨٥ - ٩٤ . وانظـر ، ديـان ، يوميـات ، ص ص ٩٥-١٠٠ .

١٩٩- حول اجتماع التواطؤ فى " سيفر " انظر ،
جولدا مائير ، المصدر السابق ، ص ص ٢٢٢ - ٢٢٣ .

٢٠٠- راجع ، وزارة الدفاع ، المصدر السابق ، ص ص ٨٥ - ٩٤ .

٢٠١- نانتج ، المرجع السابق ، ص ٢٣٢ .

٢٠٢- نفس المرجع ، ص ص ٢٣٠ - ٢٣٣ .

◆ الفصل الثالث ◆

أثر دعم مصر للثورة الجزائرية على مشاركة فرنسا فى العدوان

د . السيد فليفل

مقدمة

تتعلق ورقتى هذه بدراسة تأثير دعم مصر المادى والمعنوى للثورة الجزائرية الرامية الى الاستقلال ، وإجلاء فرنسا عن الجزائر ، على قرار فرنسا بالتحالف مع كل من بريطانيا وإسرائيل فى شن هجوم عسكرى واسع النطاق على مصر ، فى مؤامرة ثلاثية كاملة ، عرفت باسم العدوان الثلاثى ، جرى الإعداد لها فى ضاحية سيفر قرب باريس ، فى مؤشر واضح على دور فرنسا الفاعل فى الجمع بين الشريكين المتآمرين ، وذلك انتقاما من مصر وقيادة ثورتها ، التى بادرت بدعم الجزائر وثوارها .

وبداية فإن دراسة هذا شأنها تكتنفها عدة مصاعب ، منها ما يتعلق بنقص المادة العلمية الوثائقية ، لاسيما الفرنسية منها ، لما ظهر من رغبة فرنسا فى تجاوز آثار الأزمة ، والفشل الذريع فيها من ناحية ، وتحاشيها إصدار الوثائق الحقيقية الكاملة التى تبين الرابط بين الدعم المصرى للثورة الجزائرية ، وعدوان فرنسا على مصر ضمن المؤامرة الثلاثية من ناحية أخرى. وقد يمكن علاج هذا النقص الوثائقى الفرنسى ، بالعديد من الدراسات الوثائقية المصرية وغير المصرية ، كما يمكن البحث عن الرابط بين الدعم المصرى والعدوان الفرنسى ، من خلال قراءة جيدة للأحداث التاريخية فى الفترة السابقة على العدوان .

ومن المصاعب التى تكتنف الدراسة كذلك ما يتعلق بالمنهج المقترح للبحث عن الدعم المصرى للثورة الجزائرية ، ومدى تأثيره على مشاركة فرنسا فى العدوان الثلاثى على مصر عام ١٩٥٦ . فقد يحق لنا أن نتساءل : هل كان هذا الدعم هو السبب الوحيد فى تلك المشاركة ؟ أم أن هناك أسبابا أخرى تقف وراء هذه المشاركة؟ وهى أسباب ربما رآها البعض لاتقل أهمية عنه فى حفز فرنسا على الاضطلاع بدور فعال فى العدوان . فهل لم يكن لقرار التأميم أثر فعال فى حفز فرنسا إلى المساهمة فى العدوان الثلاثى ؟ ولماذا

لاتكون خسارتها لمكانتها الأدبية فى شركة قناة السويس ، بحكم وجود مجلس إدارتها فى باريس سببا فى تورط فرنسا فى العدوان الثلاثى ؟

كذلك يحق لنا أن نتساءل : ألا يمكن اعتبار أن رغبة فرنسا فى الحفاظ على وصفها كدولة استعمارية كبيرة ، وعدم السماح باعتلاء القوتين الجديدتين - الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى- بمفردهما الهيمنة الدولية فى الشرق الأوسط على حساب كل من بريطانيا وفرنسا، كانت وراء تورطها فى العدوان ؟

ومن الواضح أن كل تلك الأسباب تدعونا إلى قراءة سريعة فى دوافع فرنسا الحقيقية ، وأكاد أجزم أن ذلك يزيد الأمر صعوبة - من الناحية المنهجية . فالدوافع الحقيقية وراء الأحداث تختلف كلية عن الذرائع والادعاءات ، التى توظفها الدول لتحقيق أهدافها ، وتخفى بها تلك الدوافع ، حتى لتغدو الذرائع ستارا كثيفا تخفيها فلا تكاد تبين . وإذا كانت الدول تخفى دوافعها الحقيقية ، فإن قسما كبيرا من هذه الدوافع - لاسيما فى حالات الإخفاق والفشل - يتعلق بصانعى القرار ، وما يسيطر عليهم من اتجاهات عدوانية ، أو عقد نفسية ، أو حتى أوهام وتخيلات مرضية ، ناهيك عن نصيب الدول نفسها من تلك العقد فى حالات التحول والضعف . وعند هذا الحد تصبح مهمة المؤرخ أشد صعوبة ، حتى ليصبح مطالبا ببذل أقصى درجات الضبط التاريخى والدقة المنهجية .

ولهذه الأسباب كلها أقترح أن تقسم الورقة إلى بضع نقاط فرعية ، بهدف التحقق من الدوافع الفرنسية للمشاركة فى العدوان الثلاثى ، ثم منزلة المصرى بالنسبة للثورة الجزائرية بين هذه الدوافع ، وأخيرا قراءة فى أحداث الدعم المصرى ورد الفعل الفرنسى إزاءه فى محاولة للوصول إلى نقطة الأزمة ، والمتمثلة فى اتخاذ فرنسا لقرار المشاركة فى العدوان الثلاثى .

أولا - قراءة فى دوافع فرنسا للمشاركة فى العدوان الثلاثى :

كانت مشاركة فرنسا فى العدوان الثلاثى على مصر مدعاة لتأمل بعض المؤرخين للنظر فى أسبابها ودوافعها ، بيد أنهم لم يتفقوا على اعتبار سبب واحد هو الأصل والأساس فى حفز فرنسا على إتخاذ هذ الخطوة .

والواقع أن هناك مجموعة متنوعة من الدوافع التى يمكن النظر اليها باعتبار أنها وقفت وراء مشاركة فرنسا فى العدوان الثلاثى على مصر ، على اختلاف مدى كل منها ، وإسهامه فى التأثير على القرار الفرنسى بالمشاركة فى هذا العدوان . فهناك

قرار عبد الناصر بتأميم قناة السويس فى ٢٦ يوليو ١٩٥٦ والذى شكل نوعا من الإهانة البالغة لقوى التحالف الغربى بشكل عام ، ولبريطانيا وفرنسا بشكل خاص ، كما أنه كان يمس مصالح الولايات المتحدة المتنامية فى بترول الخليج ، وممره الدولى الهام كان قناة السيوس . ويمكن النظر إلى هذا الدفاع باعتبار أن فرنسا كان عليها أن ترد عليه بوسائل شتى ، تبدأ بالاستنكار والرفض ، وتمر بتجميد الأرصدة والمقاطعة الاقتصادية ، وتنتهى باستخدام القوة العسكرية . وهنا قد يظن البعض أن إستخدام القوة العسكرية هو أقصى إجراء يمكن أن ترد به فرنسا على قرار ناصر بتأميم القناة ، ولكن هذا يعطى لقرار التأميم مظهرا خادعا باعتباره السبب المباشر والدافع الرئيسي وراء مشاركة فرنسا فى العدوان الثلاثى(١). والحقيقة أن فرنسا كان لها وضع أدبى ممتاز فى شركة قناة السويس من حيث أن مقر الشركة كان فى باريس ، وذلك لاعتبارات تاريخية أملتها ظروف تأسيس الشركة بمعرفة ديليبس ، ولكن أى مراجعة دقيقة للوضع المادى الشامل ، والمالى بصفة خاصة ، سوف تثبت أن فرنسا لم تكن تمتلك مصالح فعلية فى القناة تفوق المصالح البريطانية ، ثم أنها لم تكن اكثر استخداما لطريق القناة لا من بريطانيا ولا من الولايات المتحدة(٢) .

وبذا فان تأميم القناه لم يكن السبب الفاعل فى قرار فرنسا بالمشاركة فى العدوان الثلاثى ، على الأقل بمفرده ، إذ لابد أنه كان بحاجة الى دوافع اساسية اكثر قدرة على إثارة فرنسا وحفزها للمشاركة فى العدوان . واذا ما نظرنا الى الموقف الامريكى بصفة خاصة والذى لم يكن يقل حنقا على قرار التأميم ، إلا أنه آثرة إدارة الصراع بغير طريق العنف ، على الرغم من مصالح الولايات المتحدة فى الخليج والقناة ، واستهدافها الهيمنة على المنطقة العربية تحت مسمى مشروعات الأحلاف فى الشرق الأوسط على زعم مقاومة المد الشيوعى . فكل هذا يثبت أنه اذا كانت الولايات المتحدة قد عزفت عن إستخدام العنف فى هذه المرحلة ، فقد كان بوسع فرنسا ايضا ألا تستخدم العنف اذا نظرنا الى هذا الدافع باعتباره الدافع الوحيد ، وأن تكتفى بالنكاية لمصر بدعم إسرائيل ، وإمدادها بالسلاح ، وهو ما بدأ فى فبراير ١٩٥٥(٣).

واذا ما نظرنا الى غير ذلك من الدوافع لوجدنا أن فرنسا كانت تعانى معاناة شديدة على الصعيد الدولى من جراء تنامى حركات الرفض الوطنى الأفريقى والأسيوى لوجودها الإستعمارى ، مثلما حدث فى فيتنام ، ومثلما كان يحدث فى الأرض الأفريقية بكافة مستعمراتها . وقد تتابعت عمليات المقاومة للوجود الفرنسى، مع تنامى حركة المد الوطنى فى المستعمرات الافريقية بعد الحرب العالمية الثانية ،

وبعد أن وقفت المستعمرات مع مبدأ تحرير فرنسا ، وبذلت فيه جنودها وابناءها ، وإمكانياتها ، ومن ثم كان يحق لها التطلع الى نيل حقها فى الإستقلال ، وهو الحق الذى يعنى إنهيار الامبراطورية الفرنسية ، وفيما يتعلق بالشمال الأفريقى فقد شهدت بلاد المغرب العربى الخاضعة للاستعمار الفرنسى من تونس فى الشرق الى المغرب. فى الغرب مرورا بالجزائر فى القلب وموريتانيا فى الجنوب ثورة هائلة ضد الاستعمار الفرنسى ، كان جزاؤها ردا فرنسيا عنيفا ، لم تكتف القوات المسلحة بدورها فيه ، بل سمحت للمستوطنين بالاسهام بنصيب واف من اجراءات القمع بشكل جعل المواجهة الوطنية الفرنسية حتمية(٤).

ومع تراجع فرنسا فى مستعمراتها كانت تشعر بأن إمبراطوريتها تتقلص وتأخذ طريقها نحو الإنهيار . وقد أدركت فرنسا أن إنهيار إمبراطوريتها يتسارع فى كل مكان ، وقررت أن تتراجع تكتيكيا فى أماكن شتى ، وأن تتخندق إستراتيجيا فى درة مستعمراتها – الجزائر(٥).

وكان ملحوظا فى ذلك الوقت أن تأميم عبد الناصر لقناة السويس لاينفصل مطلقا عن تراجع مكانة فرنسا الدولية وإنهيار إمبراطوريتها الأفريقية ، فقد كان التأميم ينهى الدور التاريخى الفرنسى فى قناة السويس أهم شرايين الملاحة الدولية على الإطلاق(٦). وارتبط بهذين الدافعين إدراك فرنسا الواضح لسياستى الولايات المتحدة الامريكية والاتحاد السوفيتى للحلول محل القوى الإستعمارية القديمة ، باعتبارهما القطبين الجديدين فى الساحة الدولية ، وكأقوى ممثلين لأهم الايديولوجيات فى هذا الوقت ، الاشتراكية من ناحية والرأسمالية الليبرالية من ناحية أخرى . فقد سعت القوتان الى الانتشار الاستراتيجى فى كل مكان متاح فى العالم ، وعلى حساب بريطانيا وفرنسا بالأساس ، وبينما كان الأتحاد السوفيتى بحاجة الى القوى التقدمية والوطنية المناهضة للاستعمار كانت هذه القوى بحاجة اليه سواء للتخلص من الاستعمار القديم أو مقاومة محاولة الهيمنة من الاستعمار الجديد(٧).

وقد كان عبد الناصر – بمحاولاته الدؤوبة لإجلاء بريطانيا عن مصر – مضطرا الى الاستعانة بالقوة الأمريكية الجديدة للمساعدة فى هذا الشأن ، وهو ما خفى على البعض ، حين نظر الى إرتباطاته الأمريكية باعتبارها نوعا من العمالة . والواقع أن ناصرا كان محدد الهدف ومدركا لقواعد التوازنات الدولية ، ولم يزد عن استثمارها بذكاء شديد ودهاء متوقد ، فاستخدم أمريكا لإقصاء بريطانيا وإستخدم الإتحاد السوفيتى لإقصاء أمريكا . ولكونه مدرسا للتاريخ والتكتيك فى الكلية الحربية

يشرح ويفسر علاقاته بهذه القوى ، ويجعل الغلبة فى تقييم موقفه من هذه القوى جميعا لإنتمائه الوطنى الغلاب ومشاعره العربية الاصيلة . فهذان هما محور أدائه فى علاقاته الخارجية : الوطنية المصرية ،والقومية العربية . ومن ثم لم تكن علاقاته الامريكية أو السوفيتية إلا أدوات لتعضيدهما ودعمهما وتثبيت أقدامهما. وفى هذا الإطار يمكن النظر الى موقفه من إسرائيل ورغبته فى بناء جيشه وإتجاهه، بالتالى إلى طلب السلاح من القوى الغربية ، التى كان تناقضه معها جوهريا لانه كان يطلب منها حقوق وطنه ، ومن ثم إعتبرته عدوا ، فكانت صفقة الأسلحة التشيكية سنة ١٩٥٥(٨) ، مؤشرا هاما على تناقض جوهرى بينه وبين الغرب ، وكانت كذلك مؤشرا على تناقض ثانوى بين القوى الغربية رغم ما بينها من تحالف فامريكا وروسيا رغبتا فى الحلول محل بريطانيا ، وبينما كانت القوى الغربية تتصدى للمد السوفيتى كانت الولايات المتحدة على رأس هذه القوى تضع نفسها فى منزلة أسمى ومكانة أعلى بالنسبة لبريطانيا وفرنسا سواء فى منطقة الخليج أم فى منطقة الهلال الخصيب ، حيث اسرائيل ، أم فى مصر ، حيث قناة السويس . وقد أدركت فرنسا هذا وعلمت أن الهيمنة والمد السوفيتى راحا يستندان إلى نزعة ناصر التحررية ، وإلى انتمائه القومى لإقصاء بريطانيا وفرنسا . ولهذا عارضت فرنسا بقوة صفقة الأسلحة التشيكية وشنت على ناصر حملة شعواء متهمة إيا بالترويج للشيوعية ، كما عارضت سياسة الأحلاف الأمريكية ، سيما حلف بغداد وبهذا تناقضت فرنسا مع إجراءات الهيمنة الأمريكية والمد السوفيتى ورأت فى اتصال امريكا بعبد الناصر لإقناعه بسياسة الأحلاف خطرا على موقفها الاستراتيجى دوليا ، كما رأت فى اتصالات بالاتحاد السوفيتى خطرا على موقفها ضمن التحالف الغربى(٩).

ولقد كان للمد القومى العربى دور راجح فى سياسة ناصر التحررية التى اعتبر أنها سياسة شاملة متكاملة ، إذ لايمكن تحرير التراب المصرى ولا الإرادة المصرية ولا الاقتصاد المصرى، بينما ترزح البلاد العربية تحت الاحتلال الغربى ، وتتواجد فى ليبيا قواعد بريطانية وامريكية ، وكذا فى الخليج ، كما تهيمن فرنسا على مقدرات بلاد المغرب العربى وتحتل أراضيه وبذا كانت سياسة عبد الناصر القومية لاتتجزأ عن سياسته التحررية فى مصر(١٠). وبينما كانت هذه السياسة تحقق تقدما على حساب القوى التقليدية القديمة ، بريطانيا وفرنسا كانت القوى الجديدة تتسا مراكز الهيمنة والنفوذ وهو ما جعل عبد الناصر أقرب ما يكون الى السير على

الأشواك فى محاولة منه للتخلص من الاستعمار القديم مع عدم الوقوع فى دائرة الهيمنة الجديدة حفاظا على إستقلال قراره .

كان عبد الناصر إذن بسياسته العربية ودعمه لثوار الجزائر والمغرب وتونس فى القلب من أزمة فرنسا فهى تستطيع أن تعتدى عليه ، ولكنها لاتستطيع أن تعتدى لا على امريكا ولا على روسيا . ويمكن القول بأن التصدى لناصر كان تصديا أيضا للهيمنة الامريكية والسوفيتية ومحاولة من فرنسا لتثبيت أوضاعها فى المنطقة ، والمحافظة على ما تبقى من امبراطوريتها ، والتأكيد على أنها لاتزال موجودة ، وأنها لاتقبل أن تؤكل مكانتها الدولية قضمة فقضمة . وكانت نقطة التمترس الفرنسية الأساسية فى الجزائر ، التى راح عبد الناصر يثبت اليها مناوشا ومناوئا، بينما كانت مغامرة فرنسا مع حليفتها بريطانيا واسرائيل فى العدوان الثلاثى وثبة هجومية إنفعالية هى إلى اليأس والمقامرة أقرب منها الى العمل الاستراتيجى المحسوب . إذ ظن جى موليه رئيس وزراء فرنسا أنها ستوقف انهيار الامبراطورية ، وتتصدى للهيمنة الامريكية والسوفيتية ، وتنهى نظام ناصر ، وتدفن معه المد القومى العربى والروح التحررية ، وتحسن أوضاع فرنسا فى الجزائر معا وبضربة واحدة(١).

وعلى الرغم من أن هذه الحسابات كانت خاطئة بالكلية ، فإن المرء يعجب أن تتفق عليها ثلاث دول من ناحية ، وأن ينفذها عتاة القادة الاستعماريين من كبار سياسيى اوروبا الذين عركوا المسرح الدولى على زمن الحرب العالمية الثانية من طراز جى موليه فى فرنسا وأنطونى ايدن فى بريطانيا(١٢). ولهذا فإن التفكير فى مؤامرة العدوان الثلاثى والمشاركة فيها كانت تشكل أزمة الدولتين الى أبعد مدى ، وتجسد درجة تردى أوضاعهما الدولية . وتكاد المواجهة فى هذه الحرب أن تكون بين الماضى والمستقبل ، ماضى القوى الإستعمارية ومستقبل حركة المد القومى العربى ومستقبل قوى عدم الانحياز والحياد الايجابى التى جسدها ناصر ، واخيرا مستقبل القطبين الأمريكى والسوفيتى ، وتلك ملامح عالم الحرب الباردة على وجه الدقة . وباختصار شديد كان ناصر هو الملمح البارز لقوى العالم الثالث يستند على القوى الناشئة للقطبين الجديدين ، وكلما تأكدت ملامحه ، إختفت بالتالى ملامح القوى التقليدية . ومن ثم كان التناقض واقعا لا محالة . ومع هذا يحق لنا أن نتوقع أن يكون موقف بريطانيا - التى طردت من قاعدتها العسكرية فى قناة السويس ، وجاء تأميمها مؤكدا لهذا - أكثر قوة من موقف فرنسا ، التى لم تتعرض لهذا الموقف تفصيلا وعلى ذلك فلابد أن الموقف الفرنسى المتحفز للمشاركة فى العدوان الثلاثى لم ينطلق من دافع الانتقام من ناصر نتيجة لتعديل الأوضاع الدولية ضد

مصلحة فرنسا ، ولصالح القطبين الجديدين فقط ، وهنا يمكن النظر الى دافعية التناقض المباشر بين شخصيات صناع الاحداث من ناحية والموقف فى الجزائر من ناحية أخرى(١٣) .

فأما عن صناع الأحداث فى الغرب فإن التناقض بينهم وبين عبد الناصر كان بالغ الوضوح ، سواء فى الأهداف العليا لكل منهم ومدى تناقضها مع الأهداف العليا لناصر ، أو فى البنية العقائدية والتوجهات الفكرية والسياسية للطرفين ، ناهيك عن البنية النفسية لقيادات الاستعمار الغربى ، حين تلتقى بالبنية النفسية الثائرة لعبد الناصر ، وشخصيته الواثقة القادرة الطموحة ، بما لها من بريق ذاتى وسحر شخصى واعتداد بالتاريخ المصرى والعربى وانتهاج نهج شديد الصلة بقيم أهل الصعيد المعتدين بكرامتهم والمعتزين بعزتهم ،(١٤) والذين لايتهاونون فى حق لهم لدى طرف أيا كان . فاذا ما أضفنا الى ذلك كله أن عبد الناصر - كان مثل حركة الثورة والحياة والمد القومى فى عنفوان فتوته ، كان جى موليه وانطونى أيدن فى مرحلة الشيخوخة والكهولة . ومع اختلاف التكوين والمستهدفات والنوازع والإرادات كان الصدام حتميا، وكانت دوافع عبد الناصر الى إسترداد الحقوق الوطنية المصرية والقومية العربية والقارية الافريقية(١٥) ، التى يغتصبها جى موليه ويصر عليها ايدن بعدما تهرأت قوى إمبراطوريتهما ، كانت هذه الدوافع لابد متصادمة مع دوافع المغتصبين اللذين تسارعت خطواتهما - رغما عنهما - لتودى بهما وبامبراطوريتهما ، وليخرج عبد الناصر ليس فقط بشخصيه ظافرا ، وبزعامته موطدة، بل أيضا بوطنه منتصرا ، وكذلك بالنظام العربى ، وكذا بعالم الحرب الباردة من ركام العصر الاستعمارى القديم .

أما إذا جئنا إلى الموقف فى الجزائر وتأييد مصر لثورتها ، فنحن بحاجة الى وقفة طويلة للتحليل والتدقيق ، بغرض قياس حجم المصالح الفرنسية فى الجزائر من ناحية وتقييم الدعم المصرى للثورة الجزائرية كدافع رئيسى ورابط بين كل الدوافع سالفة الذكر التى دفعت فرنسا للمشاركة فى العدوان الثلاثى .

ثانيا - تأثير الدعم المصرى للثورة الجزائرية على مصالح فرنسا فى الجزائر:

إذا ما أردنا أن نقيم حجم المصالح الفرنسية فى الجزائر ، للنظر فى مدى تأثير الدعم المصرى للثورة الجزائرية عليها ، فإننا واجدون أنها كانت من الضخامة

والاتساع بحيث أن تعرضها لأى مخاطر كان مؤثرا على فرنسا ووضعها العام فى المجتمع الدولى ، وكذلك على أوضاعها الداخلية ومصالحها الذاتية بحيث باتت تشكل ضغطا رهيبا على الحكومة القائمة آخر الأمر ، حتى إنه يمكن اعتبار هذا الدعم المصرى عاملا جامعا لكافة عوامل الضغط على وضع الإمبراطورية الفرنسية فى العالم وعلى النظام السياسى الفرنسى فى الداخل حتى ليمكن القول بان الانتقام من ناصر كان إنتقاما من ثوار الجزائر بمثل ما كان وقفة مع الحليف الأمريكى ، ومع المقتحم السوفيتى ، كما كان إدراكا للامبراطورية الفرنسية ، وحفاظا على الذات الفرنسية فى أضيق مصالحها(١٦).

لكى يتضح هذا فإن علينا أن نحدد المصالح الفرنسية فى الجزائر على النحو التالى :

كانت الجزائر أقدم مستعمرات فرنسا فى المغرب العربى ، وقاعدة الوجود الفرنسى فى جنوب البحر المتوسط ، ونقطة الإنطلاق صوب غرب افريقيا ومستعمراتها الفرنسية ، كما كانت هى المنطقة التى اعتبر الفرنسيون أنهم نفذوا فيها سياسة الفرنسة والاستيعاب الثقافى بشكل ناجح، حتى غدت الجزائر هى فرنسا وراء البحار(١٧). ولوضعها هذا فقد اندفعت الى فرنسا مجموعات شتى من المستوطنين الذين اتخذوها مستوطنة وصاروا بالتالى جسرا رابطا بين الوطن والارض المستوطنة عبر البحر المتوسط . ومع اكتشاف البترول والغاز فى الجزائر تعمقت المصالح الفرنسية بحيث غدت مفاهيم المواطنين لاتفرق بين الجزائر وفرنسا فقد غدت هى هى . وتوجدت فرنسا مع امبراطوريتها هنالك حتى باتت كأنها تدافع عن نفسها إذ هى تدافع عنها(١٨).

وفى الواقع أن الثورة الجزائرية لم تكن وليدة المرحلة الناصرية ، بل كانت نبت ظروفها، وسابقة على هذه المرحلة بيد أن ناصرا أعطاها زخمها ، وفعل اداءها ، ووحد قياداتها ، وأصل مشروعيتها ، ووفر لها غطاء عربيا وتأييدا دوليا ، حتى جرى تعظيم الانجازات الثورية ، وتلاحقت أحداثها لتوفر وقتا طويلا وتصل بالثائرين إلى تأزيم الوضع أمام فرنسا سواء فى الجزائر أم فى الداخل(١٩).

ولكى ندلل على هذا فما علينا الا أن نرجع بأصول الثورة الجزائرية الى تأسيس جمعية العلماء المسلمين بمعرفة الشيخ عبد الحميد بن باديس والذى إسترشد بالاداء الثقافى للامام محمد عبده وتلميذه رشيد رضا وأصدر جريدتى " الشهاب والبصائر"، داعيا لاستقلال الجزائر وتوحيد الجزائريين فى كتلة إسلامية تقاوم كافة محاولات

المسخ الثقافى والسياسى والاجتماعى الفرنسى للشخصية الجزائرية ، وقد أدى خوف فرنسا على الجزائر الى سوء معاملتها للجزائريين . ففى ذروة إحتفال فرنسا بالأنتصار فى الحرب العالمية الثانية فى الجزائر ومدنها المختلفة رفع المتظاهرون الجزائريون علم بلادهم إظهارا لدورهم فى النصر ، ومدى استقلاليتهم وتمايزهم عن الفرنسيين ، فأوقع الفرنسيون بهم مجزرة بشعة فى مدينة سطيف فى ٨ مايو ١٩٤٥ ، ثم توالت الحملات الفرنسية على الجزائر بشكل متصل بعد ذلك وإزدادت حدتها يوما بعد يوم ، ومع نهاية الأربعينيات ومطلع الخمسينيات توالى تأسيس الأحزاب الجزائرية ، حتى اجتمعت فى يوم ٥ أغسطس ١٩٥٦ قيادات من أحزاب: انصار الحريات الديموقراطية ، الاتحاد الديموقراطى للبيان الجزائرى ، جمعية العلماء المسلمين ، الأحرار المستقلون ، الشيوعيون الجزائرين ، وذلك فى ملعب بلدية الجزائر لتعلن تشكيل جبهة جزائرية(٢٠).

ولكن شابت الاختلافات عمل قيادات العمل السياسية فى الجزائر حتى ظهر شرخ واضح بينها تمثل فى الصراع حول الهوية بين الاتجاه الاسلامى والاتجاه العروبى وحول مدى الصلة بفرنسا وهل تصل العلاقة إلى حد القطيعة والاستقلال أم تستمر الصلة عبر نمط من الحكم الذاتى أو الإدارة الذاتية ، أو مجرد تحسين أوضاع الجزائريين الإنسانية مع بقاء الصلة مع فرنسا كما هى . وبينما كان الشباب أكثر ثورية فإن زعماء من أمثال مصالى الحاج كانوا يميلون الى مجرد المناورة السياسية ويشترطون إزدراء الأفكار التحررية والاستقلالية لهذه القيادات وهو ما أدى الى فصل مصالى الحاج من اللجنة المركزية لرفضه إنضواء الجزائر تحت لواء الحركة العربية التحررية ، وتفضيله إنطواءها على ذاتها باعتبار أن الجزائر تملك وضعا متميزا عن المشرق والمغرب العربيين على السواء(٢١).

ومع الثورة المصرية تهيأت الجزائر لاستقبال داعم مؤثر ودعم فياض ، ومع أن ناصرا لم يصطنع ثورة الجزائر فانه أعطاها جذوتها ونفخ فى اوارها ، وهيأ لها القدوة ونموذج التفعيل والقدرة(٢٢).

وعندما تأكدت فرنسا من دور مصر فى دعم الثورة الجزائرية من مؤشرات عدة، ظهرت دلالالتها الاعلامية من اذاعة صوت العرب بالقاهرة ، ودلالاتها العسكرية من القاء القبض على السفينة اتوس التى كانت تنقل السلاح للثوار ، فضلا عن ظهور السلاح فى ميدان القتال ذاته ، ناهيك عن القاء القبض على قيادات الثورة

الجزائرية فى مؤامرة الطائرة المغربيـة(٢٣) ، كـان على فرنسـا أن تضـع مخططـا استراتيجيا لمواجهة الدعم المصرى للثورة الجزائرية .

ثالثا-جهة الدعم المصرى ورد الفعل الفرنسى-فى الطريق إلى مؤامـرة العدوان الثلاثى:

نظـرت فرنسـا الـى التهديد المصـرى لوضعهـا فـى الجزائـر مـن خـلال منظـور اسـتراتيجى شـامل باعتبـاره تدخـلا فـى شـئون فرنسـا الداخليـة وعـامل هـدم للامبراطورية، وباعتباره يفسـد علـى فرنسـا مصـالحهـا فـى الجزائـر ، ويؤثـر علـى اوضاعها الاقتصادية ، ومسـتوطنيها هنـالك ، وبترولهـا وغازهـا ، وحتـى ميزانيتهـا ومستوى معيشة مواطنيها(٢٤).

كان على فرنسا أن تعمل على انتزاع المبادرة من يد ناصر ووجدت ضالتها فـى إسرائيل فقررت أن تدعم اسرائيل لصـد عبد النـاصر ، لاسيما مـع النفـوذ المتزايد للمسـتوطنين اليهـود فـى الجزائـر ، وانتظـام هجرتهـم إلـى إسـرائيل ، ودورهـم فـى مقاومـة ثـورة الجزائـر . عنـد هـذا الحـد فـإن علينـا أن نتـابع بعـض ملامـح الدعـم المصرى للثورة الجزائرية ، وأن نحلل من خلال ذلك أمرين : الأول – منهجية هـذا الدعم ورؤيته من ناحية ، والثانى – إدراك فرنسا لمدى خطورتـه علـى مصالحهـا ، وهل كان هذا الإدراك متابعا لمسيرة الدعم ، ومقدرا لحجمه بات على فرنسا أن ترد عليه بشكل محدود اذا كان محدودا ، وبشكل شامل اذا كان شاملا من ناحية أخرى . وفيما يتعلق بالأمر الأول فإن عبد الناصر لم يتعامل مـع حركـة التحريـر الجزائريـة من منطق منفصل عن قناعاته ، بل إنـه رأهـا حركـة جزئيـة ضمـن حركـة التحـرر العربى من الاستعمار القديم ، التى هى جزء من حركة إنسانية شاملة . وعلـى ذلـك فانه فى نفس عام الثورة ١٩٥٢ أستدعى السيد فتحـى الديـب وكلفـه (بـإعداد خطـة لممارسة الدور الأيجابى لثورة ٢٣ يوليو لتحرير كافة الاجزاء العربية المحتلة ، لأن تحريرها يؤكد تحرير مصر ذاتها) (٢٥). وقد ساعده فى تبنى هذا الاتجاه السياسـة الغاشمة التى إتبعتهـا فرنسـا فـى المغـرب العربـى كلـه ، وقيامهـا فـى ٢٠ أغسـطس ١٩٥٣ باعتقال الملك محمد الخامس ملك المغرب مما صـدم شـعور القـوى العربيـة بما فيها بعض المرتبطين بالاستعمار .

وقد تبدت رؤية ناصر الشاملة للموقف فى شمال افريقيا بتسييسه " مكتب المغرب العربى بالقاهرة " ، وذلك من كل من علال الفاسى رئيس حزب الاستقلال المغربـى

ومحمد خيضر عضو حزب الشعب الجزائرى ، وصالح بن يوسف امين عام الحزب الدستورى التونسى كما أستخدم نفوذه حتى أسست الادارة السياسية لجامعة الدول العربية فى ٤ أبريل ١٩٥٤ " لجنة تحرير المغرب العربى " (٢٦) . وبعد هذا الاطار التنظيمى العروبى الطابع بدأ فى تثوير الجزائر حين تم اللقاء بينه وبين مزيانى صالح " أحمد بن بيلا " قائد الثورة الجزائرية بعد ذلك وأول رئيس للجمهورية فيها . وقد تبع ذلك أمران : الأمر الأول – انشقاق أحمد بن بيلا على القيادات الوطنية التقليدية فى حزب الشعب الجزائرى التى كانت تتبنى من العمل السياسى وحده منهجا يقوم على المناورة مع الاستعمار وليس على المواجهة . وأعقب الانشقاق الأمر الثانى – وهو تولى بن بيلا قيادة تنظيم سرى لبدء الكفاح المسلح .(٢٧)

وبعد هذا التمهيد التنظيمى جاءت الحملة الأعلامية المصرية التى قادها صوت العرب من القاهرة والاذاعى أحمد سعيد ، ثم إنشق فجر الثورة الجزائرية فى أول نوفمبر ١٩٥٤ ، فاذا بليل الفرنسيين الطويل فى الجزائر يعشى العيون الاستعمارية، واذا هى تقدر خسائرها فى الأسبوع الأول بمائتى مليون فرنك ، واذا هى تقدر أن وضعها الاستراتيجى فى شمال افريقيا يهتز بعنف الى درجة الترنح ، واذا ثورة الجزائر فى قلب المغرب الكبير – تدفع بدولتى الطرف تونس والمغرب بعيدا عن الهيمنة الفرنسية ، وإذا هى مضطرة لأن تواجه كفاحا مسلحا عبر البحر المتوسط يمتد على جبهة تزيد على ثلاثة الاف كيلو متر وبعمق لايقل عن ثمانمائة كيلو متر. وقد كانت ثورة الجزائر بذلك أعمق المفاجآت التى تعرضت لها فرنسا بعد الحرب العالمية الثانية واكثرها إقلاقا للسلطة الفرنسية ولطبقة المستوطنين الفرنسيين فى الجزائر.(٢٨)

ولم يكتف عبد الناصر بما حدث وإنما نجح فى نوفمبر فى اجراء اتصال مباشر وغير مباشر مع الامريكيين استهدف دعوتهم للضغط على فرنسا للاستجابة لمطالب الثوار فى شمال افريقيا . وكانت رغبة الولايات المتحدة فى الحلول محل الاستعمار القديم تدفعها الى القبول بمراد ناصر ، ولم تتحقق فرنسا من دعم ناصر للثوار فقط، بل تحققت أيضا من الاتصالات الأمريكية مع ثوار الجزائر . كما صارت مصر والدول العربية تتحدث عن استخدام فرنسا للأسلحة الامريكية وأسلحة حلف الأطلنطى ضد عرب الجزائر .(٢٩)

وقد تمكن السيد فتحى الديب من أن ينشئ شبكة كاملة للعمل على دعم ثوار الجزائر وتهريب السلاح اليهم والى ثوار تونس والمغرب ، وبدأت الشبكة بمكتب الشئون العربية وأمتدت لتشمل بعض كبار المسئولين الليبيين مثل رئيس الوزراء مصطفى بن حليم الذى لعب دورا كبيرا فى نقل السلاح ، والتعاون مع السفن الحربية المصرية ، إمتدادا الى بعض العملاء من اليونانيين والايطاليين والأسبان ، بمن فيهم بعض رجال الحكم فى اسبانيا ، فضلا عن قيادات الكفاح المسلح ومسئولى الأتصال والنقل والمخابرات فى شمال افريقيا فى إطار حركات التحرر . وفى نفس الوقت استمرت القيادة المصرية فى تدريب عدد كبير وكفء من الثوار الجزائريين، كان منهم "أبو خروبة محمد" الرئيس الجزائرى هوارى بومدين فيما بعد على أعمال القتال فى حرب العصابات.(٣٠)

وفى ١١ يناير ١٩٥٥ عقد الثوار المغاربة والجزائريون اجتماعا بمنزل فتحى الديب بغرض التنسيق فى العمل العسكرى وتبادل العون والمعلومات ووضع الأسس الكفيلة لتحقيق التعاون الشامل بين حركتى التحرر . وقد تعجبت القيادات الفرنسية من هذا التنسيق العملياتى ، الذى كانت تدرك أن امكانيات الثوار لاتسمح بها ، وشعروا أيضا أن فرنسا تواجه كارثة محققة ، وتستشعر بأن هناك يدا ما تجمع بين الثوار وتوحدهم وتوجههم(٣١).

وقد أصبحت شكوك فرنسا تتركز على ناصر حين ألقت القبض على حمادى الريفى أحد القياديين الجزائريين ، وراحت تعذبه لستة اسابيع كاملة حتى أجبر على الأعتراف بالحقائق الكاملة للدعم المصرى للثوار . وجاءت عملية ضبط بعض السفن الناقلة للأسلحة لتجعل حقيقة الدعم المصرى للجزائر عارية أمام أعين فرنسا والغرب .

وقد قررت فرنسا أن تعمل على حل تناقضها مع الثوار فى تونس والمغرب وأن تتوصل الى تعاون فرنسى مع قيادات مختارة فى البلدين " بورقيبة – محمد الخامس"، بهدف التوصل الى تسوية تعطيها فرصة الحفاظ على مصالحها فيها ، وتخرج البلدين من المواجهة العسكرية ريثما تتفرغ للجزائر ، وعلى ذلك وقعت معاهدة مبدئية فى ٢٣ مايو ١٩٥٥ مع القيادات التونسية نصت على إستقلال تونس وإيقاف الكفاح المسلح ، ونزع سلاح المناضلين ، وقد رأى فتحى الديب أنه لا غضاضة أن تعلم فرنسا بدور مصر حتى تتأكد قيادة ثورة ٢٣ يوليو لحركة التحرر العربى ، ويجرى تدعيمها فى ميدان القتال مما يدعم مكانة مصر العربية ، وزاد

ناصر على ذلك بأن الضرورة تقتضى إعادة فتح الجبهة التونسية ضد فرنسا فى رسالة واضحة الى الغرب كله حتى يتريث فى اتخاذ خطوات جديدة ضد مصر باعتبار ثقلها العربى ، ثم اجتهدت مصر فى تسليم ثوار الجزائر ما لديها من الأسلحة الغربية سيما بعد أن حصلت على السلاح السوفيتى . وأكدت دلائل عدة أن الدعم المصرى أصبح يشكل عامل ضغط شديدا ليس على الوجود الفرنسى فى شمال أفريقيا وحده ، بل على الخطط الاستراتيجية الغربية فى المنطقة وفى العالم العربى ككل(٣٢) .

وإدراكا لهذه الحقائق فان فرنسا قررت عرض حلول جزئية على الجزائريين وإختراق جبهتهم وعزل الجزائر عن بلدان المغرب العربى ، وتحقيق تقدم سريع فى التسوية مع كل من تونس والمغرب ، واخيرا انتهاج كافة السبل المؤدية الى عزل المغرب العربى عن المشرق العربى . وبهذا باتت فرنسا تدرك ان وجودها فى الجزائر هو أساس وجودها فى المغرب العربى، وأن وجودها فى المغرب العربى هو المفتاح لدور حيوى فى الشرق الأوسط . وكان سهلا لهذا الإدراك أن يتحول الى العكس ، بمعنى أن الدور الفرنسى فى الشرق الأوسط يمكن أن يضمن لفرنسا وجودها فى المغرب العربى ، وبذا انفتح الطريق الفرنسى للمشاركة فى حرب السويس . وقد تأكدت الاستراتيجية الفرنسية هذ مع استبعاد فرنسا من سياسات الأحلاف فى الشرق الاوسط بواسطة الولايات المتحدة تعمدا ، وبريطانيا تجاهلا(٣٣).

وقد واجه ناصر المتغيرات المتلاحقة فى السياسة الفرنسية التى باتت تشكل ادراكا استراتيجيا شاملا يجمع شمال افريقيا " المغرب العربى " مع الشرق الاوسط " المشرق العربى ، ولهذا عقد ناصر فى يناير ١٩٥٦ اجتماعا لممثلى حركات التحرر فى المغرب العربى بغرض التعهد بالاستمرار فى النضال ، والحفاظ على وحدة العمل المشترك ، وتنسيق الكفاح المسلح ضد الفرنسيين ، ووضع خطة لإضعاف مواقف السياسيين التقليديين المتعاونين مع الفرنسيين ، كما أكد ناصر بأن من اللازم أن تستمر ضربات الثوار قبل عودة السلطان محمد الخامس الى عرش المغرب حتى يعلم بفضلهم عليه ، ودورهم فى استقلال بلاده (٣٤).

وقد تبع هذا تغير استراتيجى شامل فى منطقة الشرق الاوسط ، وذلك أن الحكومات العربية فى سوريا والعراق وليبيا راحت تتعاون مع الكفاح الجزائرى ، كما تعاظمت منزلة ثورة يوليو وقائدها بشكل حاد ، وذلك ما ظهر واضحا فى

التأثير الايجابى الكبير لزيارة الشيخ أحمد حسن الباقورى مبعوث ناصر الى كل من تونس ، ومراكش بقسميها الخاضع الى الاستعمار الاسبانى ، والخاضع الى الاستعمار الفرنسى(٣٥).

وقد دخلت المواجهة الاستراتيجية الشاملة طورا حادا بعد صفقة الاسلحة التشيكية التى كانت لطمة للحلف الأطلنطى ككل ، وعندئذ لم يعد الموقف متعلقا فقط بما كانت فرنسا تنشده من موازنة الموقف الأستراتيجى فى شمال افريقيا بالموقف الداعم لاسرائيل فى الشرق الأوسط ، بل باتت المواجهة متعلقة بالموقف فى اوروبا وعلى الصعيد الدولى . ولهذا فقد سعت فرنسا الى تعديل هذا الوضع بشكل حاسم بمزيد من الدعم لاسرائيل نكاية فى مصر وإضعافا لقائدها ، ثم تهيأت نفوس الفرنسيين للتدخل ضد ناصر ، والعمل على إسقاطه بعدما أصبح يجسد كل أزمات فرنسا فى هذه المناطق الاستراتيجية على السواء(٣٦).

وقد نجحت المخابرات المصرية فى فتح ثغرة فى جدار الأمن الفرنسى فى شمال افريقيا ، حين نجحت فى الاتفاق مع عدد من تجار السلاح الأسبان على شراء كميات كبيرة من الأسلحة ونقلهم لها إلى قلب ميادين القتال فى الجزائر والمغرب وتونس . وعقدت عدة صفقات فى هذا الصدد بأسماء عدد من الدول العربية كان منها صفقة سلاح بأسم المملكة العربية السعودية ، حيث قام الملحق الحربى المصرى فى مدريد بالتنسيق مع السفير السعودى لتغطية عقد الصفقة باسم المملكة العربية السعودية مع تحمل مصر تمويلها بالكامل ، وهو ما حظى بموافقة الملك سعود وتشجيعه بحكم تفاهمه مع الرئيس عبد الناصر فى هذا الوقت (٣٧).

وقد أدركت السياسة الفرنسية استحالة مواجهة ثوار المغرب العربى جميعا فى آن واحد ، ولذلك عملت على التفاهم سريعا مع كل من بورقيبة فى تونس والملك محمد الخامس وولى عهده الحسن فى المغرب ، حتى تمنح البلدان الأستقلال مع الإبقاء على الروابط والمصالح الفرنسية الأساسية فيها ، وبهذا يمكن لفرنسا التفرغ للموقف فى الجزائر(٣٨).

وأتبعت السياسة الفرنسية التسوية التونسية ، بإجراءات سريعة على الجبهة المغربية ، بهدف سحب البساط من تحت حركة الكفاح المسلح فى مراكش ، وذلك بإطلاق سراح السلطان محمد الخامس وإعادته للعرش ، وتوظيف نجله ولى العهد الأمير الحسن فى تهدئة حدة اندفاعه صوب الحركة القومية العربية ، وعبد الناصر، والثورة الجزائرية . وكان الهدف المباشر هو إنهاء الارتباط القائم بين حركة

التحرير الجزائرية . فى وهران ونظيرتها المغربية ، وفصم عرى تماسكها عبر الحدود . وعلى ذلك صدر تصريح مشترك بين مسيو بينو وزير خارجية فرنسا والحكومة المراكشية برئاسة مس بكاى ، وفيه اعترفت فرنسا بالغاء حمايتها على مراكش وصيرورتها دولة مستقلة ، بيد أن التصريح جعل لفرنسا حق التدخل العسكرى فى البلاد ، وإبقاء قوات فيها ، وربط اقتصادها بمنطقة الفرنك ، بل وتدخل المندوب السامى الفرنسى فى الصلاحيات التشريعية للسلطان(٣٩). وقد اتبعت فرنسا هذين الاتفاقين التونسى والمراكشى بالعمل على عزل الجزائر عن العالم عسكريا ، وحرمانها من الدعم القادم عبر الحدود التونسية والغربية والليبية . ومع ذلك فقد استمرت حركة التحرير المغربية فى شرقى مراكش فى مساندة الثورة الجزائرية ، كما خص المخطط المصرى فى مساندتها فى طريقة ، وفى نفس الوقت ظهرت يد عبد الناصر بوضوح حين قابل وزير الخارجية الفرنسى فى مارس ١٩٥٦ ناصر بالقاهرة ، وطلب منه التدخل لدى ثوار الجزائر للوصول الى تسوية تجنب الطرفين المتحاربين الدماء التى تسيل يوميا " بلا مبرر " إذ وجد بينو ناصرا يرد بأنه ليس من حقه التحدث بأسم الثوار أو التدخل فى شئونهم ، ولكنه يمكن القيام بتوفير فرصة اللقاء بين الطرفين فى إطار من السرية ، بغية التوصل الى حل سلمى يحقق للشعب الجزائرى أمانيه ، الأمر الذى سيساعد فرنسا فى الحفاظ على مصالحها على الأرض العربية كلها(٤٠).

وكذلك فقد كان واضحا أن ولى عهد المغرب الامير الحسن لم يكن متعاطفا مع ثوار الجزائر، على الرغم من أنه أعترف لبن بيلا فى لقائه معه بمدريد فى الاسبوع الثالث من ابريل ١٩٥٦ بأن لهم فضلا كبيرا على قضية بلاده ، وأنه لولا الضغط الجزائرى لظل أمر أستقلال المغرب بعيدا . وقد تطوع بن بيلا فأخبر الحسن بأن مصر كانت الدولة الوحيدة التى ساعدت الجزائريين والمراكشيين والتونسيين بالسلاح وأيدتهم سياسيا ومعنويا . ولاشك أن هذه الصورة قد نقلت للفرنسيين اعترافا مباشرا يدعم أية شكوك لديهم فى موقف ناصر الداعم للثورة(٤١).

وكان واضحا أن مصر فى ضغطها على فرنسا فى شمال افريقيا كانت تستهدف جملة من الأهداف الاستراتيجية التى تربط الى أقصى مدى بين الموقف فى شمال افريقيا وفى الشرق الاوسط أو بمعنى آخر تربط بين المغرب العربى والمشرق العربى ومصر فى القلب منهما تمسك بخيوط المركز وتوازناتها بشكل ناجح(٤٢).

وكانت مصر ترى أن ضغطها على فرنسا فى الجزائر سوف يدفعها للتفاهم معها، وعندئذ يمكن الوصول الى تفاهم بشأن أهم قضايا العلاقات بين البلدين وهى :

١- الى متى تستمر إمدادات فرنسا بالسلاح لإسرائيل .

٢- عدم السماح لإسرائيل بتجنيد يهود فرنسا .

٣- عدم سماحها بهجرة الجالية اليهودية بشمال افريقيا الى اسرائيل .

٤- استمرار معارضة فرنسا لحلف بغداد ، وتأييد سياسة مصر فى الشرق الاوسط .

٥- اتخاذ فرنسا سياسة تقوم على احترام امانى الشعب الفلسطينى .

٦- ايقاف هجوم الاعلام الفرنسى على مصر .

٧- تحسين التبادل التجارى بين مصر وفرنسا(٤٣).

وفى مايو ١٩٥٦ وصل للرئيس عبد الناصر خطاب مطول من البكباشى ثروت عكاشة الملحق العسكرى المصرى بباريس يتناول العلاقات المصرية الفرنسية فى ضوء اتصالاته بالعديد من الشخصيات الفرنسية ، والذى أكد فيه أن دعم مصر للكفاح الجزائرى سيترتب عليه اتخاذ فرنسا موقفا معاديا من مصر ، وإن هذا الموقف المعادى يأتى استجابة لمطالب الاحزاب السياسية والهيئات الاقتصادية الفرنسية(٤٤).

وقد ظهرت ملامح للموقف الفرنسى المعارض لمصر فيما يلى :

١- مقاطعة القطن المصرى مما يعرض مصر لخسارة خمسة عشر مليونا من الجنيهات الاسترلينية .

٢- عزل مصر سياسيا وتشديد الحملة المضادة لها ولقائدها .

٣- كسب تأييد بريطانيا والولايات المتحدة لفرنسا سياسيا وعسكريا فى معارك الشمال الافريقى .

٤- دعم اسرائيل سياسيا وعسكريا باعتبارها حليفا لفرنسا فى مواجهة القاهرة .

وعلى ضوء هذه الملامح نصح ثروت عكاشة القيادة المصرية بالتوقف عن دعم الثورة الجزائرية ، حتى تجنب مصر الإنفاق الذى ينوء به كاهلها ، وحتى تتجنب

غضب فرنسا وانتقامها ، وحتى تتجنب المقاطعة الاقتصادية ، وغضب الرأى العام الفرنسى والاوروبى .

وبدلا من ذلك نصح عكاشة ناصرا بالعمل على التوسط لحل مشكلة الجزائر سلميا ، حتى تنال رضا فرنسا واعترافها بتعاونها وفضلا عن تحقيق السلام على أرض شمال افريقيا(٤٥).

وقد انطلق فتحى الديب مسئول العلاقات العربية ، والملف الجزائرى من منطلق مضاد لما أنطلق منه ثروت عكاشة . فهو لم يكن يرى إنكار دور ثورة يوليو فى النضال الجزائرى ، بل يراه تعظيما لدورها العربى ، وإثباتا لمبادئ مناهضة الاستعمار التى تتبناها ، وفتحا لمكانة مصر الدولية فى محيطها العربى ، ومجالها الأفرو آسيوى ، وأنه طالما أن مصر تقف مع حقوق الشعوب ، فسوف تنتصر سياستها آخر الأمر(٤٦) .

وكان رأى فتحى الديب كذلك أن فرنسا تحارب فعلا بدعم من حلف الأطلنطى دون أن تحقق أى نجاح ، وأنه ليس بوسعها مقاطعة القطن المصرى ، بسبب تصميم آلاتها على استخدامه ابتداء، ولأنه ليس له بديل كاف.(٤٧)

ولئن كان التحليل الذى ذهب إليه فتحى الديب صحيحا تماما ، فإنه كان جليا أن فرنسا لم يعد أمامها باب للضغط على مصر إلا ولوجا من باب العنف المسلح ، سيما بعدما ظهر أن مواجهة مصر للاستعمار شاملة ، وبعد ما ثبت أنها تمسك بأوراق الضغط الشعبى العربى على المصالح الاستعمارية ، ومنها المصالح الفرنسية . ومن ثم كانت المواجهة الفرنسية شاملة وعامة، وتشتمل على تحرك عام يمتد من الحصار الاقتصادى ، والمجابهة الإعلامية ، ويمر بدعم خصوم مصر فى المنطقة ، وينتهى بأن تحصل إسرائيل منها على الخبرة والدعم النوويين ، ويصل لخاتمة مطافه ، بأن تعاقب فرنسا مصر مستخدمة القوة العسكرية .

ولقد جاء قرار ناصر بالاستمرار فى دعم الثورة الجزائرية ، إصرارا منه على المبادئ الوطنية والتحررية والقومية ، ليؤكد أنه ماض فى الأمر ، مهما كانت المخاطر وردود الأفعال المتوقعة . وكان هذا الدور التحررى والعروبى متصادما مع المصالح الفرنسية الشاملة فى كل من الشرق الأوسط وشمال افريقيا أو بمعنى أصح المشرق العربى المنكوب بالوجود الصهيونى ، والمغربى المنكوب بالوجود الفرنسى(٤٨).

وبينما البساط يسحب من تحت أقدام قوى الاستعمار القديم - بريطانيا وفرنسا - وتتقدم القوتان الجديدتان - الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي - راح يتقدم عبد الناصر بقوى جديدة فاعلة ، يتحرك عليها دور مصرى نشيط ، هى قوى المد القومى وحركة الحياد الايجابى وعدم الانحياز وتضامن الشعوب الأفروآسيوية . ثم جاءت محاولة الغرب الضغط على مصر فى مسألة تمويل السد العالى ، ليرد عبد الناصر بما كان مستعدا له ، ويواصل فيه الليل والنهار ، لاسترداد قناة السويس المسلوبة ومعها الإرادة الوطنية المنتهكة ، ليكون القرار القشة التى قصمت ظهر البعير ، والمبرر الذى أكد أن كيل فرنسا قد طفح ، وأنه لم يعد بقوس صبرها على ناصر منزع ، فتوصلت إلى إتفاقية سيفر مع كل من إسرائيل وبريطانيا ، أملا منها أن تنقل ميدان المعركة من جبال الجزائر ، إلى قناة السويس ، عساها تكسب معركتها فى شمال افريقيا على أرض الشرق الأوسط(٤٩).

وهكذا كانت رغبة فرنسا فى اصطياد ناصر هى الدافع الذى رأت أنه يصطاد كل دوافع الدولة الفرنسية ، بل ويحل عقد سياسييها النفسية والدولية والاقتصادية ، ويحقق مصالح الدولة فى الجزائر وبترولها ، ويواجه المد القومى العربى ، والتحررى المغربى ، والثورى الجزائرى ، فى عصر من التراجع الاستعمارى ، وذلك بضربة واحدة لرمز ذلك كله - ناصر .

كما جاء التحالف مع إسرائيل نوعا من الاحتجاج على الصمت الأمريكى إزاء أزمة بريطانيا وفرنسا ، ورغبتهما فى أن تثبتا أنهما لم تعودا بعد جثة هامدة ، وأن بوسعهما العمل - بوسيلة أو بأخرى - للحفاظ على مصالحهما الذاتية المتميزة عن المصالح الأمريكية .

وختاما فقد كان الدعم المصرى للثورة الجزائرية - من النواحى الإعلامية والسياسية والعسكرية - مكشوفا ومعروفا للفرنسيين ، ولم يغمض عليهم سوى كيفيته ووسائل توصيله ، والشبكة الدقيقة العاملة فيه واعتبرته عدوانا عليها من الداخل وعلى مصالحها الدقيقة فى الجزائر. ولهذا عندما اكتشفت فرنسا بعض السفن التى تقوم بتهريب السلاح لثوار الجزائر ، ووضعت يديها على بعض زعمائهم وأودعتهم السجون ، اعتقدت أن ساعة الانتقام من ناصر قد دنت ، وأن كرامة فرنسا قد جرحت ولن يداويها إلا توجيه طعنة نجلاء له . وتيقنت أنها لن تسترجع مكانتها فى الشرق الأوسط - وقناة السويس فى القلب منه - ولن تسترجع مكانتها

فى عالم الهيمنة الاستعمارية والعلاقات الدولية - والجزائر فى القلب منهما - إلا بضرب ناصر والقضاء عليه (٥٠).

وهكذا صارت دوافع فرنسا للقضاء على ناصر تشكل مجمع دوافعها جميعا - وبهذا سارت فرنسا فى طريق التحدى الكبير ، لا لناصر وحده ، ولكن لأوضاع عالم جديد ، عالم القطبين السوفيتى والامريكى ، عالم الحرب الباردة ، ومضت فى طريق التحدى الكبير كذلك للحقائق الجديدة التى أفرزتها حركات التحرر الوطنى فى القارتين الآسيوية والافريقية ، وحركة الحياد الايجابى وعدم الانحياز . باختصار كان ناصر فى اتجاه حركة التاريخ ، وكانت فرنسا وحلفاؤها ضد اتجاه حركة التاريخ .

الهوامش

١ - جوزيف صغير (مترجم) : يوميات قادة العدو (٣) الفاشية موشى دايان ، دار المسيرة، بيروت ، بدون تاريخ ، ص ١٦٩ ، ١٧٦ ، وكذلك جلال يحيى : السياسة الفرنسية فى الجزائر ، دار المعرفة ، ١٩٥٩ ، ص ص ٣٣٥ - ٣٣٦ .

٢ - محمد حسنين هيكل : حرب الثلاثين عاما - ملفات السويس ، الأهرام ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٦ ، ص ص ٢٩٥ ، ٢٩٧ ، ٢٩٩ ، ٣٠٠ .

٣ - نفس المرجع ، ص ٣٠٠ ، وكذلك : Bindra , A.P.S. : Suez Thronbosis , Causes and Prospectives , Vikas Publications , 1969 , P. 31.

٤ - نجلاء أبو عز الدين : ناصر العرب ، دار المستقبل العربى ، القاهرة ، ١٩٨٨ ، ص ٢٤١ وكذلك :
فتحى الديب : عبد الناصر وثورة الجزائر ، دار المستقبل العربى ، القاهرة، ١٩٨٤ ، ص ص ٢١ ، ٤٧ ، ٥٣ وكذلك :
عبد الناصر والعرب ، دار الموقف العربى ، القاهرة ، ١٩٨٣ ، ص ص ٢٦٠ - ٢٦١. هذا وقد لعب الأستاذ فتحى الديب أخطر الأدوار المصرية والدولية فى دعم الثورة الجزائرية والتخطيط لها راجع تفصيلات هائلة فى ذلك فى :

Brace , Richard and and Joan , Ordeal in Algeria , London , 1960 , P. 85 .

٥ - محمد حسنين هيكل : مرجع سابق ، ص ٤٢١ .

٦ - نفس المرجع ، ص ص ٤٢٢ - ٤٢٣ .

٧ - حول حلول القطبين الأمريكى والسوفيتى محل قوى الاستعمار القديم ، راجع : لواء أ.ح. رفعت وهبة : هل أنقذ التدخل الدولى والإنذار السوفيتى مصر ، الأهرام ، فى ١٩ اكتوبر ١٩٩٦ ، وكذلك :
واى بوجوش (ترجمة خيرى حماد) : السياسة الخارجية السوفيتية بين عامى ١٩٥٥ - ١٩٦٥ ، ص ص ١٢٤ - ١٢٥ .

٨ - راجع انتونى ناتنج (ترجمة شاكر إبراهيم سعيد) : ناصر ، مكتبة مدبولى الطبعة الثانية، القاهرة ، ١٩٩٣ ، ص ص ١٥٨ - ١٥٩ ، وكذلك حول صفقة الأسلحة التشيكية التى تؤكد المصادر بأنها جاءت بعد تأكد مصر من قيام فرنسا بتسليح إسرائيل بالطائرات والدبابات والخبرة النووية راجع :

دونالد نيف (ترجمة أحمد خضر) : حرب السويس ، مكتبة مدبولى ، القاهرة ، ١٩٩٠ ، ص ص ٢١٦ - ٢١٧ .

- Lioyd , Selwyn : Suez 1956 , A Personsl account , Caronet Books , London P.P.1,7.

١٠- فتحى الديب : مرجع سابق ، ص ٢١ .

11 - Lioyd , Selwyn : Op. Cit ., PP. 77 - 80 .

وأيضا دونالدنيف : مرجع سابق ، ص ٢١٧ ونجلاء أبو عزالدين : مرجع سابق ، ص ٢٤٢.

١٢- انتونى ناتنج : مرجع سابق ، ص ص ١٥٨ - ١٦٠ .

١٣- نفس المرجع ، ص ص ١٦٠- ١٦١ .

١٤- يظهر هذا واضحا فى إصرار الرئيس عبد الناصر ، وقوله بأنه سيبنى السد العالى، "ولو بالمقاطف " وعلى أكتاف أبناء الصعيد الأشداء . أما عناد جى موليه وايدن ، وما بدا منهما من تخرصات وأكاذيب وانهيار نفسى فيجسد شيخوخة دولتيهما الاستعماريتين ، كما أن العناصر اليهودية الفرنسية لعبت دورا هداما فى تحديد الموقف الفرنسى ، ومنهم الجنرال بيير مارى كوينيج، وموريس بورجيس مونورى ، وآبل توما ، وكان الأول وزيرا للدفاع وشخصا مؤثرا بالتالى : راجع دونالدنيف : مرجع سبق ص ص ٢١٧ - ٢١٨ . أما عن إيدن وكراهيته للأجانب فراجع : Lioyd , Selwyn Op. Cit ., PP.27 .

١٥- من ذلك مقررات باندونج ودعمها لكفاح الجزائر والمطالبة باستقلالها فى ١٩٥٥ ، راجع دونالدنيف : حرب السويس ، ص ٢١٩ ، هذا ولايمكن فهم مدى التفاعل بين هذه الحركات الثلاث إلا فى ضوء التعاقب الرائع لمؤتمرات عدم الانحياز ، والمؤتمرات الأفروآسيوية ، ودورناصر فيها . فقد كانت تشكل عامل ضغط فعالا على القوى الاستعمارية أنئذ ، والتى اعتبرتها نوعا من المناصرة غير المباشرة للطرف الآخر - أى الاتحاد السوفيتى . أما عن أوهام موليه ، وتناقض تصرفاته ، راجع : محمد حسنين هيكل سنوات الغليان ، ص١ ، حرب الثلاثين سنة ١٩٦٧ ، القاهرة ، ١٩٨٨ ، ص ١٤٢ - ١٤٣ .

١٦- محمد حسنين هيكل : الملفات ، ص ٤٢٢

ولاحظ بوادر الضيق الفرنسى من ناصر فى حادث انفجار السفارة المصرية فى باريس فى ٢٨ مارس ١٩٥٦ ، ولاحظ كذلك الربط بين عبدالناصر وثورة الجزائر فى وزارة الدفاع ، هيئة البحوث العسكرية : حرب العدوان

الثلاثى على مصر ، ص ١ ، مطابع الأهرام ، صحفات متفرقات ، ص١١، ١٩ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩ .

١٧- راجع فى هذا : جلال يحيى : السياسة الفرنسية فى الجزائر ، دار المعرفة ، القاهرة ، ١٩٥٩ وكذلك صلاح العقاد : الجزائر المعاصرة ، صفحات متفرقات في كل منهما . وكذلك أحمد توفيق مدنى : هذه هى الجزائر ، ص١٧٧ وما بعدها .
وكذلك : Brace , Richard & Joan : OP.Cit . , PP. 13, 18 .

١٨- جلال يحيى : مرجع سابق ، ص ٢٧٨ ، ٢٩٧ ، ٣١١ ، ٣١٢ ، ٣١٣ .

١٩- ظهر هذا واضحا فى مشاركة دول مثل السعودية وليبيا والعراق وسوريا بشكل أو بآخر فى دعم الكفاح الجزائرى ، راجع : فتحى الديب : مرجع سابق٤ ، ص ص ٢٩ ، ٤١ ، ٤٧ ، ٦١ ، ٦٢ ، ١٦٣ ، ١٦٥ .

٢٠- لمزيد من التفصيلات راجع :
جلال يحيى : مرجع سابق ، ص ٣٣٤ ، وأحمد حمروش : مرجع سابق ، ص ص ٢٦١ - ٢٦٣ ، وكذلك : Brace , Richard & Joan : OP.cit . , PP. 27-29

٢١- Ibid ., pp. 32 , 37 . ، وكذلك : فتحى الديب : مرجع سابق ، ص ٤١.

٢٢- راجع نماذج من دور مصر فى التنسيق بين ثوار الجزائر بعضهم البعض ، وبينهم وبين ثوار تونس والمغرب فى : نفس المرجع ، ص ٧٢ ، ٧٤ - ٧٦ .

٢٣- نفس المرجع ، ٨٩ ، وعن حادث الطائرة ، وقيام طيار فرنسى بالهبوط فى الجزائر بطائرة مغربية تقل زعماء الجزائر ، راجع ، جلال يحيى : السياسة الفرنسية فى الجزائر، دار المعرفة ، القاهرة ، ١٩٥٩ ، ص ٣٣٤ ، وكذلك أحمد حمروش : مرجع سابق ، ص ص ٣٦٥ - ٣٦٦ .

٢٤- محمد حسنين هيكل : مرجع سابق ، ص ٤٢١ .

٢٥- وكذلك : Brace , Richard & Joan : OP.cit . , PP. 39 - 40 .
وراجع كذلك : فتحى الديب : مرجع سابق ، ص ٢١ .

٢٦- نفس المرجع ، ص ص ٢٢ ، ٢٩ ، ٣٣ .

٢٧- نفس المرجع ، ص ٤١ .

٢٨- Brace , A . P. S . : OP.cit . , PP. 7 .

٢٩- Brace , Richard & Joan : OP.cit . , PP. 137 . وكذلك : إبراهيم العربى : التقارير السرية للمخابرات الامريكية ، القاهرة ، ١٩٩٢ ، ص ص ٦٣ - ٦٤ .
٣٠- فتحى الديب : المرجع السابق ، ص ٧٤ - ٧٦ .
٣١- نفس المرجع ، ص ٨٩ .
٣٢- نفس المرجع ، ص ص ١٥٠ .
٣٣- نفس المرجع ، ص ١٥٧ - ١٥٨ .
٣٤- جلال يحيى : مرجع سابق ، ص ٣٣٤ .
٣٥- لعبت سياسات ناصر العربية والتحررية دورا هاما فى تثوير الجزائر ، على الرغم من أنها كانت تعتمل بثورة مكبوتة قبل يوليو ١٩٥٢ . وساعد على استجابة الجزائر السريعة أن فرنسا لم تكن تملك من الحصافة ما يساعد على تهدئة الأوضاع ، بل إن رئيس وزرائها منزيس فرانس عين اليهودى سوستيل Soustelle حاكما للجزائر ، فأوغل فى انتهاج سياسة الفرنسة والاستيعاب ، بهدف القضاء على كل تمايز جزائرى . كذلك فإن بورجيس مونورى وزير الحربية الفرنسى ترك الحبل على الغارب لوكيله اليهودى الديانة المدعو آبل توما ، فكان له دور خطير فى تهجير يهود الجزائر إلى إسرائيل ، وفى تنسيق مع إسرائيل فى العدوان الثلاثى . راجع : جلال يحيى : مرجع سابق ، ص ص ١٦٢ ، ١٦٣ ، ٣٣٥ .
٣٦- يظهر هذا جليا حين شكا كرستيان بينو وزير خارجية فرنسا خلال زيارته للهند إلى رئيس وزرائها جواهر لال نهرو – في فبرار ١٩٥٦ من سياسات ناصر ، فدعاه إلى اللقاء به ، ونجح في تهيئة هذه الفرصة بالقاهرة ، حيث حرص بينو على عرض صفقة سياسية علمية ، لكن ناصر لم يقبل بها ، ثم تحدث مركزا على القمع الفرنسى فى شمال افريقيا ، فرد عليه بينو بأن التسوية توشك تتم فى كل من تونس والمغرب ، ولايتبقى أمام فرنسا سوى الجزائر ، التى تعدها جزءا لايتجزأ منها ، كما تحدث بينو عن القناة مؤكدا مدى اهتمام الغرب بها ، باعتبارها جزء ا لايتجزأ من مجمع البترول الضخم بالمنطقة ، وباعتبار ما تمثله " من رمز عاطفى لدور فرنسا فى الشرق الأوسط " ، وأنها لاتقل أهمية عن الجزائر حيث يوجد مليون مستوطن فرنسى. ولابد أن عبد الناصر فهم الرسالة وأدرك أن الموقف الفرنسى لايتجزأ فى شمال افريقيا والخليج وفى قناة السويس وإسرائيل . راجع محمد حسنين هيكل : ملفات السويس ، ص٤٢١ -٤٢٣ .
٣٧- فتحى الديب : مرجع سابق ، ص ١٦٧ .
٣٨- نفس المرجع ، ص ١٧٩ ، ١٨٣ ، ١٨٤ .
٣٩- نفس المرجع ، ص ١٨٤ .
٤٠- نفس المرجع ، ص ١٩١ .

٤١- نفس المرجع ، ص ١٩٩ ، وكذلك :
Brace , R & S : OP.cit . , PP. 140 141
٤٢- فتحى الديب : مرجع سابق ، ص ١٩٠ .
٤٣- نفس المرجع والصفحة .
٤٤- نفس المرجع ، ص ٢٠٧ .
٤٥- نفس المرجع ، ص ٢٠٨ .
٤٦- نفس المرجع ، ص ٢٠٩ - ٢١٠ .
٤٧- نفس المرجع ، ص ٢١١- ٢١٢ .
٤٨- نفس المرجع ، ص ٢١٢ ، ولعل هذا الارتباط بين حربى التحرير الجزائرية والسويس يتضح فى قول مسئول فرنسى " بأننا سنخضع الجزائر عن طريق القاهرة " . كما كان الجنرال ماسو قائد معسكرات التعذيب فى الجزائر هو قائد المظليين الفرنسيين فى مدينة بورفؤاد خلال حرب السويس، راجع أحمد حمروش : مرجع سابق ، ص ٣٦٧ .
٤٩- . Lioyd , Selwyn : O.P. Cit ., pp. 29 , 41
٥٠- جلال يحيى : مرجع سابق ، ص ١٦٨ ، وكذلك واى بوجوش : مرجع سابق ، ص ص ١٢٨ ، ١٢٩ .

♦ الفصل الرابع ♦

*

مصر ومشروع الدفاع عن الشرق الأوسط

د . محمد عبد الوهاب

مشاريع الدفاع قبيل الثورة

لم تكن مشاريع الدفاع التى سعى الغرب لأن تلعب فيها مصر دورا وليدا سنة ١٩٥٢ ، بل ان هذه المشاريع تعود إلى ماقبل ذلك نتيجة لتطور الأوضاع العالمية خاصة فى اعقاب الحرب العالمية الثانية التى شهدت تصاعد الحرب الباردة بين الغرب والشرق وجاءت الازمات العالمية والمواجهات بمثابة إنذار للغرب بأنه لابد وأن يعيد التفكيرفى استراتيجيته العالمية ، وتراجعت الاصوات الامريكية التى كانت تطالب "بريطانيا بسحب قواتها من مصر إنسحابا" غير مشروط .. وفى موعد محدد يكون أقرب مايمكن.."(١) فمع بزوغ الحرب الباردة وتصاعدها فإن مثل هذه الاصوات تراجعت وأصبح من المحتم تدعيم التعاون الانجلو – أمريكى. ففى مارس ١٩٤٧ اعلن الرئيس هارى ترومان مبدأ ترومان (٢) الذى قدم له دين أتشيسون تفسيرا فى خلال جلسات الاستماع للكونجرس أوضح مفهومه " من انه كان علينا الحفاظ على استقلال تركيا واليونان خشية أن يكون وقوعهما فى يد السوفييت إيذانا بوقوع القوى الأخرى فى المنطقة ذات الاهمية الاستراتيجية للغرب بما حوته من خطوط للمواصلات وموارد طبيعية .. مما دفع بالولايات المتحدة إلى إعادة النظر فى تنسيق الدفاع عن الشرق الاوسط بمساعدة حلفائها (٣) .

وقد أرتكزت المحاولات الاولى من أجل بناء منظمة الدفاع عن الشرق الاوسط فى نظر الاستراتيجيين الغربيين على القواعد المتاحة للغرب من خلال المعاهدات الثنائية المعقودة بين بريطانيا ودول المنطقة، وكذا من خلال الاعتماد على القوات البريطانية المنتشرة فى المنطقة بحكم تواجدها . كما أن فاعلية هذه التحالفات كانت فى نظرهم مرهونة بالاشتراك المباشر للقوات الأمريكية وقوات الكومنولث ودول الشرق الاوسط (٤) .

كانت مصر طبقا للوثائق الأمريكية قاعدة مثالية لتحقيق مثل هذه الاستراتيجية. فلقد أثبتت الحرب العالمية الثانية ان مصر رغم وقوعها جنوبى خط الأحتواء الذى يمتد من تريسته فى إيطاليا إلى

طهران ، فإنها ظلت قاعدة تمثل نقطة الارتكاز الرئيسية للقوى البريطانية فى قارتين. فخلال الحرب العالمية كانت القاعدة البريطانية فى منطقة القناة تدعم مايصل إلى ٤١ فرقة عسكرية وظلت قناة السويس ممرا حيويا للتجارة العالمية لنقل المواد الخام من العالم غير المتطور إلى الغرب الصناعى (٥) . وقد ازدادت أهمية مصر مع تصاعد الحرب الباردة ونجاح الاتحاد السوفييتى فى تفجير قنبلته الذرية فى سبتمبر ١٩٤٩.

وكان وقوع الحرب الكورية نقطة تحول فى نظر كاميل – الذى كان يعمل محللا للسياسة الخارجية بوزارة الخارجية الأمريكية – فى السياسة الأمريكية. فقد أقتنع مخططو السياسة الأمريكية انه لابد من النظر إلى الدفاع عن العالم الحر ليس من خلال منطقة حلف شمال الاطلنطى "بل أن الخطر اصبح يهدد المناطق المتاخمة والمحيطة بالقوى الشيوعية خاصة مناطق جنوب شرق آسيا والشرق الاوسط الذى كان يمثل نتيجة لضعفه دعوة مفتوحة للعدوان . ومن هذا المنطلق وطبقا لأراء كاميل فإن واشنطن ولندن شعرتا بالحاجة إلى ضرورة العمل المشترك من أجل بناء دفاعى قوى بصورة واضحة (٦) ، وهو ما اكدته الوثائق البريطانية (٧) والامريكية(٨).

وتأكيدا لهذا الموقف فإن الانجليز اقترحوا إلحاق عدد صغير من هيئة الأركان الخاصة بالأدميرال ريتشارد كونولى – قائد عام القوات البحرية الأمريكية فى شرق المتوسط – للعمل فى قاعدة فايد الجوية البريطانية . وكان الدافع وراء هذا هو محاولة الانجليز الزام الولايات المتحدة بالمشاركة فى أعباء الدفاع عن السويس . وكانت وزارة الخارجية البريطانية ترى ربط خطط الدفاع عن مصر بخطط الدفاع العالمى حتى يمكنها تجاوز الأزمة فى علاقاتها مع مصر، إلا أن هذا المقترح لم يلق ترحيبا كاملا من وزارة الخارجية الأمريكية التى خشيت ان يساء تفسيره من جانب إسرائيل (٩). التى بدأت تفرض نفسها على ساحة الاحداث فى الشرق الاوسط . الا أن هذا الموقف الأمريكى المتردد لم يكن يعنى إحجاما تاما من جانبهم عن اتخاذ مصر كقاعدة للدفاع عن المصالح الغربية فى الشرق الاوسط .

وقد وضح هذا فى إقرار الرئيس ترومان فى إبريل ١٩٤٩ إقامة قاعدة جوية فى ابو صوير بصورة عاجلة. واشارت وثيقة مجلس الأمن القومى الأمريكى إلى أن خطط الطوارئ الحربية الراهنة تتطلب توفير هجوم جوى استراتيجى (نووى) قويا، وتتصور الخطة الراهنة فائدة وجود قاعدة أو (قواعد) جوية فى منطقة القاهرة –

السويس فيما يتصل بالهجوم الجوى الاستراتيجي(١٠) . وهذا التواجد وان كان ظاهرة يعنى المشاركة الامريكية بصورة أو بأخرى فى تحمل إعباء الدفاع عن مصر، إلا أنه كان يتماشى مع الاستراتيجية الأمريكية الرامية إلى عدم التركز والانتشار عكس النمط البريطانى الأمبراطورى. وهو ماوضح فى حصول الولايات المتحدة على تسهيلات ربما مختلفة فى الشكل فى السعودية متمثلة فى قاعدة الظهران ، ومن قبل فى تركيا واليونان ، ثم ليبيا ومراكش فيما بعد . لقد وصل صانعو السياسة الامريكية إلى قناعة بضرورة تقسيم الأدوار والمسئوليات ، فالشرق الأقصى كان من نصيبهم ، والشرق الاوسط إلى حد بعيد فى نظرهم كان مسئولية بريطانيا (١١) .

مصر وعضوية حلف الأطلنطى :

مع تصاعد الأحداث العالمية ، وزيادة المد الوطنى فى المنطقة ، فإنه كان لابد من إيجاد حل يتمشى مع مصلحة كافة الاطراف ، ويحفظ ماء وجه الجميع ، ففى اكتوبر ١٩٥٠ عرض السفير المصرى فى واشنطون امكانية انضمام مصر إلى حلف شمال الاطلنطى (NATO) ، الا أن الخارجية الأمريكية عارضت هذا الأقتراح لعدة أسباب منها انه سوف يمثل عبئا اضافيا على الحلف مع بداية تكوينه ، بالإضافة إلى تخوفهم من أن تتقدم دول أخرى بطلبات مماثلة (١٢). يضاف إلى هذا وذاك ، خوفهم من معارضة اسرائيل لهذه العضوية التى سوف تؤثر بلاشك على التوازن العسكرى بين مصر واسرائيل – من وجهة النظر الاسرائيلية – كما يمكن القول ان الغرب ، وخاصة الولايات المتحدة ، أراد عدم استثارة الاتحاد السوفيتى بمثل هذا العمل خاصة فى أعقاب الحرب الكورية ورغبة الأطراف فى تهدئة الأوضاع العالمية :

أما بالنسبة لمصر، فإن هذه الرغبة كانت تتفق مع مكانتها فى المنطقة. فهى لم تكن أقل من تركيا ، وكانت مصر مدركة ان الغرب سوف يصر على ضرورة دخول مصر فى منظومات الدفاع الغربية بأى شكل من الاشكال .

وفى تقرير اعد لوزير الخارجية الأمريكى دين اتشيسون فى هذا الصدد أقترح " انه اذا رغبت مصر فى التعاون فى الدفاع عن منطقة الشرق الأدنى فإن هناك عددا من الطرق المفتوحة امامها لتفعل ذلك وبوجه خاص فهى تستطيع أن تنتهج موقفا أكثر تهاونا فى مباحثاتها مع المملكة المتحدة ، كما تستطيع أن تتعاون بدرجة اكبر مع جهود الامم المتحدة لتطوير نظام أمنى فعال"(١٣) .

الا أنه بالرغم من تأزم الأحداث فى المنطقة وضح تمسك الولايات المتحدة بضرورة تقسيم الأدوار والمسئوليات. ففى المحادثات التى جرت فى اكتوبر ١٩٥٠ بين الجانبين البريطانى والامريكى وضح الآتى :

ان بريطانيا مهتمة بالحلقة الداخلية خاصة مصر ، أما الولايات المتحدة فكانت مهتمة بالإطار الخارجى متمثلا فى إيران وتركيا والعراق والسعودية ، وذلك لاحتواء الخطر السوفيتى وتأمين النفط للقوى الغربية (١٤) .

لقد ظلت مصر تراودها الأمال فى الانضمام إلى حلف الاطلنطى خاصة بعد حصول اليونان وتركيا على العضوية الكاملة للحلف ، فقد طرحت صحيفة " الجورنال ديجيبت" لسان حال القصر الملكى المصرى تساؤلا واضحا عن دخول اليونان وتركيا الحلف مما يجعل الحرب تصل إلى مصر بالتأكيد ، فماذا يستطيعون أن يفعلوا بدون مصر الواقعة فى ركن حيوى ، وبدون أسبانيا الواقعة فى ركن آخر؟ (١٥) .

لكن الغرب أصم أذنيه واضعا نصب عينه ضرورة تأكيد الهيمنة البريطانية ، باعتبارها القوة العسكرية الأولى ، مع تأييد أمريكى ظاهرى حفاظا على سياسة تقسيم الأدوار . ولكن الاحداث قد بدأت تتصاعد ، وهددت مصر بالغاء معاهدة ١٩٣٦ وهى التكنة الوحيدة للوجود البريطانى أو الغربى فى مصر وسارعت الدول الغربية بالعمل على تدارك الموقف الا أن النحاس باشا قد وضعهم جميعا فى موقف حرج باعلانه الغاء معاهدة ١٩٣٦ . فى ٨ اكتوبر ١٩٥١.

فما كان من وزير الخارجية الأمريكى الا أن أرسل برقية إلى الحكومة المصرية فى ١٠ اكتوبر عبر فيها عن أمله فى ضرورة الوصول إلى حل للخلاف حول قاعدة قناة السويس التى لاتخدم الأطراف المعنية فقط ، بل تساهم فى الدفاع عن مصالح "العالم الحر" مشيرا إلى أن عمل الحكومة المصرية لايستند إلى أى "وجه حق"(١٦).

المقترحات الرباعية أو الـ MEDO ١٩٥١ :

فى ١٣ اكتوبر ١٩٥١ قدم سفراء الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا وتركيا إلى وزير الخارجية المصرى مقترحات بشأن الدفاع عن الشرق الأوسط سميت بالمقترحات الرباعية وتضمنت أن مصر بلد من بلدان العالم الغربى ، ومن ثم فإن الدفاع عن الشرق الاوسط بصفة عامة يهم كل الدول الديمقراطية ، ويقتضى التعاون ليس فقط بين دول بلدان المنطقة بل كذلك تنسيق الجهود مع البلدان الصديقة

الأخرى. لذلك فمن المرغوب فيه انشاء قيادة للتحالف تضم البلدان التى لها القدرة والرغبة فى الدفاع عن المنطقة .. وأن الدعوة " تقدم إلى مصر للمشاركة فى القيادة المتحالفة كعضو مؤسس سواء بسواء مع غيرها (١٧) "

ولإغراء مصر لقبول هذه المقترحات، فانها تضمنت استعداد الحكومة البريطانية لاستبدال معاهدة ١٩٣٦ باتفاق آخر ، تكون القيادة المتحالفة أساسه ، وأن يتم انسحاب القوات التى لاتخصص للقيادة المتحالفة . ومن وجهة نظر أتشيسون وزير الخارجية الامريكى فإن منظمة الدفاع عن الشرق الأوسط (MEDO) سوف تعطى لمصر والدول العربية شيئا آخر اكثر فائدة ليفكروا فيه بدلا من تفكيرهم فى العداء مع اسرائيل ، وأن هذا سوف يمهد الطريق إلى تحقيق تسوية سلمية (١٨) " وعلى الفور رفضت مصر المقترحات الرباعية. وفى ١٥ اكتوبر صدق البرلمان المصرى على الغاء معاهدتى ١٩٣٦ ، ١٨٩٩ ، وتم إعلان فاروق ملكا على مصر والسودان.

لقد كان رفض مصر بمثابة صدمة للغرب . فبدلا من أن تكون أول دولة عربية تشترك فى منظومة الدفاع الغربى ضد الاتحاد السوفيتى ، تصبح قائدة للرفض ، معطية مثالا يحتذى به للأخريات لانتهاج نفس النهج تجاه الغرب وكذا تجاه اسرائيل(١٩) وجاء خطاب محمد صلاح الدين وزير الخارجية المصرى إلى السفير الامريكى كافرى موضحا سبب رفض مصر هذا المقترح ، فعلى حد قوله " ان مصر لم تجد جديدا فى هذا المقترح ، وان المقترحات تحافظ على وجهة النظر البريطانية بينما تتكر إنكارا بينا الحقوق المصرية . بل اكثر من هذا فإنها أسوأ من معاهدة ١٩٣٦ حيث انها بدلا من الاحتلال بدولة واحدة ، أصبح الاحتلال بأربع دول غير محدود المدة أو العدد (٢٠) ، يضاف إلى هذا ان توقيت تقديم المقترحات جاء فى وقت سيئ اى بعد خمسة أيام من خطاب النحاس الذى اعلن فيه الغاء المعاهدة وتقديمه المراسيم الخاصة بذلك الى البرلمان ، فلم يكن بإمكان اى قوى سياسية أن تتراجع عن تحقيق هذا الهدف الذى ظل يراود المصريين ، خاصة وان التجربة الإيرانية كانت ماثلة والتحدى للغرب كان قائما (٢١) ولم يكن بالامكان النكوص عن الوعود التى أعطيت للجماهير .

لم يكن رفض المقترحات الرباعية معناه التخلى من جانب الغرب عن محاولته لضم مصر إلى منظمة الدفاع عن الشرق الاوسط (MEDO) التى كانت الولايات المتحدة ترى فيها (وذلك طبقا للوثائق الأمريكية السرية للغاية) أداة لتحويل وضع

بريطانيا من قوة امبراطورية إلى قوة تعمل لحساب الاستراتيجية الامريكية العالمية الهادفة إلى إحتواء (الخطر السوفيتى) وتأمين منابع النفط) (٢٢) وقد وضح هذا فى أثناء المحادثات التى عقدت بين ترومان وتشرشل فى ٨ يناير، وفيها اكد الرئيس الامريكى ضرورة تفهم كل من الدولتين لأهداف الأخرى فى المنطقة وتقرر فيها تقديم اقتراح رباعى جديد عن الشرق الاوسط لمصر (٢٣) .

الا أن الاحداث الداخلية تداعت مع حريق القاهرة فى ٢٦ يناير ١٩٥٢ ، وعبر كافرى فى تلغراف إلى وزير خارجيته " عن شكوكه فى أمكانية قيام نظام دفاعى يرتكز حول مصر فى ظل الظروف الراهنة (٢٤) .

ورغم كل هذا ، فإن الدراسات المتعلقة بإنضمام مصر إلى منظمة الدفاع عن الشرق الأوسط لم تتوقف ، وقد وضح هذا فى الدراسة التى أعدتها وكالة المخابرات المركزية الأمريكية (CIA) التى توصلت إلى أنه " اذا وافقت مصر على فكرة المنظمة فإن البلدان العربية الأخرى سوف تنضم إليها بدافع الحصول على السلاح والمعونة الاقتصادية، ولكن المشكلة هى ضرورة قبول مصر (٢٥) .

لقد أصبح موقف مصر ، وليس أحتياجات الغرب ، هو الأساس الذى يجب ان يراعى فى محاولة بناء الأنظمة الدفاعية أو فرض المفاهيم (٢٦) ، وهو ما لم يتفهمه الكثيرون من صناع السياسة فى الغرب أو تغاضوا عنه رغبة فى تحقيق أهدافهم .

وبدأت الأحداث تتوالى ، وتغيرت القيادات والادارات ، وبدأت مصر عهدا جديدا تحت قيادة مجموعة جديدة ، وأخذت أمريكا تتهيأ للعب دور جديد .

الثورة ومشروعات الدفاع الغربية :

لم يكن تغيير النظام فى مصر يعنى أن يتخلى الغرب عن الترويج لمشروعاته الدفاعية . ففى أعقاب قيام ثورة يوليو قدم الخبراء العسكريون الأمريكيون توصية إلى وزارة الخارجية الامريكية تفيد ان " إقامة منظمة الدفاع عن الشرق الاوسط (MEDO) اصبحت ضرورة ملحة .. وأن هذا يتطلب ضرورة تعاون دول المنطقة خاصة مصر(٢٧) .

وقد وضح هذا الموقف بجلاء أثناء المحادثات التى دارت فى نيويورك بين الانجليز والامريكيين ، فلقد أوضح الجانب الامريكى لنظيره الانجليزى " ان حكومة الولايات المتحدة مازالت مصرة على أن مصر ، وليس العراق ، تمثل المفتاح

الأساسى فى هذا الموضوع ، وانه ليس هنالك أى دولة عربية أخرى سوف تفكر فى الاشتراك فى هذا النظام حتى تسوى الخلافات بين مصر والمملكة المتحدة (٢٨) بل اكثر من هذا فإن الولايات المتحدة رغبة منها فى تحقيق هذا الهدف أوضحت لحلفائها أن تسوية خلافاتهم مع مصر سوف تحقق ماترنو اليه مصر وكذا سوف تلبى مطالب واحتياجات الغرب الدفاعية ، وهو ماعبر عنه دالاس وزير الخارجية الامريكى فى إحدى جلسات الاستماع امام الكونجرس(٢٩) .

ولكن المشكلة التى لم تكن واضحة فى أذهان صناع السياسة فى الغرب أن النظام العسكرى الجديد رغم إحكامه لقبضته على زمام الأمور الداخلية وفهمه العميق للمشاكل الاستراتيجية فى المنطقة عن سابقة ، الا أنه كان أسير الخوف من المعارضة الداخلية التى كانت تتوثب وتتحين الفرص لاتهام النظام الجديد بالخيانة والتفريط فى الحقوق الوطنية . مما دفع باللواء محمد نجيب بعد توليه رئاسة الوزارة أن يوضح لممثلى السفارة الأمريكية فى ٢٥ اكتوبر ١٩٥٢ إن البعض من أعضاء وزارته على اتصال بالسوفييت الذين ابدوا استعدادهم للوفاء بكافة احتياجات مصر الدفاعية فى مقابل عدم اشتراك مصر فى منظمات الدفاع الغربية " وسواء كان نجيب جادا فى هذا أو يسعى للضغط على الغرب بإستخدام (الكارت) الروسى كورقة ضغط فإن هذا دفع بكافرى من خلال موقعه ، بأن يرسل إلى خارجيته " بأن مصر لن تدخل كشريك فى (MEDO) منظمة الدفاع عن الشرق الاوسط بأى صورة من الصور حتى تعلن بريطانيا رغبتها- من حيث المبدأ- فى الجلاء عن قاعدة قناة السويس (٣٠) .

لقد كان موقفا معقدا ، فالغرب (وخاصة الولايات المتحدة) يريد مشاركة مصر فى نظام الدفاع الغربى ، وفى نفس الوقت لايسعى لدفع النظام الجديد إلى الدخول فى مواجهة مع قوى المعارضة الداخلية المتحفزة للنيل منه ، والمتطلعة إلى إزاحة العسكريين من السلطة بإثارة الاضطرابات والمصاعب لهم .

لقد كان موقف القيادة الجديدة واضحا من هذه القضية . فلقد اوضحت رغبتها فى المشاركة فى انظمة الدفاع الغربية ، ولكن بحيث يسبق هذا جلاء القوات البريطانية عن الاراضى المصرية(٣١) .

لقد بدت القضية التى بدأت تطرح نفسها على الوجه التالى : هل يأتى الجلاء أولا ثم تتلوه المشاركة ، أم العكس ؟

طرح السفير كافرى القضية من خلال منظوره على العسكريين وأوضح لهم " أن الاشتراك فى منظمة الدفاع عن الشرق الاوسط سوف يكون ثمنا للانسحاب البريطانى من قاعدة قناة السويس(٣٢) .

لقد بدأ النظام الجديد الذى لم يعلن تردده عن الاشتراك فى أنظمة الدفاع الغربية - طبقا لمفهومه وشروطه - فى مطالبة الولايات المتحدة بالوفاء بإحتياجات مصر من الأسلحة . ومن خلال موقعها أوضح السفير كافرى لوزارتى الخارجية والدفاع فى بلاده ان "الاستجابة لمطالب مصر سوف تقوى "أيدينا فى المفاوضات وكذا تدعم حجتنا بالنسبة لمنظمة الدفاع(MEDO) (٣٣).

الا أن توصياته لم تجد آذانا صاغية لأسباب عديدة منها على سبيل المثال الضغوط البريطانية من جانب ، واللوبى الصهيونى الذى كان متمكنا من ادارة الرئيس هارى ترومان من جانب آخر، والذى كان يرى انه على مصر ان تتوصل إلى تسوية سلمية مع اسرائيل قبيل حصولها على الأسلحة من الولايات المتحدة(٣٤).

وتعقد الموقف وأصبح الغرب خاصة بريطانيا محل هجوم فى التصريحات المصرية وبدأ كافرى يدرك الخطر ، وحذر حكومته فى تقاريره (فى الفترة الممتدة من ديسمبر ١٩٥٢ إلى فبراير ١٩٥٣) من خطورة الموقف، بل كان اكثر تحديدا حينما أوضح لحكومته أنه من الواجب عدم دفع مصر إلى الاشتراك فى منظمة الدفاع عن الشرق الاوسط (MEDO) . وأن الجلاء لابد وأن يتم بغير شروط.

ان هذا التغير فى موقف ممثل الحكومة الامريكية بالقاهرة يمكن أن يكون مرجعه ان السفير بحكم موقعه بدا اكثر تفهما لحجج الجانب المصرى . الذى كان يواجه موقفا صعبا دخليا وتعنتا خارجيا من جانب الانجليز، مما قد يدفعه إلى ازدياد العداء مع الغرب والتقارب مع الكتلة السوفيتية وهذا ماقد أوضحته تقارير مخابرات السفارة المقدمه إليه (٣٥).

لقد جرى الوقت ، ولم يعد للادارة الديمقراطية إلا أيام قليلة فى الحكم ، واصبحت ادارة ترومان (كالبطة العرجاء) حسب التعبير الامريكى، ومصر لم تشترك فى منظومة الدفاع الغربية . وكان على الادارة الجمهورية الجديدة ان تعالج الأمر بما يحقق اهداف الاستراتيجية العليا للقوى الغربية فى المنطقة. لقد كان على رأس الادارة دوايت أيزنهاور صاحب التاريخ العسكرى . والفهم المتعمق

للاستراتيجية العالميـة ، يسـاعده فـى ادارة شـؤون السياسـة الخـارجيـة جـون فوسـتر دالاس المحـامى الشـهير ذو الخـبرة السياسـية والقانونيـة، المسـيحى المتديـن (٣٦) جاءت هذه الادارة فى فترة شهدت اشتعال حمى المكارثية التـى قـد سـاهمت بلاشـك فى اسقاط الديمقراطيين ونجاح الجمهوريين .

ورغم انها كان قضيـة داخليـة إلا انهـا انسـحبت اثارهـا علـى السياسـة الخارجيـة الامريكية لفترة ليست بالقصيرة (٣٧) .

الشـرق الاوسـط مشـتعل، فالتيـار الوطنـى يـزداد قـوة ، وايـران مصـدق تحـدت الغرب، ومصـر الثـورة يقودهـا مجموعـة مـن الشـبان الذيـن ربمـا يدفعهـم طموحهـم وشعبهم إلى تجاوز الخط الاحمر المرسوم من جـانب الادارة الامريكيـة ، واشـتراك مصـر فـى انظمة الدفـاع الغربى ، ليـس حيويـا بالنسبة للولايـات المتحدة وحلفائهـا ، بقدر ماهو عامل اساسـى فـى تحقيـق السـلام والامـن لاسـرائيل ، وهـذا مـا أوضحـه وزير الخـارجية الامريكية دين اتشيسون للعديد مـن مسـاعديه (٣٨) فقـد كـان يؤمـن بإن القضاء على الاضطراب من الداخل سوف يؤدى إلى احتواء الخطـر المتحفز من الخارج الذى كان الاتحاد السوفيتى يمثله(٣٩) .

ومـع بدايـة تولـى ادارة ايزنهـاور الحكـم ، فـإن عبـد النـاصـر قـد أوضـح لممثلـى السفارة الامريكية بالقاهرة استعداده لاعطاء ضمانـات للغـرب لاسـتخدام قـاعدة قنـاة السويس فى حالة تعرض المنطقة للتهديد " بل اكثر من هذا فإنـه قـد ابـدى اسـتعدادا لمناقشة إمكانية إحلال السلام بين مصر واسرائيل(٤٠) وتأكيدا لهـذا فإنـه لـم يتـوان عن التصريح لمراسلى الصحف الغربية " اننا نريـد الاسـتقلال وكـذا نريـد أن تعمـل القاعدة بكفاءة ويسر. اننـا نريـد فنييـن ونظـرا لكـون معدات القـاعدة بريطانيـة فإننـا نحتاج بالضرورة إلـى فنييـن بريطـانيين (٤١) وقد لاقت تصريحـات عبـد النـاصـر وصلاح سالم ترحيبا فى الدوائر الغربية التى استشعرت تلميح عبـد النـاصـر ورفاقـه إلى امكانية اشتراك مصر فى منظومـة الدفـاع الغربيـة بمجـرد التوصـل إلـى تسـوية للنزاع بينها وبين بريطانيا(٤٢) .

لقد كان من الواضح ان القيادة المصرية قد وضعت شروط الجلاء التام أولا قبـل بدء التفكير فى سياسة الارتباط مع الغرب ، ذلك انه من الصعوبـة علـى أمـة محتلـة أن تتفاوض على معاهدة تحالف مع القوى التى تحتلها(٤٣) .

زيارة دلاس :

قبل وصول دلاس الى المنطقة بأربعة أيام أجتمع وزراء الخارجية العرب في ٦ مايو ١٩٥٣ وأعلنوا عن تأييدهم لموقف مصر مطالبين بضرورة الأنسحاب الانجليزى من الاراضى المصرية دون قيد أو شرط (٤٤) ورغما عن أن هذا التأييد كان فى ظاهره موجها ضد بريطانيا الا أنه كان أشبه برسالة إلى وزير الخارجية الامريكى تحمل فى مضمونها إعتراف الدول العربية بقيادة مصر لها من خلال هيمنتها على الجامعة العربية .

وقد حاولت الصحف المصرية أن تبرز موقف مصر ، فنجد أن محمود أبو الفتح (رئيس تحرير جريدة المصرى) قد نشر رسالة إلى دلاس فى ١١ مايو ١٩٥٣ قال فيها إذا كان الامريكيون يسعون للأمن فى الشرق الاوسط .. فإن عليهم ترك العرب ينظمون هذا بأنفسهم وعليكم تزويدهم بالسلاح(٤٥) .

وترددت نفس النغمة على صفحات الاخبار(٤٦) وكذا "الدعوة" لسان حال جماعة الاخوان المسلمين(٤٧) .

لقد فرضت مكانة مصر موقفها على الواقع السياسى الراهن، فتأييد الجامعة العربية وموقف الصحافة المصرية ، جعل من الصعوبة بمكان على القيادة المصرية ان تتقبل اى مقترح يقلل من مكانة مصر فى المنطقة فإذا جازلنا إستخدام التعبير اللاتينى فإن القيادة المصرية سواء قبل الثورة أو بعدها دائما وإبدا كان لديها الأحساس بإن مصر ذات وضع اقليمى متميز – بمعنى الأول من أقرانه – وليس بمعنى طرف فى منظومة الدفاع الغربية تلعب دورها فيها كالآخرين.

كانت هنالك ثلاث نقاط رئيسية تسيطر على فكر دلاس قبل مجيئة إلى مصر، كان من بينها وأهمها أمكانية اشتراك مصر فى منظومة الدفاع الغربية ضد الاتحاد السوفيتى(٤٨) .

وفى أثناء المحادثات التى دارت بين الجانبين أوضح محمد نجيب لدالاس امكانية قيام تحالف بين مصر والغرب ، فمن وجهة نظره ، انه ليست هنالك دولة تستطيع ان تقف بمفردها .. وأن روسيا ليست دولة صديقة (٤٩) لنا وفى اثناء محادثاته مع عبد الناصر وبقية رفاقه اوضح عبد الناصر ان الشعب المصرى يعتقد أن MEDO ماهو الا وجود ابدى للاحتلال (٥٠) .

كما أن عبد الناصر أوضح لدلاس وذلك طبقا لرواية محمد حسنين هيكل فى ملفات السويس اننا نرى أن وسيلة الدفاع الحقيقة موجودة فى ميثاق الضمان العربى الجماعى وكل ما يحتاج إليه هذا الميثاق هو اعادة تنظيمه وإعادة تسليحه ليكون هو الكفيل بعد ذلك بالدفاع عن المنطقة وأهلها(٥١) . لقد بات واضحا ان المواقف الرئيسية للأطراف قد تحددت ، وأدرك دلاس كما أوضح لنجيب " بأن منظمة الدفاع عن الشرق الاوسط لم تعد تتمشى مع متطلبات الأوضاع الجديدة أو أنه من الأنسب البحث عن صيغة جديدة تتفق مع التطورات الجديدة على الساحة (٥٢) وهو ما اكده فى تقريره الذى رفعه إلى الرئيس أيزنهاور أبان عودته من رحلته(٥٣) بل اكثر من هذا فإنه قد صرح لنجيب ورفاقة بأن الولايات المتحدة سوف تساعد مصر فى أن تلعب دورا رئيسيا فى العالم العربى (٥٤) وقد اكد عبد الناصر هذه الرواية فى تصريح له للنيويورك تايمز فى ١٤ ابريل ١٩٥٥(٥٥) .

لقد تمشت تصريحات دلاس مع طموح وتطلعات القادة الجدد ، فهم ليسوا أقل وطنية من رجال الاحزاب والعهد السابق فى الحفاظ على مكانة مصر وهيمنتها على الساحة العربية(٥٦) .

وجاءت تصريحات دلاس لتزيدهم أقتناعا بانهم فى المستقبل القريب سوف يمارسون هذا الدور بصورة أو بأخرى بمباركة أمريكية غير مدركين ان الجانب الأمريكى قد وصل إلى قناعة بأن الارتكاز على مصر فى ظل الظروف الحالية كمفتاح للدفاع عن الشرق الاوسط يجب أن يرجأ أو يعاد النظر فيه من جديد لاعتبارات عدة .

ولكن ماهى الأسباب التى دفعت بدلاس إلى اصدار مثل هذا التصريح فى محادثاته مع الجانب المصرى فى هذا الوقت ربما يكون دافعة إلى هذا هو الرغبة فى دفع النظام الى سرعة انهاء خلافاته مع البريطانيين تحسبا لنتائج سعى الغرب إلى تجنبها(٥٧) .آملا بأن يوضع حد لهذا الخلاف فإن الباب سوف يفتح لبدء مسيرة السلام بين مصر واسرائيل ، وهو ماكانت تسعى إليه الولايات المتحدة ، وأصبح من ثوابت سياستها فى المنطقة. يضاف إلى هذا ان صانع السياسة الامريكية لم يكن متفهما الجانب النفسى لدى القيادة الجديدة التى كانت تسعى لأن تثبت انها ليست أقل من سابقتها من الساسة القدامى فى الحفاظ على مكانة مصر العربية وأن مكانة مصر العربية قد ازدادت وأرتفعت غير متأثرة بغياب هذه النخبة الحاكمة (٥٨) .

وصل دلاس الى قناعة فى نهاية زيارته بأن انشاء منظمة للدفاع عن الشرق الاوسط مرتكزة على مصر لايتناسب مع الواقع فى هذه المرحلة وان على الولايات المتحدة تدعيم الدولة الراغبة فى ذلك وتشجيع كل الجهود التى تتفق مع تصورها لأمن المنطقة وتقديم المساعدة لذلك(٥٩) .

فعلى سبيل المثال نجد أن دلاس خلال جولته فى الشرق الاوسط وخاصة أثناء زيارته لباكستان وجد حماسا للحصول على المعونة الامريكية بالشروط الامريكية ، وهو مايتباين مع موقف مصر وغيرها (٦٠) وسارعت العراق الى السير على طريق باكستان لإحساسها بالتهديد اكثر من غيرها(٦١) .

لقد بات واضحا ان فكرة الحزام الشمالى التى ازداد اقتناع دلاس بها بعد جولته بالمنطقة أصبحت مسيطرة على ذهن صانع السياسة الامريكية الذى نقل البؤرة الأولية فى الخطط الدفاعية الغربية من قاعدة قناة السويس إلى الحزام الشمالى * . بما يحقق هيمنته وهذا ما وضح فى تقرير دلاس الى مجلس الامن القومى الامريكى (NSC) فى يونيو ١٩٥٣ (٦٢) ولم يشعر الانجليز بإرتياح لهذا النهج الامريكى المنفرد بإعتبار أن الشرق الاوسط منطقة نفوذهم التقليدى وأن على بريطانيا ان تحتفظ بالمسئولية الأولية فى الدفاع عن المنطقة وأن أى عملية لاعادة التشكيل الاستراتيجى لابد وأن تكون نتيجة لاتفاق ثنائى بينهما(٦٣) .

لم يدرك النظام فى مصر مايدور بخلد صانع السياسة الامريكية ظنا منه ان اعتماده على الموقع والموضع سوف يحقق لمصر العديد من الامتيازات ، ففى عشية مؤتمر قمة برمودا بين الولايات المتحدة وبريطانيا والذى عقد فى ديسمبر ١٩٥٣ ، أرسل محمد نجيب سرا إلى دلاس يعرب عن رغبة مصر فى التعاون مع الغرب" إذا جلت بريطانيا عن قاعدة قناة السويس(٦٤) ولقد وضع النظام الجديد الجلاء كهدف اساسى حتى يحقق مالم يحققه سابقه ، ظنا بأن الغرب سوف يحفظ

---

* ربما يكون من الاسباب التى زادت اقتناع دلاس بقيمة فكرة الحزام الشمالى ماورد فى إحدى جلسات الاستماع التى حضرها رئيس الاركان عمر برادلى ووزير الدفاع مارشال حيث قيل ان العراق والأردن هما الدولتان العربيتان الوحيدتان القادرتان على المساهمة فى الدفاع الخارجى ضد السوفيت أما القوات المصرية فقادرة على إدارة مهام الأمن الداخلى . انظر فى ذلك

NA.RG 330 JCS 1887 161 26 Nov. 1952 . Military Requirment 8 on the defense of the Middle East.

مكانة مصر بجعلها على رأس منظومة الدفاع الغربى فى المنطقة مـن خـلال ميثـاق الضمـان الجمـاعي العربـى . وقـد حـاول عبـد النـاصر بعـد سيطرته علـى الموقـف الداخلى نفس المحاولة مبديا تفهما أعمق لمشاكل الغرب الاسـتراتيجية بعرضـه ضـم تركيا عضو حلف الاطلنطى- الى الاتفاق المزمع عقده بين مصر وبريطانيا(٦٥) .

فلقد سعى عبد الناصر إلى إن يضرب عصفورين بحجر فان هـذه الخطـوة كـانت تتمشى مع استراتيجية الغرب - الأمريكية - الخاصة بشرق البحر المتوسط لاحتواء الخطر السوفيتى كما أنه أراد ان يثبت للغرب عدم تخوف النظام الجديد من الارتباط بتركيا - ظنا منه انه بهذا العرض سوف يدفع بالغرب دفعا إلـى تـأييد هيمنـة مصـر علـى المنطقـة مـن خـلال ميثـاق الضمـان العربـى . خاصـة وأن تباشـير الاتفـاق - الامريكى - العراقى قد لاحت فى الأفق قبل توقيعه فـى إبريـل ١٩٥٤ (٦٦) وكـان على عبد الناصر ان يتحرك بسرعة لتدارك الموقف لاثبات ان مصر الثورة وليس عراق نورى والهاشميين أجدر بقيادة المنطقة العربية .

وبدا عبد الناصر يستشعر الخطر على الموضع والموقع، وأخذت الحرب العربيـة الباردة تستعر والصراع على زعامة المنطقـة يقوى . وكـان علـى عبـد النـاصر ان يسرع من أجل التوصل إلى اتفاق نهائى مع الانجلـيز لعـل فيـه نهايـة الـترقب لـدور مصر الموعود. وانطلاقا من هذا فإن عبد الناصر لم يتوان عن اظهار رغبتـه سـرا فى اشتراك مصر فى الاحلاف الاقليمية كالحلف الباكستانى الـتركى (٦٧) آمـلا ان عرضه هذا سوف يدفـع الولايـات المتحـدة إلـى مساندته فـى المراحـل الاخيرة فـى مفاوضاته مع الانجليز ، وكذا ضرب التقارب الامريكى العراقى بسحب البساط مـن تحت أقدام العراق فى هذه المرحلة .

وأخيرا توصل الجانبان إلى اتفاقية الجلاء فـى ١٩ اكتوبـر ١٩٥٤. والـذى يهمنـا فى هذه الاتفاقية النقطة الخاصة باستخدام قاعدة قناة السـويس ، فقد اشـارت إلـى ان تبقى بعض اجزاء من القاعدة فـى حالـة صالحـة وتكـون معـدة للاسـتخدام فـى حالـة حدوث هجوم مسلح من دولة أجنبيه علـى مصـر اوعلـى أى بلـد عربـى يكـون عنـد توقيع الاتفاق طرفا فى معاهدة الدفاع المشترك بين دول الجامعة العربيـة ، او علـى تركيا . وحينئذ تقدم مصر لبريطانيا التسهيلات لتهيئة القاعدة للحرب وإدراتها إدارة فعالة .

حقيقـة ان الاتفـاق حقـق لمصـر الكثير ، الا أن الشـرط الخـاص بعـودة القـوات البريطانية فى حالة حدوث هجوم على تركيا كان مثار قلق للمصريين الذين استشفوا

من ذلك محاولة الغرب لربط البلاد بعجلة الأحلاف الغربية خاصة (NATO) وأن محمد حسنين هيكل كان يشير إلى ان عبد الناصر " لم يجدها تضحية كبيرة تستدعى المخاطرة بكل ما أماكن التوصل إليه ، هذا إلى جانب يقينه بأن الهجوم على المنطقة من خارجها ليس واردا فى الحساب ، واذا حدث فسوف تكون الحرب نووية(٦٨) .

وقد أكد السيد على صبرى المعانى السابقة للمؤلف فى مقابلة له معه(٦٩) .

وإمعانا فى تأكيد موقفه من الغرب والشيوعية، فإن عبد الناصر فى مقابلة صحفية اعلن "اننا فى حرب ضروس ضد الشيوعية ، وأننا على يقين بأنها تعمل بتوصيات وأوامر من الاتحاد السوفيتى(٧٠) .

بل اكثر من هذا فإن د . فوزى وزير الخارجية المصرية ابلغ كافرى "بأن مصر لن تسعى إلى اختلاق مشاكل للولايات المتحدة فى ليبيا أو بريطانيا فى العراق بل بالعكس فإنهم سوف يكيلون المديح للعراق(٧١) .

لقد كانت كل المؤشرات تبشر بصفحة جديدة بين مصر والغرب . وجاءت فترة التقاط الأنفاس وبدء الاختبار الحقيقى لمدى صدق الغرب لتحقيق وعوده بتسليح – لمصر – وهيمنته. وتوقع الجميع انضمام مصر إلى الاحلاف الغربية فى الشرق الاوسط (٧٢) بعد زوال اسباب الخلاف الا أن كل هذه التوقعات قد خابت . فعبد الناصر كان يتجه إلى سياسة تحدد فيها اتجاهان(٧٣) اولهما انه بحاجة إلى فسحه من الوقت يستطيع ان يعود فيها إلى الشعب المصرى على أن بلدا فى وضعه يجب ان لايعتمد على الاجانب (٧٤) ثانيهما ان مصر يجب أن تتمتع بوضعها الخاص وبكبريائها وهما – بمقاييسة – يعنيان عدم الارتباط باحلاف عسكرية اجنبية . حقيقة انه قد وقع اتفاقية مع بريطانيا الا أن ذلك لم يعد ان يكون نهاية لفصل قديم "، ومن ثم كان من الواجب عدم وجود أحلاف جديدة الا مع الأخوة العرب (٧٥) ولكى تحافظ مصر على زعامتها للشئون العربية كان عليها ان تتصدى لاى محاولة للخروج عن هذا الخط الذى كان يستند إلى التضامن العربى المستند إلى الجامعة العربية وميثاق الضمان الجماعى .

وإذا كان عبد الناصر قد بنى سياسته على الأسس السابقة الذكر ، فإن الغرب وخاصة الولايات المتحدة كقوة عالمية كانت لديها مسئوليات دفاعية واستراتيجية زادت مع الايام فى مواجهة الاتحاد السوفيتى وأن هذه المواجهة تستلزم منها بناء

أسوار لحصارتها ركائزها دول الحزام الشمالى * – وربما مصر كعمق لهذا الحزام – وأنه طبقا لما قرره مؤتمر رؤساء البعثات الدبلوماسية الامريكية المنعقد فى اسطنبول فى الفترة الممتدة من ١١ – ١٤ مايو ١٩٥٤ – فإن ادخال العراق إلى التحالف التركى الباكستانى سوف يملأ الفراغ الذى خلفته منظمة الدفاع عن الشرق الاوسط سيئة الصيت والجامعة العربية "العاجزة" وأن ينهى الحديث عن ميثاق الامن الجماعى العربى وأن يحول أهتمام العرب بعيدا ، وأن يضمن لباكستان قيادة العالم الاسلامى(٧٦).

إن البحث عن الحلول الوسط يؤدى إلى التناقضات والتناقضات تؤدى فى النهاية إلى صراعات .

لقد اصبح من المحتم ان يحدث الخلاف . فالغرب كان يبنى استراتيجيته على اسس تتعارض بالضرورة مع طموحات مصر ورغبتها فى زعامة المنطقة . ووجد الغرب فى المنطقة من لديه القدرة على تحمل الأعباء بما يتمشى مع خدمة مصالحه وأهدافه طبقا لشروطه متمثلا فى العراق تحت قيادة نورى السعيد(٧٧) ، ومصر فى نظر محلليهم " ليس لديها الكثير لكى تقدمه كشريك أو كحليف إلا الموقع الذى يعتبر من اكثر النقاط أهمية فى العالم من الناحية الاستراتيجية .. وحتى ذلك ، فإن المشاعر الوطنية تقف عقبة امام أمكانية إعطاء مصر تسهيلات لاى دولة أجنبية(٧٨) ومن هذا المنطلق بدأت المعركة بين أصحاب الموقع والموضع متمثلا فى مصر كقوة اقليميه وبين مخططى الاحتواء ومن يسير فى ركابهم من القيادات العربية ، وبالتالى اصبح هنالك وجهتا نظر ، وجهة النظر العراقية التى تدافع عن إقامة الحلف كنواة لمنظمة دفاع شرق أوسطية ووجهة النظر المصرية التى ترى ان الدفاع عن المنطقة يجب ان يتم فى اطار معاهدة الضمان الجماعى المشترك من خلال جامعة الدول العربية ، والتى ترفض مشاركة اى دولة غير عربية أو الانخراط فى تكتلات عسكرية أجنبية باعتبار ان الخطر المباشر على المنطقة العربية هو اسرائيل ودول الاستعمار الغربى وليس الشيوعية الدولية(٧٩) .

---

* باكستان – إيران – العراق – تركيا .

معركة حلف بغداد

وبدأت المعركة بين النظريتين تأخذ أبعادا جديدة سافرة عما يدور فى كواليس السياسة ، فمع إعلان الاتفاق التركى – الباكستانى فى ٢ أبريل ١٩٥٤ أعلن عبد الناصر " انه يجب ألاتنضم اى دولة عربية إلى الحلف فهو حلف دفاعى يتجاهل مصالح عرب الشرق الاوسط ويهدف فى نفس الوقت إلى تخريب عمل الجامعة العربية (٨٠) وما أن أقتربت العراق من حافة الانضمام إلى هذا الحلف حتى اشتدت المعارضة المصرية لهذه الخطوة، سواء بالقول أو بالفعل ، وقد وضح هذا فى خطبة عبد الناصر فى العيد الثانى للثورة حيث قال " إيها الأخوة ... ان هدف حكومة الثورة ان يكون العرب أمة قوية ... إن الثورة تؤمن ايضا ان عبء الدفاع عن العرب يقع أول مايقع على العرب وهم جديرون بالقيام به(٨١) .

وحينما وقعت مصر اتفاقية الجلاء فإنها قد واجهت هجوما من جانب العراق ، وفى مجمل الرد على هذا الهجوم ، اكد راديو صوت العرب " ان لمصر حلفا واحدا تؤمن به وتعمل من اجله هو ميثاق الامن الجماعى العربى(٨٢) .

وجاء التحدى من العراق الذى وجد ان الجامعة العربية وميثاق الأمن الجماعى ماهى الا وسائل للتدخل المصرى فى آسيا العربية ، التى تعتبرها العراق دائرة شرعية لنفوذها . لقد استخدمت مصر الجامعة العربية عقدين من الزمان لكى تبقى العراق داخل حدودها فأعاقت مشروعات العراق الاتحادية (٨٣) لقد كان احساس نورى السعيد وهو يمثل الحرس القديم من القوميين العرب ان مصر النحاس أو مصر الثورة قد سلبت دورهم وأنه قد آن الأوان للعراق ان تلعب دورها من جديد مستغلة حاجة الغرب إلى قوة تستطيع ان تنفذ سياسته ، قريبة من منابع النفط الذى أصبح سلاحا حيويا بالنسبة للغرب فى معركته مع الكتلة السوفيتية(٨٤) .

وكانت استراتيجية نورى تقوم على أساس ان العراق بوضعه الجديد سيصبح رأس حربة فى منظومة الدفاع الغربى وأنه سيستفيد من فيض الأسلحة والاموال والمعدات الغربية وستتبعه دول عربية أخرى ، وفى هذه الحالة فان على مصر إما أن تلحق بالركب ولكن كشريك ثانوى ، وأما أن تعزل . ولكن نورى لم يضع فى اعتباره ان زعامة العراق الهاشمى غير مقبولة من جانب السعودية والتى كانت الولايات المتحدة تسعى لإرضائها فى هذا الوقت بالذات . وسوريا كانت تتصارعها التيارات ، والأردن رغم صلة الدم بين حكامه وحكام بغداد كان النهج القومى

يفرض نفسه عليها ، والملك الشاب يسعى لتحقيق مكانته بين أبناء شعبه ، كل هذا لم يضعه نورى فى حساباته بصورة جادة .

وحاولت القاهرة إثناء العراق عن التمادى فى سياسته بالارتباط بالغرب . الا أن محاولتها لم تجد سبيلا. حقيقه إن القاهرة لم تمانع دخول العراق إلى حلف بغداد(٨٥) ولكن الذى ازعج عبد الناصر هو ان المادة الخامسة من الاتفاق التركى العراقى كانت تنص على الآتى :

إن هذا الحلف يسمح لاى دولة من دول الجامعة العربية بالانضمام اليه (٨٦) مما يعنى انها محاولة لتحقيق اطماع قديمة لدى الحكام العراقيين باجتذاب سوريا اليهم وهذا يساعد على عزل مصر(٨٧) . وقد أكد هنرى بايرود السفير الامريكى فى القاهرة هذه المعانى فى رسالة له الى وزير خارجيته جون فوستردلاس الذى رحب بقيام الحلف رغما عن هذا(٨٨) .

وزاد الموقف اشتعالا فى عناد مصر وهجومها على حلف بغداد والارتباط مع الغرب ، غارة غزة التى وقعت فى ٢٨ فبراير ١٩٥٥ أى بعد يومين من توقيع إتفاق حلف بغداد ، والتى كانت نقطة تحول فى فكر عبد الناصر ، فقد رأى فيها نوعا من الضغط على مصر لاجبارها على الانصياع للسياسات الغربية لتحويلها إلى دولة تابعة ، خاصة وان مفاوضات التسليح مع الغرب كانت متعثرة ولم تصل إلى نتيجة مرضية (٨٩) والنداء الذى وجه إلى ايدن اثناء زيارته للقاهرة بعدم توسيع الحلف لم يجد إذانا صاغية من جانبه(٩٠) .

ومن هنا كان على عبد الناصر ان يتصرف ليؤكد مكانة مصر وخطها الجديد . وقد ارتكزت سياسة مصر الخارجية فى هذه المرحلة لاحتواء هذا الخطر على ضرورة اقامة محور مضاد لحلف بغداد وقوامه القوى العربية ذات التيار القومى مع ربط هذه القوى مع تيار الحياد ، وفى نفس الوقت كسر أحتكار السلاح ، ولتحقيق الهدف الاول فإن عبد الناصر عمل على جذب سوريا إلى مصر وشجعت السعودية هذا الاتجاه .

التحدى لحلف بغداد

ونكاية فى الهاشميين وقعت مصر وسوريا والسعودية اتفاقية دفاع مشترك (فى ٢٧ اكتوبر ١٩٥٥) والاتفاقية فى مجملها لاتتعارض بصورة أو بأخرى مع

استراتيجية الغرب ، وخاصة التصور الأمريكي للمنطقة بضرورة المحافظة على الاوضاع القائمة في المنطقة(٩١) .

وفي هذه المرحلة حاول عبد الناصر ان يثبت خطأ تفكير الغرب القائم على أساس ان القاهرة – حتى في أقصى لحظات سخطها على الغرب – لن تلجأ إلى طلب السلاح من الاتحاد السوفيتي . وكانت الخيارات المتاحة لعبد الناصر في نظرهم قليلة . فقد قيل ان الخيار الذي يواجه الشرق الاوسط في ذلك الوقت ليس بين الشرق والغرب ، وإنما بين الانحياز إلى الغرب ومعارضة هذا الانحياز(٩٢) .

ومن الوجهة العملية استطاع عبد الناصر ان يثبت العكس بعقده لصفقة السلاح مع الكتلة الشرقية ، وهي الصفقة التي تم الاعلان عنها في ٢٧ سبتمبر ١٩٥٥ والتي وصفها دلاس في حديث تليفوني له مع نائب الرئيس ريتشارد نيكسون بانها تعادل خسارة الصين(٩٣) . لقد كانت لطمة غير متوقعة ، على حد قول هنرى بايرود(٩٤) .

وفي اطار الحرب الباردة وانتشار المد الشيوعي حقق الاتحاد السوفيتي مايصبو اليه. وأصبح له دوره في تقرير سياسات الشرق الاوسط لأول مرة سنة ١٩٤٦ وأثبتت الصفقة ان مفهوم "الردع" الذي اتبعه الامريكيون كان قصير النظر. لقد قفز الاتحاد السوفيتي فوق اسوار الحزام الشمالي ، واصبح له وجود في المنطقة (٩٥) من خلال مصر التي كانت دائما وأبدا مثلا يحتذى به .

لقد أرتفعت مكانة مصر إلى عنان السماء ، فحتى صيف ١٩٥٥ كانت جهود مصر للرد على تطوير بنية الحزام الشمالي بتجمع دفاعي خاص بها تسير ببطء ولاتبشر بنجاح واسع . وكان من الواضح ان أمامها خيارين : إما قبول الأمر الواقع وقبول الانضواء تحت الحزام الشمالي ، وإما الانعزال عن العالم العربي .

اما بعد توقيع الصفقة ، فقد استطاع عبد الناصر ان يؤكد زعامة مصر من جديد للعالم العربي(٩٦) وان يثبت أن مصر تحت قيادته تمثل الزعامة الجديدة للمنطقة وليس العراق تحت قيادة نوري والساسة القدامى من جيله .

وقد أظهر عبد الناصر بهذه الصفقة التي كانت من تداعيات سياسة الأحلاف ان القوى الصغرى تستطيع ان تحدد مصائر سياسات القوى الكبرى وليس العكس في بعض الأحيان.

ورغما عن كل هذا النجاح الذى حققته الصفقة بالنسبة للرد على موقف الغرب بين محاولة تهميش دور مصر بالنسبة لدفاعات المنطقة . فإن عبد الناصر انطلاقا من سياسة الحياد وعدم الرغبة فى إثارة مخاوف الغرب تجاه احتمالية الوجود العسكرى السوفيتى فى مصر. فقد اكد " للسفير الامريكى انه لن يسمح بتمركز قوات أجنبية أو حتى عربية على الاراضى المصرية فى وقت السلم، على الرغم من مجئ بعضها للمناورات المشتركة " وفى مقابل هذا فقد عبر عن رغبته فى عدم قيام الولايات المتحدة " بممارسة ضغوط على بعض قوى المنطقة العربية للانضمام إلى الحزام الشمالى " . الا أن بايرود قد بدأ يمارس سياسة العصا والجزرة ، فقد " اشار إلى ان هذا يتوقف على مدى تعاونه او عدم تعاونه مع القوى الغربية (٩٧) وهو تعبير مطاط يرتبط برؤية الغرب وتقييمه لمواقف مصر وسياستها تجاه مصالح الغرب . إلا أن مصر لم توقف حملاتها ضد محاولات توسيع حلف بغداد بضم الأردن اليه ، وبات واضحا لدى الغرب* الدور المصرى فى إفشال بعثة تمبلر فى الاردن فى ديسمبر ١٩٥٥، وأخذت اذاعة صوت العرب الموجهة من مصر فى مضاعفة حملاتها ضد الحلف بغرض أثارة الجماهير العربية ضده (٩٨) والتى كانت متعطشة للتخلص من التبعية للغرب بأى شكل من الاشكال . وجاءت تقارير وزارة الخارجية الامريكية لتؤكد الدور المصرى المعادى للوجود الغربى (٩٩) فى المنطقة . وكان على الغرب ان يواجه الموقف الذى وصف طبقا لتقرير بريطانى " بالغ السرية فى مقدمته " بأن الأمور تسير عكس مانريد وأن الوقت ليس فى صالحنا، وأنه لم يعد لدينا فسحة من الوقت " ولذا فإن تقرير رئيس هيئة أركان حرب المملكة المتحدة المرفوع إلى وزير الدفاع ووزير الدولة للشئوون الخارجية يقول تقريبا "ان نجاح الشيوعية ومصر أصبح مهددا " لمصالحنا الحيوية وكذا مواقعنا الاستراتيجية ومصالحنا الاقتصادية والسياسية . ولذا فإنه ينبغى علينا ان نعمل بسرعة من أجل تدارك الموقف".

وفى الفقرة التالية يخلص التقرير إلى أن السماح لعبد الناصر ببناء أمبراطورية عربية تلتف حوله هو الخطر بعينه ضدنا وهو مايستفيد منه الاتحاد السوفيتى .. وان

---

* يقول إيدن فى مذكراته " انه بعد مقابلته لعبد الناصر " انه مما لاشك فيه ان الغيرة والرغبة المكنونة فى قيادة العالم العربى كانت وراء معارضة عبد الناصر وهجومه على حلف بغداد .
Eden : Full Circle (CASSELL , London 1960) , pp 22-21 .

تزايد قوة عبد الناصر سوف يعطيه بلاشك الفرصة للتحكم فى قناة السويس مما يتعارض مع مصالحنا . ويعرضنها للخطر .

وفى النهاية، فإن التقرير يوصى لدرء "خطر عبد الناصر" بضرورة " تنسيق المواقف مع الولايات المتحدة لتدعيم حلف بغداد بصورة أوسع ، وفى نفس الوقت العمل على شق وحدة الصف بين مصر والسعودية وسوريا . وفى مواجهة الشيوعية لابد من التصدى لها سواء كان خطرها من الداخل أو من الخارج، مع الأخذ فى الاعتبار ضرورة العمل على المحافظة على مصالح الغرب البترولية بكافة الطرق(١٠٠) ..

لقد بات واضحا ان الغرب ، وخاصة بريطانيا لم يعد قادرا على تحمل عبد الناصر الذى أفشل خططه ، وجعل العراق يتقوقع على نفسه فبدلا من أن يكون أنضمامها لحلف بغداد بداية جديدة لانتعاش الوجود البريطانى فى المنطقة لتدعيم دورها من جديد بعد تغير الزمن ، فإن العكس قد حدث ، وبدأ النفوذ البريطانى يتضاءل بفعل الزمن ومستجداته . وجاء عدم تنسيق المواقف ووحدتها بين بريطانيا والولايات المتحدة والتى دخلت المنطقة متأخرة - عاملا مساعدا لعبد الناصر لأن يرفض سياسة الأحلاف والارتباط مع الغرب .

لقد استغل عبد الناصر التناقضات بين الحلفاء (١٠١) والأعداء سواء بسواء .

وجاءت كل المؤشرات تشير إلى ان الغرب خاصة بريطانيا وفرنسا تتحينان الفرص من أجل الخلاص من عبد الناصر بشتى الطرق(١٠٢) . والذى استطاع من أجل أثبات قدرته على التحدى والمواجهة ان يهزم استراتيجية الغرب القائمة على إحتواء الخطر السوفيتى .

لقد بدأت طبول الحرب تدق ، وأصبح الطريق ممهدا للتخلص من عبد الناصر . ولكن جاءت حرب السويس بنتائج عكس ماتوقع الجميع . مما دفع بالولايات المتحدة إلى إعلان مبدأ ايزنهاور فى ١٩٥٧ لاحتواء "الخطر الشيوعى" مبتعدة عن الأنماط القديمة من الأحلاف التقليدية للغرب(١٠٣) ، ما كان له تأثيره على علاقاتها بمصر وبلدان المنطقة .

الهوامش

- U. S . Foreign Relations , Vol 5. 1947 , p 800 From loy Hendreson To: Sec , Lovett28 Aug . 1949 .

2- Campbell . J. : Defense of the Middle East , Praeger N.g. 1960 p.34

3- Campbell . J . : Ibid , p 187

4- Ibid , p 190

5- U.S. Foreign Relation , 1947 Vol 5, P 150 No date .

6- Campbell . J. Opcit , pp 37 - 38.

- F.O 371 / 80382-1950 Confidential , 9 may 1950 British Embassy Washington To F.O.

8- U.S. Foreign Relation , 1950 Vol v. 1950, pp288-289.

- F.O. 371/73355 - 1949 , 7 March 1949 From British Coordimation Committee For Chief .

10- H Truman Library , NSC Meeting No 4511, 18 April 1949.

وكذا مقابلة مع دافيد إيفانز – الملحق الجوى الامريكى بالقاهرة (١٩٤٩–١٩٥٣) واشنطون ١٩٨٤ .

١١- عن وضع هذه القاعدة وأهميتها فى استراتيجية الغرب انظر :-

NA RG 339 CD 092 Box No8 Office of Ass. Sec - of Defense . Memo for USD Files , subject use of Abu Suerbase By USAF 25 Aug, 1950.

- Louis Roger , The British Empire in the Middle East 1945-1951, (Clanendon press, oxford , 1985, p 714.

- NA RG 84 Box 218 Memo of Conv - With Berry NEA With the Egyption Amb 9,oct . 1950 .

14- U.S. Foreign Relation , Vol v. 1950 , p 307.

15- Ibid , P 231 .

١٦- وكذا انظر :

NA, RG 59 Box 4039 . 780 -512 . Deptof State To : Am . Embassy London 9-3 1951 Top secret .

17- New york Times 25 Sept 1951 , p 9.

18- Dept of State Bulletin , 29 october 1951 . Statement by Sec. Acheson

19- Ibid 622 october 1951 , p. 647 .

- NA. RG 59 780 519. 17 Sept 1951. From The President by Sec . Acheson Top secret .Importance of Egypt To MEC steucture .
- H. Tuman Library - G. MC Ghee papers , Dept of state Memp of Conv From Ankora To Dept 21/5/1952.

22- F. O 3711/90182 British Embassy Cairo To: F.O. 7 Nov ., Nov Alex 28 oct 1951 To Am. Emb.

- Sayed Ahmed M.A.W. " Nasser and American Foreign policy 1952-1956 . Auc pess 1991 , p 29 .
- N A . RG 330 CD . Defense Top Cecret , Memo of Conv. Subject Anglo - Egyption Negotiations .

25- U.S. F .R. 1952 - 1954 Part 2 . pp 1746 - 1749.

- NA. RG 84 Box 229 Egypt 350 January - Feb. From Cairo To Soc. of State 26 - 1- 1952 .

٢٧- علـى الديـن هـلال : أمريكـا والوحـدة العربيـة ١٩٤٥ – ١٩٨٢ ، مركـز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ١٩٨٩ ، ص ١١٠ نقلا عن تقرير هيئـة المخابرات الامريكية (CIA) هامش ١٥ ص١١٠ .

٢٨- اوضـح ديـن اتشيسـون مـرارا بأنـه لايمكـن الاحتفـاظ بالقـاعدة ضـد الارادة المصرية انظر :

H. Truman Library . Acheson Papers, Memo of Conv. 27-1-1952.

- NA. RG 59 FW. 774 5 MSP/12-2952 To Sec . From: NEA, 30 Dec. 1952. Subject . Conv. With General Bradley.
- NA. RG 440 CD 337 . V.Y. Talks aides Memoire Dept of State , Washington 5 Nov. 1952 .

31- U.S- Congress Hearings. 1957 p 157 Dulles Stateement.

- NA. RG 84 Box 221 Folder 310-1 Anglo - Egyptian Relations From Am Emb. London To : Sec. 25 oct. 1952 .
- NA.RG 59 Box 4041- 7805 / 102152 From Cairo To : Sec of State . 21 October 1952 . Secret Security Information .
- F.O. 371 / 96896- 1952 From Eden To : Field Marshal V. Alexander 7 Nov.1952.

وايضا مقابلة مع السيد / عبد المنعم امين بالقاهرة فى ٣ يناير ١٩٨٥ .

35- NA.RG 59/ 611 9 74/ 11052- 6 October 1952 From Cairo To Sec. of State.

36- Ibid 774 15 MSP 12 From Cairo To Sec. of State 16 Dec. 1952 .

37- F.O. 371/9689 From Washington To : FO 30 Sept 1952.
- NA RG 59 Box 4016 774-00 14-1-53. Cairo To Sec. of State Summary of National intell. igence Estimate , 25/3/1953. Probable developments in Egypt .
٣٩- أثرنا ان نعطى نبذة عن الادارة الامريكية الجديدة وظروف توليها لان قيادة العالم الغربى وأن كانت ظاهرها المشاركة بين الحلفاء الا ان القيادة الحقيقية كانت من نصيب الولايات المتحدة انظر :
Verrier : British Foreign Policy in the Age of Illusion , J. Cape London.
40- Rubin ,B. Secret of State , oxfard University Pess 1987, pp76 -81.
٤١- مقابلة مع كيرميت بروزفلت مسئول مخابرات الشرق الاوسط فى إدارة المخابرات المركزية – واشنطون ١٩٨٤ .
- H. Tuman Library George Elsy papess Box No 60 Memo of Conv. 23/8/51.
43- NA.RG 84 Box 248 Folder 230 Anglo - Egyptian 28/31/953.
44- The Observer , 11 April 1953 .
- NA.RG 84 Box 284 April - June 1953. From Cairo To Soc of State 1314/1953.
٤٦- محمد نجيب : كلمتى للتاريخ ، دار الكتاب الجامعى القاهرة ١٩٨١ ، ص ١٣٥ .
- New york Times, 10 May 1953 , The Time 11 May 1953 , Arab League's policy Support Egypt .
٤٨- المصرى ١١ مايو ١٩٥٣ .
٤٩- الأخبار ٢٢ مايو ١٩٥٣ .
٥٠- الدعوة ١١ مايو ١٩٥٣ .
- NA.RG 59 Box 2848 . 611-8016- 1235 From Am Emb. Ankara 12 June 1953 . Memo of Conv - Mc ghee and Turkish Foreign Minister.
- Ibid , Box 4037 - 78- 0015 Dulles Trip To the Neor East Memo of Canv . between Dulles and Naguib, 11 May 53 5 P.M.
53- Ibid , Memo of conv. between Dulles and RCC . 12 May 53.
٥٤- محمد حسنين هيكل : ملفات السويس الاهرام ١٩٨٦ ، ص ٢٦٤ .
- NA.RG 59 Box 4037 Dulles Trip May 1953 . Secret Security Information .

- Eisenhower Library , Dulles papers . Int . Series Box 8 File 8 Egypt talks .

٥٧- ربما يكون دلاس قد تأثر فى محادثاته مع القادة الجدد بالطرح الذى قدمته إحدى دراسات وزارة الخارجية الأمريكية فى مارس ١٩٥٣ عن أمكانية انضمام الولايات المتحدة والدول الغربية إلى ميثاق الضمان الجماعى العربى دون ان يصبحوا أعضاء فى الجامعة العربية لمزيد من التفاصيل انظر على الدين هلال المصدر نفسه ص١٦ هامش ٢٨ " كان البحث بعنوان"

" Possible expension of Arab Collective Security Pact to include Non Arab powers " OIR Report No 62491 . 31/31/1953 .

58- N.york Times , 9 April 1955 .

٥٩- محمد نجيب : المصدر نفسه ، ص ص ١٣٦ - ١٣٧ .
" يوضح موقف حزب الوفد وسياسته العربية .

60- Sayed Ahmed , OP. cit, p83 .

٦١- احمد حمروش : عبد الناصر والعرب جـ٣ ، بيروت ١٩٧٦ .

62- U.S. Dept . of State Bulletin 1220, 8 March 1954, p 356.

٦٣- راحت الانباء الصحفية فى الغرب والتحليلات تركز على موقف باكستان المتعاون، وأخذت بعض هذه التقارير تشير الى ان نفوذ باكستان " ربما ينافس نفوذ مصر ، فمع سكان يناهزون ٨٠ مليونا ، ويضمون شعوبا ذات قدرات عسكرية بارزة ونزعات نحو النوع الغربى من المنظور المادى ، فإن باكستان تبدو مرشحة للقيام بدور قوة إسلامية قائدة بما يسمح لها ان تقود البلدان العربية .

انظر New york Times 16 January 54, p1.

وايضا D.D Eisenhower Library . J. F. Dulles papers important point of trip 14 May1953

64- Ibid .

65- DD. Eisenhower lib. Nsc . Meeting Nsc June 2. 1953 .

66- New york Times 17 - January 1954 , p 26

- NA.RG 84 Box 4016 774 Memo of Conv . For Mr. Dulles . Secret Security In formation 8 112 - 1953 .

68- Ibid 256 Folder 320 - 1 Anglo - Egyptian Negotiations 3-2 1954 .

٦٩- مقابلة مع كيرويت روزفلت واشنطون ١٩٨٣ ، تم تسريب انباء قرب عقد الاتفاق إلى عبد الناصر منذ يناير ١٩٥٤ .
- وانظر ايضا NA.RG 84 Box 2255 Folder 350, From Cairo To Sec . of State 31 March 1954.

70- Ibid , To sec . From Cairo Sent to Dept 1529 , 29 June 1954 .

٧١- محمد حسنين هيكل : ملفات السويس ، ص ٣٠٣ .

٧٢- مقابلة مع السيد / على صبرى - القاهرة ١٩٨٥ .

- NA.RG 59 Box 2978- 674 001 From Cairo To Sec . of State Nasser's Interview with Relman Marion of A.P.

74- Ibid From Cairo To Sec. of state 6 Aug . 1954.

75- U.S.F.R. 1959 - 1954 Vol Ixport 1 p 518 (NIES) .

٧٦- احمد عبد الرحيم مصطفى : الولايات المتحدة والمشرق العربى سلسلة عالم المعرفة ١٩٧٨ ، ص ١١٦ .

77- U.S.F.R. 1952 - 54 Vol Ix,part 19 pp 506 - 519 .
وايضا . New york Times 16 May 1954 , p 21

78- Gallman W., Iraq under General Nuri , Johns Hopkins Univ . press , 1964 , p p . 188 - 197.

79- NA.RG 59 (OIR) No 7042 . 12 Sept 1955 . Main Springs of Egyptian Foreign policy .

٨٠- على الدين هلال : المصدر نفسه : ص ١٢٢ ، ١٢٣ .

٨١- باتريك سيل ، ترجمة سمير عبده : الصراع على سورية ، دار طلاس د.ت ص ص ٢٥٩ - ٢٦٠ هامش ٢٧ .

٨٢- جريدة الجمهورية ٢٤ يوليو ١٩٥٤ .

83- Gallman , op.cit , pp 44- 45 .

٨٤- باتريك سيل : المصدر نفسه ، ص ٢٦٢ .

85- Verrier , A , Op.cit p 120 , 190 .
" صرح إيدن بان تجديد الحصول على بترول إيران اهم لبريطانيا من الوجود فى قناة السويس ، ولاهمية البترول للغرب انظر :
U.S.F.R 1948 Volv , pp 47 - 48 From the Sec . of state to SecCommerce , W. Sept 15, 1948 .

86- Gallman , Op.cit pp 53 - 54 .

٨٧- باتريك سيل ، المصدر نفسه ، ص ٢٧٩ هاجم صلاح سالم الاتفاق مشيرا الى " ان الغرض منه عزل مصر " .

88- Gallman , Op.cit , p 48.

لم يقتصر الامر على تصريحات دالاس المشجعة لنورى بل ان السفير الامريكى فى بغداد اكد نفس الموقف لنورى السعيد .
مقابلة مع السفير / هنرى بايرود واشنطون ١٩٨٤ .

89- Sayed Ahmed , M.A.W. , Op.cit , pp 107 - 108 .

- NA.RG 84 - 320 - Egypt - UK . Nasser - Eden Talks . Feb 21 - 1955 .

* اكد إيدن فى بيانه امام البرلمان البريطانى ردا على تحفظ المعارضة على دخول بريطانيا حلف بغداد " انه ليس هنالك تحالف نشارك فيه سيوجه ضد إسرائيل .

Eden , Op.cit , p 393 .

٩١- على الدين هلال : المصدر نفس ، ص٩٩ .

٩٢- جيفرى ارونسن ١٩٨٧ ، ص ١٨٥ ، ص ١٨٦ .

- D .D . E . Library . J. F. Dulles papers Telaphone Call Series , Box No 4 Tel Call With Nixon 170 ct , 1955 .

٩٤- مقابلة مع السفير هنرى بايرود واشنطون ١٩٨٤ م .

95- D.D..E. lib . Eisenhower papers , Int . Series Box No 41 F- 2.

عرض الاتحاد السوفيتى إمداد السعودية بالاسلحة والمدربين لرفع كفاءة قواتها . وكذلك قام بنفس العرض على بعض الدول الافريقية فى اعقاب صفقة السلاح مع مصر .

إرجع فى ذلك Ann whitman File , le , Cab series Box No 5 , 30 Sept 1956 .

96- N.Y Times , 20 , Oct. 1955. , P 7
" Arab League takes Stand "

- D.D.E. Library - Ann whitman File , Dulles - Herter Series , Box No 5 - From Col - Good paster , 3 Nov , 1955 . (Top Secret)

- lloyd Selwyn , Suez 1956 , J. Cape London 1978 , p 30 Also . Neff . D , Warriars at Suz , S. Schunter , N. g 1981 , pp 208 - 209 .
يعطى دونالدناف صورة واضحة عن موقف مصر من حلف بغداد .

- NA.RG 59 OIR Report No 7042 . 12 Sept 1955 - Egyptian Foreign palicy p 6 .

- F.O. 371 / 118855 - 119399 Extract From Sir William Dickson's Report on his visit to Washington 3 nov - 5 April 1956 .

101- Ibid , p . 1 .

١٠٢- مقابلة مع باتريك سيل ، لندن ١٩٨٣ . وكذا مقابلة مع السيد / على صبرى - القاهرة فى ١٩٨٥ .

١٠٣- انظر محمد عبد الوهاب سيد احمد : من حلف بغداد إلى اعلان مبدأ أيزنهاور ، سلسلة دراسات الشرق الاوسط ٨١ لسنة ١٩٩٠ ، ص٦ وكذا انظر :

The U.S Information Service , The Middle East , American policy Statements , p 43 .

ملحق وثائقى
تقرير عما دار بين الرئيس عبد الناصر والسفير الأمريكى هنرى بايرود بشأن حلف بغداد . وكذا الموقف العربى والعالمى

From Colonel Goodpaster

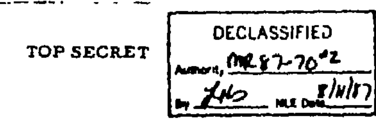
Herewith extracts from State Department Summary of 3 November considered likely to be of particular interest to you

<u>Near East</u>

Byroade-Nasser talk -- In what Byroade considers a profitable discussion with Nasser on Tuesday, he found Nasser more conscious of the true nature of our concern over developments in the Middle East and Africa and apparently willing to make more of an effort to improve United States-Egyptian relations. Nasser said he would be willing at any time, on a highly secret basis, to discuss with Byroade the specifics of a settlement. He agreed that the internal dangers of communism are increasing in the Middle East generally and, for that reason primarily, said he would exert moderation on the press.

According to Nasser, intra-area arrangements with the Soviets have <u>not</u> progressed as far as assumed. Egypt is <u>not</u> yet a source of arms to Syria and Saudi Arabia as Syria cannot pay for them and the Saudis are also in a quandary and probably passing through a crisis stage with the United States. He has advised the Saudis, who are now in western Europe seeking arms, to try again to get them from the United States, but he thought it probable that they would <u>not</u> obtain satisfaction as we would regard their demands as excessive. In this event, Nasser envisaged the Saudis turning back to him and he would find it difficult to refuse them. He said no foreign troops, <u>even Arab</u>, would be stationed in Egypt in peace time, although some would come for joint maneuvers.

Nasser expressed hope that the coming period would be one of less tension with the United States and said one irritant had been removed as he was not going to ask for arms. He also hoped we would <u>not</u> apply pressure for new adherents to <u>the northern tier</u> at this stage, to which Byroade replied



that this was our position but that others felt strongly otherwise and if we ever reached the conclusion that Egyptian cooperation was impossible, a quick attempt would be made to obtain additional adherents. In connection with the High Aswan Dam, Nasser hoped economic aid we might be able to give him would be directed toward this project.

Approach to Israel on El Auja situation -- In view of a report received through Hammarskjold that considerable Israeli forces are building up outside the El Auja Zone, we instructed Embassy Tel Aviv last night to call on the Israeli authorities immediately and remind them of the Secretary's admonition to Sharett against resorting to military action.

United Kingdom line on Aswan Dam -- Embassy Cairo reports that the United Kingdom Ambassador is still talking strongly in favor of a consortium arrangement for the High Aswan Dam project, as against the Ibrd.

United States policy in Middle East -- In regard to the points to be made by our missions in the Arab States on United States policy in the Middle East, the Secretary has approved the Department's suggestion that we delete the statement that the United States "will continue to be willing" to provide moderate amounts of arms to both Israelis and Arabs. Rather than deleting the statement that we have no present intention of giving any special security guarantees other than in conformity with his speech of August 26, the Secretary believes we should amend it by adding the words "and the 1950 Declaration."

Arab-Israel bids for Italian arms -- Embassy Rome has been informed that Egypt and Syria have both proposed military contracts with individual Italian firms, broadly hinting that in the event the Italian firms are not interested they would go to Yugoslavia or behind the Iron Curtain. Furthermore, the Israelis have given our Air Attache a list of military equipment which they desire to purchase in Italy.

TOP SECRET

◆ الفصل الخامس ◆

توجهات الاستقلال الوطنى ونقض النص الامبريالى

د . يواقيم رزق مرقص

كان قيام ثورة يوليو ١٩٥٢ فى مصر مؤشرا لبداية مرحلة جديدة من تاريخ مصر وتاريخ الشرق الاوسط عامة ، تختلف عن سابقتها، تهيأت فيها مصر للعب دور إقليمى ريادى اختلفت رؤية كل طرف له من منظور مصالحه الخاصة، فتوسمت الولايات المتحدة الامريكية – ومن ورائها الغرب – فى النظام الجديد القدرة على التعامل مع الغرب فى إطار ماصاغه من مخططات لمنطقة الشرق الاوسط فى عالم مابعد الحرب العالمية الثانية ، خاصة وأن صناع النظام الجديد كانوا من العسكريين الذين لاتربطهم بالماضى قيود سياسية محددة تملى عليهم مواقف معينة، ومن ثم انتعشت آمال الغرب فى أن تلعب مصر العسكرية دورا محوريا فى خطط الدفاع الاستراتيجى الغربى عن المنطقة ، وأن تنطوى تحت جناح المعسكر الغربى فى وقت بدأت فيه الحرب الباردة بينه وبين المعسكر الشرقى بزعامة الاتحاد السوفيتى .

ولاشك أن ماعقده الغرب من آمال على النظام الجديد، كانت وراء الموقف العدائى الذى اتخذه السوفييت من الثورة المصرية عشية قيامها ، ووصمها بالعمالة للامبريالية والفاشية ، مما كان له انعكاسه أيضا فى مواقف المنظمات الشيوعية المصرية التى ضبطت موقفها من النظام على بوصلة الاتحاد السوفيتى .

ولكن سرعان ماكشفت الممارسات السياسية الفعلية للنظام الجديد عن توجهات جديدة تميل إلى تحقيق الاستقلال الوطنى ببعديه :

– تحرير التراب الوطنى من الاحتلال الأجنبى.

– تحرير الارادة السياسية المصرية من الهيمنة الأجنبية .

بل والتهيئو للعب دور إقليمى خارج إطار السيناريو الذى وضعه الغرب ، ومن ثم كان الصدام مع الغرب أمرا لامفر منه ، حتى تلتزم مصر بالنص الامبريالى الغربى ، وإن جاء الصدام من جانب القوتين الاستعماريتين التقليديتين : بريطانيا وفرنسا ، وبصحبتهما ربيبة الاستعمار . إسرائيل ، دون استشارة الولايات المتحدة الأمريكية التى اعتبرت نفسها حاملة لواء المعسكر الغربى.

ويحاول هذا البحث تحديد معالم التوجهات التى استهدفت الاستقلال الوطنى ، ومثلت خروجا على النص الامبريالى الذى وضعته الولايات المتحدة وحلفاؤها للهيمنة على منطقة الشرق الأوسط ذات الأهمية الاستراتيجية البالغة .

***

وتمثلت أولى توجهات السياسة الوطنية الاستقلالية فى عزوف مصر عن الاشتراك فى مشروعات الدفاع الغربية عن الشرق الأوسط ، ومقاومتها للأحلاف الأجنبية ، فقد كانت الحرب العالمية ونهايتها بداية الصراع على بقعة أثبتت أهميتها خلال فترة الحرب ، إقتصاديا وعسكريا ، وهى منطقة الشرق الأوسط ، وبخاصة درة عقدها – مصر – التى شكلت أخطر مكان فى الحرب والسلام .

وكانت بريطانيا فى هذه الفترة تعمل على استمرار تسلطها السياسى على منطقة الشرق الأوسط ، وتحللها من مسألة الدفاع عنه ، جاعلة نصب عينيها المحافظة على مواصلاتها فى الشرق لنقل البترول ، وجعل المنطقة سوقا لصادراتها ، وحاولت فى ذلك وضع الأسس لحماية مكاسبها الاستعمارية ، وكانت لاتسمح لأية قوة أن تسودها ، فحاولت إظهار شيئ من الصداقة وإثبات حسن النية.

وكان اهتمام بريطانيا عندما تتحدث عن الشرق الأوسط منصبا على الشرق العربى : مصر والسودان وليبيا وشمال افريقيا ، بالاضافة إلى عرب آسيا ، أما قناة السويس فكانت لها عندها مكانة خاصة فهى الشريان الهام للامبراطورية البريطانية – كما وصفها بيفين – الذى أضاف أنه منذ افتتاحها عام ١٨٦٩ والسفن البريطانية تمر خلالها بنسبة ٧٠٪ تقريبا من عدد السفن المسافرة إلى الهند وإلى استراليا .

كما أن بريطانيا افتتحت إبان سنى الحرب خطوطا جوية إلى ايران ودول الخليج كانت مصر مركزها(١) .

إلا أن الولايات المتحدة التى قامت بدور المساعد فى المجهود الحربى البريطانى، لعبت أيضا دور الشريك لبريطانيا فى مركز تموين الشرق الأوسط ، الذى أقيم فى القاهرة ، وأنتشرت فى منطقة الخليج الفارسى ، فانتهزت الفرصة لتدعم مصالحها النفطية فى المنطقة ، وأصبحت فى النهاية منافسة لصديقتها وحليفتها بريطانيا ، وزاد معه مد خط انابيب النفط عبر الجزيرة العربية، الأمر الذى اعتبره الانجليز تكتيكا سياسيا لإرغامهم على الدخول معهم فى مفاوضات حول المصالح النفطية فى المنقطة (٢) .

وكان الامريكيون لهم تخطيطهم الذى عكس اهتمامهم بالمنطقة وبترولها ، كما كانوا يرغبون فى إقامة محطات على طريق شبكة مواصلاتهم الجوية العالمية . فكانوا مشغولين بإدارة الحرب الباردة ، ضالعين فى المسألة الصهيونية ومساعدتها ، ظانين أنهم فى هذا يحاولون ملء الفراغ الذى خلفته بريطانيا وفرنسا ، وذلك عن طريق الهيمنة على المنطقة ، من خلال المنظمات الدفاعية التى تشارك فيها دول الإقليم تحت زعم حماية الشرق الأوسط من التغلغل الشيوعى(٣) فالحرب الباردة قامت عقب إنتهاء الأنظمة الفاشية فى كل من أوربا وآسيا الشرقية، حيث كان لابد للقوى المتعاظمة (الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى) أن تعمل على ملء الفراغ الذى خلفه إنهيار القوى العسكرية لتلك الأنظمة المنهارة ، فتمكنت القوات السوفيتية من احتلال اوربا الشرقية، وأقامت فيها أنظمة اشتراكية ، والامتداد نحو شرق آسيا عن طريق دعم الحزب الشيوعى الصينى.

وهنا كان لابد للولايات المتحدة ، وهى أقوى دولة أمبريالية آنذاك ، من أن تحاول محاصرة هذا الزحف الشيوعى المتصاعد ، مثبتة وجودها فى اوربا الغربية بتقديم المساعدات الاقتصادية لهذه الدول: كمشروع مارشال ، لتحد من هذا الزحف الشيوعى ، ومساعدة حلفائها ماديا ومعنويا لمناهضة حركات التحرر الوطنى والقومى فى المستعمرات ، وأخيرا إقامة حزام حديدى حول الاتحاد السوفيتى لوقف تغلغله فى مختلف المناطق فى العالم ، وذلك وفقا لمبدأ ترومان (مشروع النقطة الرابعة) (٤) .

فالولايات المتحدة - من أجل ان تحافظ على أمنها القومى - كان عليها أن تفرض نفوذها على الشرق الاوسط من أجل التصدى للسياسة السوفيتية فى هذه المنطقة الهامة ، ورسمت الولايات المتحدة سياستها الخاصة بالمنطقة على أنها وريثة بريطانيا بعدما ألم بمكانة الأخيرة وهيبتها من اضمحلال فى نظر شعوب المنطقة ، نتيجة الهزائم التى منيت بها فى السنوات الأولى للحرب، على حين ازدادت مكانة امريكا فى المنطقة على أساس انها لم تكن دولة استعمارية ، أو ذات سوابق عدوانية فيها ، كما اظهرت الحرب عجز بريطانيا عن الاستمرار فى المنطقة دون مساعدة امريكا فضلا عن الأهمية العسكرية فى المنطقة بالنسبة للولايات المتحدة التى كانت تعمل بوعى فى نفس الوقت على اتخاذ مركز تموين الشرق الأوسط وسيلة للتجارة الأمريكية فى فترة مابعد الحرب(٥) .

كما ظهر عامل آخر اضافى جديد فى المنطقة ، تمثل فى قيام اسرائيل على أرض فلسطين ، وانعكاساته على المسرح العربى ، فضلا عن النفط وأبعاده ، ودخول شركات النفط الأمريكية إلى الوطن العربى بشكل كبير ، هذا النفط الذى ساعد الحلفاء على مواصلة الحرب (٦) .

وهكذا صعدت الأهمية الاستراتيجية للشرق الأوسط الى رؤى جديدة بعدما أصبحت الحرب الباردة ، واحتواء الاتحاد السوفيتى هما مصدر الاهتمام لرئيس الدبلوماسية الغربية، كما زاد اهتمام الأمريكيين بالذات بالمنطقة ، لإيمانهم بأن التغلغل السوفيتى سيكون بمثابة طوق محكم حول عنق حلف الاطلنطى ، مما سيترتب عليه تغيير حاسم فى موازين القوى فى العالم كله ، وأن السيطرة السوفيتية على النفط سوف تربك اقتصاد العالم الحرب ، وأن انتصار الشيوعية فى بلاد الإسلام قد يكون تمهيدا لوصولها إلى بقية دول آسيا وافريقيا(٧) .

ففى مارس ١٩٤٧ أعلن ترومان خطته للوقوف فى وجه المد الشيوعى ، وإحاطته بسور من الأحلاف التى تدور فى فلك الغرب وبخاصة أمريكا ، فاعلن خط دفاع مفتوحا للدول ، بدأه باليونان وتركيا ، كما عنى "بمشروع مارشال" كطعم لهذه الدول وغيرها ، ليشمل الشرق الاوسط كله ، على أساس أن الولايات المتحدة ستضطلع منذ ذلك الحين بالتدخل لا فى أوربا الغربية وحسب ، بل كذلك فى شرق البحر المتوسط والشرق الأدنى ، بهدف تقديم المساعدات العسكرية والاقتصادية للدول والحكومات المعارضة للسوفيت.

فكان معنى ذلك تشكيل أحلاف دفاعية مشتركة فى المنطقة ، مستغلة فى ذلك ما كان لبريطانيا فى كثير من الأقطار العربية- العراق والاردن ومصر - من نفوذ قوى تدعمه شبكة من القواعد البرية والبحرية والجوية المتمركزة حول قناة السويس، ومن هنا ظهرت فكرة منظمة الدفاع عن الشرق الأوسط . مفتاحها مصر، بفضل وضع قناة السويس ، بالإضافة إلى زعامتها للجامعة العربية ، وكانت مصر محط أنظار الغرب ، على اساس أنه اذا قبلت مصر اقتراح منظمة الدفاع عن الشرق الاوسط فسوف تحذو الاقطار العربية الأخرى حذوها ، وكان هذا الاقتراح قد قدمته لمصر كل من بريطانيا والولايات المتحدة وتركيا وفرنسا ، ولكن مصر رفضته فى عام ١٩٥١، خاصة وأن الدعوة للاشتراك فيه وجهت ايضا لكل من استراليا ونيوزيلاند وجنوب افريقيا ، كما كان الاقتراح يتطلب من مصر أيضا تزويد قيادة الشرق الاوسط بتسهيلات فى وقت السلم ، والتعهد بمنح القيادة المحالفة

للشرق الاوسط جميع التسهيلات والمساعدات اللازمة فى حالة الحرب أو التهديد بها، أو قيام حالة من الطوارئ الدولية بما فى ذلك استخدام القواعد والمطارات ووسائل المواصلات المصرية ، وفى مقابل ذلك تلغى بريطانيا معاهدة ١٩٣٦ ، وسحب قواتها غير المخصصة لقيادة الشرق الأوسط ، أى انه بهذا إنما يعيد اتفاقية ١٩٣٦ مستبدلين بريطاينا بقيادة الغرب للشرق الاوسط ، ومن ثم كان رفض مصر لها جميعا ..

وهكذا فشلت جهود دول الغرب - بريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة الامريكية فى إدخال مصر فى منظمة الدفاع عن الشرق الأوسط ، ولم تعمر الفكرة طويلا ، وحتى عند إحيائها من جديد دعيت باسم "منظمة الدفاع عن الشرق الاوسط ، وعلى كل فقد كانت فكرة الأحلاف تهدف إلى تطويق الاتحاد السوفيتى بالقواعد - برغم افتقادها للنجاح - ذات أهمية كبرى بالنسبة لدول الغرب (٨) هذه الكتلة التى كانت بصفة عامة والولايات المتحدة بصفة خاصة ترى أن الشئ المهم بالنسبة لها هو ضمان ولاء وتبعية الدول الحديثة الاستقلال لها ، حتى ولو كانت انظمة هذه الدول دكتاتورية ، كما كان اهتمام الكتلة الغربية الوحيد هو إبعاد هذه الدول عن دائرة النفوذ السوفيتى أو عما كان يسميه المفكرون منهم "بالزحف الشيوعى" وفى هذا الإطار قامت هذه الكتلة بتكوين الأحلاف والتكتلات ، وابرمت المعاهدات العسكرية منها حلف شمال الأطلنطى وحلف بغداد (٩) .

أما بريطانيا بالذات فكانت تستهدف من ربط مصر بحلف دفاعى عن الشرق الاوسط الإبقاء قناة السويس قاعدة لقواتها وعملياتها العسكرية فى المستقبل ، وكانت هذه الاتجاهات مرفوضة تماما من الجانب المصرى فى عهد ماقبل الثورة ، وتحاشيه قيادة الثورة فيما بعد (١٠) مما أثار القلق فى دوائرها ، وحرصت الحكومة البريطانية بأن الشعب البريطانى يريد أن يطمئن إلى أنه لم ينجم فراغ عسكرى ، وأن تسهيلات القاعدة الباهظة التكاليف يمكن أن يستخدمها العالم الحر على الفور فى أوقات الأزمات ، وأن مصر سوف تقف عسكريا مع العالم الحر فى الدفاع ضد العدوان الشيوعى المحتمل(١١) .

ولقد كان لمصر بعد الثورة موقفها من هذه الاحلاف ، وغيرها من المواقف الغربية ككل، فبالنسبة للأحلاف فإنه فى ربيع ١٩٥٣ قام دلاس وزير خارجية الولايات المتحدة وصاحب نظرية "الحزام الشمالى" بزيارة للقاهرة ليبحث مع حكومتها موضوع الخطط التى وضعها لإقامة هذا الحزام على طول حدود الاتحاد

السوفيتى الجنوبية، بالإضافة إلى إقامته حلفا دفاعيا يعززه فى منطقة الشرق الاوسط، وبعد ان استمع اليه عبد الناصر رد عليه قائلا" إننا نعارض الاشتراك فى أية أحلاف مع أية دولة أجنبية لأن لدينا أسبابا قوية تدفعنا إلى الشك فيها ، ولأن شعوبنا لن تؤيد أية حكومة تشترك فى مثل هذه الأحلاف ، وانت تطلب منا الآن ان نحبط الاهداف التى تريدها ، فالدفاع عن هذه المنطقة يجب أن ينبثق من داخلها ، أى عن شئ يمكن له أن يوحد شعبها ، وهذه القوة أو الجبهة الداخلية هى قوميتنا واصلاحنا الاجتماعى وتقدمنا "(١٢). كما صرح عبد الناصر فى ٢٩ يوليو ١٩٥٤ أن الهدف الثانى بعد الجلاء هو عدم الارتباط بأية أحلاف ، واصر قادة الثورة على هذا المبدأ عندما كانت الولايات المتحدة تقوم بعقد الأحلاف مع دول المنطقة وامدادها بالسلاح مثل العراق وباكستان ١٩٥٤ كمقدمة لحلف بغداد.

كما تشكل حلف جنوب شرق آسيا فى مانيلا فى سبتمبر ١٩٥٤ ، وبدأ عمله فى عام ١٩٥٥ ، وكذلك دول الشرق الأقصى مع الدول المرتبطة بحلف الاطلنطى ، ولكن مصر زادت فى إصرارها على رفض الأحلاف ، وأوفد مجلس قيادة الثورة صلاح سالم الى العراق لتقوية الروابط معه ، ومحاولة التأثير على العراق لرفض الحلف، مشيرا عليهم هناك بأن الارتباط بالأحلاف الأجنبية هو الذى يدفع العناصر الوطنية الى اعتناق الشيوعية (١٣) .

وفى تلك الفترة كانت الولايات المتحدة تلعب دور الوسيط فى المباحثات من أجل الجلاء، وحاولت إقناع بريطانيا بجلاء قواتها نظير إقناع مصر بالارتباط بحلف دفاعى غربى، ولكنها وجدت من مصر اصرارا على رفض هذه الفكرة ، ولذلك بدأت امريكا تهدد بقطع معوناتها لمصر، وربط تقديم هذه المعونات بدخول مصر فى هذه الاحلاف ، ولم تخضع مصر لهذا التهديد (١٤) مما دفع الغرب إلى إعادته لحساباته ، ويعرف ان سياسة بث الأحلاف فى منطقة الشرق الأوسط لاينبغى أن تكون نتيجة تهديد بقطع المساعدات الغربية، وإنما تأتى بتوفير حسن النوايا، ومحاولة مد بساط الصداقة والندية لهذه البلاد(١٥) ، وأن الضغط والتهديد هما مبعث الشكوك فى طريق الغرب إلى المنطقة – ويشير إلى هذا تقرير عن سياسة الولايات المتحدة فى المنطقة فيضيف " انهم – أى بلاد الشرق الاوسط – يعتقدون أننا فى أماكن كثيرة إنما نحافظ على مصالحنا عن طريق فرض الوصاية والنظام الامبريالى الذى بدأ يتهالك ويدفع القومية فى تلك البلاد بشدة عن التعاون معنا ويقترب إلى الحياد، بل وتجاه الكرملين، منهم فى هذه البلاد وبدون سياسة تقوم على احترام القومية ، وهذه ليست سياسة محققة للنجاح بالنسبة لنا. انهم يظنون اننا

بمسلكنا هذا إنما نأمل فى أن نسيطر على العالم العربى والكتلة الافرو اسيوية ضد روسيا التى بدأوا يعتبرونها صديقتهم .. فعلينا أن نذكرهم فى مصر أن القوة الغربية هى الوحيدة التى تستطيع أن تلعب دورا فى الشرق الأوسط وتساندهم فى قيادتهم ، لأن فشلهم سيكون جذور الاضطراب فى المنطقة .. ونضغط عليهم ضد الشيوعية بتقوية حلف بغداد، وبزيادة التأثير العراقى فى سوريا ، وطغيان سلاح البترول(١٦).

وكانت لمصر فلسفتها فى رفض الارتباط بأى حلف ، بل التعامل مع الجميع تعامل الند للند ، مع احترام النظام الخاص بكل دولة، وعدم التدخل فى شئون الدول، وأن يكون استقلال كل منها محل احترام فى التعامل ، فادراك عبد الناصر للموقف من ١٩٥٢ - ١٩٥٤ يشير إلى أنه كان يحاول تنبيه الدول التى دخلت فى هذا المحظور الى موقفها ، وعليها إعادة حساباتها ، وأنه فى كفاحه ضد الاستعمار سوف لايكون سدا فى طريق إقامة علاقات ودية مع الدول الكبرى مثل بريطانيا والولايات المتحدة، وهكذا كان انتقاده منصبا على السياسة الاستعمارية وليس على العلاقات الودية بعد ذلك .

وكان عبد الناصر إلى تلك الفترة ليس بعيدا عن الغرب ، ولكن فى غير تحالف أوخضوع ، ففى تصريح له للنيويورك تايمز فى سبتمبر ١٩٥٤ ذكر أنه يكره الشيوعية على أنها مبعث الخطر على أمن مصر ، وأن العرب سوف يولون وجوهم بالطبيعة قبل الغرب طلبا للسلاح والمعونات، وأضاف أن التعاون مع الغرب ينبغى أن يكون قائما على الصداقة والثقة حتى برغم أنه سيكون غير مكتوب ، وهذا أفضل من عقد الاتفاقيات التى تكون محل شك .

وهكذا كان فكر عبد الناصر فى التعاون مع الغرب، وأن المعاهدات العسكرية لم تكن - فى مفهومه - هى الطريق لأمن التجمع العربى فى ظل الضمان الجماعى وتحت مظلة الجامعة العربية التى هى الأساس فى الدفاع عن الشرق الاوسط الذى له الحق فى الدفاع عن نفسه دون ضغط أو أحلاف(١٧) .

وقد افصح عبد الناصر بعد ذلك فى دفاعه عن مبدئه فى الدفاع عن الشرق الاوسط" لقد كان الدفاع الذى كنا نريده يختلف عن نوع الدفاع الذى كانوا يريدونه ، كان خلافنا الاساسى ينبع عن مصدرين: الأول أننا كنا نريد دفاعا يحمى الشرق الاوسط من أى عدوان مهما كان مصدره، وكانوا يريدون أن يكون الدفاع ضد الاتحاد السوفيتى وضده وحده.

والثانى : أننا كنا نريد دفاعا ينبثق من داخل المنطقة نفسها ويرتكز على شعوبها، وكانوا يريدون دفاعا مشتركا يدخلون فيه ويسيطرون عليه ويصبحون رؤوسه ، وتصبح شعوب المنطقة ذيوله ، ويتولون قيادته ولاتملك شعوب المنطقة إلا أن تكون أنفارا أو وقودا بشريا للمعركة ، وكانت هوة الخلاف على هذا النحو شاسعة ، وكانت الفوارق واسعة بين مانريده وبين ما يرونه هم "(١٨) .

فحتى هذه الفترة كان عبد الناصر حريصا على تعاونه مع الغرب، ولكنه بعد ذلك وجد أنه ليس للغرب أن يضغط على العرب ليدخلهم فى أحلاف عسكرية مثل حلف بغداد، على أساس أن قيام هذه الأحلاف بين الدول الكبرى والدول الصغرى إنما يفرض على الأخيرة الانقياد للأولى ، ثم أن العرب لديهم الأحلاف والاتفاقيات الكافية مع الغرب بين بريطانيا ومصر والعراق والاردن ليؤكدوا التعاون، وأخيرا فان حلف بغداد ضد الوحدة العربية المزعومة لأنها وصلت بين العرب وغيرالعرب، فضلا عن أن هذا الحلف - فى فهم ناصر - كان تحديا لقيادة مصر واعتبره محاولة غربية لاستعمال العراق كمنافس لمصر(١٩) .

هذا الفكر الدينى حفز عبد الناصر لأن يدير سياسة إقليمية غيرت من مسار السياسة فى المنطقة ، مثيرا قضية التحرر الوطنى للبلاد العربية، وهنا بدأ التاثير المصرى على الراى العام العربى ليضع بذلك بذرة التوجه الثانى فى السياسة الوطنية للاستقلال وهو قيادة مصر لحركة تصفية الاستعمار فى الوطن العربى ، .

فبدأت الخشية من الأحلاف وقيام الأقليمية وروح الاستقلال تسرى فى دول الشرق الاوسط بعون مصر التى ظهرت لتأخذ نصيبها فى التعاون مع الدول العربية الأخرى أخذة بيدها فى سبيل الاستقلال حتى تجمع الجميع فى وحدة عربية، وإن لم تتحقق .

كان جلاء القوات البريطانية عن أرض مصر وحصول البلاد على استقلالها التام هما القضية الرئيسية التى سعت إليها الثورة المصرية سعيا حثيثا من اول يوم وصل ضباطها الى السلطة .

وكانت أوضح التصريحات وأكثرها جرأة لعبد الناصر خطابه فى يناير ١٩٥٣ عندما قال "الجلاء عن القنال أو القتال حتى الموت" كما صرح فى يناير ١٩٥٥" لن تستطيع الدول الغربية أن تخدعنا بوعودها المعسولة ، إذا مانشب صراع عالمى مسلح ثالث ونحن بعد غير معترف بحقوقنا المشروعة فى الاستقلال التام" ودارت

الأيام وحسمت قضية وادى النيل مصر والسودان بالحصول على استقلالهما. فاندفعت مصر بقوة فى توجهها القومى العربى لتعاون الدول العربية فى الحصول على استقلالها ماديا وإعلاميا على اعتبار ماسجله فى كتابه "فلسفة الثورة" " وما من شك فى أن الدائرة العربية هى اهم هذه الدوائر واوثقها ارتباطا بنا". فأتخذت موقفا استراتيجيا مدعما لطاقة ثورات التحرير فى الوطن العربى ، وفى نوفمبر ١٩٥٤ أعلنت مصر تأييدها لثورة الجزائر، مما أثار حفيظة فرنسا ضد مصر فى صفقة السلاح والعدوان الثلاثى فيما بعد ، كما قدمت الثورة يد العون لكافة الدول فى شمال افريقيا كتونس والمغرب حتى نالت استقلالها .

ذلك لأن قيادة الثورة فى مصر كانت ترى أن الحرية لاتتجزأ فى الوطن العربى، ورأت أن القومية العربية لن تحقق اهدافها فى الوحدة والتقدم العربى مالم تتحرر كافة أجزاء الوطن العربى من الاستعمار بصورة كاملة ، ودائما ما كان عبد الناصر يربط بين التحرر العربى وتحقيق الاهداف الوطنية.

ومن هنا يتضح أنه إذا كانت قضية تحرير مصر هدفا للثورة فإن عبد الناصر كان ينظر لقضية التحرير بمنظور أعم وأشمل لتحرير الوطن العربى كله، وفى نفس الوقت الابتعاد به عن دوائر النفوذ الأجنبى ، مما دفع الثورة لمعارضة حلف بغداد ١٩٥٥ ، حيث كان عام البداية الحقيقية لدور مصر الرائد فى الوطن العربى ، هذ الدور الذى لم يقتصر على المستوى الرسمى، وانما امتد إلى المستوى الشعبى، وأكد ان مصر اندمجت فى تيار السياسات العربية بشكل لم يسبق له مثيل ، وتفاعلت مع قضايا الوطن العربى على المستوى الشعبى(٢٠) .

وقد استعمل عبد الناصر سلاحا جديدا لم يستعمل فى الوطن العربى من قبل وهو سلاح الاعلام. ففى ٤ يولية ١٩٥٤ تم افتتاح " أذاعة صوت العرب" فى القاهرة، وكانت بلاشك إشارة إلى اهتمام حكومة الثورة بقضايا الوطن العربى، وبإصرارها على مساندة حركة التحرر الوطنى فى كل أرجائه ودعمها للحركة الوطنية فى مناداتها بالاستقلال وجلاء الأجنبى عن البلاد العربية.

فوقفت مصر من خلال هذه الاذاعة إلى جانب هذه الحركات التحريرية، وفتحت أبوابها لقادتها لتوجيه مايريدون توجيهه لشعوبهم ، ولتحث الدول الاستعمارية على الوقوف إلى جانب حرية الشعوب ومنحها استقلالها ، فبثت هذه الاذاعة الدعوة إلى القومية العربية ونشر فكرتها على شعوب الامة العربية كلها ففتحت الأذهان إلى حقوق كانت مغتصبة ، والى أعداء لم يكن لهم بهم علم (٢١) كما افتتحت مصر

اذاعة سرية خاصة بالجزائر فى نوفمبر ١٩٥٥ حتى اصبح احمد بن بيلا رئيسا للحكومة (٢٢) ثم اذاعة فلسطين .

ومن خلال هذه الاذاعة نشرت مصر آراءها فى الاستعمار ، وكيف يستغل بعض الدول العربية بدعوى التحالف كحلف بغداد، فكان يدعو المواطنين العرب إلى اتباع نموذج القاهرة والتحرر من الفكر الغربى كما فعلت مصر بعد عامين فقط من قيام الثورة ، فكانت عواطف الجماهير العربية تلتهب مع هذه الاذاعة المثيرة(٢٣) .

كما كانت قضية فلسطين فى مقدمة القضايا المتعلقة بالتحرر الوطنى ، وشغلت حيزا كبيرا فى فكر عبد الناصر ، فقد لعبت هذه القضية دورا هاما فى أن يكون الوعى القومى العربى لدى عبد الناصر نابعا من فكر موضوعى واقتناع ، وليس مقتصرا على الاستجابة للعاطفة التى تحركها هذه القضية(٢٤) . خاصة وأن اسرائيل لم تكن راضية عن سياسة أمريكا مع مصر فى توسطها لحصولها على الجلاء ، إذ كان الاسرائيليون يريدون أن يظل الجيش البريطانى فى مصر كى يشكل شكلا من اشكال إشغال المصريين عنهم، وحاجزا على طول خط القناة حتى يحميهم فى نفس الوقت، كما لم يكونوا يريدون أن تكون هناك علاقات طيبة بين الولايات المتحدة ومصر بالذات - رائدة الشرق العربى .

وقامت دعواهم على أساس إقتناع كل من بريطانيا وامريكا بان مصر ليست أهلا للثقة ، وأنه ليس فى وسع عبد الناصر أن يسيطر على بلاده ، وذلك عن طريق نسف المنشآت الامريكية والبريطانية (كما افتعلت ذلك فى قضية لافون)(٢٥) .

وإثر نجاح ثورة يوليه على هذا المستوى فى الوطن العربى حيث حدث تقارب كبير بين مصر وسوريا والسعودية أدى إلى عقد اتفاق ثلاثى فى ٢٩ اكتوبر ١٩٥٥، تم بموجبه تشكيل قيادة عسكرية مشتركة واتخذت مقرها فى القاهرة .

كما نما الشعور القومى فى الأردن وقامت وزارة وطنية برئاسة سليمان النابلسى(٢٦) هذا فضلا عن المد الثورى فى اليمن وليبيا فيما بعد .

واستطاع عبد الناصر ان يخرج من قمقم الاحلاف الغربية طامعا فى تجمع عربى يجمعه وطن واحد وأمانى مشتركة ليكون جبهة فى وجه الغرب فقال: واعترف أنى كذلك بدأت أرى العقبات الكبرى التى تسد الطريق الى الكفاح الواحد، ولكن بدأت أومن بأن هذه العقبات نفسها ينبغى أن تزول ، لأنها من وضع ذلك

العدو الواحد نفسه، ولقد بدأت أخيرا فى اتصالات سياسية من أجل توحيد الكفاح مهما تكن وسيلته " .

وهكذا خرج عبد الناصر ومعه مصر على العالم بثورة تفتقت عن ثورات وأفكار فى كل مكان من الشرق الاوسط بل العالم كله بعد ذلك ، استفاد من كراهيته للاستعمار بأن وجه همه لمحاربته بشكل ايجابى وبوسائل مختلفة آمن بها العالم العربى وغيره من حوله، فكان قدوة لأمم كثيرة ، لأن تحمل على الاستعمار وتحارب الامبريالية ، مما كان له أثره على هذه الدول كما سنرى .

إلا أنه فى ذلك لم تنسه حربه هذه أن يستكمل كفاحه ضد الأمم الكبرى ، فحمل على كتفيه قضية التنمية المستقلة فى مصر بذات النشاط الذى واجه به الحرب السياسية والعسكرية فى تلك الفترة ، مستهدفا القضاء على تبعية الاقتصاد القومى للسيطرة الاجنبية ، وعلى ما كانت تفرضه تلك التبعية من توجيه التطور لمصلحة الاقطاع والرأسمالية المستغلة والاستعمار ، فكانت التنمية المستقلة توجها ثالثا فى السياسة الوطنية الاستقلالية له خطورته بالنسبة للمخططات الاقليمية الغربية، وقد اتخذ فى هذا المجال اتجاهين:

الاول: التوسع فى الاراضى الصالحة للزراعة ، عن طريق استصلاح الأراضى، والقيام بمشروعات تعمير الصحراء ، بالاضافة إلى إحداث ثورة كاملة فى اساليب الانتاج الزراعى لنقل الزراعة المتخلفة إلى أخرى متقدمة .

الثانى : وهو التصنيع وتنمية الاقتصاد القومى، إذ أن التصنيع هو عصب الحياة فى الدولة القوية ، ومصدر قوتها السياسية والعسكرية ، لأن الزراعة وحدها لم تعد كافية لزيادة الدخل القومى ، وأن التصنيع هو أحد الاتجاهات الهامة التى تحقق التوازن الطلوب بين مجالات النشاط الاقتصادى المختلفة من ناحية ويمكن عن طريقه استخدام موارد البلاد المعطلة من خامات وثروة فى باطن الأرض ومصادر للقوة الكهربية والبترولية من جهة اخرى(٢٧) .

ومن ثم شكل المجلس الدائم لتنمية الانتاج فى اكتوبر ١٩٥٢ ، وعهدت اليه الحكومة ببحث المشروعات الاقتصادية فى مختلف النواحى: زراعية وصناعية وتجارية والتى يكون من شأنها تنمية الانتاج ، وان يضع البرامج الاقتصادية ليتم تنفيذها على مراحل سنوية ثلاث . وهكذا(٢٨).

ثم انتهى فى هذه الفترة الى مشروع طالما انتظرته مصر ليغطى التنمية الزراعية والصناعية معا، وهو مشروع انشاء السد العالى جنوبى أسوان، والذى اثبتت الدراسات انه سيساعد على توسيع الرقعة الزراعية ويزيد من طاقة الكهرباء التى تغطى حاجة البلاد الاقتصادية ، فضلا عن تشغيل الأيدى العاملة .. الخ .

لم يكن عبد الناصر بأعماله الوطنية والقومية بعيدا عن أعين الغرب وتحليلاته التى أوصلته إلى أن مصر تبعد رويدا رويدا عن قبضته ، وأن إبعادها يقلقهم لأنها فى بعدها عنه إنما تقترب من الكتلة الشرقية تطبيقا لمقولات دلاس بأن من ليس مع الغرب تماما ، لابد ان يكون صديقا للشرق ، خاصة وأن مساعدة مصر لدول المنطقة فى الحصول على استقلالها ومحاولة لم شملها فى تجمع قد ينتهى بهذا التجمع الى التوجه ناحية الكتلة الشرقية ، فتكون الطامة الكبرى ، إذا ما أضفنا إلى هذا ضغط الغرب وعدم إظهار المصداقية الكافية للتعامل الشريف معه ، كربط المعونات بالأحلاف والتهديد بتقليصها أو منعها ، كل هذا شكك مصر فى نوايا الغرب .

إلا أنه رغم هذا ، ورغم بداية نظر عبدالناصر إلى الكتلة الشرقية الا أنه – كما ورد فى تقرير للمخابرات الامريكية اعده قسم أبحاث الشرق الاوسط وجنوب آسيا وافريقيا فى ٩ يوليه ١٩٥٦ – كانت العلاقات بين مصر والاتحاد السوفيتى تقوم على المصالح المتبادلة ، وإنه وإن كان الاثنان يعملان على إبعاد التأثير الغربى عن المنطقة ، الا أن الحكومة المصرية تعمل بحرية بعيدا عن أن تكون تابعة للاتحاد السوفيتى .. وان المصريين مازالوا يحملون على الغرب عرقلته للعلاقات مع دول الكومنولث البريطانية فى تجارة القطن والسلاح ، إلا أنهم يرفضون استبدال بريطانيا باستعمار آخر للسوفيت .

إن عبد الناصر لشديد التمسك بالاستقلال المصرى ، وبذلك فإنه يلعب على الحبلين ويتصور انه يستطيع أن يدخل الكتلتين فى مزاد على منافعه ويكون له الخيار . ويعترف التقرير أن حكومة الثورة فى مصر كانت مبقية على العلاقات الطيبة مع الغرب من خلال السفارة الامريكية فى القاهرة ، مؤصلة فى تعضيدها للوقوف إلى جانبها لتسوية الموقف مع بريطانيا ، وأنها ستحصل منها على مساعدات – كما كانت تشير لها بذلك – حسب شروط مصر ، وبدون أن يطلب الغرب من مصر الانضمام إلى اى احلاف غربية ، وكان المصريون يأملون كذلك أن الولايات المتحدة الأمريكية سوف تتبنى سياسة تجاه اسرائيل تتماشى مع وجهة

نظرهم ، وكان هذا الأسلوب من التفكير من المحتمل تدعيمه إلى حد ما إلا أن المنافسة كانت قائمة بين بريطانيا وامريكا حول السيادة على المنطقة ، وكل يعمل لمصلحته دون النظر إلى الآخرين .

وأنه حتى عام ١٩٥٤ كانت مصر قريبة من الغرب منها إلى الكتلة الشرقية ، فهذا جمال عبد الناصر يصرح بأن التوجه إلى الغرب اكثر منه إلى الشرق طالما بقى الغرب معنا(٢٩) .

وهنا تتضح نظرة مصر الاستقلالية ، واحقية مصلحتها قبل كل شئ ، الأمر الذى كان يقلق الغرب كثيرا ، فى وقت السباق بين المعسكرين الشرقى والغربى على أشده ففى مواجهة إسراف المعسكرين الشرقى والغربى فى التسابق على إنشاء الاحلاف العسكرية والحرب الباردة مستمرة آخذة فى طريقها الدول الصغرى والدول المستقلة حديثا والساعية إلى الاستقلال نشأ موقف الحياد الايجابى كضرورة إرتأتها الدول الآسيوية والافريقية المستقلة حديثا ، والتى عانت من التخلف والفقر الذى سببه لها الاحتلال الاجنبى ، واستقلاله الاقتصادى لها ، وذلك لدعم السلام العالمى واستقراره ، حيث ان هذه الدول قد ادركت أنها لاتستطيع المحافظة على استقلالها والنهوض بمستوياتها الاقتصادية ، ورفع مستويات معيشتها وتوفير العدل الاجتماعى لشعوبها ، إلا إذا استقر السلام فى العالم(٣٠) .

وجاءت مساهمة مصر فى تلك الحركة لتمثل الاتجاه الرابع فى السياسة الوطنية المستقلة الذى يتناقض مع المخططات والأهداف الاقليمية للسياسة الغربية ، ومع ان علاقات مصر بالغرب قد داخلها شئ من التحسن فى عام ١٩٥٤، على أثر توقيع اتفاقية الجلاء ، إلا أن مشكلة الدفاع عن الشرق الاوسط سرعان ما اظهرت معركة الحياد فى أوضح صورها ، فكان تنفيذ الاتفاقية يمضى فى طريقه المرسوم بلا تعقيدات من الجانبين .

القوات البريطانية تواصل انسحابها من المعسكرات ، والحكومة البريطانية رفعت الحظر على توريد السلاح لمصر ، الا أنها عادت لربطها بالأحلاف مع الغرب ، إذ أرسلت حكومة الولايات المتحدة الأمريكية أثناءها ضابطين امريكيين من البنتاجون لبحث تزويد مصر بالسلاح الذى تحتاجه للأمن الداخلى ، فحاول هذان الضابطان اقناع عبد الناصر والعرب بدفع الخطر الشيوعى عن شرقهم ، وأجاب عبد الناصر بالتفريق بين خطر التغلغل الشيوعى – وهو مسألة أمن لكل بلد على انفراد ، وبين

خطر الغزو العسكرى السوفيتي والذى لم تشعر به مصر بعد ، وأن عدويها هما بريطانيا واسرائيل(٣١) .

وكان الضابطان الممثلان للغرب فى هذا يقصدان مصر والعالم العربى ، لأن جمال عبد الناصر كان ملتزما بأفكار الوحدة العربية ، وكان يشعر بالتزام أدبى وسياسى وأيديولوجى حيال الشعب الفلسطينى الذى فقد ارضه وبيته وأهله نتيجة الارهاب الصهيونى(٣٢) .

إزاء هذا جعل عبد الناصر يبحث عن مخرج يبعده عن النزاع بين الكتلتين الكبيرتين ، حيث كان استقلال مصر وتنميتها هو الهدف الوحيد ليحققه ، ففى الوقت الذى رفض فيه كل إغراءات دلاس وضغوطه المختلفه من أجل الانضمام إلى الاحلاف المعادية للسوفيت كان يحبط كل المحاولات الشيوعية الرامية لأن يكون لهم نفوذ فى مصر ، فى هذا الوقت عقد اجتماع بينه وبين تيتو الرئيس اليوجوسلافى برزت اثناءه فكرة " عدم الانحياز كأفضل سبيل تتبعه مصر لتبقى مستقلة(٣٣).

والحق أن سياسة " الحياد الايجابى وعدم الانحياز " ارتكزت قبل عام ١٩٥٥ على عدة عوامل فى مقدمتها المركز الجغرافى الفريد الذى تتمتع به مصر ، ووضعها موضع المنافسة العالمية ، والمصالح المتضاربة، ومحط انظار المستعمرين ، ثم السيطرة على البترول ، فضلا عن وجود اسرائيل مركزا للخلاف بين الشرق والغرب ، وفى هذا التناقض أصبح المركز الجغرافى لمصر والعالم العربى يفرض عليه انتهاج سياسية الحياد الايجابى وعدم الانحياز ، حتى لاتصبح محاولة احتلاله من قبل اى من الكتلتين العسكريتين عند قيام حرب عالمية ثالثة أمرا مرغوبا فيه .

ثم أن هذا المبدأ يتماشى مع ماسبق منذ فترة طويلة إذ اورده عبد الناصر فى كتابه "فلسفة الثورة" لقد مضى عهد العزلة، وذهبت الأيام التى كانت فيها خطوط الاسلاك الشائكة التى تخطط حدود الدول تفصل وتعزل ، ولم يعد مفرا أمام كل بلد من أن يدير البصر حوله خارج حدود بلاده ليعلم من أين تجيئه التيارات التى تؤثر فيه ، وكيف يمكن أن يعيش مع غيره ...

ولم يعد مفرا أمام كل دولة من أن تمد البصر حولها تبحث عن وضعها وظروف المكان، وترى ماذا يستطيع أن تفعل فيه ، وماهو مجالها الحيوى وميدان نشاطها ودورها الايجابى فى هذا العالم المضطرب .

ماهو دورنا الايجابى فى هذا العالم المضطرب ، وأين هو المكان الذى يجب ان نقوم فيه بهذا الدور ؟..

فهو يبين أن فلسفة الثورة لم تقم على الانعزالية أو السلبية ، وليس فى نية قيادتها ان تحصر مصر داخل إطار المعاملة مع الدول الغربية وفق النهج التقليدى الذى سارت عليه قياداتنا الوطنية السابقة ، وإنما اخراج مصر من عزلتها وسلبيتها وربطها بما يدور حولها من أحداث عالمية تفرض نفسها وتفرض علينا التعامل معها، ولكن فى حيطة وحذر.

ولقد زاد تأكد عبد الناصر من أن دول أسيا وافريقيا يجب ان تحارب الانحياز بكل قوة ، ورأى أن الحقيقة الواضحة فى الوضع العالمى كانت الحرب الباردة بين الكتلتين ولهذا فإن خير مسلك للدول الصغرى هو عدم الانحياز حتى لاتقع تحت التأثير الأجنبى(٣٤) .

كما أن حرب فلسطين ١٩٤٨ كانت من العوامل التى دعمت التيار الحيادى فى مصر حيث أن المعسكرين المتنافسين قد أيدا اسرائيل ، وبادرا إلى الاعتراف بها وعملا على ضمها للأمم المتحدة(٣٥) .

من هنا كان مفهوم الحياد عند عبد الناصر كما صرح به فى خطابه الذى القاه فى المؤتمر الآسيوى الأفريقى بباندونج عام ١٩٥٥ لقد اجتمعنا فى هذا المؤتمر ممثلين للدول الأسيوية الافريقية ، وثمة تشابه من شأنه أن يوحد بيننا وقد تخلصنا من عهد مظلم طال أمده ، كنا فيه تحت تأثير أجنبى فى شئوننا الاقتصادية والسياسية على السواء .. ظهر فى المنطقة الحياد الايجابى وعدم الانحياز ، كلام سيؤمن به كل مواطن فى المنطقة العربية كان ينادى بعدم الانحياز وبالحياد الايجابى ، إن الدفاع عن المنطقة يجب ان ينبعث من المنطقة نفسها بدون الاشتراك مع أية دولة كبرى تضعنا ضمن مناطق النفوذ "(٣٦) .

أن مصر كانت أول الأمر ترغب فى تأسيس علاقات طيبة مع الغرب ، تشجعها فى ذلك جهود الولايات المتحدة لايجاد حل لمشكلة القناة ، كما كانت تأمل فى الحصول على مساعداتها الاقتصادية والعسكرية حسبما تراه مصر كدولة مستقلة ، وبدون الدخول فى أحلاف غربية .. الخ إلا أنها لم تجد منها هذا الموقف .

وأن اسرائيل بقيامها بالتعدى على القوات المصرية فى غزة فى فبراير ١٩٥٥ ، وتوقيع تركيا والعراق حلف بغداد ، دفعا عبد الناصر إلى ان يعلن فى مارس

١٩٥٥ أن مصر تعارض الشيوعية ، ولكنها طالما هى محتاجة إلى الدعم العسكرى والاقتصادى ، فإنها ستتجنب الأحلاف ، خاصة وأن الاحلاف كانت محل نقد من المعلقين الغربيين أنفسهم ، سيما وأن هذه الاحلاف كانت تعقد فى وقت تخفض فيه المساعدات العسكرية والاقتصادية الغربية(٣٧) .

فكان من الطبيعى ان تحظى حركة عدم الانحياز بمكانة لدى عبد الناصر خصوصا وأن الحلف الثلاثى بين أمريكا وبريطانيا وفرنسا قوبل بالرفض والمقاومة من جانب معظم الدول الاخرى فى المنطقة ، وهو نفس ماحدث لحلف بغداد(٣٨) ، ومن ثم اصبحت امريكا فى مفترق الطرق ، وأحست وهى تسعى لملء الفراغ فى الشرق الاوسط أنها فى مواجهة جبهة جديدة قد ينفذ منها الاتحاد السوفيتى – عدوها المبين – والذى كان يبارك هذه الحركة ولو بشكل غير مباشر ، خاصة وأن سياسته المتزامنة مع قيام الحياد الايجابى قامت على مبدأ التعايش السلمى بين الدول ذات الأنظمة السياسية والاجتماعية المختلفة، وبالعدول عن حتمية الحرب بين الشيوعية والرأسمالية ، ودلل الاتحاد السوفيتى على أن هذا يساير ماتطور اليه الموقف الدولى ومايلاقيه الاستعمار والامبريالية من مقاومة آنتهت بتحرير الكثير من الدول التى كانت مستعمرة ، وظهور الرغبة فى الاستقرار العالمى ، وحل المشكلات الاقتصادية والاجتماعية فى عهد مابعد الاستقلال(٣٩) .

ولقد عارضت الولايات المتحدة سياسة عدم الانحياز وهاجمت مؤتمر باندونج ، فكانت كراهية دلاس للحياد والمحايدين مرتبطة ارتباطا وثيقا بموقفه الثابت من الشيوعية وجهوده الهائجة لاحتوائها ، فكان صراعا بين المعسكرين الكبيرين ، وكانت الحرب الباردة فى أسوأ حالاتها وردد دلاس " من ليس معى فهو ضدى ".

فالسياسة فى نظر دلاس أضحت ذات مفهوم أخلاقى ناتج عن قصر النظر ، بل واعتبر أن كل دولة لاتقف مع الغرب موقف الصديق فهى عدوله ، بل وأعلن ان التحالف مع الغرب أصبح شرطا من شروط تقديم المعونات .

اما عن السوفيت . فكانوا يفضلون ان يقف فى صفهم اكبر عدد من الدول ، واعتبروا الحياد فترة انتقالية تؤدى إلى وضع أفضل لهم .

اصبح التعبير الأمريكى كما رآه ايزنهاور ودلاس " إن لفظ محايد لايعنى محايدا بين الصواب والخطأ .. إنه يعنى الحياد فقط بين القوات المتحاربة " وقد أحدث هذا التفسير بلبلة وضجة عالية، اصدر الرئيس الامريكى توضيحا بعده ، إنه فى ظل

الظروف الخاصة يكون هناك تبرير للحياد السياسي ، ولكن مازال الرأى بأنه ليس من حق أية دولة أن تبدى عدم اكتراث بمصير دولة اخرى ، وفى ١٢ يونيه ١٩٥٥ أكد دلاس أنه هو والرئيس ايزنهاور متحدين فى "أن كل دولة يمكن ان تضمن سلامتها بأن تكون غير مكترثة بمصير الآخرين لهو امر يتنافى مع الاخلاق ، ويدل على قصر النظر "(٤٠) .

فمع اعتبار الغرب أن الحياد يوسع من شقه الخلاف واشتداد الحرب الباردة ، واحتمال تحويلها إلى حرب ساخنة ، بدأ الغرب يهاجم زعماء باندونج، ويحاول فهم كل علاقة بينهم بشكل اكثر من هجومه على الاتحاد السوفيتى واعلنوا أن مبادئ باندونج اكثر خطورة فى نظرهم من الشيوعية ، وأن نجاح مؤتمر باندونج ينذر بانهيار سياسة الاحلاف العسكرية الأمريكية .

وابدى الغرب ضمن اعتراضاته على سياسة الحياد ، ان اكثر هذه الدول بحاجة إلى تنمية اقتصادية، وإلى مساعدات مالية اعتقد الغرب أنه سيكون مصدرها !! فلجأ إلى سياسة الترغيب لدول المؤتمر ، ثم تبعها بالضغط السياسى والاقتصادى ، وانتهى إلى الارهاب والتهديد ، مما دفع بعض الدول فى المنطقة إلى الاتجاه الى الكتلة الاشتراكية(٤١) .

وهكذا أحدث مؤتمر باندونج هزة كبيرة فى الأوساط الغربية ، فنجد دلاس – فى قلقه – يخبر ماكميلان انه سيقاومه بخطوات تهديدية لأنه يتوقع أحداثا مؤسفة سوف تقع فى المنطقة ، وان العالم العربى يمكن ان ينفصل عن الغرب عندما يرى فى مصر دولة تتباهى بتشامخها بعيدا عن الكتلتين ، وان كان يخشى لجوء مصر بعد ذلك إلى السوفيت ، وإذا مالجأ الغرب إلى عقابها وعقاب الدول غير المنحازة ، بتقليل المعونات الاقتصادية أو تحديد الامداد الحربى أو عدم العدالة فى حل المشكلة الفلسطينية(٤٢) .

اصدر ايزنهاور اوامره إلى وكالة المخابرات المركزية الامريكية بأن تبدأ نشاطا قويا وصلبا وعلى اوسع مدى لخلق واستغلال المتاعب للشيوعية الدولية ، وان تسعى لتمزيق العلاقات بين الاتحاد السوفيتى والصين الشعبية وبين الطرفين وبين كل من يتعامل معهما وعليها ان تعمل على تأخير النمو العسكرى والاقتصادى للكل، وعليها ان تعمل على الاساءة وعقائد كل الأطراف المعادية للولايات المتحدة ، كما عليها أن تتصدى لأى خطر على مصالح أية جهات أو أفراد يتعاملون مع الشيوعيين فى مناطق العالم الحر ، وعليها أيضا ان تنشئ لها تحت الأرض برامج

سرية ، اى اللجوء إلى حرب العصابات إذا اقتضى الأمر لهز أمن واستقرار مثل هؤلاء الأطراف أو الاشخاص(٤٣) .

وأمام هذا الصراع المرير ذى الأوجه المتعددة ظلت مصر مع سائر الدول التى تعرضت لهذه الضغوط الغربية تندد بالاستعمار الغربى ، وتدعو إلى حق الشعوب فى التعايش السلمى ، ومحاربة الأحلاف ، بل واستطاعت مصر أن تؤثر على المؤتمر بعدم دعوة اسرائيل فعزلها المجتمع الآسيوى الافريقى بذلك(٤٤) .

واحزرت مصر كذلك تأييد عدم الانحياز لإعادة حقوق عرب فلسطين ومؤازرة شعوب شمال افريقيا فى كفاحها ضد الاستعمار الفرنسى ، كما جمدت نشاط حلف بغداد بعدم انضمام أية دولة عربية إليه ، وبذلك لم تسطع الولايات المتحدة ولاغيرها من دول الغرب تنفيذ خططها ضد الشرق الأوسط(٤٥) .

لم تمر هذه الواقعة سهلة على الغرب ، وإنما وقف ليتصدى لمصر فى معركة أخرى لاتقل شراسة عن هذه ، وهى معركة السلاح التى عبرت عن التوجه الخامس فى سياسة مصر الوطنية الاستقلالية التى مست وترا حساسا فى المخططات الاقليمية الغربية.

فمصر الثورة كانت أمام موقف ملح امام ضرورة تسليح جيشها كبند تعاهدت به امام شعبها عند قيام الثورة ، فمثلت هذه القضية حلقة هامة من حلقات الصراع بين مصر والغرب ، ثم بين الكتلتين الشرقية والغربية ميدانها مصر ، وتبدأ المشكلة بمحاولة عبد الناصر كسر الحظر الذى فرضته الدول الكبرى على دول الشرق الاوسط تحت دعوى الدفاع عن الشرق الاوسط ضد أى عدوان خارجي ، وكان ذلك فى اكتوبر ١٩٥١ ، ولما قامت الثورة وكانت الولايات المتحدة أقرب الدول إلى قادتها ، علق هؤلاء القادة الأمال فى معاونة الولايات المتحدة لإمداد السلاح للجيش إلا أن الأخيرة علقت امكان تسليح الجيش المصرى على الدخول فى مشروعات الدفاع الغربية عن المنطقة، كما عمدت اسرائيل - بتشجيع من هذه القوى الغربية الى القيام بعدة اعتداءات على الاراضى العربية، كان أهمها عدوانها على معسكر القوات المصرية بقطاع غزة راح ضحيته ٣٧ قتيلا ، ٣١ جريحا وتوغلت فى الاراضى المصرية مما زاد من أجواء التوتر فى المنطقة حيث أعلن عبد الناصر " لقد كانت حادثة الثامن والعشرين من فبراير ١٩٥٥ نقطة تحول لقد كان هذا الاعتداء هو ناقوس الخطر ، ومنذ هذا اليوم بدأنا ندقق فى تعرف السلام وفى معنى

السلام ، وبدأنا ندقق فى معنى توازن القوى فى هذه المنطقة " مما دفع مصر الى طرق ابواب المدد للتسليح المجرد للدفاع عن نفسها وعن حقوق جيرانها(٤٦) .

فالموقف بهذا قد تبلور مابين المخاوف الكامنة من اسرائيل والشكوك التى أحاطت بنوايا الغرب فى الحصول على السلاح، ودفع مصر نحو المعسكر الشيوعى للحصول منه على السلاح أملا فى إعادة صياغة موازين القوى العسكرية السياسية بين مصر واسرائيل ، إذ أصبحت القوة وحدها هى التى تحدد مركز كل طرف ، وبالتالى فقد كان على كل طرف أن يلجأ إلى اساليب الضغط المتاحة لتغيير موازين القوى لصالحه من الناحيتين السياسية والعسكرية .

ففى الوقت الذى كانت فيه الحكومة المصرية تحاول الحصول على السلاح من الولايات المتحدة وبريطانيا اللتين كانتا تترددان فى هذا ، كان الاتحاد السوفيتى يسعى إلى استغلال الصراع المصرى الاسرائيلى وحاجة مصر إلى السلاح فى الوثوب إلى المنطقة العربية وذلك بعرض السلاح على مصر وبشروط سخية وبالكميات التى تحتاجها وبالشروط التى تتناسب وقدراتها المالية المحدودة(٤٧) .

ومما زاد زاوية الميل إلى الكتلة الشرقية أن بريطانيا رفضت امداد مصر بالسلاح كذلك ، كما فشلت مصر فى كل جهودها لشراء اسلحة ولو من مخلفات الحرب العالمية الثانية من اى من بلجيكا او السويد او غيرهما ، وذلك لارتباط هذه الدول بحلف الاطلنطى والولايات المتحدة(٤٨) فضلا عن لعب أمريكا بأعصاب عبد الناصر ، عندما رأى ايزنهاور استقطابه ليبعده عن السوفييت ، بعرض كميات محددة من السلاح ، ثم عاد ليبدى مخاوفه بزعمه أنه ربما يستخدمها ضد اسرائيل .

وامام احساس امريكا ببدء تحرك السوفيت نحو مصر عادت فقبلت توريد السلاح لمصر ولكن على مراحل لتخفيض امكانية استخدام هذا السلاح فى الاغراض العدوانية – كما سمتها – ومع مراعاة هذه الأسلحة بقبول مصر تهدئة معارضتها لحلف بغداد وأوقفت توقيع الحلف المصرى السعودى السورى باعتبار ان ذلك يزيل مخاوف العراق " والحزام الشمالى".

وفى نفس الوقت خشيت من ان عدم توريد السلاح لمصر سيستغله الاتحاد السوفيتى فكلفت امريكا سفيرها فى القاهرة بأن يبلغ مصر موافقتها على طلبها بشراء الاسلحة فى حدود عشرة ملايين دولار – كدفعة أولى – إلا أن عبد الناصر

ابلغه بأن احتياطى مصر من العملة الصعبة لن يسمح بالدفع بالدولار ، واقترح السداد بالعملة المصرية فرفضت أمريكا ذلك(٤٩) .

وازاء كل هذا .. لم يجد عبد الناصر الا ان يقبل استيراد السلاح من الاتحاد السوفيتى بالعرض التشيكوسلوفاكى ، بعد أن اكدت نتيجة الانتخابات الاسرائيلية نوايا اسرائيل العدوانية ، وتوالت تهديدات اسرائيل وعملياتها العدوانية ، وبسبب الصعوبات التى واجهتها مصر فى الحصول على هذه الأسلحة من الدول الغربية كما رأينا .

وفعلا تمت الصفقة. وحرصا منه على الإبقاء على الروابط مع امريكا ، ارسل عبد الناصر الدكتور احمد حسين سفير مصر فى واشنطن آنذاك ليحيط دلاس بحقيقة الموقف مؤكدا له ان الصفقة ماهى فى الواقع الا صفقة تجارية لاتحمل فى طياتها اى طابع آخر ، وان مصر لن تسمح بتسرب اى نفوذ أجنبى اليها ، وهى تحرص كل الحرص على مقاومة الشيوعية ، وان مصر لاتبيت أى نية للاعتداء على اسرائيل ، وأنها لم تعقد صفقة السلاح الا لسد بعض حاجيات الدفاع المستعجلة وأكد له اهتمام عبد الناصر بالاحتفاظ بالعلاقات الطيبة مع الحكومة الامريكية وحرصه على تقوية هذه العلاقات .

واضاف ان جميع المسئولين فى مصر حريصون على أن هذه الصفقة لن يترتب عليها بأى حال تسرب النفوذ والنشاط الشيوعى إلى البلاد، وانها صفقة واحدة وليست بداية لصفقات أخرى.

وبين السفير لدلاس ان من الأمور الضرورية العاجلة ان تشعر مصر بمساعدة الولايات المتحدة لها فى تنفيذ مشروع السد العالى ، وان مصر تفضل التعامل مع البنك الدولى رغم عرض الاتحاد السوفيتى السخى للمساعدة فى إنشائه ، وذكره بالمساعدات الاقتصادية الامريكية لمصر(٥٠) .

إلا أن دلاس رد معبرا عن انزعاجه الشديد لهذه الصفقة ، خصوصا وان الولايات المتحدة – على حد قوله اثبتت صدق نواياها فى مساعدة مصر ، وان تصرف مصر هذا كان صدمه قوية للحكومة الامريكية ، مما وصفة البعض بأنه اكبر هزيمة لسياسته الخارجية ، وأن مصر بعد تقويتها ستكون مصدرا للمتاعب ، ومن ناحية اسرائيل فإنها – كما قال – تشعر بأن العرب سوف يقضون عليها ، وانتهى دلاس الى قوله" ان صفقة السلاح .. ستسبب للحكومة الامريكية حرجا فى

شأن استمرار مساعداتها الاقتصادية لمصر ، لأن كرامة أمريكا أصبحت فى الميزان" .

وبدأ دلاس يتصرف بقلق بالغ ، فأرسل بعضا من موطنية الى مصر لاستجلاء الموقف على الطبيعة ، فانتهوا إلى "إن هدفنا الرئيسى يجب أن يكون إبعاد ناصر"(٥١) .

أما فى انجلترا فقد وصل التوتر الذى سيطر على إيدن ان كلف هيئة اركان حربه أن تدرس نتائج هذه الصفقة ، وانتهت فى تقريرها إلى أن الصفقة أدت إلى إنقلاب فى هيكل الدفاع عن المنطقة ، وأن الاتحاد السوفيتى قفز فوق حلف بغداد وأصبح له وجود مؤثر فى قلب الشرق الاوسط اى فى القاهرة " وبعد أن بين التقرير مفردات الصفقة طالب بالتنسيق مع الولايات المتحدة بهدف استعادة زمام المبادرة فى المنطقة بما يحقق مصالح الغرب فى أقرب فرصة(٥٢).

فكانت لدول الغرب نظرتها فى دلالات هذه الصفقة .

– من حيث كونها تمهيدا للطريق امام السوفيت للاقتراب من منطقة المصالح الحيوية للغرب.

– الخوف من تنامى القوة العسكرية لمصر والعرب الذين سيسيرون فى ركابها .

– حفظ التوازن العسكرى مع اسرائيل مع ضمان تفوقها فى المنطقة باعتبارها ركيزتهم.

فالأمر لم يكن سهلا على الغرب "لأنهم كانوا فى حربهم الباردة مع السوفيت ينتهز كل منهما للآخر أى ثغرة للنفاذ منها إلى مآربة ، وأنه كما قال بركنز مندوب الولايات المتحدة الدائم فى الامم المتحدة " ان الكتلة السوفيتية تحاول ان تعد كل شئ فى المنطقة لمد نفوذها اليها مثل ارسالها هذه الاسلحة بالبحر عن طريق تشيكوسلوفاكيا وان الولايات المتحدة لم تعلق على مسألة حقوق الكتلة السوفيتية فى هذا مع العرب ، وأن عملية بيع تلك الاسلحة ليست عملية نظيفة على أنها صفقات تجارية ، وان الاتحاد السوفيتى لم يقم بها الا لأنها تحرك سياسى " رغم زهد الدول الشرقية فى التعامل مع الشيوعيين لمخالفة فكرهم لدينهم إلا ان الكتلة السوفيتية بدأت سعيها الى المنطقة وصرح بأن الولايات المتحدة كانت ستمد الطرفين – مصر واسرائيل – بالسلاح ولكن فى شكل محسوب لمصلحة ميزان القوى فى المنطقة من منطلق بيان ١٩٥٠ لحسم سباق التسلح فى المنطقة(٥٣) .

كما ادت دراسة العسكريين الأمريكيين للموقف الى " ان حصول مصر على اسلحة سوفيتية قد يغريها بالهجوم على اسرائيل ، وإذا حدث ذلك وقامت مصر بمهاجمة اسرائيل بسلاح سوفيتى فإن حربا فى الشرق الاوسط سوف تفرض علينا ، لانه سوف يكون محتما علينا فى هذه الحالة احتلال المنطقة كلها لحماية خطوط انابيب البترول ولحماية قناة السويس أيضا ".

ثم يصرح ايزنهاور " ان حربا تشترك فيها ضد السوفيت يجب ان تركز على عزل عبد الناصر ، كما لابد ان تتوجه سياستنا الى الفصل بين المصريين والسعوديين والسوريين وإننى واثق من شئ واحد ، وهو أنه اذا وجدت مصر نفسها معزولة عن بقية العالم العربى وبغير حليف سوى الاتحاد السوفيتى ، فانها سوف "تقرف" من هذا الوضع بسرعة ، وسوف تسارع باللحاق فى البحث عن تسوية معقولة لأزمة الشرق الاوسط(٥٤) .

وتشير التقارير الاستراتيجية إلى مدى التوتر الذى أصاب الغرب واسرائيل من جراء هذه الصفقة ، فتشير إلى أن اسرائيل ليست لديها القوة الدفاعية ضد الاسلحة التى وردت الى مصر من تشيكوسلوفاكيا ، والتى ستتسرب إلى بقية الدول العربية ، ثم أن اسرائيل فى وضع غامض بالنسبة لقابلية الدول الغربية لمساعدتها بشكل فعال، ومن ثم سينتهى الأمر الى سباق فى التسلح بينهنا وبين الدول العربية ، وبذلك ستجد اسرائيل نفسها محاطة بالدول العربية المدججة بالسلاح السوفيتى ، وربما بالسفن المجهزة بأطقمها السوفيتية ، وهنا ستكون نهايتها أسوأ من بدايتها ، من أجل هذا فإن على الدول العربية الضغط على مصر بأى شكل بالنسبة للسلاح(٥٥) .

ونشير ايضا أنه قدر ارتبط كسر احتكار السلاح بتأمين سلامة الدول العربية من الخطر الصهيونى ، وذلك عن طريق دعم الوحدة العسكرية فى الشرق العربى ، فأبرمت مصر مع سوريا فى ٢٠ اكتوبر ١٩٥٥ ومع السعودية فى ٢٧ اكتوبر ١٩٥٥ ومع اليمن فى ٢١ ابريل ١٩٥٦ أحلافا عسكرية موجهة ضد اسرائيل معتبرة أن كل اعتداء على أيها إنما هو اعتداء عليهم جميعا (٥٦) وأمام هذا توالت التقارير والانذارات ،ففى تقارير المخابرات إشارة إلى أنه طالما أعطى الاتحاد السوفيتى الإحساس بالدعم للعرب تجاه اسرائيل ولتحقيق الاهداف المصرية من مساعدات اقتصادية غير مشروطة ، فإن مصر يمكن ان تقبل ان تنظر بعين الاعتبار إلى مشاركة الاتحاد السوفيتى فى أعمال الشرق الادنى (٥٧) .

وقد أوضح السفير الامريكي فيتقرير له أنه في مقابلة له مع عبد الناصر انه - اى عبد الناصر - افهمه ان الدول كسوريا والسعودية عندما ضاقت بها السبل فى الحصول على السلاح من الغرب بحثت معه التوسط لدى الكتلة الشرقية للحصول على هذا الطلب(٥٨) .

من أجل هذا انتهت دول الغرب فى مباحثاتها المكثفة إلى " أن الروس يسعون ليكسبوا كل شئ، ولايضيعوا أى شئ بالنسبة للشرق الاوسط" وأن الغرب أصبح امام حافة الهاوية فى المحافظة على مكاسبه وعلى دول البترول واصدقائهم فى المنطقة، وبذلك عليهم محاربة التغلغل السوفيتى فى المنطقة بكافة الوسائل(٥٩) .

وفى تقرير آخر أن قوى الغرب تجاه اسرائيل ملتزمه باعلان ١٩٥٠ ، ولكن على اسرائيل ان تفهم ان الغرب لايستطيع ان يضغط اكثر من ذلك على العرب ، وإلا فإن الدول العربية ستنفر وترتمى فى احضان الروس، وفى تلك الحالة لا يمكن للغرب ان يحمى اسرائيل(٦٠) .

ومن هنا كانت اسرائيل واضحة الدلالة فى هذه الحرب ، ويعترف موشى ديان بأن السبب الرئيسى لهذا الكم الوفير من السلاح لاعداد مصر لمواجهة عسكرية مع اسرائيل هو اسرائيل نفسها ، ولذلك فإن الاسلحة التشيكية واعمال عبد الناصر ومخططاته كانت تستهدفنا للقضاء علينا أو تركنا بين الحياة والموت"(٦١) .

كما صرح بن جوريون نفسه " يجب على الصهيونيين فى البلاد الاخرى أن تكون لديهم الشجاعة للوقوف بجانب اسرائيل حتى ولو كانت حكوماتهم ضدها " مما دفع عبد الناصر إلى استدعاء سفيرى أمريكا وبريطانيا وطلب منها تحديد موقف بلديهما . بشكل قاطع ومحدد من طلبات السلاح التى سبق لمصر طلبها وراوغت حكومتاهما فى ذلك(٦٢) .

هكذا كانت دلالات صفقة السلاح فى نظر الغرب الذى لم يفق من هذه "الصفعة" الا ووجد عبد الناصر يسير حثيثا فى مجال تنمية بلده متخذا من مشروع السد العالى ركيزة لهذه التنمية واعلنت مصر عن تنفيذ المشروع مطالبة الدول الكبرى بمشاركتها أعباءه فى شكل قروض.

وبعد أن نجح الاتحاد السوفيتى فى تحقيق صفقة السلاح مع مصر ، قرر دلاس تدارك الموقف وإيجاد الوسائل لإرباك مصر وإدخالها فى دائرة مفرغة ردا على هذه الصفقة ومحاولة الاتحاد السوفيتى النفاذ إلى الشرق الاوسط من خلالها ،

وخشية ان يكون هذا المشروع منفذا جديدا للعدو السوفيتى ليسيطر مرة أخرى على السباق ، ولما اشيع هذا فى الولايات المتحدة علقت الدوائر الإعلامية على ضرورة معاونة أمريكا لمصر فى مشروع السد العالى ليكون ولو "على سبيل الرشوة" ليقطعوا صلتهم بالسوفييت ويعودوا إلى الغرب ، ولو كان ذلك على حساب قطع معونات أخرى كانت مدرجة لمصر فى الميزانية الأمريكية(٦٣) .

والتمست دول الغرب طرقا معوجة من أجل تبديد جهود مصر والسوفيت ، فلم تزل أدوار مصر فى عدم الانحياز وتأييدها للثورة الجزائرية وامدادها بالسلاح والعتاد ، ثم كسر مصر لاحتكار السلاح ورفضها لأى شروط تقيد استقلالها السياسى أو الاقتصادى نظير اسلحة أو معونات اقتصادية ، لم تزل هذه الامور كلها تتحرك أمام عيون الغرب الذى استخدم مشروع السد العالى وسيلة للمساومة وتقديم القروض المشروطة يحددها الأمل فى أن تعيد مأساة الامتيازات التى منحت لشركة قناة السويس فى عهد سعيد حتى تكون لهم قاعدة للنفوذ الاقتصادى والسيطرة على منطقة السد العالى كما كانت لهم فى الشمال متمثلة فى شركة قناة السويس .

إلا أنهم التمسوا اسلوبا عاد عليهم بالوبال رغم ظنهم أنهم ينفذون مشروعا ليودوا بالسوفيت وعبد الناصر معا ، فسحبوا عروضهم وعرض البنك الدولى فى وقت حرج – فى نظرهم – ولكنه كان منفذا للسوفيت ليثبتوا وجودهم ويقدموا قرضهم فى الوقت المناسب ، وخسر الغرب حلقة جديدة فى سلسلة الخسائر التى جروها على انفسهم(٦٤) .

وأمام هذه الألاعيب والشباك التى نصبوها فى طريق نفاذ الاتحاد السوفيتى إلى المنطقة، وضرب طموح عبد الناصر رد عليهم عبد الناصر ردا قويا بتأميم القناة ، الممر الوحيد لنقل البترول وصاحبة التراث الاستراتيجى العريق، فوجه بذلك ضربة قاضية للمصالح الامبرالية التاريخية فى المنطقة وكشف تماما على حرص مصر على استقلالها الوطنى والمضى قدما على طريق التنمية المستقلة .

فعلى أثر سحب الغرب عروضه بتمويل السد العالى فى يوليو رأى جمال عبد الناصر أن يرد الإهانه التى وجهها الغرب لمصر واقتصادها ، ومن ثم اعلن تأميم القناة فى ٢٦ يوليو ١٩٥٦ وكان يعلم " أن قرار التأميم سوف يؤدى إلى تعبئة الشعب المصرى وجماهير الأمة العربية ، وسيثبت للغرب أن مصر قادرة على رد الاهانة ، وعلى الحركة ، وعلى تحمل المسئولية ، ولكن الغرب لن يسكت ، وأنه

سوف يواجه مصر بالتهديدات التى قد تتحول الى حرب ، وأنه من اللازم ان نتخذ حذرنا(٦٥) .

والغرب هنا قد بلغ به القلق مبلغا كبيرا لأن تملك مصر لشريان الحياة إلى الغرب مسألة خطيرة بالنسبة لهم ومن وجهة نظرهم ، خاصة وان السوفيت قد ينتهزون الفرصة لتطوير علاقتهم والتسلل من خلالها إلى منطقة الشرق الأوسط ذات المصالح الغربية الاستراتيجية الحيوية.

فكانت نظرة الغرب إلى التأميم أن عبد الناصر سيتحكم فى مرور السلع الغربية وبخاصة البترول - عصب الحياة لديهم - مما سيغير موازين القوى الاقتصادية الغربية بل والاستراتيجية الغربية ذاتها ، ويشجع شعوبا اخرى فى المنطقة وخارجها على سلوك نهج مصر .

أى أنهم رأوا أن الموقف تدرج بهم إلى ان يواجهوا الخطر دفعة واحدة ، بتأميم القناة ، فتشنجوا وبدأوا ويعيدون حساباتهم بسرعة وتوتر ، وعادوا يقلبون صحفهم ليرغبوا عبد الناصر تارة ويهددوه أخرى .

فمثلا ترى أن عبد الناصر لم يقبل على هذا العمل بغير دراسة قانونية بجانب تقديراته العسكرية والاستراتيجية ، فلما تعرض دلاس للنقد من الداخل والخارج أعلن أن التأميم اعتداء صارخ على القانون الدولى ، بينما لم تشأ بريطانيا ان تدخل مع الولايات المتحدة فى نقاش فقهى حول حقوق الحكومة المصرية فى تأميم شركة تعتبر أصلا شركة مصرية ، بينما كان إيدن يأمل فى اشتراك الولايات المتحدة وفرنسا فى عمل مشترك من شأنه الضغط على عبد الناصر بأى صورة .

ومن ثم طلب بايرود موعدا عاجلا من عبد الناصر ليعلم له أن امريكا مستعدة لإعادة النظر فى تمويل السد العالى إذا قبل عبد الناصر إنشاء هيئة دولية من المنتفعين بقناة السويس تتولى مسئولية حرية الملاحة فى القناة ، وكان رد عبد الناصر أنه قد يكون مستعدا لبحث إنشاء هيئة استشارية من مستعملى القناة تتشاور معها الإدارة المصرية فيما ترى استطلاع رأيها فيه : كمشروعات توسيع القناة وتعميقها ، وزيادة كفاءتها لاستقبال ناقلات اكبر ، كما كان يناور مع دلاس مبقيا على خط الرجعة فصرح للصحفيين " ان قرار التأميم كان يراوده من سنين وأنه لم يصدره لمجرد الرد على دلاس ، وهو بهذا يحاول من تخفيف وقع الحادث عليه تجنبا لرد عنيف فورى لم يكن هو مستعدا له(٦٦) .

وبالاضافة إلى تخوف الغرب بعامة من اجراء عبد النـاصر هـذا كـانت للولايـات المتحدة وحدها نظرة اخرى تضاف إلى هذا ، وهى ضمن ماصرح به ايزنهاور مـن " ان العمل ضد عبد الناصر يجب أن يـاخذ فـى حسـابه منـابع البـترول التـى يعتمـد عليها الغرب ، فإذا توقف هذا الامداد فإن اوربا ستعتمد علـى احتياطيهـا لتفقده إلـى الابد ".

الا أنه اضاف " انه لايختلف مع الغرب فى الهدف (الاطاحه بعـد النـاصر) وان كان يختلف معهم فى الوسيلة فالتصدي لعبد النـاصر بـالعمل العسـكري سـوف يثـير العالم الثـالث ضدنـا مـن داكـار الـى الفلبيـن ، ومـن الأفضـل ان نبـدا بعـزل العـرب وخصوصـا السعوديين عن مصر وعن عبد الناصر ، وبعدها ننظر فى الأمر "

اما انجلترا ، فقد صرح ونستون تشرشل لهنرى لوى صاحب مجلـة تـايم ولايـف بأنه انه اذا تسبب عبد الناصر فى ضياع بترول الشرق الأوسـط منـا فلسـوف نطيـح به.

Nasser is going to make us loose the Middle East oil, then Nasser) . (٦٧) (must go

كما حاولت السفارة البريطانية فى واشنطون ان تقنع وزارة الخارجيـة الامريكيـة بخطورة سياسة عبد الناصر على مصـالح الغرب ووصفوه لهم بانه العدو رقم (١)

.(٦٨)(Public Enemy No.1)

وهكذا تصور الغرب ان مصر ومعها دول الشرق الاوسط فى فترة مابعد الحرب الثانية إلى مابعد قيام ثورة يوليو ١٩٥٢ عليها ان تسـير وفـق مخططـه مـن احـلاف وتحديد للمعونات وربطها بالاشتراك فى هذه الاحلاف ، مـن أجـل ان يكونـوا طوقـا حول الاتحاد السوفيتى حتى لايخرج الـى الميـاه الدفيئـة ويهـدد مصـالح الغـرب فـى المنطقة ، مقابل فتات يطرحوه لها حتـى يضمنـوا فـى ذلـك أيضـا تفـوق اسـرائيل – ركيزتهم فى المنطقة – عسكريا ، مستعملين فى ذلـك سياسـة تفتيـت القـوى العربيـة واضعافها حتى لا تقـوم لهـم قائمـة ، ويظلواهـم محتفظيـن بشـموخهم وسـيادتهم فـى المنطقة وسباقهم مع الكتلة الشرقية .

وجـاءت توجهـات السياسـة الوطنيـة الاسـتقلالية التـى اتبعتهـا ثـورة يوليـو لتقلـب الأوضـاع رأسا على عقب ، وتعصف بالسيناريو الذى وضعه الغرب بقيادة الولايـات المتحدة الامريكة للهيمنة على منطقة الشرق الاوسط ، فكانت تلك التوجهات الجديـدة

لقد راحت اسرائيل تبالغ فى مطالبها الخاصة بسرعة وصول الأسلحة الفرنسية ولم تكن معظم القوائم التى قدمتها قد تم الاتفاق عليها ولم تستطع فرنسا رفض أى طلبات تقدم إليها وخصوصا وقد سيطر على الفرنسيين قدر كبير من الغضب بسبب اليخت المصرى " إيثوس " وراحت الادارة الفرنسية تتصرف بعصبية شديدة لدرجة أن صدرت الأوامر من وزير الحربية الفرنسى " ماكس نيجون " بالقبض على زعماء الثورة الجزائرية أحمد بن بيلا وبن خيضر ورفاقهما فى ٢٢ أكتوبر وهم فى طريقهم إلى تونس، وفى سيفر راح الفرنسيون والإسرائيليون يناقشون تفاصيل الخطة وإتفقا على أقامة حزام بحرى من السفن الفرنسية على طول ساحل إسرائيل ومظلة جوية من المقاتلات الفرنسية لحماية المدن الإسرائيلية لدرجة (دفعت) بعض الباحثين إلى الأعتقاد بأن فرنسا قد أشتركت فعلا فى معارك سيناء بتوفير غطاء جوى للقوات الإسرائيلية أثناء تقدمها وهو ما أكدته صحفية مانشستر جارديان Manchester Guardian (٥١).

من الطبيعى أن تصل درجة المساندة الفرنسية للهجوم الإسرائيلى الى توفير غطاء جوى أثناء اقتحام القوات الإسرائيلية لسيناء وهو أمر منطقى وقد سبق للإسرائيليين أن أبدوا تخوفهم من الطيران المصرى وإذا لم تتضمن وثيقة الإتفاق النص صراحة على هذه المساندة إلا أن منطق الأشياء يؤكد هذا الدور الذى تجاوز من جانب فرنسا كل المعايير الأخلاقية والقانونية وتؤكد أحدى المجلات التى يصدرها سلاح الجو الفرنسى فى أحدث أصداراتها أن أربعين طيارا فرنسيا قاتلوا مع الإسرائيلين بطائرات فرنسية طليت بشارات سلاح الجو الإسرائيلى وأضافت مجلة " إيراكتوياليتية " فى ملف لها حول أزمة السويس ، نقلا عن شهادات لضباط شاركوا فى هذه العملية التى أتسمت بقدر دقيق من السرية أن الطيارين الفرنسيين إنطلقوا من مطارين إسرائيليين بهدف قصف مواقع الجيش المصرى فى سيناء وتؤكد هذه المعلومات أن هذه العملية تمت بإتفاق سرى شارك فيه " موشى ديان " مع هيئة العمليات بالجيش الفرنسى دون علم البريطانيين وبناء عليه تم نقل خمسين طيارا وفنيا فرنسيا فى سفينة خلال شهر أكتوبر ١٩٥٦ من جنوب فرنسا إلى حيفا حيث تم تغيير أسمها ورفع عليها علم أحدى دول امريكا اللاتينية وإرسلت الطائرات الفرنسية جوا إلى إسرائيل مع نهاية شهر أكتوبر وعندما وصل الطيارون الفرنسيون إلى اسرائيل تسلموا بطاقات هوية عبرية تحمل أسماءهم وتشير إلى انهم جنود فى الجيش الإسرائيلى ، كما طليت الطائرات الفرنسية بشارات الطائرات الإسرائيلية. وهكذا نفذ الطيارون الفرنسيون سلسلة من الهجمات ضد الأهداف المصرية مع بداية

الهوامش

- Suez 1965, The crisis and its consequences , Ed .by W M. Roger Louis & Roger Owen, Oxford 1989 , A historical contest by Herwitez P.24
,
٢ - رؤوف عباس (دكتور) امريكا والشرق العربى فى الحرب العالمية الثانية : بحث فى كتاب "السياسة الامريكية والعرب ، ١٩٨٢ صـ ٣٨ ، ٣٩ .
٣ - محمد حسنين هيكل : عبد الناصر والعالم ، القاهرة ١٩٧٢ ص ٥٧.
٤ - مختار مرزاق: حركة عدم الانحياز فى العلاقات الدولية ١٩٨٣ - ١٩٨٤ ص ١٢٩ .
٥ - رؤف عباس (دكتور) المرجع السابق ص ٣٨
٦ - مروان بحيرى : السياسة الامريكية والعرب بحث فى كتاب السياسة الامريكية والشرق الاوسط (المرجع السابق ص ٤٨)
- Campell,J.: Defence of The Middle East , Problems of American Policy, New York 1960. P4,5
٨ - مروان بحيرى : المرجع السابق ص ٥٣ ، محمد حسنين هيكل إلى عبد الناصر والعالم ص ٦٢ .
٩ - مختار مزراق : المرجع السابق ص ص ١٣٠ ، ١٣٣.
١٠- أحمد حمروش : ثورة ٢٣ يوليو ج ١ ص ٣٩٣
١١- محمد حسنين هيكل : ملفات السويس : وثيقه ٩٠ واشنطن فى ٢٤ مارس ١٩٥٣ من ايزنهاور الى مصر
١٢- ارسكين تشيلدز : الطريق إلى السويس ، ترجمة خيرى حماد ص ص ١٣٢، ١٣٣
١٣- أحمد حمروش : المرجع السابق ص ٤١٠
١٤- هيكل : ملفات السويس ، وثيقة ٩٩ ص ٧٥٨ .
- F.P. 371-115473 V10338-4 British Embassy, Washington Nov, 10, 1955
- F.O. 371 JE10346, J.H.A. Waston to sir Kirk Patrik, United States Policy in the Middle East Nov,22,1955
17 - Suez 1956 : Op.cit P36
١٨- خطابه فى ٢٢ يوليه ١٩٥٧.
19 - Suez 1956 : Op.cit P34

٢٠- فؤاد المرسى خاطر (دكتور) الاتجاه القومى العربى لثورة يوليو (بحث فى كتاب "اربعون عاما على ثورة يولية) القاهرة ١٩٦٢ ص ١٩٩.
٢١- المرجع السابق : ص ١٩٨.
٢٢- أحمد حمروش : ثورة يولية وثورات التحرر العربى : بحث فى ندوة يولية والعالم العربى ١٩٩٣ ص ١٤٩ .
٢٣- أحمد حمروش : ثورة يولية : المرجع السابق ص ٤١٢.
٢٤- فؤاد المرسى (دكتور) : المرجع السابق ص ٢٩٩.
٢٥- هيكل : عبد الناصر والعالم ص ٧٠ .
٢٦- جمال حماد: ثورة يولية وتوحيد القيادة العسكرية : ندوة يولية (المرجع السابق) ص ١٦١.
٢٧- محمد انيس (دكتور) السيد رجب حراز (دكتور) : ثورة ٢٣ يوليو واصولها التاريخية : ١٩٦٥ ص ٤٢٣ .
٢٨- المرجع نفسه ص ص ٢٣٥ - ٢٣٧.
- F.O. 371-118855 Intell. Reports No. 7292 - The Egyptian Neutralism
٣٠- محمد انيس (دكتور) السيد رجب حراز (دكتور) : المرجع السابق ص ٣٠٥ .
٣١- أحمد حمروش : ثورة ٢٣ يوليه ح ١ ص ٤٠٦
٣٢- هيكل : عبد الناصر والعالم ص ٥٠
٣٣- المرجع نفسه ص ٣٥٨.
34 - Suez 1956 : Op.cit P.37
35 - Ibid 49
36 - F.O. 371 Intell. Report Op.cit
37 - F.O. 371-115473 British Embassy Washington, Nov.10,1955
٣٨- محمود فوزى (دكتور) : المرجع السابق ص ٣٠
٣٩- عبد الرؤوف عمرو : المرجع السابق ص ٢٨٢
٤٠- محمود فوزى (دكتور) المرجع السابق ص ٣٣
٤١- عبد الرؤوف عمرو : المرجع السابق ٢٧٧
42- Keith Kyle : Suez, Op.cit P. 77-78
٤٣- هيكل : ملفات السويس ص ٣٩٣.
٤٤- الاهرام ١٥ مايو ١٩٥٥

45 - F.O. 371 Intell. Report ,Op.cit

٤٧- انيس وحراز : المرجع السابق ٢٧٢

٤٨- فادية سراج الدين (دكتورة) : المواجهة ، القاهرة ١٩٩٣ ص ١١١

٤٩- عبد الرؤوف عمرو ص ص ٣٩٣ ، ٣٠٧

٥٠- فادية سراج الدين (دكتورة) المرجع السابق ص ص ١٣٥ ، ١٣٦

٥١- وثيقة ١١٣ فى كتاب هيكل : ملفات السويس ص ٧٧٥

52 - Kith Kyle, Op.cit P.76

٥٣- هيكل : ملفات السويس ص ٣٦٨

54 - F.O. 371-115471- Nov.9,1955 Soviet activities in the M.E.

٥٥- هيكل : ملفات السويس ، ص ٤٣٧

56 - F.O. 371-V12123, Quality Weapons

٥٧- محمد أنيس (دكتور) والسيد رجب حراز (دكتور) : المرجع السابق ص ٢٧٣

58 - F.O. 371-118855 Intelligence Report, Op.cit

59 - F.O. 371-115447 V102320 From Cairo to F.O.Nov.2,1955

- F.O. 371-115470 Tripartite discussions on the M.E., Nov.1-1955

61 - F.O. 371-V1023 "The Middle East, Oct. 30,1955

62 - Moshe Dayan : A story of my life. New York 1976 , P.180-181

٦٣- عبد الرؤوف عمرو (دكتور) : المرجع السابق ص ٣٠٢

64 - F.O. 371 V1023 From Washington to F.O. Nov.7,1955

٦٥- محمد أنيس (أنيس (دكتور) ، حراز (دكتور) : الرجع السابق ص٢٧١

٦٦- عبد الرؤوف عمرو دكتور " تاريخ العلاقات المصرية الامريكية ١٩٣٩-١٩٥٧ ، القاهرة ١٩٩١ ص ٢٠٧ .

٦٧- هيكل : ملفات السويس ٤٨٠

٦٨- نفسه ص ص ٤٧٧ ، ٤٧٨.

- F.O. 371-118844, British Embassy Cairo : For eign Policy of Egypt. Oct.13,1955



♦ الفصل السادس ♦

التواطؤ الثلاثى

د . محمد صابر عرب

جذور التواطئ الثلاثى

لقد كان لدى كل دولة من الدول الثلاث التى اشتركت فى العدوان على مصر العديد من الدوافع الهادفة لضرب مصر والتخلص من "عبد الناصر" حتى قبل أن يقدم على تأميم القناة.

فعلى الرغم من إبرام اتفاقية الجلاء بين مصر وبريطانيا عام ١٩٥٤ إلا أن العلاقات بينهما قد اتسمت بقدر كبير من العداء لأسباب كثيرة ، لعل من أهمها معارضة مصر لفكرة الإنضمام إلى منظمة الدفاع عن الشرق الأوسط ، والتى تمخض عنها ما يسمى بحلف بغداد (فبراير ١٩٥٥) (١).

لقد تزعم "عبد الناصر" اتجاها مناهضا لسياسة الأحلاف عموما لدرجة أنه فى أوائل عام ١٩٥٦ كان أنصار "عبد الناصر" فى الأردن قد أقنعوا عمان بعدم دخول الحلف، إضافة إلى اليمن والسعودية وسوريا، بل إن الإدارة البريطانية كانت على قناعة تامة بأن طرد القائد البريطانى للجيش الأردنى "الجنرال جلوب" كان بإيعاز من عبد الناصر، مما أضعف من هيبة بريطانيا ونفوذها فى المشرق العربى(٢).

لقد راح عبد الناصر يكثر فى خطبه عن الإستعمار وخصوصا فى عدن والخليج العربى ورصدت أجهزة الإستخبارات البريطانية تلك الشعبية التى يتمتع بها "عبد الناصر" ليس فى مصر فقط وإنما فى كل الأقطار العربية الواقعة تحت النفوذ البريطانى، لذا فسرت الخارجية البريطانية تشدد عبد الناصر ومواقفه العدائية تجاه بريطانيا بسبب صفقة الأسلحة التشيكية، التى اعتبرها العرب نموذجا لتحدى الغرب، الذى أذلهم وزرع اسرائيل على أراضيهم بينما الإتحاد السوفيتى يدعم من نضالهم ويقاوم الضغوط الغربية الواقعة عليهم ولا يتردد فى إمدادهم بالاسلحة دون أن يضطروا إلى اعتناق مبادئه الشيوعية .

لقد كان رد الفعل العربى على صفقة الأسلحة التشيكية عظيما لدرجة أن مجلسى النواب السورى واللبنانى قد قررا تهنئة "جمال

عبد النـاصر" علـى اعتبـار أن هـذه الصفقـة بمثابـة كسـر للحصـار المفـروض علـى العرب ، وأخذت الصحف العربية تشيد بالسياسة الجديدة ، ولم يتمالك نورى السعيد نفسه، حيث رحب بهذه الخطوة وبعث مهنئا "عبد الناصر"(٣) وهـو موقـف لا يمكـن تفسيره إلا فى ضوء العزلة العربية التـى شـعر بهـا امـام الشـعبية الكبيرة التـى راح يتمتع بها عبد الناصر ، وحتى لايتهم بالعمالة للغرب .

لقد اعتقدت بريطانيا أن صفقة الأسلحة التشيكية قد مكنـت الـروس مـن الحصـول على موطئ قدم فى الشرق الأوسط رغم ما أعلنته مصر من أنها تعارض الشيوعية ولكنها يجب أن تكون لهـا الحريـة فـى الحصـول علـى السـلاح مـن أى مصـدر بمـا يضمن أمن شعبها .

ومن أجل طمأنة بريطانيا واسرائيل أعلـن "محمـود فـوزى" أثنـاء زيـارة "سـلوين لويد" للقاهرة (مارس ١٩٩٥) بان مصـر لاتهدف من هذه الأسلحة الى الاعتداء علـى اسرائيل ولا تفكر فى أى عمل عدوانى تجاهها (٤).

وعلى الرغم من أن زيارة "سلوين لويد" إلى القاهرة قد أتاحت امكانية التحدث فى الأمور موضع الخلاف كحلف بغـداد واسـتكمال جـلاء القـوات البريطانيـة عـن قنـاة السويس والعقبات التى تضعها بريطانيا ضد المصـالح المصريـة فـى السـودان وكـذا دورها فى فشل المحادثات المصرية مع البنك الدولى، إلا أن قضيـة طـرد "جلـوب " أثناء زيارة " سلوين لويد " للقاهرة قد تركت انطباعا بان "جمال عبـد النـاصر" رتـب للمؤامرة بحيث تتوافق مـع وجـوده فـى القـاهرة إمعانـا فـى اهانتـة وإهانـة الحكومـة البريطانية .

ولعل شهادة "ناتنج" عن ردود فعل طرد "جلوب" من الأردن هى أدق تعبير عـن الحالة النفسية التى سيطرت علـى "ايـدن" حيـث كـان " نـاتنج" يشـغل منصـب وزيـر الدولة فى وزارة الخارجية البريطـانية وفـى غياب الوزير "سلوين لويد" فقـد كـان هـو حلقة الوصل مع "ايدن" لذا فقد كتـب قـائلا: " ان درامـا السـويس بـدأت عندمـا سـمع "ايدن" عن طرد " جلوب" ومنذ لحظتها أعلن حربا شخصية على الرجل الذى اعتبره مسئولا عن هذا العمـل وهـو " جمـال عبـد النـاصر "وأضـاف" نـاتنج ": لقـد قضيـت المساء بطوله ونصف الليل بعده أناقش "ايدن" الـذى وضـع كـل اللـوم علـى "نـاصر" وهكذا قرر أن العالم لم يعد يتسع له ولـ "ناصر" (٥).

لقد اعتقد أن عـزل "جلـوب" ضربـة موجهـة إليـه شـخصيا وأنـه سيكون موضـع سخرية فى مجلس العموم ، لذا فقد أسر إلى سكرتيره الخاص بأنه يفكر فـى احتـلال السويس ردا على عزل "جلـوب"(٦) لقد ضـاعف مـن قناعـة "ايـدن" عـن مسـئولية" ناصر فى عزل " جلوب" ما أعلنه الملك "حسين " تبريرا لقراره عندمـا قـابل السـفير البريطانى فى عمان وأسر اليه " بأنه يكافح الدعايـة المصريـة" وأنـه تصـرف بلباقـة سيؤكدها الزمن فيما بعد (٧) .

لم يكن قرار طرد "جلوب" قرارا عاديا بل كـان مؤشـرا قويـا علـى تنـامى النفـوذ الناصرى الذى قلب كل الموازين البريطانيـة فـى العـالم العربـى لدرجـة أن "سـلوين لويد" عندما غادر القاهرة متجها الى البحرين (٢مارس) واجهتـه مظـاهرات عارمـة تطالبه بالعودة إلى بلاده ، وقذف المتظـاهرون سيارتـه بالحجـارة وفـى عـدن، حيـث كان فى طريقـة إلـى كراتشـى خرجـت المظـاهرات للقائـه فـى المطـار تهتـف ضـده وتنادى بحياة "جمال عبد الناصر" وخرجت الصحـف وهـى تبرز فى صـحفاتها الأولـى عناوين مثيرة ضد بريطانيا، ولخصت صحيفة "الاكسبريس" الموقف برمته فى كلمـة واحدة نشرتها عنوانا لصحفتها الأولى وهـى "العار" " Shame " . لقد شعرت الإدارة البريطانية بمرارة وحقد شديدين على مصـر وعبد النـاصر ، لـذا كـان ايدن مصـمما على تحطيم "نـاصر" وعندمـا اقترح عليـه Nutting ضـرورة إيجـاد بديـل والا فـإن سقوط "ناصر" سينجم عنه فوضـى واضطـراب ممـا يستحيل معـه امكانيـة السـيطرة على مصر صرخ "ايدن" قائلا:"لايهمنى مايحدث مـن فوضـى واضطـراب، وأن كـل مايهمنى هو أن أراه مقتولا"(٨) ووفقا لمذكرات "ايدن":إننـا فـى أشـد الحاجـة لحمايـة مصالحنا فى الشرق الأوسط والخطر الرئيسـى علـى هـذه المصـالح يـاتى مـن نفـوذ "ناصر" وايديولوجيته المعادية لنا ويجب أن نعدم مصالحنا بالعمل العسكرى (٩).

لم يكن تأميم قناة السويس عملا يستحق أن تتآمر الدول الثـلاث (انجلـترا وفرنسـا واسـرائيل) للتخطيط لعدوان بحجم العمليـة التـى أقدمت عليهـا الـدول الثـلاث فلـم يحصلوا على تفويض لا من الأمم المتحدة ولا من الدول التـى اشـتركت فـى اتفاقيـة القسطنطينية ١٨٨٨ ولا حتى من الدول المستخدمة للقناة ، ووفقا لشهادة " أيزنهاور" " وهمرشولد" ، حيث أكدا أن فيما أقدمت عليه مصر مايبرره مـن القـانون الدولـى ، لذا فإن القناة كانت مجرد ذريعة وكانت بمثابة السبب المباشر للتخطيط للعدوان .

أمـا فرنسـا ، فلقد كـانت تواجـه أزمـة حقيقيـة فـى الجزائـر، وكـانت المسـاعدات المصرية لثوار الجزائر تمثل دعما حقيقيا لاستمرار الثورة ، التى كانت تستنفد قـدرا

. هائلا من الإمكانات المادية والبشرية لفرنسا ، لذا فإن الخارجية الفرنسية اعتبرت الموقف المصرى تدخلا فى شئون فرنسا الداخلية وساد الإعتقاد فى الدوائر الرسمية الفرنسية أن الأزمة الجزائرية لايمكن حلها : إلا عن طريق مصر (١٠).

لقد رصدت أجهزة المخابرات الفرنسية دعما مصريا متواصلا للثوار وأن "عبد الناصر " قد أصبح رمزا لاستمرار الثورة وتواصلها، لذا فقد صرح "جاك سوستيل Jacques Soustelle حاكم عام الجزائر بأنه اذا تمكنت فرنسا من ضرب "ناصر" فإنها تكون قد أجهزت على رأس الأفعى (١١) .

إضافة إلى أن قناة السويس كانت بالنسبة للفرنسيين بمثابة رمز عاطفى للحضارة الفرنسية، وكانت نتاجا فرنسيا يفخر به الشعب الفرنسى ، كما أن المقر العام للشركة كان فى العاصمة الفرنسية وبلغ عدد حملة الأسهم من الفرنسيين فى شركة القناة نحو سبعين الفا وإذا كانت القناة تمثل سببا معقولا يستحق لفرنسا أن تغامر من أجله لكن الرأى العام الفرنسى والعالمى كان من الصعب عليه أن يتقبل هذا السبب كمبرر للحرب (١٢).

لقد لعبت المخابرات الاسرائيلية دورا فاعلا فى تضخيم موقف مصر من الثورة الجزائرية ، حيث راحت تقدم للمخابرات الفرنسية العديد من الأدلة على مساندة مصر للثورة ، كما قامت بنقل معلومات مبكرة عن مفاوضات مصر مع السوفيت بهدف الحصول على الأسلحة، التى سوف يذهب معظمها إلى ثوار الجزائر (١٣).

لذا كانت فرنسا اكثر الدول الغربية استجابة فى تزويد اسرائيل بما تحتاج إليه من أسلحة متطورة ، وأمام ضغط اللوب الصهيونى استجاب "دالاس" لطلبات اسرائيل فى أن تحصل على احتياجاتها من السلاح من دول أخرى وفى مقدمتها فرنسا على أساس أن الولايات المتحدة الأمريكية لاتريد أن تثير كراهية العرب ضدها " (١٤) .

وبناء على وساطة "نهرو" جاء كريستيان بينو" وزير خارجية فرنسا إلى القاهرة (١٤ مارس ١٩٥٦) والتقى بجمال عبد الناصر وتمكنا من حصر الخلاف بين مصر وفرنسا فى نقطتين:

أولاهما : دعم مصر للثورة الجزائرية .

والثانية : صفقات السلاح الفرنسى إلى اسرائيل مقابل أن تتوقف مصر عن مساندة الثورة الجزائرية .

وعلى الرغم من إغراء العرض الفرنسى ، إلا أن " ناصر" رفض " الصفقة المتكافئة" وتذرع بأن الجزائريين بإمكانهم الحصول على السلاح من أى مكان، ومن الأفضل البحث عن حل دائم ومستمر ، لذا فقد اقترح "ناصر" أن يرتب لقاء بين قادة الثورة فى الجزائر وبين ممثلين من الحكومة الفرنسية . ولقد وافق "بينو" شريطة أن يتم اللقاء بعيدا عن القاهرة وباريس ، إلا أن العديد من القوى ساهمت فى إضاعة هذه الفرصة ، وكان فى مقدمة الرافضين للفكرة جماعات المستوطنين ، الذين ضغطوا على حكومة "بينو" بحجة أن أى اتصال مع الثوار الجزائريين سوف يضعف من الروح المعنوية للمستوطنين الفرنسيين ، واحتج الجنرال "شال" القائد العام للقوات الفرنسية فى الجزائر، مؤكدا أنه على وشك تصفية جيوب الثورة .

وتشير العديد من المصادر إلى أن شركة قناة السويس لعبت دورا هى الأخرى فى فشل إمكانية المحادثات ، إضافة إلى الدور الإسرائيلى من خلال العديد من القوى ذات الإرتباط بالمصالح الإسرائيلية والتى نظرت إلى فكرة المحادثات على انها بمثابة " ميونخ " أخرى وأن استرضاء "ناصر" سيضاعف من طموحاته المدمرة وخصوصا وأن شعبيته فى العالم العربى تهدد المصالح الفرنسية بشكل مباشر.

وهكذا كانت فرنسا أكثر تحمسا من بريطانيا فى مواجهة "ناصر" وكان الوزراء الفرنسيون المتحمسون لضرب مصر هم موليه Mollet ومونورى Mounoury وزير الدفاع وبينو Pineau وزير الخارجية ولاكوست Lacost الوزير المقيم فى الجزائر .

لقد كان يحوم حول الحكومتين البريطانية والفرنسية شبح "ميونخ" لذا فإن التنسيق الفرنسى البريطانى الإسرائيلى قد فرض نفسه منذ اللحظة التى أعلن فيها عبد الناصر تأميم القناة وفى الوقت الذى أعلن فيه كريستان بينو أن بلاده لن تقبل اجراء من جانب واحد (تأميم القناة) كان "إيدن" قد فقد صوابه وراح يكيل الإتهامات لعبد الناصر متهما اياه بالإبتزاز واللصوصية . بينما ذهب "جى موليه" إلى وصف عبد الناصر بـ "الديكتاتور قليل الخبرة" وأن أساليبه تشبه أساليب هتلر وانه يتبع سياسة يتمزج فيها الإبتذاز بالخرق الواضح للاتفاقيات الدولية (١٥).

وهكذا كانت بريطانيا وفرنسا لديهما من الدوافع مايكفى لإعلان الحرب على "ناصر" ثم جاء مشروع تأميم قناة السويس بمثابة الذريعة التى لن تتكرر .

أما إسرائيل . فلقد انتهى الأمر بها إلى التفكير جديا فى الحرب منذ أن أعلن عن صفقة الأسلحة المصرية التشكيكية ، حيث انتاب " بن جوريون" قدر كبير من القلق من جراء هذه الصفقة وحذر مصر من التفكير فى أى عمل عسكرى يستهدف اسرائيل فى الوقت الذى أصدر أوامره "لموشى ديان " بأن يبدأ فى وضع خطة عسكرية تستهدف الإستيلاء على مضيق تيران(١٦) . وأعد "ديان" خطة أطلق عليها " قادش" وكان تنفيذها رهنا بما تتسلمه اسرائيل من الأسلحة الفرنسية التى راحت تتدفق على اسرائيل وخصوصا بعد أن أبدت الولايات المتحدة عدم ممانعتها فى ذلك.

وقبل أن ينقضى عام ١٩٥٥ كانت إسرائيل قد تسلمت من مصانع الإسلحة الفرنسية ٢٤ مقاتلة نفاثة ، ٢٤ طائرة مستير كبداية لصفقة كبيرة لم تستطع الولايات المتحدة الوقوف على حقيقتها(١٧) .

لقد كان عام ١٩٥٦ بالغ الأهمية بالنسبة لمنطقة الشرق الأوسط . فلم تكن اسرائيل وحدها هى التى شعرت بالقلق من جراء المؤثر السوفيتى الجديد الذى تمكن من التسلل إلى المنطقة فقد شعرت الإدارة الامريكية ان ميزان المنطقة قد اختل لصالح العرب بعد أن تمكن المصريون من كسر الحصار الذى فرضه الغرب على منطقة الشرق الأوسط .

ومع بدايات صيف ١٩٥٦ راح "بن جوريون" يحدد أهداف اسرائيل على النحو التالى:

١ – ضرب قواعد القدائيين فىْ سيناء وتفريغها من أى خطر مصرى مرتقب .
٢ – فتح خليج العقبة وتأمين مشارف ايلات بالسيطرة على منطقة طابا .
٣ – تحطيم مصر باعتبارها قلب الدائرة العربية .
٤ – طرد مصر من قطاع غزة وعدم عودتها اليه نهائيا.

وخلال شهرى مارس وابريل ١٩٥٦ بدأت اسرائيل تتلقى شحنات مضاعفة من الأسلحة الفرنسية شملت طائرات مستير مارك المقاتلة كما أبرمت اتفاقيات للحصول بسرعة على دبابات AMX وشيرمان من فرنسا إلى جانب موافقة بريطانيا على تزويد اسرائيل بطائرات ميتور Meteor المقاتلة النفاثة وتتابعت تقارير رئاسة الأركان المشتركة الأمريكية حول الامكانات العسكرية لدول الشرق الأوسط وفى ٢٨ أغسطس ١٩٥٦ ،أضافت التقارير الأمريكية ان اسرائيل لديها من التفوق العسكرى مايزيد على كل الدول العربية مجتمعة (١٨).

التخطيط للعدوان :

لقد كان لكل دولة من الدول الثلاث التى خططت للعدوان من الأسباب ماهو أقدم من تأميم شركة قناة السويس ولم يكن قرار جمال عبد الناصر بتأميم الشركة فى ٢٦ يوليو ١٩٥٦ . الا بمثابة ذريعة استندت إليها الدول الثلاث.

لقد كان تأميم القناة له مايبرره فى القانون الدولى كما اقرت مصر بإتفاقية ١٨٨٨ وأكدت حق المساهمين فى الحصول على تعويضات مناسبة (١٩) كما أثبتت الإدارة المصرية الجديدة كفاءة عالية فى إدارة وتشغيل القناة لدرجة أن الرئيس الأمريكى أيزنهاور "قد أسر إلى أحد مساعديه قائلا" : من سوء الحظ أن المصريين يديرون القناة بكفاءة أعلى مما كانت عليه قبل التأميم"، لذا فقد زاد حجم المرور فى القناة خلال الأسابيع التى أعقبت التأميم وارتفع عدد السفن إلى تسع وأربعين سفينه بزيادة اربع سفن عن المتوسط .

لقد كانت فرنسا أشد صلابة من بريطانيا فى إصرارها على اتخاذ موقف مناهض لعبد الناصر وخصوصا المؤسسة العسكرية التى كانت تشعر بمرارة شديدة بسبب مساندة "ناصر" للثوار فى الجزائر وذهب رئيس الوزراء" جى مولية" إلى وصف عبد الناصر بأنه "ديكتاتور صغير" وأن أساليبه تشبه اساليب هتلر وانه يمارس سياسة الإبتزاز مع خرق واضح للاتفاقات الدولية، لذا فقد كان مصمما على توجيه ضربة قاسية ضد مصر (٢٠).

وفى ٣١ يوليو ١٩٥٦ ابلغ "ايدن" ايزنهاور" أن زملاءه فى الوزارة مصممون على استخدام القوة كملجأ أخير لجعل "ناصر" يعود إلى عقله وأضاف "ايدن" أنه اصدر تعليماته لرئيس الأركان لإعداد خطة عسكرية لتنفيذ هذه المهمة إلا ان ايزنهاور كان مترددا خوفا من أن يغضب أصدقاءه العرب(٢١) .

لذا فقد راح يهدئ من ثورة صديقة "ايدن" محاولا اقناعه بالحرب السياسية والاقتصادية لكن "ايدن" كان مصمما على تحقيق أهدافه وخصوصا وأن الفرنسيين أخذوا يؤكدون له أن العملية برمتها لن تستغرق أكثر من عدة أسابيع.

وفى أوائل أغسطس ١٩٥٦ ، بينما كان "الميجور مبير أميت" رئيس العمليات بهيئة الأركان الاسرائيلية يقوم بزيارة باريس ليعجل بشحن الأسلحة المتفق عليها مع فرنسا إذا بالفرنسيين يسألونه عما إذا كانت اسرائيل على استعداد للتعاون مع الحلفاء الانجليز والفرنسيين فى حالة قيامهم بعمليات عسكرية ضد مصر. وعندما أبرق

"أميت" إلى حكومته جاءته الموافقة الفورية . وبتكليف من الحكومة الفرنسية سافر "كريستيان بينو" وزير خارجية فرنسا إلى لندن فى ٢٨ يوليو وأجرى مفاوضات مع نظيره البريطانى وكتبا رسالة مشتركة إلى "دالاس" يدعوانه إلى الإنضمام اليهما بينما كتب " ايدن "خطابا شخصيا إلى "ايزنهاور" يذكره بأن الوقت قد حان لعمل حاسم ينهى مشكلة "ناصر" وإلا فإن المصالح الغربية فى الشرق الأوسط سوف تصاب بنكسة ، كما أن مصالح الدول البحرية سوف تتدهور بحجة ان المصريين يفتقدون الكفاءة التى تمكنهم من إدارة مرفق معقد كقناة السويس ، اختتم "إيدن" رسالته قائلا : إن التحديات التى تواجه الغرب تفرض اعادة "ناصر" إلى صوابه بالقوة وارغامه على "استفراغ" القناة التى حاول بلعها "(٢٢).

لم تكن الولايات المتحدة تؤيد بريطانيا وفرنسا فى اتجاهها وخصوصا وأن تأميم القناة لم يؤثر بشكل مباشر على المصالح الأمريكية فلم يكن يمر بالقناة سوى ١٥٪ من البترول الأمريكى، اضافة إلى أن أمريكا كانت تخشى ثورة العرب، الذين يمتلكون معظم بترول العالم وأن اعلان الحرب على مصر قد يدفع العرب إلى جانب الاتحاد السوفيتى بصورة نهائية بينما كانت الولايات المتحدة على وشك خوض معركة انتخابية ، لذا فلقد كان من رأى " ايزنهاور" عدم الإقدام على مغامرة تسبب ضررا مباشرا للمصالح الأمريكية ولم تكن الولايات المتحدة توافق على ضم "عبد الناصر" للقناة إلا أنها كانت تعارض استعمال القوة وبذل "دالاس" جهدا كبيرا لإثناء بريطانيا وفرنسا عن عزمهما لاستخدام الحل العسكرى مقابل ان يساندهما فى استرجاع القناة بالأساليب السياسية والقانونية .

واللافت للنظر أن بريطانيا وفرنسا لم تعولا كثيرا على الموقف الأمريكى ولعلهما كانا يقفان على حقيقة الدوافع الأمريكية وما كانت دعوتهما "لدالاس" إلا من قبيل الحرص على العلاقات التقليدية . وقبل أن يصل "دالاس" إلى لندن كانت أكبر حاملة طائرات بريطانية فى طريقها إلى البحر المتوسط وأخذت كافة الإستعدادات العسكرية فى بريطانيا لتعبئة خمسة وعشرين الف جندى وحصلت الحكومة البريطانية على موافقة الملكة لإعلان حالة الطوارئ وصدرت التعليمات إلى الرعايا البريطانيين بمغادرة مصر مالم يكن لديهم أسباب قاهرة (٢٣).

وفى باريس أعلن أن الأسطول الفرنسى فى البحر المتوسط يجرى تجميعه فى ميناء طولون، وطلبت الحكومة الفرنسية من مواطنيها مغادرة مصر فى الوقت الذى راحت فيه اسرائيل تتلهف على الإنضمام للحرب الوشيكة لكن الدوائر الفرنسية

والبريطانية توجست خيفة من ظهور اسرائيل واعتبارها طرفا مباشرا فى الصراع وراح الخبراء الفرنسيون والبريطانيون يبحثون عن تكييف قانونى لانضمام اسرائيل للتحالف.

لقد تجمع لدى الرئيس الامريكى العديد من الدلائل التى تؤكد رغبة بريطانيا وفرنسا فى الحرب وكانت تعليمات " ايزنهاور " إلى وزير خارجيته " دالاس" بضرورة تعطيل الوصول إلى أى قرارات تعجل بوقوع الحرب، ونبه وزير خارجيته إلى ضرورة لفت نظر الفرنسيين إلى عدم الخلط بين استيلاء " ناصر" على القناة وبين موضوع الجزائر، كما أن موضوع الصراع العربى الاسرائيلى يجب أن يظل بعيدا عن القضية، وطلب " ايزنهاور" من وزير خارجيته ضرورة الإسراع إلى دعوة كل الدول البحرية ، التى يهمها مستقبل القناة لعقد مؤتمر موسع لحل المشكلة بالطرق الدبلوماسية (٢٤) .

وبينما كانت بريطانيا وفرنسا تمضيان سريعا نحو الحرب كانت الولايات المتحدة تنظر إلى الموقف بشكل مخالف وخصوصا وأن الرئيس الأمريكى كان يرى أن فى تأميم القناة مايبرره من القانون الدولى .وكان " همرشولد " سكرتير عام الامم المتحدة يقاسمه هذا الرأى ولم يكن ايزنهاور راغبا فى تشويه سمعته فى مجال السياسة الخارجية إضافة إلى أنه كان من الصعب عليه إقناع الكونجرس بمثل هذه المغامرة الانجلو فرنسية . وأجمعت المؤسسات الأمريكية على أن إنضمام الولايات المتحدة الى التحالف يضر بالمصالح الأمريكية بشكل مباشر وخصوصا البترول مما يضع الإقتصاد الأمريكى فى حالة حرجة (٢٥) .

لم تكن الإدارة الأمريكية راضية عن " عبد الناصر" ، وكثيرا ما كان "دالاس" يشبهه " بهتلر" إلا أن اللجوء الى القوة العسكرية لم يكن من بين البدائل المطروحة. ولقد تأكد الإنجليز والفرنسيون من حقيقة الموقف الأمريكى ، لذا فقد تم استدعاء "شيمون بيريز" إلى باريس يوم ٥ أغسطس وفى أول لقاء له مع وزير الدفاع الفرنسى الذى سأله بشكل محدد : كم من الوقت يحتاج جيشكم لعبور سيناء والوصول إلى السويس ؟" وعندما أجاب بيريز . بأن ذلك لن يستغرق أكثر من خمسة أو سبعة أيام . صاح " ديفيد بن جوريون " (الذى تسلم تقريرا بالمحادثات من "بيريز") قائلا : لقد وجدت اسرائيل أخيرا حليفا كبيرا على استعداد لخوض الحرب معنا ضد الديكتاتور(٢٦) .

وبينما كان مؤتمر لندن مجتمعا فى ١٦ أغسطس كانت وزارة الدفاع الفرنسية ووزارة الحرب البريطانية تضعان الخطوط الأساسية لعملية مسكتير Musketeer (الفارس) والتى كانت تستهدف احتلالا انجليزيا وفرنسيا لمدينة الاسكندرية ومنها تتوجه القوات المتحالفة إلى جنوب القاهرة للإطاحة بعبد الناصر . لقد شعرت القيادة السياسية فى كل من بريطانيا وفرنسا أن هذه الخطة يكتنفها قدر من المخاطرة من عدة وجوه :

أولها : من الصعب تبرير هذه العملية أمام الرأى العام العالمى ، حيث يبدو العدوان من دولتين كبيرتين على دولة صغيرة دون أن يكون هناك مبرر مقبولا أمام الرأى العام العالمى.

ثانيها : العملية يكتنفها قدر كبير من المخاطر فالزحف من الاسكندرية جنوبا نحو القاهرة سيواجه بمقاومة شرسة وخصوصا فى منطقة الدلتا ، التى يصعب اجتيازها بسهولة .

ثالثها : يبدو القصور فى هذه الخطة باعتبار أنها لاتقدم مبررا مقبولا لمشاركة اسرائيل فى العملية .

لذا تم العدول عن هذه الخطة الى خطة جديدة أطلق عليها :"الفارس المعدلة" التى تستهدف بورسعيد بشكل مباشر، ثم الزحف منها جنوبا نحو السويس وتبريرا للعملية رأت الحليفتان أنه من الأفضل إرسال قافلة من السفن لتعبر القناة وترفض دفع الرسوم للهيئة الجديدة فيقبض عليها المصريون مما يعد مبررا مقبولا للقتال .واقترح البعض أن تكون احدى السفن الاسرائيلية من بين سفن القافلة المقترحة(٢٧).

واستكمالا للعملية ذهب الجنرال "ستكوكويل" القائد المعين لخطة الغزو المقترحة لمقابلة "انتونى ايدن" الذى اقترح عليه أن النظير الفرنسى للجنرال " ستوكويل " سوف يكون الأميرال "بارجو" الفرنسى ويليه الجنرال – بوفر " قائدا للعمليات البرية كما أن الجنرال البريطانى "كيتلى" سوف يكون القائد العام لقوات الحلفاء فى حين يتولى "ستوكويل" قيادة الميدان وأصبح اسم الخطة Musketeers " الفرسان " بدلا من "الفارس " ثم طلب "ايدن" تأجيل موعد الغزو من ١٥ سبتمبر إلى موعد آخر سوف يحدد فيما بعد .

لقد شعرت اسرائيل بأن هذا التحالف على الرغم من أنه يحقق مصالحها الإستراتيجية إلا أنه يسئ اليها امام الرأى العالمى على اعتبار أنها تلعب دورا

رخيصا يتسم بقدر من الانتهازية. وفى محاولة لتجميل موقفها طلبت من فرنسا أن تطلب اليها رسميا الإنضمام الى التحالف وحتى يكتمل السيناريو للعملية الهزلية رأت أن انضمامها للتحالف مشروطا بعدة مطالب:

١ - أن تدعى اسرائيل رسميا إلى المشاركة فى كل تفاصيل المباحثات، حتى يتسنى لها أن تتعامل كحليف ذى حقوق متساوية .

٢ - الا تقود الحرب الى تورط اسرائيل فى نزاع مع بريطانيا التى كانت تربطها بالأردن معاهدة دفاع مشترك.

٣ - تلتزم بريطانيا وفرنسا بتسليم بعض المواقع لإسرائيل ومن بينها شرم الشيخ ومناطق أخرى وسط وشمال سيناء وكذا حق مرور اسرائيل فى قناة السويس .

وفوض مجلس الوزراء الاسرائيلى "بن جوريون" بالاتصال بباريس لكى تبدأ الترتيبات لشن حرب ضد مصر (٢٨).

ويعترف "موشى ديان " ، حيث كان يشغل منصب رئيس الأركان الاسرائيلى بأنه كان على علم بكل تفاصيل العملية العسكرية وتاريخ تنفيذها وكل الاجراءات التى بذلها الحلفاء بهدف افشال عمل هيئة قناة السويس الجديدة مما يخلق مبررا مقبولا للغزو دون اغضاب الدول العربية الصديقة لبريطانيا لأن فشل الإدارة الجديدة فى تشغيل القناة سيؤدى إلى توقف تصدير البترول وبالتالى توقف عائداته (٢٩) . مما يلحق ضررا مباشرا بالدول المنتجة .

وخلال شهر سبتمبر كانت المحادثات الفرنسية الاسرائيلية تتم فى باريس بين وزيرى دفاع البلدين أحيانا ووزيرى الخارجية فى بعض الأحيان ، واتسمت المحادثات بقدر كبير من الصراحة. وكان من بين أولويات السياسة الإسرائيلية فتح خليج العقبة امام الملاحة الإسرائيلية بهدف القضاء على هيبة مصر أمام العرب وقبل أن تتمكن القوات المصرية من استعمال صفقة الاسلحة التشيكية (٣٠).

وعندما عاد "شيمون بيريز" من أحدى زياراته التى قام بها إلى باريس وقدم تقريرا إلى حكومته ، التى اجتمعت فى ٢٥ سبتمبر، كان من رأى "ابن جوريون" ": ان امامنا قرارا استراتيجيا ، ربما يعد من أخطر القرارات مثل تأسيس الدولة وفرصة تعاوننا مع فرنسا قد لاتتاح لنا مرة أخرى (٣١).

وفى الوقت الذى كانت تجرى فيه فرنسا محادثات مع الاسرائيليين كانت تقوم بمحادثات مماثلة مع البريطانين الذين أبدوا ترددا ملحوظا وخصوصا عندما وقفوا على المحادثات الفرنسية الإسرائيلية .ولعل هذا التردد كانت تحكمه عدة إعتبارات:

أولها: تلك العلاقة التاريخية التى تربط بريطانيا بعدد من الدول العربية، الأمر الذى يعرض المصالح البريطانية للخطر المباشر.

ثانيها: عجزت الخارجية البريطانية عن طرح مبررات منطقية تبرر العدوان على مصر بمشاركة اسرائيل .

ثالثها: العملية يكتنفها قدر من المغامرة التى قد تعرض مصالح بريطانيا الاقتصادية للخطر المؤكد.

رابعها: لم تستجب الولايات المتحدة للضغوط البريطانية ورفضت الخيار العسكرى مما أضعف من خطورة الموقف البريطانى مع الوضع فى الاعتبار أن ذلك يخدم المصالح الأمريكية بشكل مباشر.

ومن بين الخيارات التى فكرت فيها الخارجية البريطانية مايعرف بخطة الأردن، حيث كانت الإنتخابات الأردنية على وشك أن تبدأ وهى فرصة تتيح للقوات العراقية التدخل لكى تحول دون نجاح الناصريين مما يحدث جوا من التوتر الذى يمكن بريطانيا من التدخل الذى لن تقبله مصر مما يتيح فرصة للمواجهة ، التى قد تعد مبررا مقبولا للحرب.

لقد رأت بريطانيا واسرائيل أن خطة الأردن لاتحقق أهداف التحالف وأن دورهما فى العملية يعد مرفوضا من الرأى العالمى الذى لن يتقبل هذه الحيلة الساذجة.

وخلال الأسبوع الأخير من سبتمبر جرت محادثات مكثفة فى باريس ولندن وتل أبيب ربما أهمها عندما استضافت هيئة الأركان الفرنسية(٢٩ سبتمبر) وفدا اسرائيليا برئاسة "موشى ديان" رئيس الأركان الإسرائيلى ومعه " جولدا مائير " وزيرة الخارجية" و " موشيه كارمل " وزير النقل و "شيمون بيريز" لمناقشة المشروع برمته وكان فى مقدمة المحادثات المطالب الإسرائيلية من الأسلحة حيث اشترط الوفد الاسرائيلى وصولها إلى اسرائيل قبل اى عمل عسكرى وقد تعهد الجنرال "ايلى رئيس الاركان الفرنسى بتقديم احتياجات اسرائيل من الدبابات والطائرات والشاحنات فى أقرب فرصة (٣٣).

ويبدو أن المحادثات امتدت لتتناول الموقف الامريكى ، لذا فقد تساءلت "جولدا مائير" عما إذا كان من الضرورى اطلاع واشنطن على هذه المباحثات؟

وأجاب "بينو" قائلا : ينبغى الانضعهم فى موقف يسمح لهم بأن يقولوا " لا "أو "نعم " نظرا لأن لوبى البترول سيجعلهم يقولون " لا " مما يضعنا فى موقف أصعب بكثير، ومن الأفضل عدم التشاور معهم (٣٣).

لقد شعر الفرنسيون بقدر من القلق بسبب عدم وضوح الموقف البريطانى، ولذلك عندما انتهت القضية فى مجلس الأمن (١٣ أكتوبر) بـ "فيتو" سوفيتى التقى " سلوين لويد" ونظيره الفرنسى (كريستيان بينو) فى واشنطن وكانت جلسة مصارحة ، حيث طرح الأخير مطلبه بشكل محدد قائلا كل الخطط جاهزة والإسرائيليون مستعدون وهم على وشك أن يفقدوا كل ثقة فينا "وأجاب" لويد":" المشكلة أن حكومة صاحبة الجلالة فى حاجة إلى ذريعة يقبلها الرأى العام البريطانى ولايغضب لها الكومنولث.

وفى الوقت الذى كانت فيه المحادثات الفرنسية الاسرائيلية تتم بشكل منتظم وادارة العمليات العسكرية فى الجيشين الفرنسى والإسرائيلى تضع الخطط والبرامج كان الاسرائيليون يستكملون احتياجاتهم من الاسلحة الفرنسية التى راحت تتدفق على اسرائيل والتى لم يسبق لمنطقة الشرق الاوسط ان شهدتها من قبل إلى جانب خبراء ومستشارين فرنسيين.

وفى اجتماع وزيرى خارجية فرنسا واسرائيل مساء ١٤ اكتوبر، تم مناقشة الموقف البريطانى المتردد وتساءل "بينو " قائلا :" لنفترض أن بريطانيا تراجعت فهل اسرائيل على استعداد لدخول الحرب ضد "ناصر" بالتحالف مع فرنسا؟

وأجابت "جولدا مائير" : " من صميم قلوبنا"

لقد أدركت "جولدا مائير" أن عدم دخول بريطانيا الحرب سيترتب عليه بعض المشكلات ، لذا وجهت سؤالا الى "بينو" قائلة :" لنفترض أننا انتهزنا الحرب وقمنا باحتلال الضفة الغربية للأردن فهل تعتقد أن بريطانيا ستساعد الأردن ضدنا التزاما بالمعاهدة البريطانية الأردنية ؟ وكان رد بينو:" سيدتى انك تطلبين منى أن أقرأ الغيب.

لقد شعر الفرنسيون بأنه من الصعب عليهم خوض حرب ضد "ناصر" بدون بريطانيا وكانت الإدارة الفرنسية تقدر عوامل تردد "ايدن" ، الذى تحكمه اعتبارات كثيرة، لعل أخطرها أن المجازفة بعملية خاسرة سوف تجهز على ماتبقى لبريطانيا

من رصيد فى منطقة الشرق الأوسط وساعتها سينتهى مستقبل "ايدن" السياسى بشكل قاطع.

لقد كان "ايدن" مترددا فى موقفه وشعر "موليه" أن خطوة واحدة فى الإتجاه الصحيح سوف تقضى على تردده وخصوصا لو أمكن التوصل إلى إيجاد ذريعة مناسبة يستطيع بها مواجهة الرأى العام البريطانى، وتسلم "ايدن" برقية شفريه من "موليه" طالبا منه مقابلة وفد فرنسى. ووفقا لشهادة "ناتنج" الذى حضر هذا اللقاء ، حيث عرض الوفد الفرنسى الخطة التى توصل اليها الفرنسيون، حيث تبدأ بهجوم اسرائيلى على سيناء فى اتجاه قناة السويس وبعد أن يحقق الإسرائيليون أهداف المرحلة الأولى من الخطة تطلب بريطانيا وفرنسا من الطرفين (مصر واسرائيل) أن يسحبا قواتهما بعيدا عن منطقة قناة السويس بحجة أن الأعمال الحربية تعوق سير الملاحة فى القناة وتعرض مرافقها إلى التدمير، وتخطراهما بان قواتهما المسلحة سوف تحتل منطقة القناة بغرض حمايتها حرصا على مصالح العالم .

ويمضى الجنرال "شال" فى شرح خطته، حيث تشق القوات الانجليزية الفرنسية طريقها لاحتلال بورسعيد بينما عدة ألوية من المظليين تهبط لاحتلال الاسماعيلية والسويس ، ولم يتمالك "ايدن" اخفاء سعادته، فقد أعجبته الخطة ووافق عليها بشكل نهائى (٣٤).

ويعلق "سلوين لويد" عقب لقائه بـ "ايدن" بمجرد أن وافق على الخطة الجديدة : "لقد كان سعيدا بالخطة الفرنسية ولم يترك لى مجرد ابداء أية ملاحظات بل راح يتعجل بهدف انهاء كل تفاصيل الخطة(٣٥).

لقد كان "ناتنج" من أكثر الناس تقديرا لخطورة الموقف وكان على وعى شديد بأن "ايدن" يعجل بنهاية بريطانيا ، لذا فقد حاول اقناعه بالتروى لأن العملية فى مجملها يكتنفها قدر كبير من المخاطرة التى تجهز على سمعة بريطانيا وخصوصا وأن اشتراك اسرائيل سوف يضر بسمعتها إلا ان الرجل كان مقتنعا بخطة الجنرال "شال" وقرر الذهاب فورا إلى باريس لبحث التفاصيل مع "جى موليه" (٣٦).

وفى محاولة من "ايدن" لتبرير موقفه فقد راح يؤكد أن اسرائيل مصممة على القيام بعملية عسكرية حتى لو تخلف عنها بريطانيا وفرنسا، ومن الأفضل عدم ترك اسرائيل لكى تقوم بمغامرتها منفردة أو مع فرنسا مما يتيح له احتلال أماكن تدخل

فى دائرة النفوذ البريطانى لذا كان متعجلا الانضمام إلى الحليفتين خوفا من ضياع فرصة قد لاتتكرر.

وفى الوقت الذى كان "ايدن فى طريقة إلى باريس كان الجنرال "شال" يعرض خطته بشكل نهائى على الخبراء الفرنسيين والاسرائيلين وطلب الفرنسيون من الاسرائيليين فى هذا الاجتماع الموافقة على كل التفصيلات النهائية دون الرجوع الى قيادتهم فى إسرائيل وكان الوفد الاسرائيلى لديه كل الصلاحيات لاتخاذ القرارات التى تعجل ببدء العمليات العسكرية.

واقترح "سلوين لويد" أن يكون هناك مغزى أخلاقى للتدخل الأنجلو فرنسى كأن تبالغ قواتهما فى الحياد لدرجة أن تصوب أهدافهما ولو مرة على الأقل نحو الأهداف الأسرائيلية.

وعندما علم " ابن جوريون" بهذا الاقتراح علق عليه قائلا : " انهم يحاولون أن يظهروا أنفسهم كالنبلاء الذين يمارسون غرامهم مع الوصيفات فى المطبخ دون السماح لهم بالدخول إلى غرفة النوم (٣٧).

لقد شعر "ايدن" بانه مقدم على عمل يفتقد إلى الاخلاق ، لذا فقد أحاط زيارته إلى باريس (٢٢ اكتوبر) بقدر كبير من السرية ، حيث كان يرافقه "سولوين لويد" وزير الخارجية واجتمعا مع "موليه " و "بينو " على انفراد وقرروا دعوة " ابن جوريون " ليلحق بهما فورا وفى هذا الاجتماع تمت الموافقة النهائية على العمليات العسكرية ضد مصر (٣٨).

لقد تمت المحادثات فى فيلا صغيرة فى سيفر Sevres (احدى ضواحى باريس) وكعادة اسرائيلية فقد كان " ابن جوريون " حريصا على الحصول على أكبر قدر من الضمانات بداية من التأكد من الموقف البريطانى ثم الحصول على ضمانات بتدمير الطيران المصرى، منذ اللحظة الأولى التى تعبر فيها القوات الإسرائيلية الحدود المصرية وانتهاء بتعهد الحليفين بأن اسرائيل لن تكون وحدها اكثر من ساعات معدودة (٣٩).

لقد كانت بريطانيا وحدها وهى التى لديها الطائرات القادرة على تدمير الطيران المصرى. وكان "بن جوريون" قلقا من احتمال قيام الطائرات المصرية بتدمير المدن الإسرائيلية ولم يكن متأكدا من نجاح طائرات المستير ٤ فى توفير الغطاء الجوى المطلوب ولذلك كان يعتقد أن الوسيلة الوحيدة هى أن تقوم قاذفات بعيدة المدى

بتحطيم القوة الجوية المصرية على الأرض وبريطانيا هى الدولة الوحيدة من بين الدول المتآمرة ، التى تملك طائرات نفاثة بعيدة المدى من طراز " كانبيرا " و " فاليانت " متمركزة فى قواعدها فى قبرص ومالطة ، حيث تتمكن من ضرب مصر(٤٠) .

وقد ذكر "ناتنج" أن " ايدن " قد بعث موظفا كبيرا من وزارة الخارجية البريطانية إلى باريس فى ٢٤ أكتوبر والتقى "بشيمون بيريز" حيث كان مقيما للاشراف على العمليات الأخيرة ، للتحالف وأنه قدم كل الضمانات لطمأنة (بيريز) وتعهد بأن بريطانيا سوف تفعل كل مايطلبه الإسرائيليون من حيث توجيه ضربات جويه إل المطارات المصرية وإحكام الحصار على الشواطئ الإسرائيلية وتكثيف العمليات بهدف انجاز المهام فى أقرب وقت مع التعهد بتقديم كل الضمانات لإسرائيل (٤١) .

وفى اسرائيل حذر " ابن جوريون" اثناء اجتماعه بالكنيست من التفاؤل الزائد وأكد على أن أخطر ما يواجه اسرائيل هو " الديكتاتور المصرى" الذى عبر مرارا عن رغبته فى تحطيم اسرائيل (٤٢).

والحقيقة أن مخاوف " بن جوريون " كان لها مايبررها وخصوصا بعد أن تأكد أن اسرائيل سوف تحارب وحدها خلال المرحلة الأولى من الخطة ، قبل أن تلحق بها فرنسا وبريطانيا : إضافة إلى أن " ابن جوريون" لم يكن واثقا من عزم بريطانيا وكثيرا ما كان يطلب من أصدقائه الفرنسيين مزيدا من التأكيدات على أن "ايدن " لن يتراجع فى اللحظة الأخيرة فاذا ما علمنا أن البريطانيين كان عليهم أن يتحملوا مسئولية تدمير الطيران المصرى ، لذا كان من الطبيعى أن يبدو " بن جوريون " قلقا إلى هذا الحد .

لقد راحت فرنسا ترتب اوضاعها فى شرق البحر الأبيض المتوسط ولقد أتاحت لها عملية القبض على السفينة المصرية ايثوس Athos أمام ساحل مراكش وهى محملة بالأسلحة امكانية تغطية تحركاتها البحرية وادعى الفرنسيون أن هذه السفينة قادمة من الاسكندرية إلى الجزائر على الرغم مما أعلنه عبد الناصر من ضرورة اجراء توفيق على أساس أن السفينة Athos قد سبق لها أن رست فى موانئ أخرى مثل صقلية واسبانيا عقب مغادرتها الاسكندرية فى ٥ أكتوبر(٤٣).

لم ييأس " ابن جوريون " من محاولة إقناع الولايات المتحدة بالاشتراك مع الحلفاء وراح يلوح بالمكاسب الهائلة التى ستنتجم عن تحطيم " ناصر " وأولها ابعاد

السوفيت عن المنطقة ثم اعادة القناة تحت اشراف دولى واحاطة ذلك بمزيد من الضمانات التى تحول دون تكرار مغامرة " ناصر " وسوف تخدم اسرائيل أهداف حلفائها حينما تكون قد سيطرت على خليج العقبة وتجريد سيناء من السلاح، ساعتها سوف تنقلب موازين القوى وتسترد فرنسا وبريطانيا نفوذهما مرة أخرى فى منطقة الشرق الأوسط ويتحقق للولايات المتحدة الأمريكية اكبر هدف تحلم وتحكم به وهووقف التوغل السوفيتى ... وصارح " ابن جوريون" حليفه " جى موليه " بأنه لايثق فى " ايدن" وأن مواجهة السوفيت فى الشرق الأوسط مسئولية الغرب ومن الضرورى اقناع الولايات المتحدة الامريكية ، وفى محاولة من " جى موليه " لطمأنة حليفه أكد على أن الإدارة الأمريكية تنظر إلى القضية بشكل مخالف ومن الصعب اقناعها حتى ولو انتهت الانتخابات وان الروس غارقون فى اضطرابات المجر وأن " ايدن " قد قطع معنا شوطا يستحيل التراجع بعده (٤٤).

وفى أحد الاجتماعات التى تمت بين " ابن جوريون " و " موليه " اشترطت اسرائيل ابرام اتفاقية مكتوبة توقعها الدول الثلاث ضمانا لعدم تراجع بريطانيا التى تشعر بخوف على مصالحها فى الشرق الأوسط وخصوصا فى الأردن والعراق(٤٥) .

وراح" بن جوريون " يطلب من حلفائه الانجليز والفرنسيين ابلاغ الولايات المتحدة بالهجوم تقديرا لصداقته للرئيس " ايزنهاور " الذى يقود حملته الانتخابية على أساس السلام وعلق " موليه" على كلام بن جوريون بلهجة تنم عن قدر من السخرية قائلا : " أن الولايات المتحدة تحتاج إلى سنوات لكى تستوعب مشاكل العلاقات الخارجية. فخلال الحرب العالمية الأولى لم تدخل الحرب الا فى سنة ١٩١٧ بينما انتظرت فى الحرب العالمية الثانية حتى ١٩٤١ ولذا فإن واشنطن فى حاجة إلى عامين أخرين حتى تفهم خطورة تأميم " ناصر " لقناة السويس (٤٦).

لقد كان " ابن جوريون " واثقا من الخيار الأمريكى الذى ارتضى أن يكون بعيدا عن العملية برمتها لكن اسرائيل راحت ترهق حلفاءها فى الحوار بهدف التأكد من موقفهما بشكل قاطع ثم التأكد من حجم المكاسب الإسرائيلية التى أقحمت فى المفاوضات لدرجة أنها اصبحت بمثابة شروط لدخول اسرائيل الحرب.

لم تكن المخابرات الامريكية بعيدة تماما عما يحدث فى الشرق الأوسط وكانت لديها معلومات مؤكدة عن تحرك فرنسى اسرائيلى مرتقب ضد مصر ، ولكن استبعدت التقارير اشتراك بريطانيا لأسباب تتعلق بمصالح بريطانيا فى منطقة

الشرق الأوسط والوحيد الذى لم يستبعد اشتراك بريطانيا هو " روبرت أمورى " نائب رئيس المخابرات الامريكية بسبب حقد " ايدن " على " ناصر " الذى وصل إلى درجة توقع انضمامه إلى اى مشروع يرى الاطاحة بهذا المصرى " المقيت " على حد تعبيره لكن " جيمس انجلتون " خبير الشئون الاسرائيلية فى وكالة المخابرات الأمريكية والذى كان على علاقة بجهاز الموساد رفض هذا الاستنتاج ويعلق "أمورى" على ملاحظة انجلتون " قائلا : " انه عميل اسرائيلى " إلا أن " أمورى " عاد ، بناء على معلومات مؤكدة ليقول لدالاس : سيدى الوزير أن الاسرائيليين سيهاجمون سيناء بعد منتصف ليلة غد، وإن على استعداد أن أفقد وظيفتى اذا لم يحدث ذلك (٤٨) .

وبينما كانت الإدارة الأمريكية منشغلة بقضية الإنتخابات الأمريكية كانت العاصمة باريس تشهد اجتماعا سريا لوضع بنود الاتفاق الثلاثى والذى صاغ " ابن جوريون" معظم بنوده ، التى اطلق عليها اتفاقية " سيفر " حيث تحدد يوم ٢٩ اكتوبر باعتباره موعدا أكيدا لبدء العمليات المشتركة ، حيث تقوم القوات الإسرائيلية بشن هجوم واسع النطاق على القوات المصرية بهدف الوصول إلى قناة السويس وفى اليوم التالى (٣٠ أكتوبر) توجه الحكومتان البريطانية والفرنسية نداء إلى كل من مصر وإسرائيل يتضمن وقف اطلاق النار وسحب قواتهما إلى مسافة عشرة أميال عن قناة السويس ثم احتلال المواقع الهامة على القناة بواسطة قوات بريطانية وفرنسية مشتركة بحجة ضمان حرية المرور فى القناة بينما الحكومة الإسرائيلية لن تكون مطالبة بقبول وقف اطلاق النار فى حالة إذا مارفضت الحكومة المصرية قبول الأنذار الذى سوف تتسلمه وإذا لم تستجب الحكومة المصرية الى شروط الانذار فى الموعد المحدد فإن القوات البريطانية والفرنسية سوف تقوم بالهجوم على القوات المصرية فى الساعات الأولى من صباح ٣١ أكتوبر، وعلى الحكومة الاسرائيلية أن تبعث بقواتها لاحتلال الشواطئ الشرقية لخليج العقبة وجزر تيران وصنافير لكى تضمن حرية الملاحة فى خليج العقبة، وتتعهد اسرائيل بعدم الهجوم على الأردن اثناء العمليات ضد مصر وإذا حدث أن قام الأردن بمساعدة مصر، فإن بريطانيا سوف تكون فى حل من اى التزام تجاه الأردن (٤٩) .

لقد بعث " سلوين لويد " بوكيل وزارة الخارجية البريطانية السير " باتريك دين " ليوقع على الوثيقة المشتركة إلا أن " ابن جوريون " رفض توقيع مجرد " موظف بريطانى " وبعد أن وقعها " موليه " عن فرنسا " وابن جوريون " عن اسرائيل أرسلت الوثيقة إلى لندن ، حيث وقعها "سلوين لويد " عن بريطانيا (٥٠) .

لقد راحت اسرائيل تبالغ فى مطالبها الخاصة بسرعة وصول الأسلحة الفرنسية ولم تكن معظم القوائم التى قدمتها قد تم الاتفاق عليها ولم تستطع فرنسا رفض أى طلبات تقدم إليها وخصوصا وقد سيطر على الفرنسيين قدر كبير من الغضب بسبب اليخت المصرى " إيثوس " وراحت الادارة الفرنسية تتصرف بعصبية شديدة لدرجة أن صدرت الأوامر من وزير الحربية الفرنسى " ماكس نيجون " بالقبض على زعماء الثورة الجزائرية أحمد بن بيلا وبن خيضر ورفاقهما فى ٢٢ أكتوبر وهم فى طريقهم إلى تونس، وفى سيفر راح الفرنسيون والإسرائيليون يناقشون تفاصيل الخطة وإتفقا على أقامة حزام بحرى من السفن الفرنسية على طول ساحل إسرائيل ومظلة جوية من المقاتلات الفرنسية لحماية المدن الإسرائيلية لدرجة (دفعت) بعض الباحثين إلى الأعتقاد بأن فرنسا قد أشتركت فعلا فى معارك سيناء بتوفير غطاء جوى للقوات الإسرائيلية أثناء تقدمها وهو ما أكدته صحفية مانشستر جارديان Manchester Guardian (٥١).

من الطبيعى أن تصل درجة المساندة الفرنسية للهجوم الإسرائيلى الى توفير غطاء جوى أثناء اقتحام القوات الإسرائيلية لسيناء وهو أمر منطقى وقد سبق للإسرائيليين أن أبدوا تخوفهم من الطيران المصرى وإذا لم تتضمن وثيقة الإتفاق النص صراحة على هذه المساندة إلا أن منطق الأشياء يؤكد هذا الدور الذى تجاوز من جانب فرنسا كل المعايير الأخلاقية والقانونية وتؤكد أحدى المجلات التى يصدرها سلاح الجو الفرنسى فى أحدث أصداراتها أن أربعين طيارا فرنسيا قاتلو مع الإسرائيلين بطائرات فرنسية طليت بشارات سلاح الجو الإسرائيلى وأضافت مجلة " إيراكتوياليتية " فى ملف لها حول أزمة السويس ، نقلا عن شهادات لضباط شاركوا فى هذه العملية التى أتسمت بقدر دقيق من السرية أن الطيارين الفرنسيين إنطلقوا من مطارين إسرائيليين بهدف قصف مواقع الجيش المصرى فى سيناء وتؤكد هذه المعلومات أن هذه العملية تمت بإتفاق سرى شارك فيه " موشى ديان مع هيئة العمليات بالجيش الفرنسى دون علم البريطانيين وبناء عليه تم نقل خمسين طيارا وفنيا فرنسيا فى سفينة خلال شهر أكتوبر ١٩٥٦ من جنوب فرنسا إلى حيفا حيث تم تغيير أسمها ورفع عليها علم أحدى دول امريكا اللاتينية وإرسلت الطائرات الفرنسية جوا إلى إسرائيل مع نهاية شهر أكتوبر وعندما وصل الطيارون الفرنسيون إلى اسرائيل تسلموا بطاقات هوية عبرية تحمل أسماءهم وتشير إلى انهم جنود فى الجيش الإسرائيلى ، كما طليت الطائرات الفرنسية بشارات الطائرات الإسرائيلية وهكذا نفذ الطيارون الفرنسيون سلسلة من الهجمات ضد الأهداف المصرية مع بداية

أو نوفمبر ١٩٥٦ وقبل كل عملية كانت توضع فى حقيبة الإنقاذ التى بحوزة الطيارين دولارات امريكية وساعات ذهبية وغير ذلك بهدف مساعدتهم على العودة فى حالة إسقاط طائراتهم .

وعند عودتهم إلى فرنسا أحتجز هؤلاء الطيارون بضعة أسابيع فى ثكناتهم ، وقد منح بعضهم أوسمة ، لكن اسماءهم لم تذكر فى الجريدة الرسمية حسبما قضى القانون الفرنسى وعند أنتهاء الحرب عادت هذه الطائرات الى قبرص ثم إلى باريس.

لم يكن " عبد الناصر " يتصور أن تخاطر إنجلترا وفرنسا بتدمير سمعتهما فى العالم العربى بإستخدام اسرائيل كذريعة بهدف الاستيلاء على القناة لدرجة أنه رفض التأكيدات التى قدمها خالد محيى الدين والتى أستقاها من إصدقائه فى باريس وجمعيها تؤكد أن الفرنسيين يخططون لمهاجمة مصر بالتحالف مع إسرائيل ، وإستبعد " ناصر " هذه المعلومات ، التى أعتبرها خدعة لعل الهدف من ورائها إغراء مصر على عمل عسكرى ضد اسرائيل وتحمل " عبد الناصر " إهانات " موليه للسفير المصرى فى باريس وتحمل ما أقدمت عليه بريطانيا من تجميد الأرصدة الاسترلينية (١٣٠ مليون جنيه استرلينى) وتحمل سخافات " ايدن " وتجاوزات " هيوجستكيل " زعيم المعارضة العمالية ، التى يشبهان فيها عبد الناصر " بموسولينى وهتلر " (٥٢).

وفى الوقت الذى أمتنع فيه عبد الناصر عن أى عمل قد يكون ذريعة للبريطانيين، حتى مذكرة الإحتجاج التى بعث بها ايدن قد اكتفى باعادتها إلى السفارة البريطانية كما أصدر أوامره بوقف غارات الفدائيين ضد اسرائيل بل سمح للبريطانيين بنقل ذخيرتهم ومعداتهم من القاعدة البريطانية قبيل الغزو بأيام قليلة إعمالا لمعاهدة ١٩٥٤ رغم أنه يعلم أن هذه المعدات سوف تنقل إلى قبرص وقد يعاد إستخدامها ضد مصر مرة أخرى ، حرصا منه على طمأنة الرأى العام العالمى فقد عمل بكل الطرق على ابقاء القناة مفتوحة امام الملاحة البحرية العالمية وأكد أنها لن تستخدم كسلاح سياسى ضد أية دولة من الدول المنتفعة بها .

وعلى الرغم من انشغال الولايات المتحدة بعملية الإنتخابات إلا أن طائرات الإستطلاع الأمريكية رصدت عمليات العتبئة فى اسرائيل وتجمعت لدى المخابرات الأمريكية معلومات استقتها من مصادرها فى باريس ولندن وتل ابيب وجميعها تؤكد أن تعبئة عسكرية تجرى فى الدول الثلاث .وبعث الرئيس الامريكى " ايزنهاور "

برسالة إلى " ابن جوريون " محذرا اياه من استغلال الموقف المتدهور والهجوم على الاردن بهدف احتلال مساحة من اراضى هذا البلد كما حذره من القيام بأى عمل ضد مصر مستغلا أزمة السويس وأكد " ايزنهاور " بحسم لا يقبل التأويل أن الولايات المتحدة لن تقف مكتوفة الأيدى اعتقادا بان الانتخابات الامريكية ستحول دون اتخاذ موقف حاسم .

كما حذر " دالاس " السفير الاسرائيلى في واشنطون وحمله رسالة الى حكومته التى قد ترتكب خطأ جسيما اذا اعتقدت ان تحقيق النصر فى الانتخابات الامريكية اكثر اهمية من الحفاظ على مصالح الولايات المتحدة ودول العالم الحر (٥٣).

وقد لاحت الفرصة للسفير الامريكى فى لندن حينما سأل وزير خارجية بريطانيا (سلوين لويد) عن عمليات التعبئة التى تجرى فىاسرائيل اجاب " لويد " بان السفير البريطانى فى تل ابيب قد حذر " ابن جوريون " من مغبة الهجوم على الأردن وسأله السفير ثانية وهل ستهاجم اسرائيل مصر ؟ وأجاب بأن حكومة صاحبة الجلالة لا تملك أية معلومات عن هذا الامر ، وفى مساء ٢٨ اكتوبر تجمعت دلائل أمام المخابرات الامريكية جعلتها تجزم بأن هدف التحركات الاسرائيلية هو مصر وتم ابلاغ " ايزنهاور " وكان ذلك قبل ٢٤ ساعةمن الهجوم الاسرائيلى (٥٤).

وفى الوقت نفسه كان " هموشولد " يتسلم برقية من مصادره الخاصة تؤكد ان اسرائيل على وشك الهجوم على مصر بمساندة فرنسا (٥٥) .

لقد وصل التمويه على الإدارة الامريكية لدرجة الاعتقاد بأن الادارة البريطانية تبذل جهدا ملحوظا فى تهدئة الفرنسيين والاسرائيليين خصوصا ان " ابن جوريون " قد اعلن امام الكنيست فى ٢٥ اكتوبر ان اسرائيل فى حل من اى التزمات تجاه الاردن وهو ما دفع الإدارة الامريكية الى ان تستبعد تماما تواطؤ بريطانيا فى أى عدوان على المنطقة (٥٦) . وبينما المعلومات تتدفق على الولايات المتحدة وتشير بعضها إلى ان دورا خاصا ترتب له بريطانيا اصدرت الخارجية البريطانية والفرنسية بيانا مشتركا يؤكد استعدادها لبحث اية مقترحات مصرية جديدة تهدف الى حل ازمة السويس واكدا التزامهما بقرارت مجلس الامن وتمسكهما بمقترحات الدول الـ ١٨ كأساس لاى تسوية (٥٧) وقبل بداية العمليات الإسرائيلية بعشر ساعات كان " ايزنهاور " قد بعث الى " ابن جوريون " يلح عليه فى العدول عن الحرب (٥٨) لكن هذه الرسالة لم يتسلمها " ابن جوريون " الا بعد ان بدأت القوات الاسرائيلية عملياتها ضد مصر .

واللافت للنظر ان التقارير التى راح يتسلمها " ايزنهاور " اجمعت على ان عملا فرنسيا اسرائيليا مشتركا ضد مصر سوف يقع لدرجة أن " دلاس " اقترح على " ايزنهاور " ترحيل الرعايا الامريكيين فى كل من مصر واسرائيل وسوريا والاردن والذين قدر عددهم بستة الاف شخص .

لكن حينما اشارت بعض التقارير الى احتمال تورط بريطانيا فى العدوان علق " ايزنهاور" قائلا : لا أصدق أن بريطانيا ستندفع لشئ مثل هذا ، وعندما سئل السفير البريطانى فى واشنطن أجاب بأن لديه بعض المعلومات عن جهود بريطانيه تبذل لتحذير اسرائيل من مهاجمة الاردن ويعلق " دلاس " قائلا " ان هذا التجاهل دليل على شعور بالاثم ... (٥٨) . وبينما كانت اسرائيل تتلقى برقيات " ايزنهاور " وبالتجاهل كانت العمليات العسكرية السرية تمضى نحو الحرب فى الوقت الذى كانت فيه كل الانظار متجهة نحو الاردن باعتباره جبهة العمليات المتوقعة.

وفى مساء ٢٨ اكتوبر راجعت القيادة المشتركة لقوات التحالف كل تفاصيل الخطة حتى البيان الذى سوف تذيعه اسرائيل عقب الهجوم والذى يبرر الهجوم الإسرائيلى باعتباره ردا على اعتداء الجيش المصرى، وبالطبع لم يكن الجيش المصرى قد قام بأى اعمال عدوانية لكنها كانت ذريعة لحفظ ماء الوجه فقط .

ظهور التواطؤ وبدء العدوان :

فى الساعة الخامسة من بعد ظهر التاسع والعشرين من أكتوبر ١٩٥٦ بدأ الهجوم الاسرائيلى، حيث قامت ست عشرة طائرة من طراز " داكوتا " بإسقاط أربعمائة من المظليين الإسرائيليين بقيادة " شارون" عند ممر " ميتلا " على بعد خمسين كيلو متار شرق السويس بينما قامت أثنتا عشرة طائرة " مستير " بالمراقبة . ويعترف أحد الدبلوماسيين المصريين بأن مصر تلقت قبل العدوان بيومين من سفاراتنا فى باريس وأنقرة وقبرص تأكيدا بأن العدوان سيقع يوم ٢٩ اكتوبر، لكن نفس التقارير استبعدت احتمال مشاركة اسرائيل (٥٩) ولم يتوقع " جمال عبد الناصر " أن تقوم اسرائيل بهذه المغامرة ، حتى بعد أن وقع العدوان بالفعل معتمدا فى تقديره على أن اسرائيل سوف تتردد حفاظا على صورتها أمام الرأى العالمى على أعتبار انه من الصعب أن تقبل القيام بدور التابع لاثنتين من الدول الإستعمارية (٦٠) .

والعجيب فى الأمر أن " جمال عبد الناصر " لم يتنبه إلى أحتمال تواطؤ اسرائيل، حتى بعد أن قرأ نص البيان الإسرائيلى عن استيلاء القوات الإسرائيلية على ممر "

ميتلا " ولم يخطر له التواطؤ، لا لأنه أحسن الظن (بايدن ومولیه) ولكنه كان يعلم أن شبهة التواطؤ مع اسرائيل أمر كفيل بإسقاط كل نظم الحكم الموالية للإنجليز فى المنطقة كما يضاعف من غضب عرب شمال أفريقيا ضد فرنسا.

وبينما عبد الناصر وقد أخذته المفاجأة كانت القوات الإسرائيلية قد أستولت على المراكز الحدودية فى القطاع الجنوبى من الحدود المصرية الإسرائيلية فى الوقت الذى كانت فيه الطائرات الفرنسية من طراز " مستير " و " ف ٤ " و " ف ٨ " قد أقلعت من سان ديزيه وديجول وأخذت مواقعها على المطارات الإسرائيلية (٦١) .

ولم تمض غير ساعات قليلة حتى كان السفير المصرى فى لندن والسفير المصرى فى باريس قد تسلما انذارا بريطانيا فرنسيا يطلب من كل من مصر واسرائيل الانسحاب بعيدا عن قناة السويس لمسافة عشرة أميال بحجة حماية الممر المائى الحيوى لصالح العالم، ويطالب الانذار برد الحكومتين قبل الساعة السادسة والنصف من صباح يوم ٣١ اكتوبر (بتوقيت القاهرة) واذا لم يتم الانسحاب فإن حكومتى بريطانيا وفرنسا سوف تتدخلان بما يحقق مطالب الحليفتين (٦٢).

وعندما بدا شبح التواطؤ ماثلا للعيان لم يكن " ناصر " قادرا على استيعاب ما يحدث إلا عندما أنتهت مهلة الإنذار وبدأت اول غارة بريطانية على مطار " الماظة " وتناقلت وكالات الأنباء خبر العدوان الذى أحدث قدرا هائلا من الارتباك فى دوائر الأمم المتحدة ، حيث تلقى "همر شولد " بلاغا من الخارجية المصرية تطلب على وجه السرعة عقد مجلس الأمن لمناقشة العدوان الثلاثى. (٦٣)

وفى الوقت الذى كانت فيه القوات الاسرائيلية تأخذ مواقعها فى سيناء كانت أحدى طائرات الاستطلاع البريطانية تستكشف تحرك القوات المصرية ، التى أطلقت نيرانها صوب الطائرة البريطانية مما جعل "ايدن " يعتقد بأن الطائرات المصرية يقودها طيارون سوفيت (٦٤).

لقد ظل التواطؤ الأنجلو فرنسى اسرائيلى خافيا حتى عن الرئيس " ايزنهاور " حتى صباح ٣٠ أكتوبر. وعندما تأكدت الخارجية الامريكية من حقيقة التواطؤ اتصل الرئيس " ايزنهاور برئيسى وزراء بريطانيا وفرنسا وطالبهما بالغاء المشروع واللجوء إلى الامم المتحدة لتسوية الازمة بالطرق السلمية. وفى نفس اليوم استدعى "دالاس" سفيرى بريطانيا وفرنسا فى واشنطن وعبر لهما عن "الضيق البالغ " لعدم معرفة الولايات المتحددة بطبيعة التواطؤ (٦٥).

لقد اكدت المصادر الدبلوماسية البريطانية أن السفير الأمريكى فى لندن قد احيط علما بتفاصيل الموقف قبل التحرك الانجليزى الفرنسى بسبع ساعات وهو مانفاه السفير الامريكى نفسه وقد انكرت الخارجية الامريكية هذا الادعاء إعتمادا على شهادة "ناتنج" الذى نفى بشكل قاطع معرفة الولايات المتحدة بطبيعة التواطؤ إلا بعد وقوعه بعدة ساعات (٦٦)

لقد كان الانذار الأنجلو فرنسى مثيرا للدهشة والاستغراب لأن القوات المصرية موجودة على أراضيها والقناة جزء من الأرض المصرية ولم تقم الامم المتحدة ولا الدول البحرية بإنابة بريطانيا وفرنسا للقيام بهذه المهمة الثقيلة بينما اسرائيل هى المعتدية وكان الأولى أن يوجه اليها الانذار ولكنها كانت حيلة رسمت فى (سيفر) لكى تجد الدولتان المعتديتان مبررا لاحتلال القناة، لذا كان من الطبيعى أن تقبل اسرائيل الانذار وفقا لخيوط المؤامرة التى نسجت فى سيفر وقد رفضته مصر كما توقعت ذلك الدوائر الفرنسية والبريطانية.

وعندما تأكد " ايزنهاور " من حجم التواطؤ البريطانى ظل يضغط على ايدن فى محاولة لإرجاعه عن موقفه بهدف إنقاذ بريطانيا من الأزمة التى توشك على الإطاحة بدورها التاريخى رواح ايزنهاور يذكره بالصداقة القديمة، التى ربطت بينهما فى أصعب المراحل التاريخية ولفت نظره إلى ان مصر ستطلب مساعدة السوفيت مما يضع مصير الشرق الاوسط فى مهب الريح وقد لانجد انفسنا فقط على طرفى نقيض بل من الممكن أن نجد أنفسنا فى موضع المواجهة حرصا على مصالحنا الأستراتيجية" (٦٧)

وكتب " ايدن " ردا على " ايزنهاور" معبرا عن مرارته الشديدة من الرجل الذى جعلنا على طرفى نقيض " يقصد ناصر " ثم مضى قائلا : " لاتشعر بريطانيا بأنها ملزمة بمساعدة مصر وفقا للإعلان الثلاثى، فقد حررنا " ناصر " وصحافته من اى التزام من هذا النوع (٦٨).

وبعد أن قرأ " ايزنهاور " رسالة ايدن " علق قائلا : " كان من الممكن أن يبدو البريطانيون فى موقف أفضل لو لم يكن المصريون يديرون القناة بهذه الكفاءة"(٦٩).

لقد كان ايزنهاور يعلم ان شيئا يتم فى الخفاء بين بريطانيا وفرنسا لكن لم يكن يدرى ان بريطانيا ضالعة فى هذه المؤامرة الى هذا الحد ومع ذلك فقد اعتقد " ايدن " ان المخابرات الامريكية لابد وأن تكون على بينة من القضية برمتها (٧٠)

لقد كان من المتوقع ان يبدأ البريطانيون فى قصف المطارات المصرية عند انتهاء مهلة الإنذار، ولأسباب فنية تأخرت العملية مما أزعج " ابن جوريون " لدرجة أنه فكر فى سحب المظليين الإسرائيليين من مواقعهم عند ممر " ميتلا " خوفا عليهم من الهجوم المفاجئ للقوات المصرية وقد اثناه " ديان " عن تفكيره لأن هذه القوة هى الوحيدة التى يمكن ان تمثل تهديدا مباشرا للقناة مما يبرر المؤامرة التى دبرها الحلفاء .

عند الغسق يوم ٣١ اكتوبر بدأت العمليات العسكرية الانجلوفرنسية بهجمات جوية كما ان المدمرات الفرنسية ضربت حزاما بحريا حماية للشواطئ الإسرائيلية وتمكنت احدى القطع البحرية الفرنسية من تصويب أهدافها صوب المدمرة المصرية " ابراهيم الاول " قبل ساعة من انتهاء مهلة الانذار، ثم أعقب ذلك هجوم بالطائرات البريطانية والفرنسية التى انطلقت من مالطة وقبرص واستمر قصف المطارات المصرية متواصلا لمدة ثمان واربعين ساعة.

بينما كانت القوات المتحالفة تكثف من هجماتها المدمرة على المرافق المصرية كان "ايزنهاور" يوجه خطابا الى الأمة الامريكية مؤكدا عدم مسئوليته عما تقوم به انجلترا وفرنسا من عدوان وأن الولايات المتحدة لم يوحذ رأيها ولا تقبل استخدام القوة كوسيلة لتسوية المنازعات (٧٢) لقد اعتقد الحلفاء ان خمس فرق عسكرية (مائة الف جندى) كافية لانهاء العملية برمتها وأن القيادة المصرية سوف تنهار تحت ضغط الجماهير التى ستصاب بالفزع وسوف تخرج المظاهرات لتنتقم ممن تسببوا فى تدمير المرافق الحيوية للبلاد، الا أن المصادر التى استقى منها الحلفاء معلوماتهم لم تكن دقيقة وانما كان الشعب متماسكا وملتفا حول قيادته الوطنية مما يعد نموذجا فريدا فى تاريخ الازمات المصرية .

لقد ادرك " ناصر " حقيقة المؤامرة وقرر سحب القوات المصرية من سيناء لكى يشكل منها حزاما حول القاهرة ومنطقة الدلتا مكتفيا بالدفاع عن منطقة القناة من خلال حرب غير نظامية وصدرت الاوامر للطائرات التى أفلتت من القصف بالتوجه الى الصعيد وبعض الدول العربية المجاورة، كما تم اغلاق قناة السويس باغراق بعض السفن المحملة بالأسمنت فى الوقت الذى قام فيه السوريون بنسف ثلاث

محطات للبترول العراقى ، كانت تمر بسوريا فى الوقت الذى شن فيه المهاجمون حربا دعائية ضد عبد الناصر بهدف إحداث انهيار فى الجبهة الداخلية.

وبينما " ايدن " يجاهد لانتزاع نصر رخيص حرصا على مستقبله السياسى إذا " ابن جوريون" وقد اسكره النصر السريع وقد توجه الى الكنيست والقى خطابا استفزازيا معلنا ضم سيناء إلى اسرائيل وأن سيناء لم تعد أرضا مصرية وان اتفاقيات الهدنة مع مصر قد ماتت الى غير رجعة .. ومعنى هذا ان اسرائيل لن تسمح بدخول قوات حفظ السلام التابعة للامم المتحدة وأن اسرائيل تنوى الاحتفاظ بكل الاراضى التى احتلتها.

ووصف " ايزنهاور " خطاب " ابن جوريون " بأنه شئ مروع ، لذا فقد بعث اليه قائلا : " أن الولايات المتحدة تنظر الى تصريحاتكم بقلق بالغ وأى قرار من هذا النوع سيؤدى لا محالة إلى ادانتكم لانكم قد انتهكتم قرارات ومبادئ الامم المتحدة(٧٤).

لم يكن " ايزنهاور " هو الوحيد الذى استفزه خطاب " ابن جوريون " فقد ابلغ السفير الكندى لدى الامم المتحدة " بيرسون " ابا ايبان " بأن هذه التصريحات تعد عدوانا على المجتمع الدولى، واذا استمر الاسرائيليون فى هذا فسيواجهون بفقد كل اصدقائهم . وعندما اقترعت الجمعية العامة للامم المتحدة على انسحاب القوات الاجنبية من سيناء جاءت نتيجة لتصويت خمسة وستين صوتا ضد صوت واحد هو صوت اسرائيل . (٧٥)

وعندما تأكد " ابن جوريون " من رفض الولايات الامريكية والمجتمع الدولى لعمليات الضم كتب إلى " هموشولد " كما كتب لـ "ايزنهاور " مؤكدا استعداد اسرائيل للإنسحاب بعد التوصل لتوصيات مرضية مع الامم المتحدة (٧٦).

وعلى ضوء كل ماسبق يمكن استخلاص عدة نتائج محددة :

اولا : لم يكن قرار عبد الناصر بتأميم القناة هو السبب الحقيقى الذى دفع الدول الثلاث للتآمر ضد مصر، وانما كان لكل منها اسباب حقيقية ومصالح استراتيجية اكثر أهمية من موضوع القناة التى كانت تحكمها اعتبارات دولية ومصالح عالمية فتجاوزت كثيرا النظرة الضيقة للمصالح الانجلو فرنسية اسرائيلية .

لقد كان لكل من بريطانيا وفرنسا واسرائيل من الأسباب ما يدفعها الى التآمر ضد عبد الناصر الذى سبب لكل منهما مشكلات تضر بمصالحها الاستراتيجية ابتداء من

اتفاقيات الجلاء ومرورا بأزمة الجزائر وانتهاء بالصراع العربى الإسرائيلى الذى اضاف اليه عبد الناصر بعدا قوميا رأت اسرائيل أنه يشكل خطرا حقيقيا على مصالحها الإستراتيجية .

ثانيا : لقد تأكدت بريطانيا وفرنسا ان ما احدثه عبد الناصر فى آسيا وافريقيا من آثار تمخضت عنها تلك الصحوة الوطنية التى راحت تستنهض شعوب هاتين القارتين وأصبح عبد الناصر وتجربته الثورية نموذجا صالحا للتطبيق واجمعت تقارير اجهزة المخابرات البريطانية والفرنسية على ان التجربة المصرية تمثل خطرا حقيقيا ليس على العالم العربى فقط وانما على قارات آسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية ، لذا فإن ضرب التجربة المصرية كان هدفا حقيقيا لدولتى الاستعمار القديم حرصا على مصالحهما الاستراتيجية .

ثالثا : لقد تجاوزت فرنسا مبادئ الاتفاق المبرم بين الحلفاء الثلاثة حينما اشتركت طائراتها فى العمليات العسكرية ضد الاهداف المصرية منذ اللحظة الاولى للحرب بعيدا عن بريطانيا التى لم يتبين لها طبيعة هذه المهمة السرية التى قام بها الطيارون الفرنسيون بعيدا عن عيون المخابرات البريطانية وهو اما أكدته أحدث المعلومات التى اذاعتها احدى المجلات العسكرية الفرنسية حديثا.

رابعا : ليس صحيحا أن الولايات المتحدة الامريكية قد ساندت مصر انطلاقا من المبادئ التى اعلنتها بمساندة العالم الحر دعما لقضايا السلم والأمن العالميين، وانما كان الموقف الامريكى تحكمه اعتبارات عديدة تمثل فى مجملها المصالح الامريكية بالدرجة الاولى ولم تكن أهداف الرئيس الامريكى " ايزنهاور " او وزير خارجيته " دالاس " تختلف عن اهداف دول التحالف فيما يتعلق بعبد الناصر، وانما كان الخلاف يكمن فى الوسائل فقط فبينما رأت إدارة الرئيس " ايزنهاور" أن التخلص من عبد الناصر من الممكن أن يتحقق بالطرق السياسية والاقتصادية من خلال التنسيق بين الولايات المتحدة ودول التحالف الا أن بريطانيا وفرنسا واسرائيل كانت ترى فى الموقف الامريكى تقوية لنفوذ عبد الناصر وامكانية لتقوية شعبيته ، لذا كان الحسم العسكرى هو الخيار المناسب .

خامسا : لقد انعكس الصراع السوفيتى الامريكى على القضية لدرجة أن الدبلوماسية المصرية تمكنت ، بمهارة شديدة من توظيف هذا الصراع خدمة للقضية المصرية ،وشهدت دوائر الامم المتحدة مساجلات بين القطبين الكبيرين وهو مايفسر موقف الولايات المتحدة من مساندة الحق المصرى حرصا على عدم تسلل النفوذ

السوفيتى الى المنطقة العربية وخصوصا وأن الرئيس " ايزنهاور" كان يعتقد أن العالم العربى سوف يخرج من دائرة نفوذه تماما لو ساندت الولايات المتحدة الامريكية دول التحالف الثلاثى .

سادسا : لقد كان التآمر الثلاثى فى مجمله تعبيرا عمليا عن تدهور الأوضاع البريطانية الفرنسية ودليلا قاطعا على ان الدولتين الاستعماريتين فى طريقهما للإنزواء والضعف وهو ما كان يعتقده الرئيس " ايزنهاور " الذى تمكن وبمهارة شديدة من الاجهاز على حلفائه التقليديين حرصا على المصالح الاستراتيجية الامريكية وهى قضية كانت الدبلوماسية الفرنسية والبريطانية تعلم حقيقتها الا أنها تناستها أمام الغضب الجارف الذى تملك أجهزة صنع القرار فى بريطانيا وفرنسا.

هوامش

١ – د . محمودحسن صالح منسى ، فرنسا وإسرائيل ، القاهرة ١٩٩٤ ص ١٤٠.
٢ – د . أحمد الرحيم مصطفى ، الولايات المتحدة والمشـرق العربـى، سلسلة عـالم المعرفة إبريل ١٩٧٨ ص ١٣١.
3 - Lewis, Bernard, The Emergence of Modern Turkey, Lon 1961
- Lioyd, S., Suez 1956, A personal account, (Jonathan cape London, 1978) P.44
٥ – محمد حسنين هيكل ، ملفات السويس ، القاهرة ١٩٨٦ ص ٤١٧.
٦ – د . محمود صالح منسى ، مرجع سبق ذكره ص ١٤٣.
7 - Eden, A. Full Circle (cassell, London, 1960) P.341
- Love, Suez, The Twice Fought War(London 1965)P.425.Eden op.cit, P.424
9 - Ibid . P.420
- Luethy Herbert and Rodnick David : French Motivations in the Suez Crisis, edited by free Lioyd A(Institute for International Social Research, Princeton, New Jersey, 2nd Printing December 1956) P.11
11- Ibid . P.63
١٢ – د . محمود صالح منسى ، مرجع سبق ذكره ص ١٤٧.
13- Luethy . op. Cit. P.67
- Mohammed Abed El-Wahab,U.S. Egyptian Relations (ph.D.Dissertation) P.255
١٥ – تريفون دوبوى ، النصر المحير، مطبوعات الهيئة العامة للأستعملامات ص ١٧٢.
- Donovan, John (ed) U.S.&Soviet Policy in the Middle East 1945 -1956 N.Y 1972 P.119
- U.S. Policy in the Middle East September 1956 June 1957 P.160
١٨ – عبد الرحمن الرافعى ، ثـورة ٢٣ يوليـو ١٩٥٢ ، القـاهرة ١٩٨٩ ص ٣٤، ٣٤٥.
١٩ – وثائق الأمم المتحدة وثيقة رقم ٣٦٧٩ / ١٦ أكتوبر ١٩٥٦.

- Mohammed Abd El-Wahab : U,C-Egyptian Relations (ph.D.Dissertation P.255)

21 - Thomas Hugh, Suez (N.y. Harber and Row. 1966) P.54

٢٢ - محمد حسنين هيكل ، ملفات السويس ، مرجع سبق ذكره ص ٤٧٥ ، ٤٧٦.

٢٣ - دونالديف ، حرب السويس ، ترجمة أحمد خضر وعبد السلام رضوان ص ٣٤٩.

٢٤ - نفس المرجع السابق ص ٥٦٩.

25 - United States Policy In The Middle East : P.333

26 - United States Policy In The Middle East : P.166

27 - Mohammed Abd El-Wahab : U.S. op.cit. P.323-330

٢٨ - هيكل ملفات السويس ص ٤٨١ ، ٤٨٢.

29 - Bar Zohar : Suez, Ultra,Secret, P.20-25

٣٠ - دونالديف ، مرجع سبق ذكره ص ٤٢٢.

٣١ - د . محمود صالح منسى ، فرنسا وإسرائيل ، مرجع سبق ذكره ص ١٥١.

32 - Thomas Hugh. The Affairs, Cpelican Book 1970 P.88-90

٣٣ - هيكل ملفات السويس ص ٥٠٥.

٣٤ - د . محمود صالح منسى ، مرجع سبق ذكره ص ١٥٣.

٣٥ - دونالديف ، حرب السويس ص ٤٤٢.

36 - Nutting A: No End of A Lesson (Lon1967) P.77-79

37 - Seiwyn Lioyd, Suez 1956. A personal Account P.190

38 - Thomas Hugh : op.cit. P.54-55

٣٩ - هيكل ، ملفات السويس ص ٥٢٤.

40 - Selwyn Lloyd , op.cit. P.199

41 - Selwyn Lloyd , op.cit. P.200

٤٢ - د . محمود صالح منسى ، فرنسا وإسرائيل، مرجع سبق ذكره ص ١٥٨ ، ١٥٩.

43 - Nutting A: No. End of a Lesson P.78

- Donovan, John (ed) : U.S.& Soviet Policy in the Middle East 1945. 1956. N.g. 1972 op.cit. P.215

٤٥ - د. محمود صالح منسى - مرجع سبق ذكره ص ١٥٧.

٤٦ - هيكل ، مرجع سبق ذكره ص ٥٢٦.

47 - Thomas. H :op.cit. P.120

48 - Thomas : op.cit P.124

٤٩ – دونالدنيف ، حرب السويس ، مرجع سبق ذكره ص ٤٦٩.

٥٠ – نفس المرجع السابق ص ٤٨٣، ٤٨٤.

51 - Eden, A. Full Circle (Cassell, London 1960. P.340-350

٥٢ – أنتونى ناتنج ، عبد الناصر . سبق ذكره ص ١٨٦.

٥٣ – دونالدنيف ص ٤٥٥.

٥٤ – نقلا عن صحفية الأهرام ٩ يوليو ١٩٥٦.

55 - U.S.Policy in the Middle East op.cit. P.303-307

٥٦ – دونالدنيف ، مرجع سبق ذكره ص ٤٩٤.

- Donovan U.S.&Soviet Policy in the Middle East 1943-1956 P.152

58 - ibid, P.250

59 - bid, P.330

٦٠ – ترينون دوبوى ، النصر المحير – سبق ذكره ص ١٨٣.

٦١ – دونالدنيف ، حرب السويس ص ٤٩٠.

٦٢ – صلاح بسيونى ، مصر وأزمة السويس دار المعارف – القاهرة ١٩٧٠ ص ١٩٠.

٦٣ – هيكل ، ملفات السويس ، ص ٥٣١.

- Donovam John (ed) U.S.& Soviet policy in the Middle East 1945-1956 P.217

65 - U.S.Policy in the Middle East , September 1956 June 1957

66 - Ibid P.142

٦٧ – د . محمود صالح منسى ، مرجع سبق ذكره ص ١٦٣.

68 - U.S. Policy in the Middle East P.253

69 - Nutting : A. No End of a Lesson (London 1967) P.99

70 - Ibid P.133

٧١ – دونالدنيف سبق ذكره ص ٥١١.

٧٢ – نفس المرجع .

73 - Selwyn Lloyd,Suez 1956, A personal Account P.109

٧٤ – د . محمود صالح منسى ص ١٦٥.

75 - Mohammed Abed El-Wahab U.S. op.cit P.368

٧٦ – دونالدنيف ، حرب السويس ص ٥٧١.

◆ الفصل السابع ◆

إدارة أزمة العدوان الثلاثي

د . ممدوح أنيس فتحي

أولا : تنامى القدرات العسكرية وإدارة أزمة العدوان الثلاثى

١- تنامى القدرة العسكرية الاسرائيلية من ١٩٤٨حتى ١٩٥٦:

سعت اسرائيل فيما بين حربى ١٩٤٨ و ١٩٥٦ إلى (١) الحصول على المعونات الاقتصادية التى تساعد على إستيعاب المهاجرين وتعزيز القوة الاقتصادية، والسعى للحصول على الأسلحة والمعدات اللازمة لبناء وتطوير قواتها المسلحة ، وفى نفس الوقت الحيلولة دون حصول البلدان العربية على أسلحة تكفل لها التفوق على اسرائيل .

وتحقيقا لهذه الأهداف ، قام المسئولون الإسرائيليون بسلسلة من الزيارات والمباحثات مع الدول الغربية ، فزار وزير الخارجية لندن عام ١٩٥٢ ، وحصل على قرض وأسلحة بريطانية، ثم زار واشنطن فى العام نفسه ، وعقد إتفاقية مع الولايات المتحدة الأمريكية للأمن المتبادل ، وذلك فى ٢٣ يوليو ١٩٥٢(٢)

وكان بن جوريون قد اصدر أوامره إلى الأركان العامة فى سبتمبر ١٩٤٩ لأعداد خطة دفاع شاملة تحمى البلاد فى جميع الأوقات بشرط تستنزف اقتصادها ، من القوى البشرية المطلوبة لتنمية الاراضى الزراعية وإصلاحها ، أن الشيئ الذى نحتاجه هو نظام للدفاع يمنحنا حماية كاملة وقوة هجومية لردع الأعداء " (٣) ، وبناء على هذا التوجه ، قامت الأركان العامة بدراسة الأمر ، ووضعت نظاما مقترحا يتوافق مع الخطوط التى حددها بن جوريون وينسجم معها ، وتضمن هذا النظام أربعة عناصر رئيسية شكلت "الجهاز الدفاعى القومى " عن اسرائيل خلال هذه الفترة وهى (٤) .

- جيش نظامى صغير محترف يتكون من الضباط بصفة اساسية.
- خدمة وطنية إجبارية لتجنيد الفتيان والفتيات من سن ١٨ عاما .

- قوات احتياطيه تضم القسم الأعظم من القوات المسلحة .
- نظام دفاعى لمستعمرات زراعية على الحدود .

ومن المؤكد أن هذا النمط الأساسى لايزال متبعا فى تكوين وبناء القوات المسلحة الاسرائيلية ، وتعتبر اسرائيل أن نظام الاحتياطى ، هو أساس بناء التجمعات الاسرائيلية والحشد العسكرى اللازم لتنفيذ سياستها الحربية ، كما أنه فى نفس الوقت يعاون فى تدعيم نظام الدفاع الشامل عن طريق إستمرار القسم الأعظم من الجنود فى الأعمال المدنية التى يزاولونها. وقد عبر إيجال يادين عن شكل القوات الأحتياطية .. بأن كل مواطن اسرائيلى هو جندى يمنح أجازة قدرها عشرة أشهر فى السنة (٥) ورغم إنشغال الحكومة الاسرائيلية بمشاغلها الداخلية والخارجية ، وبمشاكل إعادة تنظيم جيشها فى نفس الوقت ، فإن عدوانها على الأرض العربية لم يتوقف أو ينقطع منذ توقيع اتفاقيات الهدنة ، باعتباره جزءا من سياستها الحربية . لذلك ركزت الحكومه اهتمامها وقتئذ على التسلل إلى المناطق المجردة من السلاح المتاخمة لخطوط الهدنة بينها وبين الدول العربية المجاورة ، والاستيلاء على أجزاء منها ، وهكذا بدأت منذ أوائل عام ١٩٥٠ تعتدى على منطقة العوجه علي الحدود المصرية، وكذلك المناطق المجردة على الحدود السورية ، ولذلك طالب موشى ديان قائد الجبهة الجنوبية الاسرائيلية (المواجهة لمصر فى ذلك الوقت) بأنشاء "وحدات راقية متخصصة فى واجبات القتال الخاصة" وكان ديان يسترشد فى تفكيره بالدروس المستفادة من أيام وينجيت " المغارز الليلية الخاصة " وبالبالماخ(٦) ولكن استمرت فكرة انشاء الوحدة المتخصصة قائمة دون تنفيذ ، إلى أن كان يوم ٢٣ يناير ١٩٥٣ ، حيث شن الجيش الاسرائيلى عدوانا جديدا ضد قرية "قلما" الأردنية الواقعة بين قليقيلية وطولكرم وأشتركت فيه قوات كبيرة من المظلات ، ولكن فشلت هذه العملية رغم التفوق الاسرائيلى ، فسرعان مابدأ موشى ديان والذى أصبح رئيسا للعمليات فى الأركان العامة وقتها فى تنفيذ فكرته القديمة بشأن تشكيل قوة اسرائيل الحربية الرادعة .

مع البدء فى تكوين وحدة كوماندوز، وأختار لها ضابطا يتصف بالعنف والشراسة هو أريل شارون (٧) .

وهكذا شكلت الوحدة رقم ١٠١ كوحدة مقاتلة واجبها الردع ، ومن ثم أصبح للأرهاب والقتل وحدة متخصصة فى الجيش الاسرائيلى (٨) .

وفى ١٨ أكتوبر ١٩٥٣ تقدم بن جوريون إلى مجلس الوزراء (ببرنامج السنوات الثلاث) بهدف تحويل القوات المسلحة الاسرائيلية الى قوة ضاربة هجومية ذات فاعلية كبيرة على أساس أنه لامفر من اشتباك مسلح مع مصر فى نهايته (٩).

ومن أهم ماجاء فى برنامج السنوات الثلاث مايلى (١٠).

١ – تعزيز الوحدات المقاتلة وتخفيف الأعباء الادارية عنها لتتفرغ للمهام العسكرية البحته.

٢ – خلق قوة هجومية ضاربة ، تعتمد على القوات الجوية والقوات المدرعة ووحدات الكوماندوز .

٣ – تشجيع هجرة الشباب من سن ١٦ إلى ١٨ سنه بهدف زيادة الموارد البشرية للقوات المسلحة .

٤ – رفع مستوى الاعداد العسكرى للمهاجرين إلى اسرائيل .

٥ – تهيئة الظروف المناسبة للتعبئة السريعة لقوات الأحتياط .

٦ – تشجيع توطين اليهود فى المناطق الاستراتيجية قليلة السكان.

٧ – العمل على تطوير جميع فروع الصناعة والاقتصاد ذات الأهمية الاستراتيجية واللازمة لدعم المجهود الحربى.

وبمجرد موافقة مجلس الوزراء الاسرائيلى على هذا البرنامج ، قام بن جوريون بتعيين موشى ديان فى منصب رئيس الاركان العامة للقوات المسلحة وذلك فى ٨ ديسمبر ١٩٥٣ خلفا للجنرال مردخاى ماكليف الذى كان يعارض فى بعض نقاط مشروع السنوات الثلاث للدفاع.

وسرعان مابدأ اهتمام ديان بقوات المظلات وبزيادة قدرتها القتالية حتى وصلت الى حجم لواء فى عام ١٩٥٦، ورغم وجود إتفاق جماعى فى داخل الجيش على أهمية القوات الجوية فقد ظلت أولويتها فى الميزانية أمرا مثيرا لنزاعات وخلافات شديده واستقال أول قائد للقوات الجوية الاسرائيلية هو أهارون ريميز (١٩٤٨ – ١٩٤٩) .

وأيضا حاييم لاسكوف ثالث قائد لها (١٩٥١ – ١٩٥٣) بسبب تلك الخلافات الخاصة بميزانية القوات الجوية داخل القيادة العامة (١١) ، ولقد حاول الاسرائيليون تقليد الدول العظمى فى بناء قواتهم الجوية معتمدين على مبدأ التوازن بين مختلف الانواع ، وبحلول عام ١٩٥٣ كان قد تم تشكيل ثلاثة أسراب مقاتلة يتشكل كل منها

من ١٥ طائرة بالأضافة الى سرب قاذفات متوسطة من ١٨ طائرة ، وسرب قاذافات ثقيلة من ثمانى طائرات مع شراء جناح للنقل يتكون من ١٥ طائرة داكوتا وثمانى طائرات من طراز دى سى ٦ (١٢) .

ولكن بتولى " دان تولكوفسكى" قيادة القوات الجوية الاسرائيلية قرر أن تمتلك اسرائيل طائرات متعددة الاغراض وليست طائرات متخصصه ، ويقع على عاتقها القيام بمهمتين ، الاولى هى قيام القوات الجوية بالحصول على التفوق الجوى والثانية تنفيذ الضربات التكتيكية وأعمال الاستطلاع ومساندة القوات البرية والبحرية أثناء عملها ، مع ضرورة الاعتماد على مبدأ الاستراتيجية الجوية الهجومية بمعنى توجيه الضربات الجوية ضد طائرات العدو وهى رابضة على الأرض (١٣) ولذلك أعتمد قادة القوات الجوية الاسرائيلية على بناء قواتها الجوية اعتمادا على المقاتلات القاذفة أكثر من اعتمادهم على القاذفات ، ونظرا للصعوبات التى واجهها الاسرائيليون فى محاولاتهم لشراء طائرات من بريطانيا أو الولايات المتحدة فقد أتجهوا نحو فرنسا التى كانت راغبة فى بيع طائراتها لاسرائيل، فتم الحصول على طائرات أورجان مع بداية عام ١٩٥٥ بعدد ٢٤ طائرة ، ومع أوائل عام ١٩٥٦ حصلت اسرائيل على طائرات فرنسية أحدث من الاورجان التى كانت فى مرحلة الانتاج وهى الطائرات مستير ٤ أ حيث تم تشكيل اول سرب منها فى القوات الجوية بعدد ١٤ طائرة .

أما عن طور القوة المدرعة الاسرائيلية ، فنتيجة لخبرات القتال المدرع خلال حرب ١٩٤٨ كان الاسرائيليون قد نجحوا فى عام ١٩٤٩ بعد انتهاء الحرب مباشرة من شراء ٤٥ دبابة شيرمان بحيث أمكن تشكيل كتيبة كاملة من هذا النوع وتحت قيادة " شاؤول يافيد " ضابط البالماخ السابق الذى لم يكن لديه خبرة حقيقية عن الدبابات. بدأت الكتيبة بجهد شديد فى تعلم فن قتال الدبابات (١٤) ثم تلا ذلك مع منتصف الخمسينات - شراء عدد كاف من الدبابات الشيرمان الامريكية واكتسب ضباط المدرعات المهارات الفنية والخبرات القيادية المطلوبة لحرب المدرعات وتم تشكيل اللواء السابع المدرع وبعض كتائب الدبابات المستقله أو دعم لوحدات المشاه ووصل حجم الدبابات إلى ٣٥٠ دبابة . (حوالى ١١ كتيبة دبابات) بالأضافة إلى تشكيل أكثر من ٣٠ كتيبة مشاة (١٥) .

أما القوات البحرية الاسرائيلية فقد ظلت جزءا مهمالا حتى عام ١٩٥٥ عندما تم إنضمام مدمرة بريطانية وعدة طرادات ولنشات مما أتاح لها القدرة فقط على حراسة الشواطئ دون أن تشكل قوة ضاربة. وبعيدا عن فكرة الحرب الخاطفة - التى قللت

بالفعل من أهمية حماية الخطوط البحرية – وظلت البحرية الاسرائيلية تفاضل بين قوارب الطوربيد قليلة التكاليف وعظيمة التأثير أيضا وبين السفن والقطع الحربية الكبيرة المكلفة والمحدودة التأثير لو إستخدمت بأعداد صغيرة، ولكن بحلول عام ١٩٥٦ كان لدى البحرية حوالى ٥٠٠٠ إلى ٦٠٠٠ رجل يعملون فى أسطول مكون من مدمرتين وتسعة قوارب صواريخ سريعة وقاربين للأنزال (١٦) .

ولقد تم كل هذا التسليح الجوى والبرى والبحرى الاسرائيلى من الكتلة الغربية الغربية رغم البيان الثلاثى فى ٢٥ مايو ١٩٥٠ بين فرنسا وبريطانيا وامريكا لمنع سباق التسلح فى المنطقة وفرض قيود على شحن الاسلحة والعتاد الحربى إلى البلدان الاطراف فى النزاع العربى – الاسرائيلى .

٢ – بناء القدرة العسكرية المصرية من ١٩٤٨ حتى ١٩٥٦:

خرجت الأقطار العربية من حرب ١٩٤٨ وهى فى حالة من الضعف والتفكك والشعب الفلسطينى فى حالة تمزق ، فقسم منه تحت الاحتلال ، وقسم آخر تجمع فى الضفة الغربية وقطاع غزة ، وقسم ثالث هاجر إلى المنفى خارج المنطقة وإنتشرت مخيمات اللاجئين فى كل مكان .

وفى هذا الوضع من الوهن والأنحسار القومى ، جاءت ثورة يوليو ١٩٥٢ فى مصر لتنادى بأقامة جيش وطنى قوى ، وكانت الدول الغربية هى المصدر الوحيد للأسلحة للبلدان العربية بما فيها مصر وكان الغرب يتحكم فى تصدير تلك الأسلحة ، ويخضعها لإراداته وشروطه السياسية، فى حين كان يزود اسرائيل بالأسلحة الحديثة دون شروط ولاحساب .

وقد حاولت مصر الثورة الحصول على أسلحة من الولايات المتحدة ولكنها إصطدمت بالشروط الأمريكية (١٧) لذلك كسرت مصر وسوريا الاحتكار السلاحى الغربى ، وسرعان ماعقدت سوريا مع تشيكوسلوفاكيا فى ربيع ١٩٥٥ صفقة اسلحة بقيت فى طى الكتمان (١٨) ، وفى ٢٧ سبتمبر ١٩٥٥ أعلنت مصر عن اتفاقية سلاح عقدتها مع تشيكوسلوفاكيا (١٩)، وقد جاءت هذه الاتفاقية لتكون سببا مباشرا لإثارة اسرائيل ، وإمعانها فى تصعيد الأحداث والمواقف نحو الحرب . كما جاءت الاتفاقية ضرب موجهة للنفوذ الغربى والسياسة الغربية فى المنطقة إذ كونت بظروفها وحجمها ومعانيها السياسية ونتائجها المباشرة وغير المباشرة ، نقطة تحول خطيرة ، ليس فى تاريخ الصراع العربى – الاسرائيلى فحسب ، بل فى تاريخ المنطقة أيضا . ولذلك ، كان من المتوقع أن ترد الدول الغربية بعنف على هذه

الخطوة ، التى تمثل تمردا على السيطرة الغربية ، وتفقد الدول الاستعمارية أداة ضغط كبيرة على البلدان العربية ، حين كان تصدير السلاح وقفا على الغرب وحده(٢٠)

ومن خلال سعى مصر لتطوير قواتها الجوية نجد أنه بلغ حجمها فى عام ١٩٥٥ حوالى ٣٠ طائرة ميج ١٥ ، و ٣٠ طائرة فامبير بالأضافة إلى ٢٥ طائرة مثيور ، فضلا عن ٢٢ طائرة قاذفة متوسطة اليوشن ٢٨ (٢١) مشكلة من سبعة أسراب من المقاتلات وسرب قاذفات مقاتله ، وسربى قاذفات أسراب نقل جوى ، وسرب امداد جوى واتصال .

أما القوات البرية فقد وصل حجمها إلى فرقتى مشاه وفرقه مدرعة مسلحة بالدبابات ت ٣٤ أساسا فضلا عن أربعة ألوية مشاه متنقلة أخرى وثلاث كتائب مدرعة مستقلة ، ووحدات دفاع جوى وحرس حدود ونحو لواء من القوات الفلسطينية (حرس حدود فلسطين) ووحدات شبه نظامية قليلة القيمة عسكريا من الحرس الوطنى وجيش التحرير الوطنى (٢٢) ، باجمالى قوات برية نظامية تتألف من ١٢ لواء مشاه ، من بينها لواء مشاه ميكانيكى موزع على المجموعات المدرعة، وأربعة ألوية أحتياط ، وثلاث مجموعات مدرعة ، بخلاف الكتائب المدرعة الثلاث المستقله وبعض وحدات الاستطلاع المدرعة بما يمثل نحو ٣٠٠ دبابة ، ٧٧٦ مدفعا وهاونا .

أما القوات البحرية المصرية فكانت تضم مدمرتين ، وسبع فرقاطات ، و٢٤ زورق طوربيد ، و٤٠ سفينة حربية أنواع مختلفة ، فضلا عن وجود ثلاث غواصات كان يجرى التدريب عليها فى منتصف عام ١٩٥٦ (٢٣) .

ثانيا : ظروف وأبعاد البيئة المحلية والأقليمية والدولية لأزمة ١٩٥٦

١ - ظروف وأبعاد البيئة المحلية :

أ - تأميم قناة السويس :

أيقنت قيادة الثورة المصرية أن استقلال مصر لايكتمل إلا اذا حررت قناة السويس من الملكية الأجنبية لأسهمها ، ومنعت الدول الاجنبية من التدخل فى شئونها وإعادت القناة الى السيادة الوطنية ، وفى الوقت نفسه كانت مصر بحاجة إلى

واردات القناة لتوظفها فى خطط التنمية الاقتصادية والاجتماعية ، اضافة إلى مشروع إقامة سد جنوبى أسوان سمى بالسد العالى.

وحتى توفر مصر الأموال اللازمة لبناء السد ، أعلن عبد الناصر فى ٢٦ يوليو ١٩٥٦ تأميم الشركة العالمية لقناة السويس (٢٤) ، مستعيداً بذلك حقوق مصر ، وقد فاجا هذا القرار الوطنى الدول الغربية ، وضرب مصالح اقتصادية عزيزة عليها فى المنطقة ، وأثار مباشرة ردود فعل غربية غاضبة ، إذ هددت كل من بريطانيا وفرنسا باللجوء الى القوة . ولقد عبر رئيس وزراء بريطانيا أنطونى إيدن عن شدة الصدمة التى تلقتها بلاده من جراء تأميم القناة ، بقوله : " أصبح عبد الناصر يقبض على قبضتنا الهوائية . وإنه لأفضل للأمبراطورية البريطانية أن تنهار من أن تظل تعانى سكرات الموت البطئ " (٢٥)

ب - الاعتداءات والمذابح الاسرائيلية :

دأبت اسرائيل على اختلاف الأسباب للاعتداء على البلدان العربية المجاورة أرضا وسكانا، ولخرق إتفاقيات الهدنة ، ابتغاء الحصول على مكاسب أرضية أو عسكرية جديدة ، ومن أبرز هذه الأحداث مذبحة قبية ليلة ١٤ - ١٥ أكتوبر ١٩٥٣ ، إغارة قلقيلية فى ليلة ١٠ - ١١ أكتوبر ١٩٥٦ فيما وراء خطوط الهدنة فى الضفة الغربية ، ثم الهجوم الاسرائيلى على قرية كفر قاسم الواقعة داخل الحدود الاسرائيلية وقتلت ٤٨ عربيا من سكانها (٢٦) .

بالاضافة إلى خرق اسرائيل لاتفاقات الهدنة مرات كثيرة ، من أهمها الغارة على قطاع غزة فى ٢٨ فبراير ١٩٥٥ والتى سقط ضحيتها ٢٩ من الفلسطينيين والمصريين (٢٧) والغارة الثانية على القطاع فى ٨ يونيو ١٩٥٥ واحتلال العوجة فى ٢١ سبتمبر ١٩٥٥ ، واعتداءاتها على فى سيناء فى ٢٨ أكتوبر ١٩٥٥ وعلى الأراضى السورية فى ١١ ديسمبر ١٩٥٥ وعلى قطاع غزة فى ٥ ابريل ١٩٥٦ وعلى الأردن فى ٢٤ يونيو ١٩٥٦ ، وتلا هذه الغارة سبع غارات متوالية على الأردن كان آخرها فى ١١ أكتوبر ١٩٥٦ وفى ظل كل هذا التحدى والتعدى والتجاوزات الاسرائيلية قامت مصر بتنظيم وتدريب كتيبة فدائيين فلسطينيين يقودها ضباط مصريون فى غزة، للقيام بعمليات إغارات مسلحة بعد أن كانت مقصورة على أعمال الاستطلاع والأستخبارات.

ج - الحصار الاقتصادى على اسرائيل :

فقد قامت مصر منذ عام ١٩٥٠ بتنظيم تفتيش جميع السفن المارة فى مياهها الاقليمية أو الطائرات الهابطة فى مطاراتها على اعتبار أنها فى حالة حرب مع اسرائيل وتضمنت قائمة المواد المعرضة للمصادرة كغنائم حرب : الأسلحة والذخائر والمعدات الحربية وقطع الغيار والمواد المتفجرة والكيميائية والعقاقير والأجهزة والآلات الصالحة للاستعمال فى الحرب ، إضافة إلى الوقود والطائرات والسفن والجرارات والسيارات والمعادن والمواد الغذائية وكل ما من شأنه دعم وتقوية المجهود الحربى لاسرائيل (٢٨) ومما ساعد على ذلك قيام المملكة السعودية بالتنازل عن جزيرتى تيران وصنافير لمصر وهما تسيطران على مدخل خليج العقبة وأقدمت مصر على فرض قيود على السفن المتجهة الى مضيق تيران بالأعلان مسبقا عن حمولتها وجنسيتها واتجاهها ثم منعت الملاحة الاسرائيلية فى خليج العقبة سواء فى البحر أو فى الجو ، وتم فرض قيود على مرور السفن فى قناة السويس والمتجهة لاسرائيل مما أدى إلى تشديد الحصار الاقتصادى من هذا الاتجاه على اسرائيل ، وفق ماتقتضيه حالة الحرب فى أحكام القانون الدولى.

د - استعادة السيطرة المصرية على قناة السويس :

نجحت الحكومة المصرية فى توقيع إتفاقية جلاء القوات البريطانية عن قاعدة قناة السويس فى الأول من أكتوبر ١٩٥٤ ، وكان ذلك يعنى بالنسبة لاسرائيل تحرر مصر من أى نفوذ بريطانى ، لذلك حاولت اسرائيل أن تثنى بريطانيا عن الخروج من قناة السويس . ولكن مساعيها فشلت ، فأرسلت جواسيسها الى مصر ليقوموا بأعمال تخريبية ضد المنشآت الامريكية والبريطانية فيها لعلها تعطل تنفيذ أتفاقية الجلاء . وقد انفضحت عمليات هؤلاء الجواسيس ، وحدثت فى اسرائيل أزمة عرفت وقتها بفضيحة لافون - نسبة الى وزير الدفاع الذى امر بتنفيذ تلك العمليات.

هـ - الاتفاقات الدفاعية المصرية :

لقد كان ثمة تناقضات بين توجهات بعض الحكومات العربية فى التعاون مع بريطانيا فى إطار معاهدات ثنائية أو احلاف من أطرافها بريطانيا ودول غربية أخرى وبين حاجة مصر الملحة الى عدد من الاتفاقيات الدفاعية الثنائية والثلاثية بين الأقطار العربية ، (٢٩) فعقدت اتفاقيات بين مصر وسوريا (٢٠ اكتوبر ١٩٥٥) ، وبين مصر والسعودية (٢٧ اكتوبر ١٩٥٥) وبين مصر والسعودية واليمن (٢١

ابريل ١٩٥٦) وبين مصر والأدرن (٦ مايو ١٩٥٦) وبين الأدرن وسوريا (٢٠ مايو ١٩٥٦) وبين مصر وسوريا والأردن (فى ٢٥ أكتوبر ١٩٥٦) وكانت هذه الاتفاقيات بمجموعها ومضمونها ومغزاها ، مبعث قلق وخوف لدى اسرائيل .

٢ - ظروف وأبعاد البيئة الأقليمية :

أ - عدم استقلال بعض الدول العربية :

لم يكن عدد الأقطار العربية المستقلة فى المنطقة يتعدى ثمانية أقطار (مصر، وسوريا ، العراق ، السعودية ، الأردن ، اليمن ، لبنان ، ليبيا) ، ومن ثم لم تتضح التوجهات العربية المتكاملة والواضحة تجاه قضايا الصراع العربى الاسرائيلى خاصة فى جانبه العسكرى .

ب - أنعكاس تأميم القناة على الدول الغربية :

كان معنى التأميم متفاوتا عند الدول التى تأثرت مباشرة به ، وان كان مذاقه مريرا عندها جميعا (٣٠) فقد كان معناه عند بريطانيا هو ضياع أرباح ضخمة من عائدات الأسهم وانحسار هيبة بريطانيا فى المنطقة وفقد موقع استراتيجى هام ، بينما كان المعنى لفرنسا هو ضياع آمالها فى الاستثمار ، وفى نفس الوقت وقوع الشريان الحيوى لتجارتها فى أيدى نظام للحكم غير موال لها ، وغير معلومة توجهاته ، وأضر بمصالح المساهمين الفرنسيين ، أما بالنسبة للولايات المتحدة فقد كان يعنى تمردا من أحد الأنظمة ضد مصالحها الحيوية بها .

ج - الاحلاف فى المنطقة والدور الاسرائيلى :

فى ١٣ أكتوبر ١٩٥١ اصدرت كل من الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا وفرنسا وتركيا بيانا حول مشروع منظمة الدفاع عن الشرق الأوسط ، دعت فيه البلدان العربية ، وعددا آخر من البلدان الى الانضمام اليها وأقترحت أن يكون مقر هذه المنظمة فى مصر ، وأن تقوم الحكومات العربية بوضع قواتها المسلحة وقواعدها العسكرية تحت تصرف القائد العام للمنظمة ، وفى حين رفضت البلدان العربية هذا المشروع ، كانت اسرائيل تبذل قصارى جهدها ومساعيها للانضمام إليه، وأعلن العرب أن الخطر الحقيقى الذى تتعرض له بلادهم هو الخطر الصهيونى، وليس الخطر الشيوعى الذى يصوره الغرب لهم .

وفى ٢٤ فبراير ١٩٥٥ عقد العراق وتركيا معاهدة دفاعية ، اشتهرت بأسم حلف بغداد . وقد عقدت المعاهدة بتشجيع من بريطانيا والولايات المتحدة ثم سرعان ما أنضمت اليها باكستان وبريطانيا وأيران فى غضون العام نفسه .

أما الولايات المتحدة فقد ساهمت فى عضوية بعض لجان الحلف . ولم يجد هذا الحلف تأييدا من البلدان العربية سوى المملكة العراقية. ولقد اعتبرت كل من بريطانيا والولايات المتحدة أن مصر بزعامة جمال عبد الناصر هى السبب وراء مناهضة مصالحها فى المنطقة ومنع اقامة أى ترتيبات أمنية للحفاظ عليها .

د – قيام حركة عدم الانحياز :

فى ابريل عام ١٩٥٥ تم انعقاد مؤتمر باندونج فى اندونيسيا واعلانه مبدأ الحياد الايجابى وإصداره بيانا عنيفا ضد سياسة اسرائيل العدوانية ، وتولت مصر ريادة حركة عدم الانحياز والتى إعتبرتها الولايات المتحدة حركة " لا أخلاقية " – على حد تعبير دالاس وزي خارجيتها(٣١) تقوم لصالح الاتحاد السوفيتى . وكان لهذا كله أثره فى إثاره عداء الدول الغربية ، وخصوصا بريطانيا وفرنسا ضد مصر .

هـ – دور مصر فى مساندة حركات التحرر :

لقد ساهمت مصر بدور كبير فى مساعدة قوى التحرر الأفريقية ، فوقفت مع ثورة الماوماو فى كينيا (١٩٥٣) وثورة الجزائر (١٩٥٤) وثورة الكاميرون (١٩٥٦) وقطعت علاقاتها ببريطانيا (١٩٥٦) لأنها أعطت اسلطة فى روديسيا العنصرية (زمبابوى حاليا) إلى غير أهلها الشرعيين وساهمت فى انشاء الرابطة الأفريقية (١٩٥٥) التى ضمت جميع حركات التحرر الوطنى فى افريقيا وغدت القاهرة السند الأول لهذه الحركات والمقر الاساسى لقياداتها السياسية.

ثم موقف مصر من الثورة الجزائرية وتقديمها العون اليها فى مختلف المجالات(٣٢) وهو السبب الرئيسى الذى دفع فرنسا إلى تبنى فكرة ضرب مصر وقيادتها السياسية .

كل هذا أوغر صدر لندن وباريس علىمصر ، حتى أصبحت بريطانيا وفرنسا تنتظران الفرصة السانحة للانتقام من مصر ، ومن قيادتها بصورة خاصة .

٣ - **ظروف وأبعاد البيئة الدولية :**

أ - كانت الولايات المتحدة قد بدأت فى ممارسة دور نشط فى المنطقة العربية وتدعو إلى مشاريع للدفاع عن الشرق الاوسط ، واقامة الحلف المركزى وإتباع سياسة ملء الفراغ الذى أعتبرته ناجما عن خروج بريطانيا من المنطقة (٣٣).

ب - تبنى مصر لسياسة تقارب نحو الشرق الأمر الذى إعتبرته الدول الغربية توجها نحو الشيوعية ودعما للنفوذ السوفيتى فى المنطقة.

ج - إجماع دولى على مواجهة موقف مصر من تأميم القناة ، وتصعيد الاجراءات فى مواجهة التشدد والأصرار المصرى من جميع القوى الكبرى عدا الاتحاد السوفيتى والصين (٣٤).

د - سحب الولايات المتحدة لعرضها على مصر بأن تقدم إليها قرضا ماليا لبناء السد وذلك فى ١٩ يوليو ١٩٥٦ وتبعها البنك الدولى ثم بريطانيا فى ٢٠ يوليو ١٩٥٦ تعبيرا عن عدم رضا الولايات المتحدة عن معارضة مصر حلف بغداد ، ووقفها ضد أى ربط للمنطقة العربية بعجلة المصالح الأمريكية ومما زاد من تأزم الأمور اعتراف مصر بالصين الشعبية فى ١٦ مايو ١٩٥٦ .

ثالثا : تطور وأبعاد الأزمة وسير القرارات

بعد أن استعرضنا ظروف البيئة المحلية والأقليمية والدولية التى أحاطت بأبعاد الأزمة وعاصرتها وواكبتها ، نجد أن الأزمة قد بدأت فعليا يوم ٢٦ يوليو ١٩٥٦ فور إعلان الرئيس جمال عبد الناصر لتأميم شركة قناة السويس ، ولقد مرت الازمة بعد ذلك فى ثلاث مراحل رئيسية :

- **المرحلة الأولى : محاولات الاحتواء والتهدئة .**
- **المرحلة الثانية : محاولات التصعيد والوصول لحافة الهاوية .**
- **المرحلة الثالثة : العدوان**
- **المرحلة الرابعة : التسوية السياسية للعدوان**

١ – المرحلة الأولى : محاولات الاحتواء والتهدئة :

لقد سعت أطراف الازمة خلال هذه المرحلة الى ايجاد تسوية سلمية لها مع الاستعداد لاستخدام القوة العسكرية اذا دعت الحاجة لذلك .

ولقد كان تقدير عبد الناصر للموقف أنه يصعب على بريطانيا التدخل عسكريا ضد مصر بصورة فورية وتحتاج لفترة ولكنه استبعد اشتراك اسرائيل تماما ورجح احتمال مشاركة فرنسية محدودة (٣٥) .

وكان رد الفعل في بريطانيا هو سرعة عقد مجلس الوزراء برئاسة أيدن (٣٦) واستقر الرأى على إعداد خطة عسكرية لضرب مصر خلال عشرة أيام وابلاغ ذلك للسفير الفرنسي والقائم بالأعمال الأمريكي في لندن (٣٧) وفي بيان أيدن امام مجلس العموم البريطاني صباح ٢٧ يوليو ١٩٥٦ أعلن بأن حكومته عقدت العزم على حماية المصالح الجوهرية البريطانية في هذه المنطقة من العالم ولو بعمل عسكري إذا اقتضى الامر ، مع ضرورة ممارسة كل مايمكن من ضغط سياسي على مصر ، ثم استخدام الاسلحة الاقتصادية وفي حالة ثبوت عدم جدواها فإن الحكومة البريطانية ستتخذ جميع الاستعدادات اللازمة للتدخل العسكري ، ولذلك اصدر أوامره الى رؤساء اركان حرب الامبراطورية باعداد خطة العمليات اللازمة والوقت المناسب (٣٨) وسرعان ماتم تسليم مصر مذكرة احتجاج رسمية على الاستيلاء على القناة ، ولكن المصريين أعادوا في نفس الليلة هذه المذكرة ومكتوبا عليها تعاد إلى السفارة البريطانية (٣٩) وفي يوم الثالث من اغسطس ١٩٥٦ قامت هيئة اركان الحرب باعداد تصور مبدئي لخطة غزو منطقة قناة السويس واحتلالها وتم استدعاء جنرال هيوستوكويل قائد الفيلق البريطاني في المانيا ، والذى عمل قبل ذلك في فلسطين ، ليرأس التخطيط للعملية البرمائية لغزو القناة (٤٠) أما الموقف الفرنسي فقد بدأ بابلاغ مصر احتجاج الحكومة على قرار التاميم من خلال استدعاء كريستيان بينو وزير خارجية فرنسا للسفير المصري في باريس كمال عبد النبي لمقابلته يوم ٢٧ يوليو ١٩٥٦ الذى رفض تسلم الاحتجاج واستنكر اللهجة العنيفة الى خوطب بها (٤١) كما قررت فرنسا التحرك العسكري السريع لضرب مصر وكلفت قادتها العسكريين باعداد الخطط اللازمة .

واتصلت الحكومة البريطانية بجي موليه وبينو اللذين رحبا بالتشاور لاتخاذ خطوة موحدة ضد مصر وبالفعل تم التنسيق بين الجانبين خلال الاسبوع الاول من

الازمة وذلك فى العاصمة البريطانية لندن وأقر الطرفان التدخل المشترك فى مصر لاحتلال منطقة القناة (٤٢).

أما الولايات المتحدة فعلى الرغم من معارضتها لقرار التأميم وإدراكها لتأثيره السلبى على المصالح الغربية فى منطقة الشرق الأوسط ، فقد رأت استنفاذ جميع الوسائل السلمية للضغط على ناصر قبل استخدام القوة المسلحة (٤٣) وربما وجدت الولايات المتحدة الفرصة لوراثة النفوذ البريطانى فى الشرق الأوسط أو ما أطلق عليه أسم " منطق الازاحة (٤٤) ومن ثم يلزم احلال النفوذ الامريكى فى المنطقة لأنه الأقدر على الحفاظ على المصالح الغربية وحمايتها .

ولذلك سعت الولايات المتحدة لاقناع كل من فرنسا وبريطانيا بقبول الجهود الدبلوماسية والضغط السياسى والاقتصادى لحل الأزمة (٤٥) حيث استطاع دالاس اقناع البريطانيين والفرنسيين بتأجيل استخدام القوة .

مؤتمر لندن الأول فى ١٦ أغسطس ١٩٥٦ :

من خلال دعوة الولايات المتحدة إلى عقد مؤتمر لوضع ترتيبات عملية فى اطار النظام الدولى لضمان استمرار سير العمل فى القناة على النحو الذى قررته معاهدة القسطنطنية (٤٦) فتم دعوة ٢٤ دولة هى أطراف معاهدة القسطنطينية والدول الاكثر استعمالا للقناة لحضور مؤتمر يعقد فى لندن يوم ١٦ أغسطس لهذا الغرض ، وقد حضرته ١٩ دولة ورفضت مصر حضور هذا المؤتمر (٤٧)

ولم يكد ينعقد هذا المؤتمر حتى أحتدمت فيه الخلافات بين وجهات النظر ، بسبب التعارض الشديد بين أهداف المشاركين فيه ، حيث كان الهدف الاساسى لبريطانيا وفرنسا هو اجهاض النتائج السياسية لقرار عبد الناصر بتأميم القناة ومن ثم أصرتا على إنشاء " هيئة دولية " أو "سلطة دولية " تعمل على ضمان حرية الملاحة ، أما الولايات المتحدة فقد كان يعنيها فى المقام الاول محاولة معالجة المشاكل القانونية والفنية التى ينطوى عليها قرار التأميم مع الاستفادة من المؤتمر للتوصل الى تسوية سلمية ترضى كافة الأطراف والبعد عن استخدام الاجراءات القهرية ضد مصر ، اما الاتحاد السوفيتى فقد انتهز الفرصة ليؤيد قرار التأميم .

وفى ٢٢ أغسطس ١٩٥٦ أنتهى مؤتمر لندن الاول بارسال بعثة الى القاهرة برئاسة روبرت متريس رئيس وزراء استراليا وقد سميت بأسم (بعثة منزيس (وروعى فى اختيار أعضائها أن لاتكون لدولهم مواقف حادة فى الأزمة وأن يكون

تمثيلهم جغرافيا ، وكان الهدف من ايفاد هذه البعثة هو اقناع جمال عبد الناصر بتسليم قناة السويس إلى شركة جديدة خماسية الادارة تؤول لها الحقوق والامتيازات الاساسية لشركة قناة السويس (٤٨) ورغم حضور هذه البعثة للقاهرة حيث عقدت مع الرئيس عبد الناصر ثلاث جلسات عمل إلا أنها فشلت فى مهمتها لأسباب عديدة (٤٩) .

عرض الأمر على مجلس الأمن :

رغم معارضة الولايات المتحدة لكل من فرنسا وبريطانيا فى الالتجاء للأمم المتحدة وفى شكلها بإمكان توصله الى حل الازمة - فقد قررت الحكومة البريطانية عرض مشروع على الأمم المتحدة يدعو مصر للتفاوض على أساس مقترحات الدول الثمانى عشرة التى حضرت مؤتمر لندن الاول . وقد وافقت فرنسا على مسودة المشروع ولكن نتيجة للضغط الامريكى وعدم موافقة الرئيس ايزنهاور على تأييد المشروع تم تأجيل عرض األامر على مجلس الامن .

مؤتمر لندن الثانى فى ١٩ سبتمبر ١٩٥٦

بعد مباحثات بين الدول الغربية الثلاث تقرر قبول الاقتراح الامريكى بالدعوة إلى عقد مؤتمر جديد لبحث نظم وأسلوب عمل ناد للمنتفعين، وفى ١٣ سبتمبر ١٩٥٦ أعلن أيدن فى مجلس العموم البريطانى أن الحكومة البريطانية بالاتفاق مع حكومتى الولايات المتحدة وفرنسا قد قررت انشاء هيئة مؤقته للمنتفعين بقناة السويس (٥٠) وفى اليوم التالى مباشرة أعلنت الخارجية البريطانية الدعوة لعقد مؤتمر ثان فى لندن اعتبارا من ١٩ سبتمبر ١٩٥٦ لبحث انشاء وتكوين الهيئة المقترحة .. وكان رد فعل مصر بالغ الحدة ، فقام أحمد حسين سفير مصر بالولايات المتحدة بتسليم رسالة إلى دالاس تؤكد فيها مصر بان تنفيذ مثل هذه الخطة يعنى الحرب (٥١) ورغم ذلك مضت بريطانيا فى اتجاه تنفيذ الفكرة وأيدتها الولايات المتحدة ، بينما أعلن الاتحاد السوفيتى يوم ١٦ سبتمبر بأنه سيلجأ إلى استخدام الفيتو ضد أية محاولة تهدف الى دفع الأمم المتحدة الى القيام بعمل ضد مصر (٥٢) .

وخلال الفترة من ١٩ وحتى ٢١ سبتمبر ١٩٥٦ تم عقد مؤتمر لندن الثانى بحضور ثمانى عشرة دولة أيدت المقترحات التى أقرها مؤتمر لندن الأول ، وقد طرح دالاس أمام المؤتمر التقييم الامريكى للموقف وأقترح إنشاء هيئة للمنتفيعن بالقناة مع انشاء ادارة مصغرة بالتعاون مع السلطات المصرية لادارة القناة مع

ضرورة أن تفكر الدول من الآن فى بدائل طويلة الاجل للقناة مثل بناء الناقلات الضخمة ، والمرور عبر طريق رأس الرجاء الصالح ، ومد أنابيب بترول جديدة ، كما إقترح انشاء صندوق مؤقت للهيئة يمول مبدئيا من الأعضاء ثم تجمع أموالهم من الرسوم المحصلة لحين التوصل لتسوية دائمة (٥٣) وقد وافقت الدول على المقترحات الأمريكية وصدر إعلان عن المؤتمر بهذا المضمون .

٢ - المرحلة الثانية : محاولات التصعيد والوصول لحافة الهاوية

رغم سعى مصر خلال هذه المرحلة للتوصل لحل سلمى للأزمة ، الا أن الأطراف الأخرى كان سعيهم هو تصعيد الموقف للقيام بعمل عسكرى ضد عبد الناصر .

ففى ٢٥ سبتمبر ١٩٥٦ قدم مندوب مصر الدائم فى الامم المتحدة رسالة الى مجلس الأمن يطلب فيها الاجتماع لبحث الأعمال التى تدبرها ضد مصر بعض القوى الدولية وخاصة المملكة المتحدة وفرنسا (٥٤) ، وفى محاولة لكسب الوقت حتى يتم الاستعداد العسكرى تقدمت كل من فرنسا والمملكة المتحدة يوم ٣٠ سبتمبر ١٩٥٦ بطلب الى مجلس الأمن لبحث الأزمة (٥٥) وفى الخامس من اكتوبر ١٩٥٦ بدأت مناقشات الأزمة فى مجلس الأمن وبعد ستة اجتماعات من المفاوضات العسيرة تم فى ١٣ اكتوبر ١٩٥٦ التصويت على قرار من ست نقاط اعتمد على نصوص اتفاقية القسطنطنية وهى " حرية الملاحة الدولية فى القناة واحترام سيادة مصر وعزل القناة عن سياسة أى دولة ، النص على أسلوب تحديد الرسوم ، تخصيص نصيب عادل لتطوير القناة ، اللجوء للتحكيم فى المنازعات التى تنشأ فى المستقبل ".

ومع انحسار خطر الحرب فيما يبدو ، بدأ عبد الناصر يتجه نحو التوصل الى تسوية للازمة عن طريق التفاوض وبغض النظر عن حقيقة انه شخصيا كان يريد التوصل إلى اتفاق منذ بداية الازمة بشرط عدم المساس بسيادة مصر كان هناك سببان آخران مهمان وراء سعيه الى التوصل التى تسوية . كان السبب الاول ماليا " إذ كانت القيود التى فرضتها بريطانيا على أرصدة مصر من الاسترلينى قد بدأت تشكل ضغطا مؤثرا ، كما أن بريطانيا وفرنسا كانتا لاتزالان تسيطران على حوالى ٦٥٪ من السفن التى تستخدم القناة والتى تؤدى رسوم العبور الى الشركة السابقة لها إلى الادارة المصرية .

ولم يكن يتصور عبد الناصر كيف يمكن تغيير هذا الوضع دون اتخاذ اجراءات ضد هذه السفن سيجد فيها ايدن ومموليه الذريعة الملائمة للتدخل عسكريا .

وكان السبب الثانى سياسيا .. اذا كانت الضغوط فى هذه المرحلة قد بدأت تتجمع من عدة دول عربية ومن الهند والاتحاد السوفيتى ويوغسلافيا مؤيدة التوصل إلى تسوية متفق عليها ، وكان السوفيت يواجهون خطر ثورة وشيكة فى المجر ، كما كانوا يواجهون فى نفس الوقت تحديا من البولنديين ، لذا لم يكن خروشوف فى وضع يسمح له بأن يقدم لمصر تأييدا عمليا كبيرا إذا نشبت حرب وبالتالى تركز دوره فى نصح عبد الناصر بالتوصل إلى اتفاق سريع مع بريطانيا وفرنسا .

ونظرا لكل هذه الضغوط ، اتصل عبد الناصر بالدكتور محمود فوزى الذى كان فى نيويورك حينئذ لحضور اجتماع لمجلس الأمن لمناقشة الازمة وأبلغه أن يقبل تشكيل مجموعة استشارية دولية – كما إقترح الهنود – تعمل بالتشاور مع الهيئة المصرية المؤممة .

وفى ١٥ أكتوبر ١٩٥٦ وجه الدكتور محمود فوزى وزير خارجية مصر رسالة إلى رئيس مجلس الامن يعلن فيها قبول الحكومة المصرية للمبادئ الستة التى وافق عليها مجلس الامن بالاجماع فى ١٣ اكتوبر على ان تكون هى الأساس فى المفاوضات المقبلة حول مسألة القناة(٥٦) .

ويوم ٢٠ اكتوبر أبلغ محمود فوزى السكرتير العام للأمم المتحدة داج همرشولد بأنه على استعداد لبحث انشاء هيئة دولية (٥٧) للاشراف على القناة ، فقام همرشولد باستدعاء لويد وبينو للاجتماع بوزير الخارجية المصرية فى جلسة خاصة برئاسته حيث أعلن محمود فوزى ماسبق أن ابلغه لهمر شولد وهو قبول مصر للمبادئ الستة وكذا موافقتها على انشاء هيئة دولية تشمل المنتفعين بالقناة ، ونتيجة لهذا التنازل الضخم الذى قدمته مصر قرر وزراء الخارجية الثلاثة أن يجتمعوا مرة أخرى فى جنيف يوم ٢٩ اكتوبر ١٩٥٦ لوضع التفصيلات الاساسية الخاصة بتشكيل رابطة المنتفعين وأسلوب التنفيذ (٥٨) .

وهنا اجتاح الدكتور محمود فوزى الشعور بأن الأزمة اصبحت على طريق الحل السلمى(٥٩) ومع ذلك ، فعندما عاد لويد وبينو الى مناقشات مجلس الامن أصرا على مطالب يستحيل أن تستجيب لها مصر ، مما اثار دهشة محمود فوزى بسبب

التجاهل المزرى للتنازل بعيد المدى الذى قدمه من أجل التوصل الى تسوية متفق عليها ،أما عبد الناصر فقد صعق تماما .

الأن مالم يكن يعرفه هو ولاوزير الخارجية ، بأن قرار شن الحرب على مصر جارى تنفيذه ولم تكن المطالب الانجلو فرنسية أمام الامم المتحدة سوى لتهيئة الراى العام العالمى بأنه لامفر من الوسائل العسكرية لحل الأزمة .

٣ - المرحلة الثالثة : العدوان :

كان الاتفاق السرى الانجلو فرنسى الاسرائيلى قد تم فى سيفر فى ورقتين وقعهما ديفيد بن جوريون عن اسرائيل وكريستيان بينو عن فرنسا وباتريك دين عن بريطانيا ويؤكد الاتفاق على بدء اسرائيل الحرب مساء يوم ٢٩ أكتوبر ١٩٥٦ وخلق الذريعة (٦٠) فتتدخل بريطانيا وفرنسا للفصل بين المتحاربين وحماية القناة .

وسرعان مابدأت اسرائيل التعبئة العامة يوم ٢٥ اكتوبر ١٩٥٦ تحت الادعاء بأن الحشد العسكرى فى اتجاه الأردن .. وقد تمثلت الأهداف الاسرائيلية من المشاركة فى شن العدوان على مصر فى آالآتى .

* إجبار المصريين على إدراك ان اسرائيل لاتقهر .
* القضاء على الفدائيين المصريين بتدمير قواعدهم فى سيناء وغزة .
* إجبار مصر على قبول مرور السفن الاسرائيلية عبر القناة ومضيق تيران .
* رفض مصر المستمر للجهود الاسرائيلية من اجل اقامة سلام بينهما .
* تحطيم القدرة العسكرية المصرية .

وفى مساء يوم ٢٩ اكتوبر ١٩٥٦ صدرت التعليمات بتنفيذ خطة الحرب بالهجوم الاسرائيلى على سيناء ولقد توفرت المعلومات عن خطة العدوان الثلاثى على مصر لدى جمال عبد الناصر من عدة مصادر وفى توقيتات مختلفة قبل بدء الحرب (٦١) إلا أن خطط الخداع الاستراتيجى سواء الاسرائيلية أو الانجلو فرنسية قد جعلته يتشكك فى إمكانية حدوث الحرب .

وفى ٣١ أكتوبر ١٩٥٦ بدأت الضربة الجوية الأنجلو فرنسية، وفى ٥ نوفمبر بدأ الانزال الجوى على بورسعيد تبعه فى اليوم التالى الانزال البحرى. ومع نهاية يوم ٦ أكتوبر تم ايقاف القتال باحتلال اسرائيل لسيناء ودخول القوات الانجلو فرنسية بورسعيد (وفى الفصل التالى سنتناول بالتفصيل خطط الجانبين وسير العمليات بالتفصيل) .

٤ – المرحلة الرابعة : التسوية السياسية للعدوان

فى الساعة الخامسة من مساء يوم ٣٠ اكتوبر بعث ايزنهاور ببرقية لايدن ومولية يحذرهما فيها من مغبة عمل عسكرى ضد مصر ، ثم طلب رفع موضوع الهجوم الاسرائيلى على مصر الى مجلس الامن صباح يوم ٣٠ اكتوبر، وبالفعل انعقد مجلس الامن بناء على طلب الولايات المتحدة تحت عنوان " الخطوات الكفيله بوقف الاعمال الاسرائيلية العدائية فى مصر فورا" وكان مشروع القرارالمقدم من الوفد الامريكى يدعو فيه الجانبين الى وقف اطلاق النار فورا ، والزام اسرائيل بسحب قواتهما خلف خطوط الهدنة عام ١٩٤٨ويوصى الدول الأعضاء بالامم المتحدة بالامتناع عن التهديد باستخدام القوة ، أو باستخدامها بطريقة لاتتفق مع اهداف الأمم المتحدة . ولكن نتيجة لاستخدام كل من فرنسا وبريطانيا حق الفتيو ضد المشروع سقط قرار مجلس الامن كما رفض التعديل السوفيتى على المشروع الامريكى وظهر بجلاء موقف كل من فرنسا وبريطانيا على الاعتداء والتدخل العسكرى ضد مصر .

وخلال الفترة من أول نوفمبر وحتى ١٠ نوفمبر عقدت الجمعية العامة دورة استثنائية طارئه أصدرت خلالها قراراتها فى ٢ ، ٤ ، ٧ نوفمبر ١٩٥٦ القاضية بانسحاب دول العدوان الثلاثى من مصر ، إلا أن المعتدين لم ينفذوا هذه القرارات عن طريق تلكؤهم الواضح للعيان .

لذلك طلبت الجمعية العامة من السكرتير العام بقرارها الصادر فى ٧ نوفمبر ١٩٥٦ والذى تقدمت بمشروعه الكتلة الأسيوية الافريقية – أن يقدم تقريرا عن مدى استجابة الدول الثلاث لقرارات الأمم المتحدة الخاصة بالأنسحاب .

وفى ٢٣ نوفمبر ١٩٥٦ قدم السكرتير العام تقريره متضمنا ردود الدول الثلاث وكان واضحا منها أنها تبغى التلكؤ " والتسويق مما أثار حفيظة الرأى العام العالمى وظهر ذلك فى قرار الجمعية العامة يوم ٢٤ نوفمبر ١٩٥٦ بالتنفيذ الفورى للأنسحاب .

وكانت دول العدوان الثلاثى تطالب بدخول قوات طوارئ دولية فى المناطق المحتلة والتأكد من قيامها بتنفيذ مهامها قبل أن توافق على الانسحاب.

وفى الثالث من ديسمبر ١٩٥٦ تقدم السكرتير العام للأمم المتحدة بتقرير يتضمن ما أبلغته به الحكومتان البريطانية والفرنسية عن قبولهما الأنسحاب من مصر بدون

تأخير بعد وصول قوات الامم المتحدة الى مصر ، وأن الحكومتين قد خولتا رئيس القيادة المشتركة الجنرال كيتلى الوصول إلى اتفاق مع قائد القوات الدولية على جدول الانسحاب الكامل .

وفى نفس اليوم أعلن متحدث بأسم السكرتير العام أن القوات البريطانية الفرنسية سوف تنسحب من مصر فى منتصف ديسمبر ١٩٥٦ . وكانت قوات الطوارئ الدولية التى وصلت الى مصر فى ١٥ نوفمبر ١٩٥٦ ، قد دخلت الى مناطق القوات البريطانية الفرنسية فى ٢١ نوفمبر ١٩٥٦ وتم توزيعها على بورسعيد وبورفؤاد وجنوب بورسعيد على خط فصل القوات المصرية والقوات البريطانية الفرنسية .

لقد كان الحصول على إعلان بريطانيا وفرنسا قرراهما بالأنسحاب تقدما كبيرا فى الخطوات الايجابية لازالة أثار العدوان ، ويرجع ذلك لجهود الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى وايضا لدبلوماسية الدكتور محمود فوزى والدور الشريف الذى لعبه السكرتير العام للأمم المتحدة داج همر شولد ، فضلا عن دور الصين والهند(٦٢) .

وقد تأخرت عملية الانسحاب الفرنسى البريطانى عن الموعد المقرر وهو ١٥ ديسمبر إلى أن تم الانسحاب نهائيا فى ٢٢ ديسمبر ١٩٥٦ ، وأصبح من المتوقع أن تنتقل الطوارئ الدولية الموجودة فى بورسعيد الى سيناء لتنضم الى القوات اليوغسلافية فى هذه المنطقة وفق موقف انسحاب القوات الاسرائيلية منها .

فى تلك الاثناء كانت جولدا مائير وزيرة خارجية اسرائيل قد أرسلت بردها فى ٤ نوفمبر على طلب السكرتير العام بوقف إطلاق النار والانسحاب وتضمن الرد قبول وقف اطلاق النار فقط ولم يتعرض إطلاقا إلى الأنسحاب ، فقام همرشولد بنشر رسالة جولدا مائير ولفت نظر الجمعية العامة إلى التصريحات العدائية لرئيس الوزراء الاسرائيلى دافيد بن جوريون وكشف المسلك الاسرائيلى العدوانى أمام الجمعية العامة .

ورغم ذلك بدأ التفاوض والمساومة ، هل يتم الانسحاب قبل تحقيق أمن وسلامة اسرائيل؟ أم تعود الاوضاع الى ما كانت عليه وتتعرض اسرائيل ثانية لخطر الحرب وتهديد مصالحها الحيوية؟ أم يظل الوضع على هو عليه ؟

ولكن فى ٧ نوفمبر وجه الرئيس أيزنهاور ورسالة خاصة إلى بن جوريون يطلب فيها من اسرائيل الامتثال لقرار الجمعية العامة ، بأن تنسحب القوات الاسرائيلية الى

خط الهدنة العام ، وأن الولايات المتحدة مسئولة عن ضمان تحقيق المصالح الاسرائيلية ، وذيل الرسالة بلهجة تحذير شديد بمدى العواقب التى يمكن أن تحدث من جراء المعارضة الاسرائيلية للانسحاب(٦٣).

ولذلك نجد فى ٨ نوفمبر تغيرا سريعا فى موقف اسرائيل ، حيث أبلغت جولدا مائيرا السكرتير العام ، أن إسرائيل على إستعداد للأنسحاب من سيناء ولكن مع ضرورة إنهاء حالة الحرب وانهاء المقاطعة والحصار ووقف أعمال الفدائيين ، وبدء مفاوضات مباشرة للصلح مع اسرائيل (٦٤)

وفى ١١ نوفمبر وجه همر شولد خطابا إلى وزير خارجية اسرائيل ، طلب فيه التباحث معه بشأن أسس الأنسحاب ، ولكن إسرائيل لم ترد على الخطاب ، لذلك وجه السكرتير العام فى ١٩ نوفمبر ١٩٥٦ إستفهاما الى حكومات العدوان الثلاثى لاستيضاح موقفها من تنفيذ قرارات الجمعية العامة حتى يستطيع أن يقدم تقريره عن الموقف للجمعية العامة ، فردت انجلترا وفرنسا بصورة فورية بينما جاء الرد الاسرائيلى فى ٢١ نوفمبر وإشتمل على الآتى : (٦٥) .

* تم سحب القوات الاسرائيلية الى مسافات مختلفة على طول الجبهة المصرية .

* ستقوم الحكومة الاسرائيلية بسحب قواتها من مصر مباشرة عقب وضع ترتيبات مرضية مع الأمم المتحدة بشأن قوة الطوارئ الدولية .

* مازالت اسرائيل تدرس تقرير السكرتير العام حول قوات الطوارئ الدولية.

* مازالت حكومة اسرائيل فى انتظار الإجابة على الاستيضاح الذى طلبه السكرتير العام فى مصر فى رسالته المؤرخة يوم ٣ نوفمبر ١٩٥٦ .

* إن اسرائيل تراعى بدقة وقف اطلاق النار .

* إن اسرائيل على استعداد للاجتماع مع السكرتير العام أو مندوبه لتنفيذ تعهد الحكومة بالانسحاب فى ٨ نوفمبر .

وفى الثانى من ديسمبر ١٩٥٦ صرحت القيادة الاسرائيلية بأنه قد تم سحب ثلاث فرق من سيناء وأن القوات الاسرائيلية قد انسحبت الى مسافة ٥٠ كم شرق القناة(٦٦) .

وكانت القوات الاسرائيلية قد بدأت انسحابها إعتبارا من ٢١ نوفمبر إلا أنها قامت بعمليات تخريبية وتدميرية واسعة النطاق فى المناطق التى تنسحب منها ، مما جعل

الحكومة المصرية تطلب تدخل السكرتير العام والذى أرسل فى ٧ ديسمبر ١٩٥٦ مذكرة إلى اسرائيل فى ١٣ ديسمبر ١٩٥٦ بصدور الأوامر بوقف هذه الاعمال ، إلا أن القوات الاسرائيلية كانت تنفذ انسحابها ببطء شديد وحذرت مصر من هذا الاجراء ، فتقدم ممثل اسرائيل فى الأمم المتحدة يوم ٢١ ديسمبر ١٩٥٦ الى السكرتير العام بمقترحات أن يتم الانسحاب على مرحلتين : الأولى تستمر حتى الأسبوع الاول من يناير ١٩٥٧، وتكون القوات الاسرائيلية قد انسحبت خلالها الى غرب العريش مع استمرار التواجد الاسرائيلى فى شرم الشيخ وتيران ،أما المرحلة الثانية فتنسحب خلالها القوات الاسرائيلية الى ماوراء خطوط الهدنة فى ميعاد سيحدد فيما بعد .

ثم عادت اسرائيل وأعلنت انها لن تنسحب من قطاع غزة أما شرم الشيخ وخليج العقبة ومضايق تيران فسيتم انسحابها منها بعد الحصول على ضمانات كافية من مصر بعدم التعرض للملاحة الاسرائيلية مرة أخرى .

وفى ١٩ يناير ١٩٥٨ أصدرت الجمعية العامة قرارا بأغلبية ٧٤ صوتا أكد على عدم امتثال اسرائيل لقرارات الجمعية العامة وطلب من السكرتير العام ان يقدم تقريرا عن انسحاب إسرائيل انسحابا كاملا فى خلال خمسة أيام .

وفى ٢٤ يناير ١٩٥٧ قدم السكرتير العام تقريره والذى أكد فيه على عدم انسحاب اسرائيل وأوضح عدم قبول الامم المتحدة لتغيير أى وضع بالاحتلال العسكرى وأنه يلزم موافقة كافة الأطراف على طبيعة ومناطق عمل قوات الطوارئ الدولية حيث أن اسرائيل لاتوافق على دخولها لبعض المناطق ومنهما قطاع غزة الذى تحاول اسرائيل فرض فكرة الاشراف عليه .

وسرعان ماهاجم المسئولون الاسرائيليون تقرير السكرتير العام وأعلن بن جوريون يوم ٢٨ يناير ١٩٥٧ بأن اسرائيل عند موقفها ولن تنسحب قبل الحصول على الضمانات التى تطلبها(٦٧).

وفى الثانى من فبراير ١٩٥٧ أصدرت الجمعية العامة قرارا جديدا يأسف لعدم امتثال اسرائيل لقرارات الجمعية العامة المتكررة وطالبها للمرة السادسة بالانسحاب الى ماوراء خطوط الهدنة ، ولكن ظلت اسرائيل على تحديها لقرارات الأمم المتحدة.

ولكن نتيجة لتدخل الولايات المتحدة ولاهود المستمرة لداج هموشولد ونجاح دبلوماسية الضغط للدكتور محمود فوزى أعلنت وزيرة خارجية اسرائيل يوم ٦ مارس ١٩٥٧ موافقتها على تنفيذ الانسحاب الكامل من سيناء وقطاع غزة .

وفى ٧ مارس ١٩٥٧ بدأت القوات الاسرائيلية فى الانسحاب من قطاع غزة ، كما دخلت قوات الطوارئ الدولية منطقة شرم الشيخ ظهر يوم ٨ مارس ١٩٥٧ ، ولكن بقى بعض الفنيين الاسرائيليين فى شرم الشيخ لشحن بعض المعدات حيث تم انسحابهم نهائيا مساء يوم ١٢ مارس ١٩٥٧ ، ويوم ١٣ مارس تسلمت الادارة المصرية قطاع غزة وبقيت قوات الطوارئ الدولية فى شرم الشيخ .

رابعا : تقويم إدارة الأطراف المختلفة للأزمة :

١ - تقويم الإدارة البريطانية للأزمة :

كان تصور الحكومة البريطانية للتعامل مع عبد الناصر هو استخدام اسلوب القهر بالاعتماد على القوة السافرة . ومن ثم أتسم التعامل البريطانى بالتطرف والاندفاع فى رد الفعل على تأميم قناة السويس ، وكان هذا يرجع لظروف وتكوين أنتونى أيدن رئيس الوزراء البريطانى (٦٨) وشعوره بأنحسار النفوذ البريطانى فى المنطقة والخطر على مصير الامبراطورية البريطانية وإدراك صانع القرار البريطانى لضرورة وضع حد لاستفحال قوة عبد الناصر ومن ثم قررت الدخول فى مواجهة مباشرة مع مصر لوضع حد لكل هذه التداعيات ولكنها لم تأخذ فى الأعتبار الدور الأمريكى والسوفيتى العالمى بعد الحرب العالمية الثانية .

٢ - تقويم الإدارة الفرنسية للأزمة :

لقد تولى صنع القرار السياسى العسكرى إبان االأزمة كل من رئيس وزرائها جى موليه ووزير خارجيتها كريستيان بينو ، وقررت منذ بداية الازمة سرعة استخدام اسلوب القهر ضد مصر ونظام عبد الناصر حيث كانت تعانى من عقدة الهزيمة المزمنة التى اصابتها بعد هزيمة بونابرت واستمرت خلال الحرب العالمية الاولى والثانية ، واحتلالها بجيوش النازى بعد أن كانت تصنف فى مصاف الدول العظمى، ولم تستطع أن تخمد ثورة دولة أخرى من دول العالم الثالث فى الجزائر ، فجاءت الفرصة لصنع نصر حقيقى ، ومن ثم أتخذت من تأميم قناة السويس وتأثيرها

الاقتصادى السلبى على الفرنسيين، ومن مساندة عبد الناصر المادية والمعنوية لثورة الجزائر ، فرصة للدخول فى اختبار جديد للقوة قد يعيد لها بعض الأمجاد .

٣ – تقويم الأرادة الاسرائيلية للأزمة :

من المؤكد أن المنظومة الاستراتيجية بعيدة المدى لاسرائيل كانت تريد أى فرصة لاجهاض القوة العسكرية المتنامية لمصر وتحقيق بعض المصالح الاستراتيجية الحيوية المرحلية، ولذلك أنتهزت فرصة قيام مصر بتأميم قناة السويس وبدء التنسيق العسكرى الفرنسى الانجليزى وبدأت فى تعظيم ماقامت به مصر وتأثيرها السلبى على مصالح تلك الدول ، وسرعان ماقبامت بالتنسيق مع الجانب الفرنسى ثم البريطانى وأرادت توثيق هذا التعاون فى اتفاقية (سيفر) لضمان عدم التورط وحدها . فى الادارة القهرية للأزمة ضد مصر ، ومن خلال عملية خداع استراتيجى بأنها تخطط لعملية ضد الأردن فى أعقاب غارة كبرى على قرية قلقيلية الأردنية ليلة ١٠ – ١١ أكتوبر وتم اجراء التعبئة الجزئية فى اسرائيل يوم ٢٥ أكتوبر ثم بدأت العمليات ضد مصر فجاة بعد ظهر يوم ٢٩ اكتوبر لخلق الذريعة للقوات الأنجلو فرنسية .

وحاولت من خلال التساومة على عدم ترك احتلال سيناء إلا فى ظل تحقيق بعض المكاسب الحيوية ولكنها لم تستطع أن تحقق سوى تواجد لقوة الطوارئ الدولية فى شرم الشيخ لضمان عدم منع الملاحة الاسرائيلية به وايضا حق مرور السفن المتجهة لاسرائيل ولاتحمل العلم الاسرائيلى فى قناة السويس .

والملحق رقم (١) المرفق يوضح سير القرارات الاسرائيلية فى إدارة ازمة / عدوان ١٩٥٦.

٤ – تقويم الأدارة المصرية للأزمة :

لقد نجحت الادارة المصرية للأزمة خلال مرحلتى الأحتواء والتهدئه أو التصعيد بالحصول على إجماع دولى بعدم مشروعية استخدام القوة ضد مصر لحملها على التراجع عن قرار التأميم كما ظهر جليا تعاطف الولايات المتحدة مع الموقف المصرى ليس منطلقا من مشاعر تقدير خاصة لمصر بل إستنادا على مصالحها الحيوية الأساسية لها فى المنطقة ، ولقد ظهر جليا نجاح القيادة السياسية فى إدارة الازمة خلال مراحلها الاولى فى حرص مصر على وضع قرارها الخاص بتأميم قناة السويس فى إطار من الإلتزام القانونى خاصة عندما أعلنت احترامها لالتزاماتها

الناجمة عن اتفاقية القسطنطينية لعام ١٨٨٨ والتزامها بتعويض حملة الأسهم والسندات عن الحصص التى يملكونها وأعلنت أيضا عن قبولها للتحكيم الدولى المحايد فى هذا الشأن ثم قبولها أخيرا لقرار مجلس الأمن الصادر يوم ١٣ أكتوبر ١٩٥٦ بنقاطه الست .

ومن أجل دحض ذريعة تعريض الملاحة الدولية للخطر ، ومن ثم إيجاد المبرر للتدخل فى إدارة القناة بحجة حماية مصلحة دولية عامة " نجد أن مصر قد أعدت العدة لادارة القناة بكفاءة بالاستعانة بمرشدين يونانيين وإيطاليين وأسبان وبعض ضباط البحرية المصرية .كما نجحت مصر فى تعبئة رأى عام مناصر لقضيتها على أمتداد العالم الثالث بأسره ونجحت فى تنسيق جهودها مع الاتحاد السوفيتي وفى نفس الوقت عدم استثارة الولايات المتحدة من خلال توثيق العلاقات مع المملكة السعودية.

كما استطاع عبد الناصر ان يحقق إجتماعا شعبيا قويا لمساندة قراره مما أعطى له مصداقية هامة فى التعامل الخارجى مع الأزمة .

أما خلال مرحلة العدوان فقد اتسمت الأدارة المصرية برد الفعل ومحاولات احتواء الموقف وتقليل الخسائر البشرية والمادية إلى اقل حد ممكن وأستطاعت خلق قاعدة عريضة من الدعم الدولى ضد العدوان الثلاثى ، الأمر الذى كان السبب الرئيسى وراء نجاحها فى إدارة مرحلة إزالة الأثار المترتبة على العدوان وإنسحاب كل القوى المعادية .

خلاصة القول أن الإدارة المصرية لأزمة قناة السويس وتداعياتها حتى العدوان الثلاثى قد تضمن عناصر عديدة من تقنيات وآليات الإدارة الناجحة للأزمات ، منها التخطيط الجيد لمواجهة الأثار السلبية الناجمة عن التأميم ، دقة اختيار توقيت القرار، توسيع نطاق المشاورات مع الدول الصديقة ، دعم قاعدة التأييد الدولى والشعبى للقرار المصرى ، وضوح ومحدودية الأهداف والأصرار على تحقيقها .

والملحق رقم (٢) المرفق يوضح سير القرارات المصرية فى إدارة أزمة / عدوان ١٩٥٦ .

المصادر

١ - هيثم الكيلانى (دكتور) الاستراتيجيات العسكرية للحروب العربية - الاسرائيلية ١٩٤٨ - ١٩٨٨ - مركز دراسات الوحدة العربية - نوفمبر ١٩٩١ - بيروت (ص ص ٧٢ - ١٧٣.

- Edward N, Luttwak and Dan Horowitz - The Israeil Army - London Allen Lane, Penguin Books, 1975 P.69

٣ - بن جوريون - تاريخ شخصى (الجزء الأول) ترجمة مركز المعلومات - ١٩٦٨ (ص ٤٧)

٤- محمد حسنين هيكل وآخرون - العسكرية الصهيونية (المجلد الأول) - المؤسسة العسكرية الاسرائيلية : النشأة والتطور ١٨٨٧ : ١٩٧٧ - مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام - ١٩٧٢ (ص ٢٠٩) .

- Generals of Israeil - Tel - Aviv, Hadar Publishing House Ltd., 1968 P.39

- Moshe Dayan - Diary of the Sinai Campaign - London, Weiden-Field & Nicolson 1966 P.9

٧ - بل وكلفه موشى ديان باختيار وانتقاء أفراد هذه الوحدة من محترفى البطش والأرهاب ولتصبح موضع غيرة وحدات الجيش الأخرى .

٨ - وفى ١٤ أكتوبر ١٩٥٣ شنت هذه الوحدة أولى عملياتها الارهابية ضد قرية قبية العربية الأردنية فأقتحمت القرية ونسفت منازلها على من فيها .

- Walter Etan - The First Ten Years : A Diplomatic of Israeil - New York, Simon & Schuster, 1958 P.109

10- Ibid P.111-113

11- The Israeil Army - Ibid P.147

١٢- دان عوفى - تطور القوة الجوية الاسرائيلية (دار الجليل) - عمان - ١٩٩٢ (ص١٣ ومابعدها)

١٣- المصدر السابق (صص ٢٦ - ٢٧)

١٤- ميشيل بار زوهار - التاريخ السرى لحرب اسرائيل - ترجمة الهيئة العامة للاستعلامات رقم ٦٦٧ (ليست للتداول) القسم الاول .

١٥- وزارة الدفاع - حرب العدوان الثلاثى على مصر - خريف ١٩٥٦ (الجزء الأول) - ١٩٩٣ (ص ١٥٣)

16- The Israeil Army - Ibid P.168

١٧- رضا شحاته (دكتور)

18 - Patrick Seal - The Struggle for Syria : A study of post war Arab Politics, 1954-1985 - London, New York : Issued under the auspices of the Royal Institute of International Affairs Oxford University press, 1965 P.233

١٩- كانت تشيكوسلوفاكيا هى الطرف الوسيط بين مصر والاتحاد السوفيتى خلال أتمام صفقة السلاح .

٢٠- هيثم الكيلانى (دكتور) - الاستراتيجيات العسكرية للحروب العربية - الاسرائيلية - مصدر سابق (ص١٦٩)

٢١- لواء علي لبيب - تاريخ القوة الثالثة (القوات الجوية المصرية) الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة - ١٩٧٩ .

٢٢- لواء حسن البدرى - بحث دور القوات البرية فى حرب العدوان الثلاثى - هيئة البحوث العسكرية - ندوت تاريخ الجيش المصرى - ١٩٨٢ (ص ٦ ومابعدها)

٢٣- لمزيد من المعلومات أنظر : : تاريخ البحرية المصرية - جامعة الأسكندرية - منشأة المعارف - ١٩٦٩ .

٢٤- حول اتخاذ قرار تأميم قناة السويس أنظر :
جميل مطر وآخرون - صنع القرار فى الوطن العربى - مركز دراسات الوحدة العربية - بيروت - ١٩٨٦ .

٢٥- حسن البدرى - دراسة : عدوان ١٩٥٦ .. قمة عدم التكافؤ - مجلة السياسية الدولية - العدد ٤٧ فى يناير ١٩٧٧ (ص ٩٩) .

٢٦- الموسوعة الفلسطينية - القسم الاول - ٤ مج - بيروت - هيئة الموسوعة الفلسطينية (مادة مذبحة ، مادة اعتداء)

٢٧- مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام - العسكرية الصهيونية (المجلد الثانى) ٢٧- مصدر سابق (ص ١٩٨)

٢٨- وزارة الدفاع الوطنى -القضية الفلسطينية والخطر الصهيونى - سلسلة الدراسات رقم ٣٤ - بيروت - لبنان مؤسسة الدراسات الفلسطينية - ١٩٧٣ (ص٢١١) .

٢٩- هيثم الكيلانى (دكتور) الاستراتيجيات العسكرية للحروب العربة - مصدر سباق (ص١٦٨) .

٣٠- وزارة الدفاع – حرب العدوان الثلاثى علـى مصـر ١٩٥٦ (الجـزء الاول) – القاهرة (ص ١١ ومابعدها) .
٣١- جريدة النيويورك تـايمز الصـادرة فـى يونيـو ١٩٥٥ – أعـلان دالاس أمـام الكونجرس الامريكى .
٣٢- فتحى الديب – مصر وثورة الجزائـر – الهيئـة العامـة للكتـاب – القـاهرة – ١٩٩٠ .
٣٣- محمد كمال عبد الحميد – الشرق الاوسط فى الميزان الاستراتيجى – مكتبـة الانجلو المصية (ص ٦٠٣) .
٣٤- صلاح بسيونى – مصر وأزمة السويس – دار المعارف (ص ص ٢٠٣ – ٢٠٦).
٣٥- أنظر حسنين هيكل – قصة السويس – المنشورات الشرقية للتوزيع – (ص ١٢١وما بعدها) وكذلك مذكـرات عبـد اللطيـف البغـدادى (الجـزء الأول) المكتب المصرى الحديث (ص ٣٢١) ، وثائق وزارة الخارجيـة ملـف رقـم ٨٥ – الادارة الغربية وثيقـة رقـم ٧٢٧ ، وثيقـة رقـم ١٥/٤٥/٣٠ ، هنـرى أوز – فـخ السـويس – الـدار القوميـة للطباعـة والنشـر (ص ص ١٩٩ – ٢٠٢)
٣٦- أنتونى أيدن – مذكرات (القسم الثانى) – (ص ٢٣٤) .
٣٧- صلاح بسيونى – مصـر وازمـة السـويس – دار المعـارف – القـاهرة (ص ٤٥) .
٣٨- أنتونى أيدن – مذكرات (القسم الثانى) – (ص ص ٢٣٩ – ٢٤١).
٣٩- هذه المذكرة سلمت الى الحكومة المصرية يوم ١٩٥٦/٧/٢٧ .
٤٠- تريفور ريبوى – النصر المجيد – ترجمة الهيئة العامـة للاسـتعلامات برقـم ٧٦٨ – القاهرة – ١٩٨٨ (ص ١٧٢) .
٤١- أمين سـعيد – الثـورة (الجزء الاول) سلسـلة كتـب تـاريخ مصـر السياسـى الحديث – القاهرة (ص ٣٩٩) .
٤٢- صلاح بسيونى – مصر وازمة السويس – مصدر سابق) (ص ص ٥٠ – ٥١.
٤٣- محمد حسنين هيكل – قصة السويس – مصدر سابق (ص ١٤٢) .
- John Spanier - American Foreign Policy since world war II , 6th ed - New York, Washington, Praeger Publishers, 1974 P.121-122

٤٥- مذكرات أيزنهاور - ترجمها للعربيه هيوبرت يونغمان صـ٣٢
٤٦- عباس رشدى العمارى - إدارة الازمات فى عـالم متغير - مركـز الاهـرام للترجمة والنشر - ١٩٩٣ (ص ١٤٦) .
٤٧- وان كانت مصر قد أرسلت وفدا برئاسة على صبرى للحضور كمراقب فقط.
٤٨- هنرى أوز - فخ السويس - مصدر سابق (ص ص ٢١٩ - ٢٢٠) .
٤٩- محمد حسنين هيكـل - قصـة السـويس - مصـدر سـابق (ص ص ١٦٢ - ١٦٩).
مذكرات البغدادى (الجزء الاول) - مصدر سابق (ص ٣٣٢) .
٥٠- رضا أحمد شـحاته - تطـور واتجاهـات السياسـة الخارجيـة الامريكيـة نحـو مصر - مصدر سابق (ص ٤٦٤) .
٥١- نص رسالة عبد الناصر أنظر :
٥٢- جريدة الأهرم فى ١٧ سبتمبر ١٩٥٦ ص ١ عامور ٥ .
53 - U.S. Department of state bulletin, oct,1,1956 P.503-507
٥٤- محمود فوزى - حرب السويس ١٩٥٦ (ترجمة مختار الجمال) - مصدر سابق (ص ٧٩) .
55 - U.N.S.C.O.R. II, No 943 Meeting - sep30,1956 P.2
٥٦- محمود رياض - المذكـرات (الجـزء الثـانى : الأمـن القومـى العربـى بيـن الانجاز والفشل - المؤسسة العربية (ص ١٥٣) .
٥٧- أنتونى ناتنج - ناصر (ترجمة أحمد شاكر) - (ص ١٩٨) .
٥٨- المصدر السابق (ص١٩٩) .
٥٩- محمد حسنين هيكل - ملفات السويس - الأهرام (ص ٥٢٠) .
٦٠- هنرى لورنس - اللعبة الكبرى - دار الشروق (ص ص ١٦٢ - ١٦٣) .
٦١- من الملحق العسكرى المصرى بفرنسـا العقيد / ثـروت عكاشـة ، والملحـق العسكرى المصرى بتركيا المقدم / زكريا العادلى إمام) من صلاح سـالم، تقرير من السفير أحمد حسنين.
٦٢- صلاح بسيونى - مصر وأزمة السويس - مصدر سابق (ص ص ٢٩٣ - ٣٠٢).
٦٣- وزارة الخارجية المصرية - نشرة الوثائق (الجزء الأول) (ص ص ٣١٠ - ٣١١) يحتوى على نص خطـاب الرئيس أيزنهـاور الـى رئيس الـوزراء الاسرائيلى بن جوريون فى ١٩٥٦/١١/٧.

٦٤- صلاح بسيونى - مصر وأزمة السويس - مصدر سابق (ص ٣٠٩) .
٦٥- الخارجية المصرية - نشرة الوثائق (الجزء الثانى) - التقرير رقم ٥ من السكرتير العام (ص ص ٦٥١ - ٦٦٠) .
٦٦- وزارة الخارجية المصرية - العدوان الثلاثى على مصر - نشرة خاصة (الجزء الأول) - (ص ٢١) .
٦٧- المصدر السابق (الجزء الاثنى) - (ص٢٢) .
٦٨- عباس رشدى العمارى - إدارة الازمات فى عالم متغير - مصدر سابق (ص ١٥٧) .

ملحق رقم (١)
سير القرارات الاسرائيلية فى ادارة أزمة / عدوان ١٩٥٦
المدخلات الحاسمة للقرارات

	القرار الاستراتيجى رقم ١
١٢ سبتمبر ١٩٥٥ حصار مصرى جوى وبحرى لخليج العقبة. ٢٨ سبتمبر ١٩٥٥ كشف إتفاقية سلاح سوفيتى لمصر. أكتوبر ١٩٥٥ رفضت الولايات المتحدة المساعى الاسرائيلية للتحالف العسكرى معها . ٢٣ ديسمبر ١٩٥٥ إتفاقية سلاح بين فرنسا واسرائيل .	إعداد خطة هجومية إسرائيلية شاملة على مصر بعد تحول الاستراتيجية الاسرائيلية الأمنية من الاغارات الى الحرب فى ٢٣ أكتوبر ١٩٥٥ .
	القرارا التكتيكى
٩ مارس ١٩٥٦ اخفاق مهمة اندرسون بعد شهرين من المحادثات السرية غير المباشرة بين مصر واسرائيل . ٢٣ أبريل ١٩٥٦ وصول بعض السلاح الفرنسى لاسرائيل. ابريل / مايو ١٩٥٦ تصعيد غارات الفدائيين داخل اسرائيل من قطاع غزة ومن الأردن . ٢٧ يونيو ١٩٥٦ توقيع اتفاقية سلاح بين فرنسا واسرائيل بحجم كبير . أوائل أغسطس ١٩٥٦ وحتى منتصف سبتمبر استعلم الفرنسيون عن مدى استعداد اسرائيل للتعاون مع فرنسا وبريطانيا للقيام بعمليات مشتركة	٢٠ سبتمبر ١٩٥٦ قرر بن جوريون رئيس وزراء اسرائيل ووزير الدفاع انتهاز الفرصة وتنسيق الأعمال العسكرية مع فرنسا لشن الحرب ضد مصر
	القرار الاستراتيجى رقم ٢
١٦ أكتوبر ١٩٥٦ موافقة بريطانيا على اشتراك اسرائيل فى العدوان . ٢٤ أكتوبر ١٩٥٦ اتفاقية دفاع مشترك بين مصر والأردن وسوريا . ٢٢ - ٢٤ اكتوبر ١٩٥٦ توقيع معاهدة سيفر بين بريطانيا وفرنسا واسرائيل لشن الحرب ضد مصر . ١٧ - ٢٠ اكتوبر وصول الاسلحة الفرنسية لاسرائيل وتعهدات بريطانية بتقديم الدعم الجوى والبحرى لها . الاتفاق على وصول اسراب جوية من فرنسا لاسرائيل يوم ٢٧ أكتوبر ١٩٥٦ .	٢٥ أكتوبر ١٩٥٦ قرر بن جوريون شن حملة سيناء لتبدأ يوم ٢٩ اكتوبر .
	القرار الاستراتيجى رقم ٣
٥ نوفمبر ١٩٥٦ وصول رسالة تهديد من بولجانين الى بن جورين . ٦ نوفمبر ١٩٥٦ نصحت فرنسا اسرائيل بالموافقة على الانسحاب لعدم وجود قوة فرنسية لردع السوفيت عن التدخل الفعال . ٧ نوفمبر ١٩٥٦ موافقة مجلس الأمن على قرار الانسحاب باغلبية ٦٥ : ١ ٧ / ٨ نوفمبر ١٩٥٦ ورود تقارير عن تحركات سوفيتيه لتنفيذ التهديد ضد اسرائيل . ٨ نوفمبر ١٩٥٦ هدد الرئيس الامريكى بتوقيع عقوبات اقتصادية شديدة على اسرائيل اذا لم تنسحب	٨ نوفمبر ١٩٥٦ صدقت الوزارة الاسرائيلية على قرار بن جوريون بالانسحاب من سيناء وقطاع غزة

ملحق رقم (٢)
سير القرارات المصرية فى ادارة أزمة / عدوان ١٩٥٦
المدخلات الحاسمة للقرارات

	القرار الاستراتيجي رقم ١
أول أكتوبر ١٩٥٤ توقيع اتفاقية جلاء القوات البريطانية عن قاعدة السويس . سبتمبر ١٩٥٥ عقد اتفاقية السلاح السوفيتى مع مصر . تقارب مصرى سوفيتى وتحسن فى العلاقات . إعداد مبكر منظم للاستيلاء على مكاتب شركة قناة السويس. ١٩ يوليو ١٩٥٦ سحب الولايات المتحدة لعرضها بتمويل السد العالى . ٢٠ يوليو ١٩٥٦ سحب بريطانيا والبنك الدولى لعرضهما بتمويل السد .	٢٦ يوليو ١٩٥٦ اعلان جمال عبد الناصر تأميم الشركة العالمية لقناة السويس.
	القرارا التكتيكى رقم ١
١٦ – ٢٢ أغطس ١٩٥٦ عقد مؤتمر لندن الاول والسعى لانشاء سلطة دولية على ادارة القناة . ٢٣ أغسطس ١٩٥٦ زيارة بعثة منزيس للقاهرة وفشلها . توفر كوادر مصرية وتوقيع عقود أجنبية مع بعض المرشدين الاجانب . ١٩ – ٢٠ سبتمبر ١٩٥٦ عقد مؤتمر لندن الثانى والسعى لانشاء هيئة المنتفعين من القناة	إدارة القناة مصريا وتنفيذ الملاحة بكفاءة عالية .
	القرار التكتيكى رقم ٢
ورود معلومات من بعض الملحقين الحزبيين المصريين عن عملية عسكرية أنجلوفرنسية وشيكة . ١٣ أكتوبر ١٩٥٦ صدر قرار لمجلس الأمن يحتوى على المبادئ الستة للحل السلمى للازمة . القيود التى فرضتها بريطانيا على أرصدة مصر المالية . وساطة الهند والاتحاد السوفيتى ويوغسلافيا	١٥ أكتوبر ١٩٥٦ السعى نحو التوصل لتسوية سلمية . وفى ٢٠ أكتوبر ١٩٥٦ أعلنت مصر عن استعدادها لبحث انشاء هيئة دولية للقناة.
	القرارا الاستراتيجى رقم ٢
مساء ٢٩ اكتوبر ١٩٥٦ هجوم اسرائيلى محدود تحول إلى هجوم شامل صباح اليوم التالى على سيناء كلها . ٣٠ اكتوبر ١٩٥٦ صدر الانذار الانجلو فرنسى لمصر واسرائيل والذى اعتبرته مصر زائفا . ٣١ اكتوبر ١٩٥٦ الضربة الجوية البريطانية لمصر .	مساء ٣١ أكتوبر ١٩٥٦ سحب القوات المصرية من سيناء للدفاع عن القناة ضد الغزو الأنجلو فرنسى .

◆ الفصل الثامن ◆

تأميم قناة السويس
وحرب السويس ١٩٥٦ :
من التاريخ الاقتصادى الى الاقتصاد السياسى

د. طه عبد العليم *

* نائب مدير مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام .

تمهيد:

لا تخفى أهمية قراءة التاريخ الاقتصادى لتأميم قناة السويس وحرب السويس ١٩٥٦ من منظور الاقتصاد السياسى . إذ بعد أربعين عاما لا تزال مصر تواجه المشكلات العملية والاشكاليات النظرية لحسم خياراتها الاستراتيجية البديلة لتلك التى جسدتها مقدمات وتداعيات تأميم القناة وحرب السويس .

من منظور تاريخ مصر الاقتصادى ، نشير الى مقدمات القرار السياسى التاريخى لتأميم قناة السويس ، وماترتب عليه من تداعيات، وخاصة النتائج الاقتصادية لقوانين التمصير التى صدرت واجراءات الحراسة التى فرضت فى أعقاب حرب السويس . ونحاول فى هذا الفصل الاجابة بايجاز على سؤال رئيسى : ما هى آثار الدور الجديد للدولة فى اقتصاد السوق الموجه فى النصف الثانى من الخمسينات ؟ ونركز فى هذا السياق على تحليل الأثر الاقتصادى لتأميم القناة واستحواذ الدولة على عوائدها من منظور تعبئة الموارد لتمويل التنمية والتصنيع . كما نبحث أثر قرارات التمصير واجراءات فرض الحراسة على الشركات المساهمة المملوكة «للأعداء» ، سواء من زاوية توسع قطاع الأعمال المملوك للدولة وزيادة استثماراته فى اطار المؤسسة الاقتصادية ، أو من زاوية أثر إضعاف سيطرة رأس المال الأجنبي فى مجالات البنوك والتأمين على تعديل السياسة الائتمانية بما يستجيب لاحتياجات تمويل التنمية والتصنيع .

وأما من منظور الاقتصاد السياسى ، فان الاشكالية الرئيسية للورقة تتلخص فى الاجابة على السؤال الجوهرى عند اعادة قراءة هذا التاريخ الذى لاتزال أشباحه تلقى بظلالها حتى الآن كما أوجزنا أعلاه : هل ما تزال الخيارات الاستراتيجية ، التى كشف عنها وقاد اليها قرار تأميم قناة السويس ، ممكنة أو منشودة فى ظل المتغيرات الجديدة والمعطيات الراهنة فى البيئة العالمية والمحلية والاقليمية ؟ أم أن ذلك القرار – على أساس القراءة الموضوعية النقدية – كان ، إبن زمانه " ، وأن منظومة القيم التى دفعت اليه تتطلب تعديلا جذريا

للخيارات الاستراتيجية والسياسات العملية التى بمقدورها حماية ما هو ثابت ومتغير من تلك القيم القومية فى ، زمن آخر" ؟

وتتطلب الاجابة على السؤال الأخير تحليلا مقارنا لانجازات واخفاقات دور الدولة وقطاع الأعمال العام فى تنمية وتصنيع مصر المستقلة ، بالمقارنة مع دور الرأسمالية المصرية فى تصنيع وتنمية مصر المستعمرة : أى التقييم الموضوعى النقدى لدور رأسمالية الدولة فى التنمية والتصنيع ولقرارات التأميم التى طالت لاحقا نخبة رواد الصناعة الوطنية الحديثة فى مصر الناصرية . كما تتطلب الاجابة تحليل ما أتاحه تعظيم العلاقات الاقتصادية مع الاتحاد السوفييتى السابق وغيره من البلدان الاشتراكية من فرص ، بالمقارنة مع ما قد يكون من ضياع للفرص أو خلق للقيود جراء تقليص العلاقات الاقتصادية مع السوق الرأسمالى العالمى وتصفية رأس المال الأجنبى ; أى التقييم الموضوعى النقدى لتجربة التنمية المستقلة فى مصر الناصرية. وأخيرا ، فان الاجابة على السؤال المطروح تتطلب فى ضوء ماسبق وغيره من التطورات السياسية والاجتماعية والايديولوجية اعادة قراءة تاريخ تلك الفترة من زاوية الاقتراب من تحقيق منظومة قيم التقدم الشامل بما تتضمنه من تعظيم للكفاءة الاقتصادية ، والعدالة الاجتماعية ، والتطور الديموقراطى ، والأمن القومى ، وازدهار الهوية .

(١) التاريخ الاقتصادى لحرب السويس

١-١ تأميم القناة وقوانين التمصير :

فى تفسير قراره بتأميم قناة السويس ، أوضح جمال عبد الناصر ، إن حق كل دولة مستقلة فى تأميم أى من مواردها الوطنية أو مرافقها العامة ، هو حق مسلم به عالميا . وينص القانون المصرى الذى يؤمم شركة قناة السويس على دفع تعويض مناسب وعادل الى حملة الأسهم ، وهو بذلك ممارسة صحيحة للسيادة الوطنية ويتفق مع مبادئ القانون الدولى والاصول التي تتبعها الدول "; وأضاف أنه ، لا يمكن المنازعة في أن الحكومة المصرية تستطيع فى أى وقت أن تسحب الامتياز الذى منحته لشركة قناة السويس ... اذا ما اقتضت ذلك المصالح الحيوية للبلاد ، وبشرط منح تعويض عادل" (١) .

والواقع ان عبد الناصر قد أصدر قراره التاريخى بتأميم قناة السويس وسحب حق الامتياز الذى منحته مصر لشركة قناة السويس ، فى ظروف الصراع من أجل تعزيز الاستقلال السياسى والاقتصادى ، والصدام مع الغرب بسبب السياسة الخارجية المستقلة غير المنحازة الى أى من طرفى الاستقطاب العالمى فى زمن الحرب الباردة .

وكان السبب المباشر لتأميم القناة هو قرار البنك الدولى ثم الولايات المتحدة والمملكة المتحدة ، بسحب عروض بتمويل مشروع السد العالى ، وكانت الذريعة المعلنة لهذا القرار هى رفض مصر لشروط تقديم هذا التمويل . لكن الأسباب الفعلية الأهم قد تمثلت فى تناقض السياسة الخارجية الأمريكية فى الشرق الأوسط وعلى الصعيد العالمى مع السياسة الخارجية لمصر الناصرية ، وخاصة بعد ابرام الأخيرة صفقة الاسلحة التشيكية ، واعترافها بجمهورية الصين الشعبية ، ومقاومتها اقامة أحلاف غربية بالمنطقة (٢) .

فى قراءة التاريخ الاقتصادى لتأميم القناة وحرب السويس نركز على حساب تكلفة وعائد تأميم القناة انطلاقا من أن الهدف الاقتصادى المعلن لتأميم القناة هو توفير التمويل اللازم لتنفيذ مشروع السد العالي . كما نشير الى أبعاد ونتائج قوانين التمصير وفرض الحراسة على ممتلكات ، " الأعداء " ردا على العدوان الثلاثى وتجميد الأرصدة الاسترلينية المصرية فى لندن وغير ذلك من العقوبات الاقتصادية

التى اتخذتها بريطانيا وفرنسا ضد مصر ردا على تأميم القناة وفى سياق حرب السويس . ثم نتناول بالتحليل أبعاد وآثار توسع قطاع الأعمال المملوك للدولة فى اطار المؤسسة الاقتصادية ، سواء عن طريق التأميم والتمصير أو عن طريق تأسيس المشروعات الجديدة فى اطار برنامج السنوات الخمس للصناعة .

لقد تم تأميم قناة السويس مقابل تعويض مناسب وعادل لحملة الأسهم . وقد بلغ عدد أسهم شركة قناة السويس يوم ٢٥ يوليو ١٩٥٦، أى اليوم السابق لتأميم الشركة ، من : ٨٠٠ ألف سهم ، منها : أسهم رأسمال (بلغ سعر كل منها ٩٢ جنيها مصريا) ، وأسهم تمتع (بلغ سعر كل منها ٦٩ جنيها مصريا) ، وأسهم تأسيس مثلت ١٠٠ ألف حصة (بلغ سعر كل منها ٧٦ جنيها مصريا)، الى جانب حصص مدينة لم يذكرها قانون التأميم وكانت قد أنشئت فى عام ١٨٨٠ لتمثل ١٥٪ من صافى الارباح هى نصيب الحكومة المصرية من أرباح قناة السويس، (وقد بلغ سعر كل منها ٢٤ جنيها مصريا).

وتم الاتفاق النهائى فى جنيف يوم ١٣ يوليو ١٩٥٨، بشأن تعويضات المساهمين سدادا لحقوقهم ، التى بلغت قيمتها ٢٨,٣ مليون جنيه . وقد اتفق على ترك مبلغ ٥,٣ مليون جنيه لشركة السويس المالية ، ويمثل رسوم المرور التى حصلتها الشركة المؤممة فى لندن وباريس خلال الفترة مابين تأميم قناة السويس وبدء العدوان الثلاثى ، على أن يتم سداد باقى التعويضات على أقساط بدءا من أول يناير ١٩٥٩(٤ ملايين جنيه) ، ثم أول يناير ١٩٦٠ (٧ ملايين جنيه) ، ثم ٣ أقساط فى أول يناير ١٩٦١، وأول يناير ١٩٦٢ ، ثم أول يناير ١٩٦٣ (قيمة كل منها ٤ ملايين جنيه) (٣) .

وقد كان العائد الاقتصادى المباشر لتأميم شركة قناة السويس كبيرا بالقياس الى حصتها فى أرباح الشركة قبل التأميم والى الموارد المتاحة آنذاك لمصر . ويكفى أن نشير الى أن حصة مصر طبقا لاتفاقية عام ١٩٤٩ لم تتجاوز ٧٪ من اجمالى دخل قناة السويس ; أى نحو ٧٥٠ ألف جنيه من اجمالى الدخل البالغ ٣٢,٢ مليون جنيه فى عام ١٩٥٥. ولم تتعد قيمة تعويضات المساهمين – التى قدرت على أساس القيمة السوقية للاسهم – نحو ٢٨,٣ مليون جنيه ، أى نحو٦٧,٢٪ من دخل شركة قناة السويس فى عام ١٩٥٨وحده (٣) . كما يجدر أن نشير هنا الى أن دخل القناة قد ارتفع من ٣٥ مليون جنيه سنة ١٩٥٥، الى٨٥ مليون جنيه سنة ١٩٦٥(٤).

***

عقب حرب السويس مباشرة ، صدرت قوانين تمصير البنوك والشركات والوكالات التجارية أرقام ٢٢ و٢٣ و٢٤ لعام ١٩٥٧، ونصت على أنه منذ الآن فصاعدا فان ، جميع الأسهم تصبح مملوكة للمصريين" ، كما نصت على أن ، جميع أعضاء مجالس الادارة والمديرين لابد وأن يكونوا من المصريين " . وتقرر ان تكتمل عملية التمصير للشركات القائمة خلال خمس سنوات ، وأن تطبق هذه القوانين منذ البداية على جميع الشركات المساهمة الجديدة (٥) .

وفي عامي ١٩٥٥ ، ١٩٥٦ فان رؤوس اموال واحتياطيات البنوك التى خضعت للتمصير والحراسة مثلت ١٦,٢٪ ، و١٦,٤٪ من اجمالى رؤوس اموال واحتياطيات البنوك العاملة فى مصر ; ٣٧,٢٪ ، ٤٠٪ من اجمالى رؤوس اموال واحتياطيات البنوك الأجنبية فى مصر(٦). وفى عام ١٩٥٦ ، عملت فى مصر نحو ١٢٤ شركة تأمين أجنبية ، وسيطر رأس المال الأجنبى على ٤١٪ من اجمالى رؤوس اموال ١٣ شركة تأمين " مصرية " ، وبلغت حصة رأس المال البريطانى والفرنسى نحو ٦٦,٦٪ من نصيب رأس المال الأجنبى فى الشركات الأخيرة(٧).

وتتضح أهمية تمصير البنوك ليس فقط من دورها فى تحويل الموارد الى الخارج على حساب احتياجات الاستثمار فى التنمية والتصنيع ، وانما ايضا فى دورها السلبى الذى لعبته فى حرب السويس ، حين استخدمت سطوتها فى الجهاز المصرفى المصرى من أجل تشديد الضغوط الاقتصادية على مصر رغم اعتمادها الاساسى على ودائع المصريين . وكانت النتيجة الرئيسية لتمصير البنوك هى تعديل السياسة الائتمانية للبنوك ، بحيث تستجيب لمتطلبات التصنيع . وكما أشارت نشرة البنك الصناعى فى عام ١٩٥٧، فان السياسة الائتمانية للبنوك الأجنبية قد حابت الأجانب على حساب المصريين وان بغير ضمانات ، وشجعت البنوك التجارية على تمويل التجارة مع بلدان معينة (٨) .

فقد سيطرت البنوك التى خضعت لقرارات التمصير واجراءات الحراسة فى عامى ١٩٥٥و١٩٥٦، على حوالى٥٤٪ من اجمالى ودائع جميع البنوك التجارية ، و٣٢,٦ ٪ من اجمالى ودائع البنوك التجارية الأجنبية فى مصر . لكن تلك البنوك ركزت فى استخداماتها لهذا المكون الرئيسى من ثروة الأمة المتاحة للتوظيف على الاستثمارات قصيرة الأجل ، شاملة القروض التى قدمتها الى بعضها البعض . وبلغت حصتها نحو ٤٥,٩٪ من الاستثمارات المذكورة لجميع البنوك التجارية العاملة بمصر ، و٣٣,٥٪ من اجمالى تلك الاستثمارات للبنوك التجارية الأجنبية فى

مصر خلال نفس العامين . وقد نال الأجانب ٧١,٦٪ من النسبة الأولى ، و٦٦,٨٪ من النسبة الثانية .

وفى المقابل ، فإن ضعف اسهام تلك البنوك فى التنمية والتصنيع فى مصر يظهر فى أن استثماراتها طويلة الأجل – شاملة الاسهم والسندات – والذى لم يتعد نحو ٢٨,٩٪ و ٢٨,٢٪ من اجمالى تلك الاستثمارات فى مصر ، ونال الأجانب ٧١,٩٪ و٨٠,٢٪ منها (٩). كما يتضح ضعف اسهام تلك البنوك فى تأسيس الشركات الصناعية المساهمة ، من أن بنك مصر قد انفرد فى عام ١٩٥٦ بنحو ٩٤٪ من اجمالى نصيب جميع البنوك التجارية فى جميع الشركات المساهمة الصناعية . أضف الى هذا ، أن بنك مصر قد انفرد فى ذات العام بنحو ٧٢٪ من جميع الاستثمارات المصرفية طويلة الأجل فى مصر بدون حساب حصته فى سندات الدولة(١٠) .

٢-١ تأسيس دور المؤسسة الاقتصادية:

لقد كان دخل مصر من قناة السويس مصدرا هاما للتراكم الرأسمالى الذى وفر قوة دفع اساسية للدور الجديد للدولة فى دفع عملية التنمية والتصنيع بعد ثورة يوليو ١٩٥٢ ، وهو الدور الذى تجسد فى إقدام الدولة على تنفيذ عدد من المشروعات الاقتصادية الكبرى وفى قلبها السد العالى، كما كان نقطة تحول حاسمة فى تأسيس وتوسيع القطاع العام ، من جهة ، ومن جهة ثانية للمشروعات التى بادرت الدولة باقامتها بالمشاركة مع القطاع الخاص فى اطار المجلس الدائم لتنمية الانتاج القومى الذى أنشأته قيادة ثورة يوليو فور قيامها .

وقبل أيام من صدور قانون التمصير رقم ٢٠ لسنة ١٩٥٧ اتخذ قرار بانشاء ، المؤسسة الاقتصادية« التى انتقل اليها نصيب الدولة فى الشركات المساهمة وغيرها. وقد انيطت بها مسئولية استثمار اموال الدولة فى الصناعة وغيرها من فروع الاقتصاد سواء عبر التأسيس أو المشاركة فى التأسيس أو توسيع الشركات القائمة ، واعطى لها حق اصدار السندات وتلقى القروض الداخلية والخارجية لدفع النشاط الاقتصادى .

لدى بيع الشركات التى خضعت للتمصير والحراسة ، لم يسمح لأى مساهم بامتلاك ما يزيد على ٥٪ من اسهم أى شركة ، وبذلك احتفظت المؤسسة الاقتصادية بحصة مسيطرة من الاسهم فى جميع الشركات الهامة (١١). وهكذا ، بالاضافة الى

استحواذها على حصة ، الأعداء" فى ٢٠ شركة وبنكا ، امتلكت المؤسسة الاقتصادية معظم رأس المال فى ١٩ شركة وبنكا . وفى نهاية ١٩٥٧، بلغت قيمة رؤوس اموال الشركات التى ضمتها المؤسسة الاقتصادية ٥٧,٧ مليون جنيه ، منها ١٨,٥ مليون جنيه مثلت حصة الحكومة فى الشركات التى تأسست بمشاركتها ، و٢٤,٦ مليون جنيه مثلت حصة " الأعداء" فى الشركات التى تم تمصيرها (١٢) .

وأخذت المؤسسة الاقتصادية شكل الشركة القابضة ، امتلكت جزئيا او كليا رؤوس اموال ٦٤ شركة وبنكا، بينها : البنك الاهلى المصرى ، البنك العقارى المصرى ، شركة مصر للتأمين ، شركة التأمين الاهلية ، شركة مصر للغزل الرفيع بكفر الدوار ، شركة مصر البيضا ، شركة اسمنت بورتلاند بحلوان ، الشركة الشرقية للدخان ، الشركة المصرية العامة لتصنيع السكر ، وغيرها . والى جانب البنوك المذكورة اعلاه ، ضمت المؤسسة أربعة بنوك تجاريه هى : الجمهورية والقاهرة والاسكندرية والاتحاد ، حيث بلغت حصة الدولة فى رؤوس اموالها (عبر التأسيس أو التمصير) ٢٥٪ و ٤٥٪ و ١٠٠٪ و ٢٥٪ على الترتيب (١٣) .

وفي نهاية ١٩٥٧ كان اجمالى رؤوس اموال شركات المؤسسة ٥٧,٧ مليون جنيه منها ٧٧,٩٪ فى الصناعة . وفى نهاية ١٩٥٨ ، ضمت المؤسسة ٥٢ شركة صناعية بلغت رؤوس اموالها الاجمالية ١٠٤,٤٨ مليون جنيه امتلكت المؤسسة ٥٢,٩١ مليون جنيه منها ، أو ٦٧,٦٪ من اجمالى رؤوس الاموال التى امتلكتها المؤسسة فى جميع فروع الاقتصاد . ونالت الصناعات : الكيماوية والمعدنية والكهربية والسكر والسجائر ٧٩٪ من رأس المال الصناعى المملوك للمؤسسة ومثل رأس مال الشركات الصناعية التابعة للمؤسسة ٤٦,٩٪ من اجمالى رأس مال الشركات المساهمة الصناعية ، تراوحت حصة المؤسسة بين ٣٨,٨٪ و ٧٨,٩٪ من الشركات الصناعية ، وذلك كما يتضح من الجدول رقم (١) . ومع نهاية ١٩٦٠ أضحت المؤسسة الاقتصادية تضم ٦٤ شركة ، بلغ اجمالى رؤوس اموالها ٧١,٨ مليون جنيه ، منها ٧٩,٨٪ فى قطاع الصناعة ، وذلك كما يبين الجدول رقم(٢)(١٤) .

وقد كانت اجراءات التأميم والتمصير فى عامى ١٩٥٦و١٩٥٧ نقطة تحول فى تكون القطاع العام المصرى سواء بملكية الدولة للمشروعات المؤممة والممصرة أو بتوفير التمويل لتوسع قطاع الأعمال المملوك للدولة . فقد بلغ دخل الدولة عن طريق تأميم وتمصير رؤوس الأموال الانجليزية والفرنسية واليهودية فى الشركات

جدول (١)
توزيع ملكية ٦٤ شركة تابعة للمؤسسة الاقتصادية
فى نهاية عام ١٩٦٠

فئات ملكية المؤسسة الاقتصادية للشركات التابعة	عدد الشركات التابعة	رؤوس أموال الشركات التابعة (بالمليون جنيه)	حصة المؤسسة الاقتصادية فى رأس المال (٪)
١٠٠٪	١٤	١٣,٤٠	١٨,٨
٥٠٪ الى أقل من ١٠٠٪	٢٢	٣٢,٨٣	٤٦,١
٢٥٪ الى أقل من ٥٠٪	١٧	٢١,٠١	٢٩,٥
٥٪ الى أقل من ٢٥٪	١١	٣,٩٤	٥,٦

المصدر : المجلة الاقتصادية للبنك المركزى المصرى ، المجلد الأول ، العدد الثانى ، ١٩٦١، ص ص ٢٧٩ - ٢٨١ .

جدول (٢)
توزيع رؤوس أموال الشركات الصناعية المساهمة التابعة للمؤسسة الاقتصادية
حسب الفروع الصناعية فى نهاية عام ١٩٥٨

الفروع الصناعية	عدد الشركات	اجمالى رؤوس أموال الشركات التابعة		حصة المؤسسة الاقتصادية في رؤوس أموال الشركات التابعة			
		بالمليون جنيه	(٪)	بالمليون جنيه	(٪) من اجمالى رؤوس أموال جميع شركات المؤسسة	(٪) من رؤوس أموال الشركات الصناعية التابعة	(٪) من رؤوس أموال جميع الشركات الصناعية بالفرع
الكيماوية	٧	٢٤,١٥	٢٣,١	٩,٣٧	١٧,٧	٢٦,٢	٣٨,٨
المعدنية	٥	٢٠,٩٠	٢٠,٠	٩,٢٦	١٧,٥	٢٥,٩	٤٤,٣
البترولية	٣	٨,٠٢	٧,٧	٣,٧٨	٧,١	١٠,٦	٤٧,١
السكر والدخان	٤	١٦,٩٠	١٦,٢	٩,٩٩	١٨,١	٢٦,٨	٥٦,٧
التعدين	٦	٢,١٣	٢,٠	١,٦٨	٣,٢	٤,٧	٧٨,٩
الغزل والنسيج	٧	٤,١٧	٤,٠	٢,٠٧	٣,٩	٥,٨	٤٩,٦
اجمالى الصناعة	٣٢	٧٦,٢٧	٧٣,٠	٣٥,٧٥	٦٧,٦	١٠٠	٤٦,٩
اجمالى الاقتصاد	٥٢	١٠٤,٤٨	١٠٠	٥٢,٩١	١٠٠	-	٥٠,٦

المصدر : د. محمد دويدار . عن التخطيط الاشتراكى: بحث فى المشكلات الأساسية لتخطيط التنمية الاقتصادية فى مصر (الاسكندرية : المكتب الحديث ، ١٩٦٧) ، ص ١٨٦ .

ودخل الدولة من قناة السويس حوالى ٣٥ مليون جنيه فى عام ١٩٥٨. وقد مثل ذلك المبلغ نحو ٢٠٪ من اجمالى رؤوس الأموال المستثمرة فى الصناعة ، ونحو ١٢٣,٥٪ من اجمالى نصيب الدولة فى اجمالى الاستثمار القومى ، فى ذات العام(١٥) . كما ساهمت البنوك وشركات التأمين التابعة للمؤسسة والتى خضعت للتمصير أو الحراسة ، فى توفير التمويل الرئيسى لنشاطاتها .

وقد ساهمت بنوك المؤسسة بنحو ٤٥٪ من اجمالى عمليات البنوك التجارية . وفى الفترة من ١٩٥٦ حتى ١٩٥٨ قدمت ٨٢,٣٪ من اجمالى الاستثمار قصير الاجل و ٨٦,١٪ من الاستثمارات طويلة الاجل . بينما لم تتعد حصتها فى اجمالى الودائع ٧٦,١٪ وفى اجمالى رؤوس الاموال ٥٦,٧٪ . وبينما لم تزد الودائع فى بنوك المؤسسة نحو ٢٤,٧٪ فان حجم القروض التى قدمتها زاد بنحو ٣٨,٢٪ وزادت استثماراتها فى الاوراق المالية للشركات بنحو ١٠٠٪ (١٦) .

وفى نهاية ١٩٥٩ بلغت حصة شركات التأمين التابعة للمؤسسة الاقتصادية ٦٨٪ من اجمالى عمليات شركات التأمين فى مصر . وفى الفترة من ١٩٥٥ حتى ١٩٥٧، كانت تلك الشركات قد حققت اعلى معدلات الدخل فى هذا النشاط ، وزادت حصتها فى نشاط التأمين الشامل من ٤٩,٨٪ الى ٧٥,٢٪ وفى التأمين على الحياة من ٥٧,٧٪ الى ٨٧,٧٪ ، وارتبط هذا بزيادة استثماراتها فى الاوراق المالية للشركات مع عام ١٩٥٨ الى ٨,٨ ملايين جنيه وفى الاوراق المالية الحكومية الى ١٣,٨ ملايين جنيه وللمقارنة فان اجمالى الاستثمار فى جميع الاوراق المالية بلغ ٩,٢ ملايين جنيه (١٧).

والى جانب أثر التأميم والتمصير على تعظيم دور الدولة فى صنع السياسات الائتمانية والنقدية والاستثمارية ، فقد ساهم فى توفير موارد هامة استخدمت فى توسيع القطاع العام الصناعى . وهكذا ، فقد زادت الاستثمارات الجديدة للمؤسسة الاقتصادية من ٦,٨ مليون جنيه فى عام ١٩٥٧ الى ٢٥ مليون جنيه في عام ١٩٥٩، ونالت الصناعة ٧٠٪ من اجمالى استثمارات المؤسسة الاقتصادية . وعلى أساس تلك الاستثمارات أنشأت المؤسسة الاقتصادية ٣ شركات جديدة ، فضلا عن مشاركتها فى تأسيس ٥ شركات أخرى فى الصناعة التحويلية .

وقد عملت المؤسسة الاقتصادية على مواصلة تطوير الصناعات الثقيلة التى تأسست بمشاركة الدولة بعد عام ١٩٥٢، وامتد نشاط المؤسسة ليشمل جميع الفروع الصناعية بفضل التمصير والتأميم . وهكذا ، فقد تم انشاء الشركة العامة للبترول ،

التى مثلت أول شركة وطنية فى الصناعة لاستخراج النفط . ومع بداية عام ١٩٦٠، ظهرت بين منتجات الشركات الصناعية التابعة للمؤسسة الاقتصادية تشكيلة جديدة من المنتجات المصنعة فى سياق استراتيجية احلال الواردات ، ولأول مرة و بكفاءة أعلى جرى تصنيع بعض المواد الخام المحلية (١٨) .

وبعد تأميم القناة وحرب السويس ، سواء عبر توسيع نطاق التأميم ليشمل الرأسمالية المصرية فى الصناعة والبنوك وغيرها امتدادا لتأميم وتمصير رأس المال الأجنبى منذ عام ١٩٥٧، أو عبر الاستثمار الجديد امتدادا لبرنامج السنوات الخمس للصناعة الذى بدأ فى عام ١٩٥٧ ، صار القطاع العام مهيمنا على الاقتصاد القومى فى بداية السبعينات ، كما يوضح الجدول التالى :

جدول (٣)
وزن نشركات قطاع الأعمال العام فى الاقتصاد القومى
فى عام ١٩٧١-١٩٧٢

قطاعات الاقتصاد القومى	الناتج المحلى الاجمالى		العمالة	
الزراعة	٨٥٤,٦	٠,٦	٤٠٩,٧	٠,٣
الصناعة(عدا النفط)	٥٩١,٢	٦٢,٩	١٠٦٤,٢	٥٥,٢
البترول	٤٥,٢	٨٦,٧	٣٠,١	٩٢,٣
البناء والتشييد	١١٧,٢	٣٠,٨	٣٥٩,٧	٢٣,٦
النقل والمواصلات	١٤٧,٨	٢٦,٨	٣٨٨,٥	١٨,٨
التجارة والمال	٢٦٣,١	٤٧,١	٨٢٨,٩	١٦,٦
الاسكان والسياحة	٨٠٣,٠	٠,٨	١٨٣٤,٤	٠,٨
الاقتصاد القومى	٢٨٨٤,٠	٢١,٦	٨٦٧١,٥	١٠,٨

المصدر : تخطيط الانفتاح الاقتصادى ، خطة التنمية الاقتصادية والاجتماعية ١٩٧٨ - ١٩٨٢، المجلد الثالث (القاهرة : وزارة التخطيط ، ١٩٧٦) ص ص ٧٥ - ٨٥ .

(٢) الاقتصاد السياسى لحرب السويس

١-٢ انجازات التنمية المستقلة:

كان اعلان الاتحاد السوفيتى استعداده لتقديم المساعدة الكاملة لمصر فى بناء سد اسوان العالى بمثابة نقطة التحول الرئيسية وبداية تغير تاريخى فى هيكل العلاقات الاقتصادية الخارجية لمصر ، وفى توفير قوة الدفع للتوجه نحو خيار استراتيجية التنمية المستقلة . (١٩) وتلخص تجربة مصر الناصرية فى التصنيع المستقل أهم المنجزات والاخفاقات التى واجهت أهم محاولة للتنمية المستقلة فى العالم العربى ، وواحدة من أهم تلك المنجزات على الصعيد العالمى .

وقد ارتكزت تجربة مصر الناصرية للتنمية المستقلة من حيث التوجه الخارجى الى انهاء سيطرة رأس المال الأجنبى ، واستراتيجية التصنيع لاحلال الواردات ، وتقليص الارتباط بالسوق الرأسمالى العالمى ، وتوسيع الروابط مع اقتصادات الدول الاشتراكية ، وأما من حيث التوجه الداخلى ، فقد ارتكزت على الادارة المركزية البيروقراطية ذات التوجه الاشتراكى للاقتصاد ، واضعاف مراكز سيطرة رأس المال الخاص الوطنى فى الاقتصاد القومى عبر التأميم والتمصير والحراسة ، وتحقيق سيطرة قطاع الأعمال العام ، الى جانب السياسة الاقتصادية للدولة وبرامج الاستثمار القومى الواسعة خاصة فى الصناعة التحويلية ، وقد توفرت شروط أكثر مواتاة للتصنيع نتيجة سيطرة الدولة على النشاط المصرفى والتجارة الخارجية والنقد الأجنبى ، وصياغة الدولة لسياسات الاسعار والائتمان ، وسياسات التجميع والتسويق والائتمان التعاونى فى الزراعة . وشهدت ادارة الاقتصاد ارتقاء أشكال التخطيط الاقتصادى الحكومى من مجرد دراسة جدوى المشروعات (المجلس الدائم للانتاج القومى) ، الى صياغة برامج قومية للاستثمار الصناعى (برامج السنوات الخمس للصناعة) ، ثم الى وضع خطط التنمية الاقتصادية (الخطة الخمسية الأولى) .. الخ

والواقع أن تحقيق السيطرة الوطنية على المراكز الرئيسية للاقتصاد ، واقامة علاقات اقتصادية خارجية متوازنة ومواتية لدفع التصنيع ، وتوفير الشروط المواتية للدور القيادى للقطاع العام فى التصنيع ، واعادة صياغة مجمل السياسة الاقتصادية، وارتقاء اشكال التخطيط الاقتصادى ، وغير ذلك من ركائز التصنيع المستقل قد استجاب بدرجات متزايدة لمتطلبات التصنيع ، وقد أمن ارتقاء أشكال التخطيط

الاقتصادى ، درجة أعلى من النمو المتناسب والمتوازن والمتكامل للصناعة والاقتصاد ، وذلك قبل ان تدخل استراتيجية احلال الواردات مأزق تطورها اللاحق فى مصر ، كما فى غيرها من البلدان النامية التى عجزت عن التحول فى الوقت المناسب الى التصنيع التصديرى، وقد سمح اقتصاد التخطيط المركزى ، أو اقتصاد الأوامر بتحسين شروط تقديم الائتمان واستيراد المستلزمات وتوفير النقد الاجنبى والامداد بالخامات الزراعية ... الخ ، لمصلحة القطاع العام الذى قاد عملية التصنيع، وذلك فى مرحلة صعوده .

ونلاحظ بداية أن عمليات التأميم والتمصير للمؤسسات الاجنبية فى مصر وبخاصة فى مجالات المال ، والصناعة والتجارة الخارجية ، لم يكن لها أن تعنى فى ذاتها انجاز الاستقلال الاقتصادى باعتباره عملية تاريخية طويلة لتغيير البنية الصناعية والاقتصادية المتخلفة والتابعة الموروثة ، من جانب ، وبافتراض رشادة وامكانية تحقيق ذلك الهدف فى السوق المصرى الضيق . لكن انهاء سيطرة رأس المال الأجنبى مثلت مقدمة ضرورية لتعبئة الموارد الوطنية اللازمة للتصنيع والتنمية ، ومكنت من صياغة السياسة الاقتصادية بما استجاب لضرورات التسريع بعملية التصنيع وخاصة عبر تنويع العلاقات الاقتصادية الخارجية واضعاف مشروطية توريد الآلات والمعدات والتكنولوجيا الأحدث . وهكذا ، أمكن ليس فقط تلقى المساعدة من الاتحاد السوفيتى وغيره من البلدان الاشتراكية فى بناء مؤسسات التصنيع الاساسية ، بل وتحقيق المساهمة الغربية فى عملية التصنيع وفق افضل الشروط التى عرفتها مصر (٢٠) .

وفى اطار القطاع العام الصناعى تزايد عدد العمال الصناعيين ، وتعاظم تركز رأس المال والانتاج وقوة العمل ، واتسع استخدام الاساليب التكنولوجية الحديثة فى الانتاج ، وارتفعت انتاجية العمل فى المؤسسات الصناعية الكبيرة بالمراكز الصناعية القديمة والجديدة ، وأنتج الحديد والصلب لأول مرة باستخدام الخامات الأولية المحلية بدلا من اعادة تصنيع ، الخردة« ، وتم تصنيع العديد من المنتجات الجديدة على أساس الاستخدام الاكثر رشادة للخامات المحلية ، وتنامى التخصص وتقسيم العمل داخل الصناعة والاقتصاد ، وتوسعت السوق الداخلية .

وهكذا ، فى عام ١٩٧٠/ ١٩٧١، على أساس تصنيفنا للصناعة التحويلية الى صناعات ثقيلة وصناعات خفيفة ، نلاحظ أن الاولى قدمت ٤٥ ٪ من القيمة المضافة الاجمالية للصناعة التحويلية (٢١). ونشير بشكل غير مباشر الى اسبقية

تطـور الصناعـة الثقيلـة ، تراجـع نصيـب فـروع الصناعـات الاسـتهلاكية (الغذائيـة والغزل والنسيج) فـى القيمـة الاجماليـة المضافـة الصناعـة التحويليـة ، حيث هبـط نصيب المصانع التى يعمل بهـا عشـرة مشـتغلين فـأكثر فـى الفرعيـن الأخـيرين مـن ٦٤,٥ ٪ الى ٤٣,٢ ٪ بين عامى ١٩٦٠ و١٩٧٠/ ١٩٧١(٢٢) .

وفـى عـام ١٩٧٠ / ١٩٧١ بلـغ نصيـب مؤسسـات القطـاع العـام مــن العمالــة والانتاج فى المؤسسات الصناعية التى يعمل بهـا عشـرة عمـال فـأكثر ٨٠ - ٩٠ ٪ فـى الصناعـات الثقيلــة ، و٩٠ - ١٠٠ ٪ فــى صناعــات الاســتخراج والتعديــن ، والحديـد والصلـب ، ومعـدات النقـل ، والصناعـــات الهندسـية والاليكترونيــة ، والصناعات الكيماوية ، والصناعات البتروكيماوية وتكرير النفط ... الخ الـى جـانب الطاقة الكهربائية (٢٣) .

وباختصار ، فقد كان ما تحقق من انجازات فـى مجـال توسـع وتطـور الصناعـة الحديثة ثمرة - من حيث الاسـاس - لـبرامج وخطـط الاسـتثمار الطموحـة الواسـعة التى نفذها القطاع العام ،الذى ساهم بشكل رئيسـى فـى تحقيـق كـل مـا عرضنـا مـن انجازات التصنيـع حيـث اقيمـت علـى عاتقـه أهـم المشـروعات الجديـدة فـى الفـروع الاساسية للصناعة ، وذلك كما يتضح من الجدول التالى :

جدول رقم (٤)
توزيع الاستثمار القومى حسب الفروع الصناعية ١٩٦١/٦٠ - ١٩٧٠/٦٩
(بالأسعار الجارية)

الفروع الصناعية	١٩٦١/٦٠- ١٩٦٥/٦٤		١٩٦٦/٦٥- ١٩٧٠/٦٩		١٩٦١/٦٠- ١٩٩٠/٦٩	
	مليون جنيه	(٪)	مليون جنيه	(٪)	مليون جنيه	(٪)
التعدين والبترول	٥٧,٤	١٤,٢	١١٤,٧	٢٢,٦	١٧٢,١	١٨,٩
الأغذية والدخان	٣٩,٤	٩,٧	٦٥,٦	١٢,٩	١٠٥,٠	١١,٥
الغزل والنسيج والملابس	٥٤,٦	١٣,٥	٣٠,٦	٦,٠	٨٥,٢	٩,٣
الأخشاب والأثاث	٠,٧	٠,٢	٠,٢	٠,١	٠,٩	٠,١
الورق	١٥,٤	٣,٨	١١,٢	٢,٢	٢٦,٦	٢,٩
الطباعة	٤,٢	١,١	١,٤	٠,٣	٥,٦	٠,٦
الجلود	٠,٤	٠,١	٦,٥	١,٣	٦,٩	٠,٨
الكاوتشوك	٢,٦	٠,٦	١,٩	٠,٤	٤,٥	٠,٥
الكيماويات والأدوية	٥١,٥	١٢,٦	٥١,٦	١٠,٢	١٠٣,١	١١,٣
البتروكيماويات والكوك	٥٢,٢	١٢,٩	٣٥,٧	٧,٠	٨٧,٩	٩,٦
مواد البناء (١)	٣,٥	٠,٩	٣٤,٤	٦,٨	٣٧,٩	٤,٢
الحديد والصلب والمعادن	٣٢,٤	٨,٠	٨١,٦	١٦,٠	١١٤,٠	١٢,٥
معالجة المعادن	٦,٧	١,٧	٢,٤	٠,٥	٩,٠	١,٠
الآلات(٢)	٨,٧	٢,١	٢,٢	٠,٤	١٠,٩	١,٢
الأجهزة الكهربائية	٩,٧	٢,٤	٩,٥	١,٨	١٩,٢	٢,١
معدات وسائل النقل	٢٢,٢	٥,٥	٢٣,٣	٤,٦	٤٥,٥	٥,٠
أخرى (٣)	٤٢,٤	١٠,٥	٣٥,٣	٦,٩	٧٧,٧	٨,٥
اجمالي الصناعة	٤٠٣,٩	١٠٠	٥٠٨,١	١٠٠	٩١٢,٠	١٠٠

المصدر: د. حسن محمود ابراهيم . التغيرات الهيكلية فى الاقتصاد المصرى وأثره على تكوين رأس المال (القاهرة : معهد البحوث والدراسات العربية ، ١٩٧٥). (١) تشمل معالجة الخامات غير المعدنية . (٢) تشمل اصلاح الآلات والمعدات والأجهزة . (٣) تشمل ٣,٢ مليون جنيه لحلج وكبس القطن .

واذا كان ماسبق يعكس واقع التقدم على طريق التصنيع بالمعنى الضيق ; أى تطور الصناعة الحديثة ، فان انجازات مهمة تحققت ايضا من منظور التصنيع بالمعنى الواسع : أى تطور القطاعات الاخرى . ونكتفى هنا بالاشارة الى دور السد العالى من ناحية فى التطوير الهائل لانتاج الكهرباء الرخيصة (أهم فروع البنية الاساسية الانتاجية) على أساس الاستخدام الاوسع للمصادر المائية ، وما ارتبط بهذا من انشاء اول شبكة كهربائية موحدة للبلاد استخدمت احدث تكنولوجيا آنذاك ، ومن ناحية اخرى فى الامكانات الهائلة التى اتاحها التخزين القرنى لمياة النيل امام السد العالى ، من أجل تطوير الزراعة المصرية (أهم قطاعات الانتاج مع الصناعة) ، بما اتاحه هذا من توسع افقى باستصلاح المزيد من الاراضى وتوسع رأسى بالتحول الي الرى الدائم الى جانب حماية الانتاج الزراعى من مخاطر الجفاف أو الفيضان ... الخ (٢٤) .

والواقع أنه الى جانب انجازات التصنيع بمعناه الضيق ، فقد مثل بناء السد العالى واحدا من أهم انجازات التصنيع بمعناه الواسع فى مصر الناصرية ، وبالذات باقامة قاعدة الطاقة الحديثة الضرورية للتصنيع ، عبر أقصى استخدام ممكن لمصادر الطاقة المائية الأقل تكلفة والأنظف بيئيا . وهكذا فى عام ١٩٧٤، كانت الطاقة الكهربائية المستخدمة من السد العالى وحده مساوية لحجم الطاقة المولدة من جميع المصادر الحرارية والمائية فى عام ١٩٦٥. وفى عام ١٩٧٤، أنتجت محطة كهرباء السد العالى ٤٤٥٩ مليار كيلووات/ساعة ، وهو ما مثل ٥٢,٩٪ من كل الطاقة الكهربائية المنتجة فى مصر . وقد أزاح بناء السد العالى واقامة محطته لتوليد الطاقة الهيدروليكية ، وانشاء أول ، شبكة موحدة للكهرباء « فى مصر ضمن مشروع السد العالى ، واحدة من أهم العقبات امام تطور الصناعة . وهكذا ، فقد زاد استهلاك الصناعة للكهرباء من ٤٧٠ مليون كيلووات/ساعة فى عام ١٩٥٢ الى ٣٨٧٥,١ مليون كيلووات/ساعة فى عام ١٩٧٢/١٩٧١ أو ما يساوى ٨,٢ مرات . وبحيث كان نصيب الصناعة من استهلاك الكهرباء المنتجة في البلاد ٦٣,١٪ من اجمالى الطاقة فى عام ١٩٧٢/٧١ .

وفى بداية السبعينيات ، كان قد تم مد ١٥٧٥ كم من خطوط نقل الكهرباء ذات الضغط العالى (٥٠٠ كيلووات) والتى تساوى قدرتها ١٠٠٪ من الخطوط الموجودة فى مصر آنذاك ، لتشغل بذلك المركز الثالث فى العالم – بعد الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة الامريكية – فى استخدام خطوط الضغط العالى . كما تم مد حوالى ٢٦١,٢ كم من الخطوط بضغط ٢٢٠ كيلووات و ٥٠٧ كم بضغط ١٣٢

كيلووات ، تمثل طاقتها ٣٠٪ و ٤٨٪ على التوالى من الخطوط المماثلة القائمة آنذاك فى مصر . وأنشئت محطات فرعية لتحويل الكهرباء بضغط ٥٠٠ و٢٢ و١٣٢ كيلووات وصل عددها الى ٥٦٪ من اجمالى عدد محطات التحويل القائمة فى مصر فى ذات العام . والى جانب تلبية احتياجات التصنيع والتحضر بفضل الطاقة الكهربائية التى ولدتها محطة كهرباء السد العالى ، وصلت الكهرباء الى ٣٨٨٢ قرية مصرية، أو حوالى ٧٢٪ من عدد القرى المصرية (٢٥) .

٢-٢ اخفاقات اقتصاد الأوامر:

منذ منتصف الستينيات كانت قد تفاقمت المشكلات ، الداخلية والخارجية ، الاقتصادية وغير الاقتصادية ، التى وقفت بوجه مشروع التصنيع المستقل ، سواء بسبب عدم واقعية وعدم رشادة وعدم عملية المشروع ذاته ، أو بسبب تعاظم قيود اقتصاد الأوامر وخاصة من زاوية متطلبات تعظيم الكفاءة . وبطبيعة الحال ، فان العدوان الاسرائيلى فى عام ١٩٦٧ كان سببا رئيسيا فى تفاقم مشكلات التصنيع ، ضغطا فى اتجاه التراجع عن محاولة التصنيع المستقل ، وفاقم أزمة تمويل التصنيع

ويتضح قصور انجازات التصنيع سواء من زاوية فلسفة التنمية المستقلة أو من زاوية ارتقاء الهيكل الصناعى من انخفاض انتاج وسائل الانتاج ، وغياب صناعة انتاج الآلات . إذ وفقا لتصنيفنا للانتاج الصناعى حسب الفروع على أساس احصاء الانتاج الصناعى لعام ١٩٧٤، فقد بلغ نصيب الفروع المنتجة لوسائل الانتاج نحو ٤٦ ٪ من قيمة انتاج جميع المصانع ، و٤٨ ٪ من انتاج مصانع القطاع العام الذى قدم من نحو ٩٠ - ١٠٠ ٪ من انتاج أهم هذه الفروع . لكننا نلاحظ أن غزل القطن ودقيق القمح - باعتبارهما مستلزمات للانتاج اللاحق - قد قدما ٤٦,٢ ٪ من الانتاج الاجمالى لوسائل الانتاج (٢٦) . ورغم بناء مقدمات صناعة الآلات وظهور بدايات انتاج هذه الصناعة فلم تدرك محاولة التصنيع تطورها المنطقى والتاريخى بخلق بنية صناعية متكاملة قادرة على أن تؤمن (بالنسبة لقطاع الصناعة ولغيرها من القطاعات) امكانية النمو الذاتى مرتفع الكفاءة والانتاجية على أساس قومى .

وتكشف المقارنة بين تطور مؤشرات التنمية والتصنيع فى كل من مصر وكوريا عن استنتاجين أساسيين . أولهما ، أن استراتيجية التصنيع لاحلال الواردات قادت الى انجازات متقاربة للبلدين حتى بداية السبعينات ; بدعم سوفييتى ودور مهيمن للدولة فى اقتصاد مخطط وبدور رئيسى للقطاع العام الصناعى فى حالة مصر ،

وبدعم غربى وتدخل واسع للدولة فى اقتصاد سوق تتعاظم روابطه بالاقتصاد العالمى وبدور رئيسى لرأس المال الصناعى الوطنى فى حالة كوريا . وثانيهما ، أن التحول الى التصنيع التصديرى ، وارتقاء التصنيع وخاصة باقامة صناعة الآلات ، الى جانب المعطيات الأخرى المذكورة قاد الى التفوق اللاحق المتسارع للنموذج الكورى للتنمية الرأسمالية خارجية التوجه على النموذج المصرى . والأمر أن مصر لم تتجاوز جذريا نموذج التنمية والتصنيع فى مصر الناصرية حتى نهاية الثمانينات ; رغم مأزق استراتيجية احلال الواردات واستنفاد امكانات اقتصاد الأوامر منذ منتصف الستينات ، ورغم اعلان ضرورة التحديث التكنولوجى بالانفتاح الاقتصادى – عبر التجارة والاستثمار – على الغرب منذ منتصف السبعينيات (٢٧) .

وهكذا ، على حين قفز الناتج المحلى الاجمالى لكوريا الجنوبية من ٣٨١٠ مليون دولار فى عام ١٩٦٠ الى ٦٥٧٥٠ مليون دولار فى عام ١٩٨١ ثم الى ٢٣٦٤٠٠ مليون دولار فى عام١٩٩٠ ، فان الناتج المحلى الاجمالى لمصر فى ذات السنوات زاد من ٣٨٨٠ مليون دولار فى عام ١٩٦٠ (نفس الناتج الكورى تقريبا) الى ٢٣١١٠ مليون دولار فى عام١٩٨١ (نحو ٣٥٪ من الناتج الكورى) ولم يتعد ٣٣٢١٠ مليون دولار فى عام ١٩٩٠(١٤,٠٪ فقط من الناتج الكورى) .

وبينما زادت القيمة المضافة للصناعة التحويلية فى كوريا الجنوبية من ٢٣٤٦ مليون دولار فى عام ١٩٧٠، الى ٩٨٤٣ مليون دولار فى عام ١٩٨٠، ثم قفزت الى ٦٦٢١٥ مليون دولار فى عام ١٩٩٠، فان هذه القيمة زادت فى مصر من ١٨٣٥ مليون دولار فى عام ١٩٧٠(٧٨٪ من القيمة الكورية) الى ٤٢٠٤ مليون دولار فى عام ١٩٨٠(أى تراجعت الى ٧ر٤٣٪ من القيمة المضافة للصناعة التحويلية الكورية) ثم ٥٣١٤ مليون دولار فى عام ١٩٩٠(تدهورت الى ٨٠,٠٪ فقط من القيمة المضافة للصناعة التحويلية الكورية) .

وعلى حين زادت حصة القيمة المضافة للصناعة الى الناتج المحلى الاجمالى لكوريا الجنوبية زادت من ٢٥٪ فى عام ١٩٦٥ الى ٤٥٪ فى عام ١٩٩٠. وارتبط هذا بارتفاع نسبة القيمة المضافة لصناعات الآلات والمعدات من ١١٪ الى٣٠٪ ، وانخفاض هذه النسبة للصناعات الغذائية من ٢٦٪ الى ١٢٪ ، ولصناعات المنسوجات والملابس من ١٧٪ الى ١٤٪ ، وذلك الى اجمالى القيمة المضافة للصناعة التحويلية . وقد زادت النسبة الأولى لمصر من ٢٧٪ الى ٢٩٪ واستمرت

ثابتة نسبة القيمة المضافة لصناعات الآلات والمعدات عند ٩٪ ، وزادت للصناعات الغذائية من ١٧٪ الى ٣١٪ ، وتراجعت للمنسوجات والملابس من ٣٥٪ الى ١٦٪ ، وذلك الى إجمالى القيمة المضافة للصناعة التحويلية المصرية بين ذات العامين(٢٨).

بيد أن المأزق الذى دخلته محاولة التصنيع المستقل فى العهد الناصرى ، وإن أبرز أن ارتقاءه كان يتوقف على ازاحة قيود اقتصاد الأوامر ، فانه لا ينقص فى تقديرنا من شأن انجازاته فى ظل الظروف المحلية والعالمية والإقليمية التى احاطت به . ويتأكد هذا الاستنتاج من رصد نقاط انطلاق هذه المحاولة كما تبينها أوضاع التصنيع فى مصر قبل ثورة ١٩٥٢ .

بيد أن هذا لا ينقص من قيمة انجازات عملية التصنيع التصنيع فى العهد الناصرى . ويظهر هذا من التعرف على المقدمات التى انطلقت منها تلك العملية . فقد تطورت صناعة رأسمالية حديثة فى مصر قبل عام ١٩٥٢، وقد توطنت هذه الصناعة فى المدن الصناعية التجارية الكبيرة نسبيا ، وتقدمت فيها عمليات تركز رأس المال والانتاج وقوة العمل . وبقدر تطور التصنيع الرأسمالى لم تعد مصر مجرد ملحق زراعى ينتج القطن للسوق الرأسمالى العالمى ، لكن ما تطور لم يكن سوى تصنيع رأسمالى مشوه وتابع ومتخلف . وهكذا، فان الصناعة الرأسمالية الكبيرة التى ظهرت فى مجرى التصنيع الرأسمالى لم تتمكن من تصفية أشكال الانتاج الحرفية واليدوية ماقبل الرأسمالية ، واستمر إنتاج القطن يتم أساسا لأغراض التصدير ، ولم تعرف البلاد تقدما فى الصناعة الثقيلة ، ولم يتجاوز نصيب الصناعة ٦ر٩٪ من الناتج المحلى الاجمالى (٢٩) .

وقد تمثلت القيود الثقيلة التى كبحت تطور التصنيع الرأسمالى الذى بدأت محاولته فئة قومية من رواد الصناعة بقيادة بنك مصر فى الموقف المعادى لتطور الصناعة الرأسمالية الحديثة من قبل الاحتلال البريطانى تكريسا للنهب الاستعمارى لمصر ، واضعاف البورجوازية المصرية الفتية من قبل الاحتكارات الأجنبية المسيطرة فى الصناعة والمال والتجارة الخارجية . أضف الى هذا، أن استمرار البقايا الثقيلة للعلاقات شبه الاقطاعية فى الريف كان عائقا رئيسيا أمام تقدم التصنيع الرأسمالى فى المدن نتيجة ما خلقته من صعوبات أمام عمليات تسويق المنتجات وتمويل النشاط. فقد اصطدم الانتاج الصناعى الكبيربمشكلات ضيق سوق السلع فى الريف حيث هبطت للحضيض القدرة الشرائية للغالبية الساحقة من المصريين ، وخاصة

المشتغلين بالزراعة سكان الريف ،ولكن أيضا المشتغلين بالصناعة والخدمات سكان المدن . ومن ناحية أخرى ، فان كبار ملاك الأرض أشباه الاقطاعيين قد بددوا ثروة الأمة النقدية ، التى تجمعت فى أيديهم مع توسع زراعة القطن ، على شتى انماط الاستهلاك غير الانتاجى أو فى الاستثمارات شبه الربوية والمضاربة على الأرض ، وفاقموا - من ثم - مشكلة ضيق سوق رأس المال المتاح للتوظيف الصناعى .

وفى نهاية الأربعينيات ، فإن البورجوازية المصرية ، رغم امتلاكها نحو ٤١٪ من اجمالى رؤوس أموال الشركات المساهمة الصناعية استمرت القسم الأضعف فى البورجوازية الكبيرة فى مصر (٣٠) . وتشكلت نخبة البورجوازية المصرية الكبيرة من عدد محدود من الأفراد ، وجمعت فى الوقت نفسه بين الانشطة : التجارية الاستيرادية ، والزراعية شبه الاقطاعية ، والعقارية المضاربة ، والمالية الربوية ، وبين النشاط الصناعى الرأسمالى ، مع غلبة الأنشطة الأولى على نشاطها الأخير . ودخلت هذه النخبة فى اتحادات احتكارية ، وإن غير متكافئة مع رأس المال الاجنبى ، وهى الاحتكارات التى أعاقت تطور الصناعة الحديثة فى مصر بقدر ماقيدت الانتاج والمنافسة والتحديث والانتاجية ... الخ .

إن مصر لم تعرف الطريق الثورى لميلاد رأس المال الصناعى ، إذ يتحول الحرفى الى صاحب مانيفاتورة ثم الى صاحب مصنع مما حد من طاقاتها الثورية الطموحة الى استكمال الثورة الصناعية ، والقادرة على تحقيق الانتصار لأسلوبها الانتاجى . ورغم هذا فقد تمكنت البورجوازية الصناعية المصرية من تخفيف القيود الاستعمارية الاقطاعية التى تقيد نشاطها وذلك بأساليب الصراع والمساومة . بيد أن النخبة المسيطرة فى هذه الطبقة لم تكن راغبة أحيانا وعاجزة أحيانا أخرى عن ازالة الحواجز على طريق التطور اللاحق للصناعة الرأسمالية الحديثة ; أى هيمنة كبار ملاك الأرض أشباه الاقطاعيين فى اقتصاد مصر الزراعى ، والسيطرة الاستعمارية والاحتكارات الأجنبية على النمط الذى عرفته المستعمرات وأشباه المستعمرات ، حيث كانت تلك النخبة متوحدة أو شريكة أو متحالفة مع هؤلاء بالذات . ويكشف التحليل العميق للأزمة الصناعية التى تفاقمت فى بداية الخمسينيات - بعد تراجع قوة الدفع التى ولدتها ظروف الحرب العالمية الثانية ثم الحرب الكورية - عن أنها كانت نتاجا للتناقض الذى دخل فيه تطور الصناعة الرأسمالية الحديثة مع علاقات التبعية شبه الاستعمارية ، والعلاقات الزراعية شبه الاقطاعية .

وباختصار ، فان خصائص تطور الرأسمالية فى الصناعة المصرية ، والعقبات الاستعمارية الاقطاعية أمام هذا التطور ، والتركيب المتناقض للبورجوازية الصناعية المصرية ، والسياسة الاقتصادية غير المواتية للمتطلبات الأساسية لتطور الصناعة ... الخ تبرز بين أهم مقدمات ثورة ٢٣ يوليو، التى جرت من أعلى وتدريجيا بقيادة جمال عبد الناصر. وقد فتحت الثورة الطريق أمام تطور الرأسمالية فى صناعة مصر ، بدءا من قانون الاصلاح الزراعى ، وعمليات التمصير والتأميم، وتشجيع الرأسمالية الصناعية المصرية ، ثم بقيام القطاع العام الصناعى ، أهم الحواجز على طريق تصنيع مصر .

خاتمة :

لقد كانت أهم دوافع قرار جمال عبد الناصر بتأميم قناة السويس هى دعم الاستقلال السياسى، وتوطيد النظام السياسى لثورة يوليو ١٩٥٢، وتعزيز الدور الجديد للدولة فى دفع التنمية الاقتصادية . وتمثلت أهم النتائج التى ترتبت على مقدمات وتداعيات قرار تأميم قناة السويس فى : سيطرة القطاع العام على النشاط الاقتصادى عن طريق التأميم والاستثمار; ودعم النظام الناصرى السلطوى بالارتكاز الى هيمنة اقتصاد الأوامر ، وتعديل خريطة العلاقات الاقتصادية الخارجية لمصر بتوسيعها مع الكتلة السوفيتية الاشتراكية . كما شهدت الأيديولوجية الناصرية تحولا نوعيا بعد الانتصار السياسى التاريخى الذى تحقق بقرار تأميم قناة السويس ، واندحار العدوان الثلاثى فى عام ١٩٥٦، وخاصة بالارتكاز الى فلسفة التنمية المستقلة ، وخيار التوجه الاشتراكى ، وتدشين عبادة الفرد .

وفى تقديرنا أن تجاوز المأزق الذى دخلته محاولة التصنيع المستقل كان يتوقف على ازاحة قيود اقتصاد الأوامر والانفتاح على السوق العالمى . واذا كان هذا المأزق لاينقص من شأن انجازات التنمية والتصنيع فى مصر الناصرية فى ضوء نقاط انطلاق هذه المحاولة كما أوضحناها بعرضنا السابق لأوضاع التصنيع فى مصر قبل ثورة ١٩٥٢، وفى ظل الظروف العالمية والاقليمية التى أحاطت به وخاصة الحرب العالمية الباردة والصراع العربى الاسرائيلى.

وقد شهدت مصر تحولات داخلية هائلة خلال ربع القرن الأخير منذ وفاة جمال عبد الناصر بدءا من اعلان سياسة الانفتاح الاقتصادى منذ منتصف السبعينات وحتى تسارع التحول الاقتصادى الليبرالى فى منتصف التسعينات . كما سقط النظام العالمى لما بعد نهاية الحرب العالمية الثانية ، وتسارعت عملية تشكل نظام عالمى

جديد لما بعد نهاية الحرب العالمية الباردة ; أى تغيرت نوعيا البيئة العالمية المحددة للاختيارات الاستراتيجية ، الاقتصادية والسياسية والأيديولوجية ، في مصر وغيرها من الدول النامية .

ورغم هذا ، لا تزال مصر مشغولة بجدال قومى حول الخيارات الاستراتيجية التى كشفت عنها أو قادت اليها أحداث تأميم القناة وحرب السويس ، بصدد غايات وآليات تحقيق : التنمية الاقتصادية ، والأمن القومى ، والتقدم الشامل .

وأول تلك الخيارات هو : التباطؤ فى خصخصة قطاع الأعمال العام أم الاستكمال المتسارع لبرنامج الخصخصة ؟ اطلاق الحرية للاستثمار الأجنبى المباشر أم استمرار المخاوف من السيطرة الاقتصادية الأجنبية؟ تعديل دور الدولة جذريا بما يتوافق مع المرتكزات الجوهرية لاقتصاد السوق أم تكريس هيمنة الدولة فى الاقتصاد وإن بدرجة تقل قطعا عن حالها فى ظل اقتصاد الأوامر فى العهد الناصرى ؟

وثانيها : استمرار القيود على التوجه الخارجى للتنمية ; أم الاندماج فى التخصص الانتاجى العالمى؟ الارتقاء بالتنافسية التجارية عن طريق رفع الكفاءة والانتاجية والتعليم والتحديث التكنولوجى; أم الارتكاز الى آليات الحماية لمواجهة تحديات وتهديدات تحرير التجارة ، الذى تدفع اليه الاتفاقيات النهائية لجولة أورجواى وبرنامج الاصلاح الاقتصادى المصرى ؟ تطوير التصنيع التصديرى والارتقاء بنمط تخصص ومستوى تحديث الصناعة المصرية على أساس قدراتها التنافسية القائمة والممكنة وبناء أسس الاعتماد الاقتصادى العالمى المتبادل والمتكافئ: أم التوجه الداخلى للتصنيع وتكريس التأخر الصناعى التكنولوجى وعدم الاندماج فى التخصص الانتاجى الدولى خشية التبعية ؟

وثالثها : تعظيم القدرة الاقتصادية كركيزة لمواجهة التهديد الرئيسى للأمن القومى المصرى، على جميع مستوياته وبكل مكوناته ، أى ضعف وتأخر القدرة الاقتصادية والصناعية والتكنولوجية ; أم البقاء فى أسر مفهوم للأمن القومى ، يبالغ بشأن تهديدات التبعية ، ويتجاهل المخاطر الأشد لتكريس أسباب التهميش على الخريطة الاقتصادية العالمية ، ويحرم الاقتصاد الوطنى من فرص ومكاسب التخصص الاقتصادى والانتاجى العالمى ؟

وفى محاولة الاجابة بايجاز على هذه الأسئلة ينبغى فى تقديرنا الانطلاق من معطيات مابعد نهاية الحرب العالمية الباردة ، حيث تسارعت عملية اعادة تشكيل النظام العالمى ، بأبعاده الاقتصادية وغير الاقتصادية ، وهي العملية التي تعيد تشكيل الأوضاع الاقليمية والمحلية في كل مكان ، بما فى ذلك تلك الأوضاع المؤثرة على عمليات التنمية والتصنيع . ولا يخفى أن مقدمات وتداعيات نهاية الحرب الباردة - أى مجمل المتغيرات العالمية التي تجسد في تفاعلها المتبادل عملية تشكل النظام العالمى الصاعد - تحمل تحديات كما تتيح فرصا للتصنيع في مصر والعالم بأسره ، خاصة بلدانه النامية . وإذ نسلم بأن ثمة مصداقية في القول بتشكل نظام عالمي جديد ، فانه يتوجب أن نبحث تأثيرات المتغيرات التي تجسد جوهر هذا الجديد وخاصة من منظور انعكاساته على عمليات ومحاولات التصنيع في مصر وغيرها من البلدان خاصة النامية المتطلعة الى اللحاق بالثورة الصناعية التكنولوجية المتسارعة .

وفى رأينا أن هذه المتغيرات تفرض ضرورة ما يمكن أن نسميه «التأقلم الايجابى» مع هذا النظام العالمى الصاعد ، بما يتيحه من فرص ومكاسب . ونرى أن الخيار البديل هو «التلقي السلبي» لما تنذر به هذه المتغيرات من مخاطر وخسائر، وذلك فى حالة البقاء فى أسر القلق دون فعل ايجابى ، أو فى أسر الرفض دون تبنى بديل عملى . ويتضمن هذا «التأقلم الايجابى» - ضمن ما يتضمن - ضرورة إعادة صياغة استراتيجيات وسياسات التصنيع ، التي تبنتها مصر بعد حرب السويس وتحقيق استقلالها السياسى مثل العديد من بلدان الجنوب فى النظام العالمي الآفل . وعلى مصر إذا أرادت الارتقاء بالتصنيع أن تحسم خياراته الاستراتيجية انطلاقا من التشخيص الدقيق للمتغيرات والتحولات فى البيئة العالمية والاقليمية الجديدة ، وفى اطار رؤية استرتيجية شاملة لما يتولد عنها من تحديات مؤثرة على خيارات التصنيع .

وباختصار ، بعد أربعين عاما من حرب السويس ، وفى ضوء القراءة السابقة لانجازات واخفاقات تجربة مصر للتنمية المستقلة ، وفى ظل البيئة العالمية المتغيرة، فان تحقيق أهداف مصر فى التنمية والتصنيع ، والتقدم الشامل ، والأمن القومى ، يتطلب تعديلا جذريا لدور الدولة فى الاقتصاد بحيث يتوافق مع المرتكزات الجوهرية لاقتصاد السوق الاجتماعى، بما فى ذلك تنفيذ برنامج الخصخصة وجذب الاستثمار الأجنبى المباشر . كما يفرض تحقيق تلك الأهداف مزيدا من الاندماج فى التخصص الانتاجى العالمى على أساس الارتقاء بالتنافسية المصرية عن طريق رفع

الكفاءة والانتاجية والتعليم والتحديث التكنولوجى ، من جانب ، وتطوير التصنيع التصديرى والارتقاء بنمط تخصص ومستوى تحديث الصناعة المصرية على أساس قدراتها التنافسية القائمة والممكنة وبناء أسس الاعتماد الاقتصادى العالمى المتبادل والمتكافئ ، وتعظيم القدرة الاقتصادية المصرية وخاصة القدرة الصيناعية والتكنولوجية ، باعتبارها ركيزة مواجهة التهديد الرئيسى للأمن القومى المصرى ، على جميع مستوياته وبكل مكوناته .

المصادر والهوامش:

١ – في توضيحه لحق مصر القانوني في تأميم قناة السويس أكد عبد الناصر أن شركة القناة ، شركة مصرية خاضعة للقوانين وللسلطان القضائي في مصر"، وأضاف ، إن الشركة المؤممة لم يكن لها ابدا أي شأن بضمان حرية الملاحة في القناة أو الدفاع عن أمنها ، ولم تتمتع ابدا بالأهلية أو السلطة بالاضطلاع بمسئولية من هذا القبيل . وإن مسئولية من هذا القبيل تقع على عاتق مصر، باعتبارها الدولة ذات السيادة ، التي تمر عبر أراضيها القناة ، وهو وضع منصوص عليه بوضوح في المادتين ١٠,٩ من اتفاقية عام ١٨٨٨" .
أنظر : رسالة عبد الناصر الى تيتو في أغسطس ١٩٥٦، وثيقة رقم ١٣٣; رسالة عبد الناصر الى ايزنهاور في اغسطس ١٩٥٦، وثيقة رقم ١٣٤، في : محمد حسنين هيكل ، ملفات السويس (القاهرة : مركز الاهرام للترجمة والنشر ، ١٩٨٦)، ص ص ٨٠٢-٨٠٣ .

٢ – يشير على صبري الى أن البنك الدولي للانشاء والتعمير قد وضع الشروط التالية للمساهمة في بناء السد العالي : ارتباط المساعدة المقدمة باستمرار تقديم الولايات المتحدة وبريطانيا للعملات الأجنبية المطلوبة ، وضع الانفاق الحكومي تحت الرقابة ، مراقبة الاتفاقيات الأجنبية والديون ، فرض الرقابة على ادارة المشروعات ، حق اعادة النظر في التمويل في حالات الضرورة . أي ان عروض الغرب لتمويل عمليات البناء في مصر كانت مشروطة بالتراجع عن السياسة الاقتصادية والخارجية المستقلة ، وتحقيق المصالح الاساسية للبلدان الامبريالية ، والتراجع عن البرامج الطموحة من أجل تصنيع البلاد .
أنظر :
– على صبري ، التطبيق الاشتراكي في مصر (القاهرة : الدار القومية للطباعة والنشر ، ١٩٦٤) ص ١٢٩.
وتكشف رسالة الى نائب وزير خارجية مصر من أحمد حسين سفير مصر بالولايات المتحدة الأمريكية عن مقابلته يوم ١٩٥٥/١٠/١٨ مع دالاس وزير الخارجية الأمريكي عن أسباب التناقض المصري الأمريكي الذي أحاط بسحب عرض البنك الدولي بتمويل مشروع السد العالي.

فيقول السفير المصرى فى رسالته أنه قد بين للمستر دالاس : أن من الأمور الضرورية العاجلة أن تشعر مصر بمساعدة امريكا لها فى تنفيذ مشروع السد العالى، وأنه لا يمكن ارجاء الأمر كثيرا حيث تنظر مصر اليه كأكبر مشروع اقتصادى حيوى لها ، وكل تأخير جديد فى تنفيذه سيحرج رئيس الحكومة أمام الرأى العام المصرى ، وليس من الصالح أن يتأخر البنك فى تقرير تمويل هذا المشروع حتى لا يسبب ذلك ضغطا جديدا على رئيس الحكومة بقبول العرض الروسى ، مشيرا الى أن الحكومة الروسية تعرض علينا شروطا أحسن من شروط البنك .

ويبرز السفير المصرى فى رسالته أنه قد نقل الى وزير الخارجية الأمريكى تأكيدات الرئيس عبد الناصر : أن صفقة الاسلحة التشيكية ما هى فى الواقع الا صفقة تجارية لا تحمل فى طياتها أى طابع آخر ، وأن مصر لن تسمح بتسرب أى نفوذ أجنبى اليها وتحرص كل الحرص على مقاومة الشيوعية« ، وأنها قبلت العرض التشيكوسلوفاكى بسبب الصعوبات التى واجهتها فى الحصول على هذه الاسلحة من الدول الغربية .

ويضيف أنه قد دلل فى هذه المناسبة على سياسة مصر الواقعية البناءة ، مذكرا بالدور الكبير الذى قام به الفنيون المصريون لمساعدة مستر جونسون فى وضع مشروعه ، وأن الرئيس عبد الناصر نفسه - بالرغم من دقة موقفه أمام الوفود العربية الأخرى - قد عبر لتلك الوفود عن تأييده للمشروع ، وهو ما ساعد مستر جونسون على اقناع بعضها بسلامة المشروع وفائدته .كما يضيف أنه قد أشار أيضا الى المساعدات الاقتصادية الأمريكية فى العام الحالى وأوضح أن مصر تريد التقدم بطلب ٣٦٠٠٠٠ طن من القمح الامريكى وفقا لقانون ٤٨٠ .

ومن ناحيته فقد أوضح دالاس - كما تقول رسالة السفير المصرى - أن صفقة الاسلحة التى عقدتها مصر مع الكتلة الشرقية ستسبب للحكومة الامريكية حرجا فى شأن استمرار مساعداتها الاقتصادية لمصر لأن كرامة امريكا قد اصبحت الآن فى الميزان ، بسبب ادعاء البعض بأن الوسيلة الصالحة للحصول على المساعدات الاقتصادية الامريكية هى التشهير بالسياسة الامريكية والوقوف منها موقف المعارضة . وصرح دالاس بأنه لا يريد اخفاء أن مسألة شراء مصر للاسلحة من الكتلة الشرقية قد ازعجته كثيرا Highly disturbed ، خصوصا وأن حكومة

الولايات المتحدة قد أثبتت فى السنوات الأخيرة صدق نيتها فى مساعدة مصر ، وعبرت لها عن صداقتها بكل الوسائل العملية ، مشيرا الى الدور الذى لعبته امريكا لمساعدة مصر فى اتفاقية السويس ، وسياسة عدم التحيز لأى طرف Impartiality بين العرب واسرائيل ، وموازنة المساعدات الامريكية للطرفين ، وسياسة أمريكا التى حققت الرغبة فى عدم الحاق الضرر بمصر فى مسألة القطن ، ومحاولة الحكومة الامريكية مساعدة مصر للوصول الى اتفاق جيد فى مسألة توزيع مياه النيل بين مصر والسودان ، وأخيرا الضغط الامريكى على اسرائيل فى عدة مناسبات وعلى الأخص عندما حبست المساعدة الاقتصادية عن اسرائيل حين حاولت الأخيرة تنفيذ مشروعاتها فى بحيرة طبريه بالرغم من قرار مجلس الأمن بايقاف هذه المشروعات .
وبين المستر دالاس فى كل هذا حرص الحكومة الامريكية على اتخاذ موقف ودى مع مصر والعرب بوجه عام بالرغم مما واجهته امريكا من ضغط وتيارات عنيفة معاكسة مما كان له أثره فى نتيجة الانتخابات البرلمانية الماضية وضياع أغلبية الجمهوريين بها . وأضاف المستر دالاس أن الحكومة الامريكية كانت قد وعدت مصر بالمساعدات الاقتصادية والعسكرية بعد الاتفاق مع الانجليز ، وقد برت بوعدها بغير تردد فقررت المساعدات الاقتصادية وعرضت المساعدة العسكرية التى رفضتها مصر لاعتبارات داخلية تخص مصر ولا شأن لامريكا بها .
واضاف المستر دالاس أن ممثلى اسرائيل قد صرحوا بانه لا يمكن أن تنتظر اسرائيل حتى يكمل العرب استعداداتهم للقضاء عليها . وذكر النتائج الخطيرة التى تترتب على تمكن الشيوعية من منطقة الشرق الاوسط ذات الاهمية الاستراتيجية أو وضع يدهم على بترول البلاد العربية وحرمان الدول الغربية منه ، وأنه شخصيا يجد نفسه محرجا ومركزه صعب دقيق لأن اسرائيل ستطالب ولا شك بالحصول على اسلحة وضمانات امريكية وستستعمل لتحقيق مطالبها كل وسائل الضغط القوية التى إن نجحت ستسئ لامريكا عند العرب .
أنظر : وثيقة رقم ١٣ ، هيكل ، ملفات السويس ، مركز الاهرام للترجمة والنشر، ١٩٨٦ ، ص ص ٧٧٤ - ٧٧٦ .

٣ - انظر :

– د.عبد المنعم راضى ، دراسة التضخم فى الاقتصاد المصرى (١٩٦٠-١٩٧٤)، مصر المعاصرة ، العدد ٧٦٣، يناير ١٩٧٧ .ص ٤٢.
– النشرة الاقتصادية للبنك الأهلى المصرى ، المجلد ١٢، العدد ١٩٥٩،٢، ص ١٧١.
– يفجينى بريماكوف ، وايجور بتروفيتش بيلياف ، مصر فى زمن عبد الناصر (موسكو : دار الفكر ، ١٩٨١) ، الطبعة الثانية ، ص ص ٩١-٩٢ .
ونلاحظ أن الحكومة قد استجابت لـ ١٣٦٢ طلب تعويض من بين ١٥٥٢ طلبا.

٤ – قناة السويس تحت الادارة العربية ، الذكرى العاشرة للتأميم ١٩٥٦-١٩٦٦،(الاسماعيلية : مطابع هيئة قناة السويس ، ١٩٦٦)، ص ص ١٦٢ - ١٦٣، ص ١٦٩.

٥ – انظر : د. السيد محمد مدنى ، التشريعات الاقتصادية والاجتماعية،(القاهرة: مكتبة النهضة المصرية ،١٩٥٧)، ص ص ٢٧٧-٢٨١ .
أنظر :تقرير انجازات الصناعة فى عام ١٩٥٧ ، وزارة الصناعة ، القاهرة . ص ٢١٥.

٦ – حسبت من:
– محمد سامى محمد ، البنوك التجارية فى مصر ،(القاهرة : المطبعة السلفية، ١٩٥٩)، ص ص ٤٠-٤١.

٧ – الطليعة ، سبتمبر ١٩٦٥ ، ص ص ١٥٦-١٥٨.

٨ – د. محمد زكى شافعى ، مقدمة فى النقود والبنوك الطبعة السابعة (القاهرة: دار النهضة العربية ، ١٩٧٧) ص ص ٢٦٩ -٢٧٠.

٩ – حسبت من:
– محمد سامى محمد ، البنوك التجارية فى مصر ، مصدر سابق ، ص ص ٤٠-٤١.
– د. فؤاد مرسى ، هذا الانفتاح الاقتصادى (القاهرة :دار الثقافة الجديدة،١٩٧٦).

١٠ – الطليعة ، نوفمبر ١٩٦٧، ص ص ١٦٢-١٦٣ ، ١٧٨.

١١ – ف . أ فينوحرادوف ، التأميم الاشتراكى للصناعة والبنوك (موسكو: دار التقدم ، د. ت .) ص ٢٤٤ .

١٢ – النشرة الاقتصادية للبنك الأهلى المصرى ، المجلد ١٢ ، العدد الأول ، ١٩٥٩) ، ص ٣٠٩.

١٣ – نشرة البنك الصناعى ، المجلد ٣ ، العدد ٢ ، ١٩٦٢ ، ص ١٢٠-١٥٧) الطليعة ، سبتمبر ١٩٦٥ ، ص ١٧٠).
النشرة الاقتصادية للبنك الأهلى المصرى ، المجلد ١١ ، العدد ٣ ، ١٩٥٨، ص ٣٠٩ .

١٤ – أنظر الجدولين (١) و(٢).
يرى الدكتور اسماعيل صبرى عبدالله – فى نقده للرأسمالية ودفاعا عن الاشتراكية وربما تبريرا لقوانين التأميم " الاشتراكية " ، التى صدرت فى بداية الستينات ، ودشنت التحول من رأسمالية الدولة فى اقتصاد السوق الموجه الى التوجه الاشتراكى لاقتصاد الأوامر المركزى – أن تمثيل المؤسسة الاقتصادية فى مجالس ادارة الشركات التابعة كان لابد وان يتناسب مع حصتها فى رؤوس الاموال، بينما كان يكفى استحواذ اى رأسمالى على ١٥٪ كى يسيطر على الشركة ويشكل مجلس ادارتها .
أنظر : د. اسماعيل صبرى عبدالله ، تنظيم القطاع العام (القاهرة : دار المعارف ، ١٩٦٩) ص ٢٦٦ .

١٥ – حسبت من : ف . أ فينوحرادوف ، مصدر سابق ، ص ٢٤٦ .

١٦ – حسبت من : د. محمد زكى شافعى ، مقدمة فى النقود والبنوك ، مصدر سابق ، ص ٤٥٤.
– د. محمد سامى محمد ، مصدر سابق ، ص ٣٤٧ .
– د. ابراهيم العيسوى ، التحول الى سياسة الانفتاح الاقتصادى : الجذور والحصاد والمستقبل ، ص ص ٧١-٨٩ .

١٧ – حسبت من :
– نشرة البنك الصناعى ، المجلد ١، العدد ٤ ، ١٩٥٧، ص ١٢٤.
– د. على السلمى ، ملحق الاهرام الاقتصادى ، ١٥ فبراير ١٩٦٩ ، ص ٦٩، ١٦٠ ، ١٧٩.
– محمد صدقى سليمان ، المؤسسة الاقتصادية : أداة التنمية والتوجه ، مجلة التجارة والضريبة ، العدد ٥٥ ، يوليو ١٩٦٠، ص ٩.

١٨ - النشرة الاقتصادية للبنك الأهلى المصرى ، المجلد ١٢، العدد ٢ ، عام ١٩٥٩، ص ١٧٣.

١٩ - فى تحديده لمغزى هذا التحول أعلن جمال عبد الناصر : " لقد اعتقد الامبرياليون أنهم يحتكرون القدرة على تنفيذ المشروعات الكبرى ، لكن التقدم التكنولوجى لم يعد حكرا عليهم لحسن الحظ ، وظهر أن ظنهم ليس الا ارهابا وخداعا للنفس ، وتجلت فى بناء السد العالى ارادة التعاون الحر بين الدول الكبيرة والصغيرة على أساس من الحرية والمساواة " .

أنظر:

جمال عبد الناصر ، خطب وتصريحات : ١٩٥٨ - ١٩٦٠ (القاهرة : الهيئة العامة للاستعلامات ، د. ت) ، ص ص ٦٧٠ ، ٦٧١.

وحول تجربة التنمية المستقلة فى مصر الناصرية ، من منظور أثر الروابط الاقتصادية المصرية مع الاتحاد السوفييتى السابق ، أنظر:

د. طه عبد العليم طه ، الاتحاد السوفييتى والتنمية المستقلة فى الوطن العربى : حالة مصر الناصرية ، مجلة " الفكر الاستراتيجى العربى " ، العدد ٢٩ ، السنة السابعة ، يوليو ١٩٨٩.

٢٠ - نلاحظ أن نصيب البلدان الرأسمالية المتقدمة ، الى جانب صندوق النقد الدولى والبنك الدولى للانشاء والتعمير ، قد بلغ نحو ٤٧,٩٪ من جملة القروض والتسهيلات المقدمة الى مصر فى أول يناير ١٩٦٧. وقد ساهمت هذه المساعدات الاقتصادية الغربية فى عملية توسيع قطاع الدولة الصناعى فى مصر الناصرية ، سواء بتأسيس وتمويل عدد من المشروعات الهامة أو بتحرير جانب من الموارد المالية المصرية اتيح لهذا التأسيس والتمويل .

- أنظر :

م . ف . مالينو فسكى ، ب .ج . سيرانيان . الجمهورية العربية المتحدة ، (موسكو : دار العلم ، ١٩٦٨) ص ٤١٥ .

٢١ - حسبت من :

احصاء الانتاج الصناعى السنوى ٧٠ /١٩٧١(القاهرة : الجهاز المركزى للتعبئة العامة والاحصاء ، ١٩٧٥) ص ص ٣-١٤، ص ص ٣٩ - ٤٧.

وحول انجازات واخفاقات التصنيع فى مصر الناصرية ، أنظر :

د. طه عبد العليم ، النفط والتصنيع فى الوطن العربى ، مجلة "المستقبل العربى". العدد ١٠٧، السنة العاشرة ، يناير ١٩٨٨ ..

٢٢ - حسبت من :
- المصدر السابق مباشرة :
- نشرة البنك الصناعى ، العدد ١، السنة ٦، ١٩٦٦، ص ص ٩٤-٩٥ .
- الكتاب الاحصائى السنوى (القاهرة : الجهاز المركزى للتعبئة العامة والاحصاء ، ١٩٧٢) ، ص٢٣٣ .

٢٣ - حسبت من :
احصاء الانتاج الصناعى السنوى ٧٠ /١٩٧١ ، مصدر سابق ، ص ص ٢-٢٦، ص ص ٣٩ - ٥٦ .

٢٤ - الى جانب الثمار المذكورة ، يمكن السد العالى أيضا من حل مشكلة نقص مياه النيل فى سنوات الجفاف ، وتوفير المياه التى كانت تهدر فى البحر فى مواسم الفيضان ، واستصلاح حوالى ٩١٢ ألف فدان بفضل المياه التى أمنها التخزين الدائم للسد العالى ، وتحويل ٩٧٣ ألف فدان من رى الحياض الى الرى الدائم ، الأمر الذى زاد بدرجة كبيرة كلا من المساحة المزروعة والمساحة المحصولية . كما ساهم السد العالى فى زيادة انتاج الأرز الى نحو الضعف ، بما رفع عائدات تصدير المنتجات الزراعية .
أنظر :
السد العالى ونتائجه ، المجلس القومى للانتاج والشئون الاقتصادية (القاهرة: ملحق مجلة الاهرام الاقتصادى ١٩٧٦/٢/١) .

٢٥ - حول أثر السد العالى على تطوير قاعدة الطاقة المائية للتصنيع والتنمية ، أنظر :
- السد العالى ونتائجه ، المصدر السابق مباشرة :
- محمد ابراهيم الديب ، توزيع واستهلاك الطاقة الكهربائية فى مصر ، مجلة ، "مصر المعاصرة " ، يناير ١٩٧٧، ص ص ١٤٩-١٨٧ .
- ف . ك . باسبيلوف ، أسوان : الأكذوبة والواقع (موسكو : دار العلم، ١٩٨١) ص ص ١٣٥ - ١٣٩ .
- أناتولى جروميكو (محرر) ، بلدان مجلس التعاون الاقتصادى وافريقيا (موسكو : دار التقدم ، ١٩٨٠) ص ٥٢ .

٢٦ - حسبت من :

احصاء الانتاج الصناعى السنوى ١٩٧٤(القاهرة : الجهاز المركزى للتعبئة العامة والاحصاء ، ١٩٧٩) ، ص ص ١-١٧ .

٢٧ - لم يكن الحديث عن التخلف الصناعى التكنولوجى النسبى للاتحاد السوفييتى السابق مجرد دعوى أيديولوجية لتبرير اعلان سياسة الانفتاح الاقتصادى . ويمكن هنا ايراد العديد من المعلومات التى كشف عنها خطاب النقد الذاتى السوفييتى منذ عهد بريجنيف ، وبالذات فى عهد أندروبوف وقبل تفجير جورباتشوف لثورة البيريسترويكا والجلاسنوست ، حول مأزق اقتصاد الأوامر وتدنى مستويات الانتاجية والكفاءة فيه ، وحول تأخر الاتحاد السوفييتى عن اللحاق بانجازات الغرب فى الثورة الصناعية التكنولوجية الثالثة .
ونكتفى هنا بالأشارة الى ما خلصت اليه دراسة لوزارة التجارة الخارجية السوفيتية من أنه بين ٤٠٠ منتج تصديرى بين منتجات صناعة الآلات والمعدات ، توافق ١٥٪ فقط مع الطلب المتغير والمنافسة المحتدمة فى السوق العالمى . وحتي يمكن لصادرات الآلات والمعدات أن تهيمن بدلا من صادرات الخامات والمستلزمات التى هيمنت على الصادرات السوفيتية، كان يتوجب تحديث ٦١٪ من انتاج صناعة الآلات والمعدات السوفيتية ; ومن منظور الرشادة الاقتصادية كان ينبغى وقف ٢٤٪ من انتاج الآلات والمعدات السوفييتية .
أنظر :
ف . أ . ياشكين ، ، اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية والبلدان النامية : آفاق التعاون (موسكو : دار العلم ، ١٩٩١) ، ص ص ٥-٨.

٢٨ - حسبت من أعداد مختلفة من :
تقرير عن التنمية فى العالم ، البنك الدولى ، واشنطن .

٢٩ - طه عبد العليم ، الصناعة الآلية الكبيرة فى مصر قبل ١٩٥٢ ، الفكر الاستراتيجى العربى ، العددان ١٥ -١٦ ، يناير / ابريل ١٩٨٦ ، ص ص ١٣٦ - ١٤٢ ، ٢٣٠ - ٢٣٢ .

٣٠ - المصدر السابق .

♦ الفصل التاسع ♦

الموقف الدولي من العدوان

د. لطيفة محمد سالم

التحرك الدولى

وفقا للخطة التـي وقعت عليها بريطانيا وفرنسا وإسرائيل, تم الهجوم الإسرائيلي علي شبه جزيرة سيناء في غروب يوم٢٩ أكتوبر ١٩٥٦, وأذيع بيان حربي يزعم أن القوات الإسرائيلية باتت علي مشارف قناة السويس.(١) وفي اليوم التالي صدر إنذار أنجلو فرنسي لكل من مصر وإسرائيل بوقف إطلاق النار وسحب قواتهما إلي مسافة تبعد عشرة أميال عن جانبي قناة السويس٠(٢) وذلك يعني دعوة صريحة لإسرائيل لتتقدم غربا نحو القناة.

جاء أول رد فعل دولي من الولايات المتحدة التي تحركت سريعا, ورغم أن ايزنهاور Eisenhower كان علي أعتاب الانتخابات وفي حاجة لأصوات اليهود, إلا أنه لم يضع ذلك في الاعتبار, ومع هذا وكما صرح بأنه لم يكن سعيدا بتقديم المساعدة لمصر, ولكن التصريح الثلاثي لعام ١٩٥٠يلزمه بتقديمها للدولة المجني عليها, ورأي الإسراع في دعوة مجلس الأمن قبل حدوث تحرك سوفيتي, خاصة والدلائل تشير بتدخل أنجلو فرنسي.(٣)

وحاول الرئيس الأمريكي إثناء بريطانيا عن أي تصرف, وبعث إلي إيدن Eden رئيس الوزراء البريطاني قبل صدور الإنذار وناشده المعاونة, وذكره بالتصريح الثلاثي لعام ١٩٥٠, وحذره من طلب مصر مساعدة السوفييت.(٤) لكنه رد عليه بقوله «لقد حررنا ناصر وصحافته من أي التزام من هذا النوع»٠(٥) وبعد سماع ايزنهاور الإنذار كتب رسالتين لرئيسي الوزراء البريطاني والفرنسي بصيغة حادة اللهجة,كما بعث لإسرائيل ينهرها ويهددها بموقف مضاد في الأمم المتحدة٠(٦) ولكن لم يؤثر ذلك علي الوضع٠

تقدمت الولايات المتحدة بمشروع قرار يدعو إلي وقف القتال فورا بين إسرائيل ومصر,وانسحاب الأولي إلي خط الهدنة,ومطالبة جميع أعضاء الأمم المتحدة بالامتناع عن استخدام القوة أو التهديد بها في منطقة النزاع,وتجنب تقديم أي عون لإسرائيل ما لم تمتثل للقرار وتنفذه,وأسرع الاتحاد السوفيتي ليلحق بالولايات المتحدة,وقدم هو الآخر مشروع قراريماثل المشروع الأمريكي,ولكن فشلت هذه

المجهودات,إذ استخدمت بريطانيا وفرنسا حق الفيتو٠(٧) وكانت هذه الواقعة هي المرة الأولي في تاريخ الأمم المتحدة٠وانعكس ذلك علي همرشولد Hammarskjold السكرتير العام للأمم المتحدة الذي أقدم علي الاستقالة احتجاجا علي الموقف,خاصة ما قامت به بريطانيا وفرنسا,ولكن لم تتم الموافقة عليها٠(٨)

كانت رؤية الولايات المتحدة أن تأميم عبد الناصر لشركة قناة السويس عمل قانوني,أما أسلوب استخدام القوة فهو مسألة غير عادلة وفقا لميثاق الأمم المتحدة, وأنه لن يبعد العرب ودول الشرق الأوسط عن الغرب فقط,وإنما أيضا الدول الأسيوأفريقية(*),وعندئذ يستغل الاتحاد السوفييتي الموقف ويمد نفوذه إلي الشرق الأوسط حيث قناة السويس وبترول الخليج,(٩) والواقع أن واشنطن أرادت القبض علي زمام المبادرة قبل أن تسبقها موسكو,كذلك رأت أن تظهر بصورة المدافعة عن الحق أمام العالم حتي ولو كان علي حساب حليفتيها٠ومن هذا المنطلق تحرك لودج Lodge المندوب الأمريكي الدائم في الأمم المتحدة ليكسب التأييد الدبلوماسي لسياسة دولته٠

في أعقاب الفيتو الأنجلوفرنسي,تباحث همرشولد مع لودج بشأن دعوة الجمعية العامة للأمم المتحدة لعقد جلسة طارئة لإصدار قرار وقف إطلاق النار والانسحاب الإسرائيلي من الأراضي المصرية, وذلك بناء علي اقتراح المندوب اليوغوسلافي الذي تشاور فيه مع عمر لطفي المندوب المصري الدائم في الأمم المتحدة,ورغم محاولات المندوبين البريطاني والفرنسي والأسترالي الحيلولة دون اتخاذ مجلس الأمن القرار,إلا أنه صدر في١٣ أكتوبر١٩٥٦بأغلبية سبعة أصوات,ومعارضة بريطانيا وفرنسا,وامتناع أستراليا وبلجيكا عن التصويت(١٠) .

وبينما قبلت إسرائيل الإنذار رفضته مصر,ووفقا للخطة بدأ العدوان البريطاني الفرنسي عليها, وكان لذلك العدوان الأصداء التي حددت مواقف الدول من خلال الأمم المتحدة٠وعقدت الجمعية العامة جلستها الطارئة في أول نوفمبر,ورأسها مندوب شيلي,وكان أول المتكلمين مندوب فرنسا, واعترض علي الجلسة,وأعقبه

* يطلق عليها الكثير الدول الأفرو أسيوية, ولكنها في الواقع تعتمد أساسا على الدول الأسيوية, إذ تشكل النسبة المرتفعة, كما أنها قامت على قاعدة منظمة العلاقات الأسيوية التي أنشئت عام ١٤٩١, وما لبثت أن توسعت, ومن ثم كانت النسبة الأفريقية منخفضة, وبالتالي فمن الأفضل أن يطلق عليها الدول الأسيو أفريقية, أيضا عرفت بدول عدم الانحياز ودول باندونج .

مندوب مصر الذي ندد بالعدوان وأيده مندوب سيلان٠أما المندوب البريطاني فقد تضامن مع المندوب الفرنسي،وتحدث دالاس Dulles وزير الخارجية الأمريكي وأدان استخدام القوة،وعرض مشروع قرار يقضي بوقف إطلاق النار الفوري،وأن تسحب بريطانيا وفرنسا جميع قواتهما خلال مدة معينة من الأراضي المصرية،وتعود القوات المصرية والإسرائلية إلي أماكنها المحددة باتفاقية الهدنة،وتمنع الدول الأعضاء في الأمم المتحدة من إرسال العتاد الحربي إلي الشرق الأوسط،وأخيرا أن تعود الملاحة لقناة السويس وتؤمن،ووافقت الجمعية العامة علي المشروع في٢نوفمبر بأغلبية خمسة وستين صوتا،ومعارضة بريطانيا وفرنسا وإسرائيل وأستراليا ونيوزيلندا،وامتناع هولندا وبلجيكاوالبرتغال ولاوس وجنوب أفريقيا وكندا عن التصويت٠وطالب دالاس أن تظل الجمعية العامة منعقدة حتي يتم تنفيذ القرار٠(١١) وتمثلت الأغلبية في الولايات المتحدة والكتلة السوفيتية وكتلة دول باندونج٠

ومن الواضح أن الموقف الأمريكي كانت له مكانته،وقدظهر ايزنهاور علي شاشة التليفزيون الأمريكي ليصرح بأن واشنطن عارضت منذ البداية اللجوء لاستخدام القوة،وأنها لم تستشرمن قبل المعتدين،ولن تتورط في الصراع،وستقدم مساعيها لإنهاء المشكلة بالطرق السلمية٠(١٢)كما سجل نائب الرئيس الأمريكي قولة ؛هذه هي المرة الأولي التي نبدي فيها للعالم استقلالا في سياستنا تجاه آسيا وأفريقيا عن سياسات بريطانيا وفرنسا التي تعكس التقاليد الاستعمارية«،ويعلق إيدن علي هذا القول ؛وقد ترك هذا الاستقلال دويا مكهربا في جميع أنحاء العالم«٠(١٣)

كان لكندا دور علي الصعيد العالمي،ورغم أنها تدخل في رابطة دول الكومنولث،إلا أنها لم تنجرف مع التيار البريطاني،وحاولت أحيانا أن تتبع الولايات المتحدة في سياستها٠ومثل بيرسون Pearson وزير خارجيتها ثقلا في توجية سياستها التي عارضت اتباع أسلوب العنف مع مصر،ورأت أن حل أزمة القناة لن يتأتى إلا عن طريق الأمم المتحدة،وقد تضامنت مع واشنطن في وقف تصدير الأسلحة لإسرائيل عقب صدور قرار تأميم شركة قناة السويس،وفي أعقاب العدوان مارس بيرسون تأثيره علي البعثات الأسيوأفريقية في الأمم المتحدة واتصل بمنون Menon مندوب الهند لما لبلده من نفوذ علي دول عدم الانحياز ودول الكومنولث لإنقاذ الوضع المتردي(١٤)كذلك أعد بيرسون مشروعا يختص بتشكيل قوة بوليسية دولية٠

أما عن الهند فقد تقدمت بمشروع قرار للجمعية العامة باسم الدول الأسيوأفريقية يطالب بوقف القتال وسحب القوات المعتدية في الحال وتخويل السكرتير العام للأمم المتحدة ذلك,وتقديم تقرير في هذا الشأن خلال اثنتي عشرة ساعة,وتمت الموافقة علي المشروع٠(١٥)وقد سجلت الهند موقفا ايجابيا, ومعروف تلك العلاقة التي ربطت الزعيم نهرو Nehru مع عبد الناصر,والتوافق بينهما تجاه سياسة عدم الانحياز,إلا أنه كانت للهند وقفة إزاء قرار التأميم,إذ رأي نهرو أنه تصرف منفعل ومتعجل وخشي من نتائجه,وأيده في ذلك الرئيس اليوغوسلافي تيتوTito (١٦) لكن ما لبث الرجلان أن ساندا مصر,ومن ثم كان شجب العدوان٠

وبالنسبة للاتحاد السوفيتي,فقد كان مؤيدا لمصر منذ بداية الأزمة,لأن كل أمله توجيه الضربات للنفوذ الغربي,ولكن من الواضح أن صوته خفت مع بداية العدوان نظرا لانشغاله منذ ١٩أكتوبر بالثورة المضادة له في بولندا التي امتدت إلي المجر وتأججت فيها,مما تتطلب استدعاء القوات السوفيتية لإخمادها,وعليه انتقلت القضية المجرية إلي الأمم المتحدة,وخشيت موسكو من أن تدخلها في الشرق الأوسط يقابل بالمثل بالنسبة لواشنطن إزاء المجر,ومن هنا بين خروشوفKhrushchev السكرتير العام للحزب الشيوعي السوفيتي للرئيس السوري شكري القوتلي الذي كان في زيارة لموسكو أنه لا يستطيع تقديم المساعدة الحربية لمصر,كما تم تبليغ السفير المصري في موسكو بذلك مع الإشارة إلي العوائق الجغرافية,(١٧) وسرعان ما أن بعث الاتحاد السوفيتي إلي عبد الناصر يفيده بأنه سيقدم له العون الأدبي ، ونصحه بعقد صلح سريع مع بريطانيا وفرنسا٠(١٨)

ومما تجدر الإشارة إليه أنه أثناء مناقشات مشاريع تدويل القناة,وعندما تم سحب المرشدين الأجانب,أصدر الاتحاد السوفيتي بيانا حول ضرورة حل مسألة قناة السويس بالطرق السلمية,وأشار إلي الاستعدادات العسكرية التي تقوم بها بريطانيا وفرنسا بنية استخدام القوة ضد مصر,وما ينتج عن ذلك من زيادة التوتر في الشرق الأوسط, وأنه لا يمكن أن يقف ساكتا إزاء أى إخلال بالسلام في هذه المنطقة, لأن معني ذلك المساس بأمنه ومصالحه٠هذا وقد ذكر خروشوف في وجود عدد من الدبلوماسيين أنه إذا شنت الدول الاستعمارية حربا علي مصر, فلن تترك وحدها في المعركة,ويبين أنه لو جاء ابنه يطلب التطوع ليحارب من أجل مصر لشجعه علي ذلك,٠(١٩)ولكن عندما وقع العدوان علي مصر, راجع الاتحاد السوفيتي موقفه.

رتبت موسكو أوراقها مرة أخري, ورغم رفض تقديم السوفيت المساعدة الحربية لمصر,إلا أنهم رأوا استخدام القوة لدرء العدوان في حالة الاشتراك مع الأمريكيين, وأرسل بولجانين Bulganin رئيس الوزراء السوفيتى رسالة إلي ايزنهاور في ٥ نوفمبر ينقل له ذلك, مستعرضا الأخطار الناجمة عن الموقف القائم, وإمكانية قيام حرب عالمية ثالثة, وأنه لا بد من سحق المعتدين نظرا لما تمتلكه موسكو وواشنطن من أسلحة حديثة بما فيها الأسلحة الذرية والهيدروجينية, وأن عليهما إيقاف الحرب٠(٢٠) وكما هو واضح أن الاتحاد السوفيتى يعمل لمصلحته, وأراد استغلال حرب السويس ليحصل علي المكاسب, أيضا رغب في هدم التحالف الأوربى, وبالطبع كانت الولايات المتحدة متفطنة لذلك, وحذرت من أي تحرك للمنطقة(٢١) .

وفي نفس اليوم الذي بعث فيه بولجانين برسالته إلي ايزنهاور أرسل ثلاث رسائل إلي المعتدين, الرسالة الأولي لرئيس الوزراء البريطاني, وتضمنت تهديدا غير مباشر؛ماذا ستفعل بريطانيا إذا وجدت نفسها تتعرض لهجوم دول أقوي تملك كل أنواع أسلحة الدمار الحديثة؟ إن هذه الدول يمكنها بدلا من إرسال أساطيلها وطائراتها إلي شواطئ بريطانيا أن تستخدم وسائل أخري مثل الصواريخ«٠(٢٢) والرسالة الثانية لرئيس الوزراء الفرنسي وتحمل نفس المعنى, والرسالة الثالثة لرئيس الوزراء الإسرائيلي وينعت فيها بولجانين إسرائيل بأنها تعمل كأداة في يد الإمبريالية, وحذرها من العبث بمصير السلام , وبين أن سياسة بن جورين تثير الشكوك في وجود إسرائيل كدولة, وطلب أن تعود إلي رشدها وتوقف عملياتها العسكرية ضد مصر قبل أن يفوت الأوان, وسرعان ما أعلن الكرملين استدعاء سفيره في تل أبيب٠(٢٣) وعدت هذه الرسائل بمثابة إنذارات إلي الدول الثلاث, ووصفتها جولدامائير وزيرة الخارجية الإسرائيلية بأنها إنذارات مخيفة توحي بتهديد يؤدي إلي قيام حرب عالمية ثالثة. (٢٤)

وتقدم شبيلوف Shepilov وزير الخارجية السوفيتى في الوقت ذاته برسالة عاجلة إلي الأمم المتحدة يطلب عقد مجلس الأمن بسبب تجاهل الدول المعتدية قرارالجمعية العامة الصادر في٢نوفمبر بوقف القتال فورا, وسجل أن بلاده علي استعداد للاشتراك مع الأمم المتحدة في إرسال معونة عسكرية جوية وبحرية لضحايا العدوان في مصر, وطلب من مجلس الأمن أن يصدر قرارا بإنذار الدول المعتدية الثلاث بوقف العدوان والعمليات العسكرية خلال اثنتي عشرة ساعة من موافقة مجلس الأمن علي القرار, وأن تنسحب جميع القوات الأجنبية من مصر خلال ثلاثة أيام٠(٢٥) ولكن لم يدرج الطلب في جدول أعمال مجلس الأمن لعدم

حصوله علي أغلبية السبعة أصوات, إذ اعترضت بريطانيا وفرنسا واستراليا والولايات المتحدة, بينما وافقت إيران ويوغوسلافيا وبالطبع الاتحاد السوفيتي، وامتنعت بلجيكا والصين الوطنية وكوبا وبيرو عن التصويت٠(٢٦)

خشى ايزنهاور من بروز الدور السوفيتي, وفي ٦ نوفمبر أعيد انتخابه مما أعطي له مزيدا من الثقة, فاستعجل إيدن لقبول وقف إطلاق النار مصرحا بأن الهدف؛بقاء الولد الأحمر الذي يطلب نصيب الأسد بعيدا«٠(٢٧)كما هدد بأنه إذا تمنعت بريطانيا, فلن يقدم لها المساعدة سواء لانقاذ عملتها المترنحة أو في تمويل شحنات البترول البديلة من مصادر الدولار٠(٢٨)وقد لعب علي وتر هذه النغمة جيدا, حيث كانت بريطانيا تمر بأزمة اقتصادية بالغة نتيجة لأزمة السويس٠

وبالفعل مارست واشنطن الضغط المالي الذى اتخذ شكل سحب أمريكي لمبلغ كبير من الدولارات من صندوق النقد الدولي لتشتري به أكبر قدر ممكن من الجنيهات الإسترلينية, أيضااستخدمت تأثيرها لدي الصندوق بحقها في الاعتراض علي أية عملية سحب بوصفها أكبر المساهمين, وبالتالي لا تتمكن لندن من سحب وديعتها, كذلك وعد وزير الخزانة الأمريكي بتقديم عون مالي ملائم, وتمت الموافقة علي منح بريطانيا قرضا بلغ مليار ونصف المليار من الدولارات مع تأجيل تسديد الفوائد٠هذا جميعه شريطة الالتزام بقرار وقف إطلاق النار٠(٢٩)

أمام هذا الضغط الذي صاحبة أيضا ضغط كندي مس الوتر الحساس فيما يختص بوحدة الكومنولث, بالإضافة إلي المعارضة داخل بريطانيا, كل ذلك دفع إيدن إلي أن يعلن في ٦ نوفمبر الموافقة علي وقف العمليات الحربية ضد مصر, وتبعه موليه Mollet رئيس الوزراء الفرنسي,(٣٠) لأنه من غير الممكن استمرار فرنسا في الحرب بمفردها, إذ كانت تمر بظروف داخلية صعبة٠

وهكذا يتضح الدور الأمريكي الذي أسهم في قبول بريطانيا وفرنسا قرار وقف إطلاق النار, وحاول عبد الناصر استثمارذلك فطلب من واشنطن إمدادات طارئة من الأغذية والوقود والأدوية, فامتنعت, كما رفضت الإفراج عن بعض أرصدة مصر الدولارية, وهنا انتهز الاتحاد السوفيتي الفرصة وبعث بالعقاقير والأدوية والقمح إلي مصر٠(٣١)كذلك أراد إضافة نقطة لصالحه, فأعلن في ١١ نوفمبر عزمه علي إرسال متطوعين ليشاركوا المصريين كفاحهم من أجل الاستقلال إذا لم تنسحب القوات المعتدية.(٣٢)ولكن من الملاحظ أن هذا العرض جاء بعد تنفيذ قرار وقف إطلاق النار٠ ورغم ذلك قلقت الولايات المتحدة, وخاصة أن الصين الشعبية

أعلنت هي الأخري عن استعدادها لإرسال المتطوعين لمصر لنفس الغرض, ومن ثم أصدرت واشنطن أوامرها للأسطول الأمريكي بالتحرك من المحيط الهادى,(٣٣)تحسبا من تحقيق مثل تلك الخطوة٠إذ كان حرص الولايات المتحدة وسعيهالحل الأزمة ليس لصالح مصر, وإنما لإبعاد أي تدخل سوفيتى٠

وتتبع ايزنهاور النشاط السوفيتى داخل المنظمة الدولية, وعقد مؤتمرا صحفيا في ١٤ نوفمبر وصرح أنه علي الأمم المتحدة التي تدخل تحتها الولايات المتحدة أن تعارض مثل هذا النشاط٠(٣٤)كما حرصت واشنطن علي وأد أي علاقة تربط السوفيت سواء مع الدول العربية أو الدول الأسيوأفريقية, ويعلق أحد المسئولين البريطانيين أن الهدف يرجع إلي الرغبة في ألا ينظر للاتحاد السوفيتى علي أنه الصديق الوحيد٠(٣٥)وعليه يمكن القول أن أزمة السويس قد نقلت الصراع الأمريكي السوفيتي إلي داخل الأمم المتحدة٠

قوة الطوارئ الدولية ومسألة الانسحاب

كان بيرسون وزير خارجية كندا صاحب فكرة قوة الطوارئ الدولية, إذ اعتمد علي أن بريطانيا وفرنسا أعلنتا أن تدخلهما عسكريا هو للفصل بين المتحاربين, وبالتالي فإن القوة المقترحة تقوم بهذه المهمة, وذلك رغبة منه في المحافظة علي التحالف الأوربي٠ومن ثم عرض مشروع قرار علي الجمعية العامة للأمم المتحدة في٢نوفمبر يقضى بأن يقدم همرشولد مشروع قرار بشأن تشكيل قوة بوليسية مؤقتة للإشراف علي قرار وقف إطلاق النار في مدة أقصاها ثمان وأربعين ساعة٠وتمت موافقة الجمعية العامة علي مشروع القرار في٥نوفمبر بأغلبية سبعة وخمسين صوتا ومعارضة الكتلة السوفيتية, وقد امتنعت مصر عن التصويت,وذهبت مجهوداتها سدى في أحباط صدور القرار, وكل ما أمكن عمله ما قام به عمر لطفي مع دول باندونج في إبعاد اشتراك بريطانيا وفرنسا في القوة, وطلب بيرسون من نهرو اقناع عبد الناصر بقبول مهمة هذه القوة ٠ونص القرار علي تعيين الجنرال الكندي بيرنز Burns رئيسا للقوة, وأنيط إليه تأليف هيئة محدودة من مراقبى الهدنة الدولية التابعين للدول التي ليست لها عضوية دائمة في مجلس الأمن، وأن يقوم بعد استشارة السكرتير العام للأمم المتحدة بتجنيد العدد الإضافي من الضباط اللازمين للهيئة بنفس الطريقة السابقة٠(٣٦)

وكان للولايات المتحدة إسهاماتها في هذا الشأن, وأيدت عدم مشاركة الدول الكبري في القوة لإبعاد السوفيت عن مسرح الأحداث, وهدد ايزنهاور بأن أي هجوم علي القوة سيقابل برد فعل في الحال من دول الأمم المتحدة.(٣٧)

ولم تحترم بريطانيا وفرنسا قرار وقف إطلاق النار حتي بعد إعلان موافقتهما, فاستأنفت الجمعية العامة جلساتها في ٧ نوفمبر, وتحدث عمر لطفي وطالب بانسحاب المعتدين, وتابعت الوفود كلماتها, وبين المندوب البريطاني رفض حكومته لمشروع الانسحاب الفوري خشية تجدد القتال بين مصر وإسرائيل, وأيده المندوب الفرنسي, وتطرقت أحاديث الوفود إلي قوة الطوارئ الدولية, وكيف أنها تمثل حلا سلميا, وطالبوا بسرعة تشكيلها, وأبدي المندوب الأمريكي استعداد بلاده لتقديم ما يلزم لنقل القوة من مؤن ومواد ووسائل نقل.(٣٨)

كان همرشولد قد قدم مشروع قرار الدول التسع عشرة, ويقضى بسحب إسرائيل لقواتها إلي ما وراء خط الهدنة, وأن تبادر بريطانيا وفرنسا بسحب قواتهما, وأيده الأعضاء, وتحدث مندوبو النرويج ويوغوسلافيا واليونان وأفغانستان والهند وبورما وسيلان وأندونيسيا وأثيوبيا وأوروجواي وبوليفيا, ونددوا بالعدوان وطالبوا بضرورة الانسحاب وتصفية آثار العدوان, وهدد السكرتير العام للأمم المتحدة إسرائيل إذا لم تنسحب باتخاذ عقوبات صارمة ضدها.(٣٩) وفي ٨ نوفمبر أعلنت إسرائيل رسميا أنها ستسحب قواتها من مصر وتتعاون مع قوة الطوارئ الدولية.(٤٠) وهو نفس اليوم الذي أوقفت فيه بريطانيا وفرنسا القتال.

دارت المباحثات بين بيرنز والمسئولين المصريين حول تشكيل القوة, واعترض عبد الناصر علي اشتراك كندا لاعتبارات متعددة, منها تبعيتها لدول الكومنولث وأثر ذلك علي طابع جنودها في طريقة الملبس وأسلوب التنظيم, مما يخشى أن يعدهم المصريون جزءا من جنود الامبراطورية البريطانية, وبالتالي يتعرضون للخطر, كما أن كندا عضو في حلف شمال الأطلنطى, وتم الاتفاق على أن يكتفي بدورها في التزويد بوحدات نقل واستطلاع وتسهيلات إدارية.(٤١) هذا ويجب أن نضع في الاعتبار أن كنداهي صاحبة اقتراح إنشاء القوة التي لم تكن مصر راضية عنها.

تشكلت قوة الطوارئ الدولية من الدانمرك وفنلنداوالنرويج والسويد وهولندا ويوغوسلافيا ورومانيا وتشيكوسلوفاكيا وكولومبيا وأندونسيا وسيلان وبورما والهند, واعترضت مصر علي نيوزيلندا وباكستان, والأولي من دول الكومنولث وتقع تحت تأثير لندن, حتي إن رئيس وزرائها قد صرح ؛أينما تقف بريطانيا فنحن

نقف، وأينما تذهب فنحن نذهب في الأوقات الطيبة والأوقات العصيبة.»(٤٢)أما باكستان، فهي ترتبط مع بريطانيا بحلف جنوب شرق آسيا وحلف بغداد، بالإضافة إلي عضويتها في الكومنولث، وقد أيد رئيسها ووزير خارجيتها بريطانيافي استخدام القوة كأسلوب لإجبار عبد الناصر علي التفاوض بشأن قناة السويس، وأطلقت عليه صحافتها«هتلر الجديد»، ولكن علي غير المستوي الرسمي، فإن الشعب الباكستاني كان متعاطفا مع مصر.(٤٣)لذا تم استبعاد هاتين الدولتين.

ولم تكن مصر لتوافق علي اشتراك استراليا في القوة لموقفها المساند لبريطانيا، فهي إحدي دول الكومنولث، كما أن منزيس Menzies رئيس وزرائها قام بدور مضاد لمصر منذ صدور قرار التاميم(٤٤)، ورأس اللجنة التي انبثقت عن مؤتمر لندن الأول، وأوفدت إلي مصر في٣ سبتمبر واختلفت مع عبد الناصر.

وصلت طلائع قوة الطوارئ الدولية لمصر في ١٦ نوفمبر ومعها همرشولد الذي التقي بعبد الناصر، وللأول المواقف الإيجابية تجاه مصر حتي لقد تعرض للنقد كثيرا خاصة من إسرائيل.(٤٥)وقد اعتمدت الأمم المتحدة علي الولايات المتحدة في مسألة انسحاب القوات المعتدية لتتمكن قوة الطوارئ الدولية من أداء عملها، ومن ثم واصلت واشنطن مجهوداتها، وكتب ايزنهاور رسالة إلي رئيس الوزراء الإسرائيلي يلمح بالمقابل، وقد تمثل في إسقاط الحظر المصري علي الملاحة الإسرائيلية، أيضا يمارس دالاس الضغط علي لويد Lloyd وزير الخارجية البريطاني مع الإشارة للعون المالي الأمريكي لبريطانيا.(٤٦)

وفي ٢٣ نوفمبر عقدت الجمعية العامة جلستها لمناقشة مشروع قرار قدمته إليها مجموعة الدول الأسيوأفريقية، وأيدتة إحدي وعشرون دولة، ويطالب هذا المشروع بريطانيا وفرنسا وإسرائيل بالإذعان لقراري الجمعية العامة في ٢ و ٧ نوفمبر بشأن الانسحاب،وتكلم المندوبون، وكانت كلمة وزير الخارجية السوفيتي حازمة، وكذلك المندوب التشيكي،وأنكر وزير الخارجية البريطاني أي اتفاق مع إسرائيل بشأن الغزو، وذكر أن بلاده تدخلت لمنع انتشار العمليات الفدائية – أى المصرية – وللفصل بين القوات المتحاربة، وأيد المندوب الأمريكي موقف همرشولد الذي يتفق مع مشروع القرار، ووافقت الجمعية العامة علي المشروع في٢٤ نوفمبر بأغلبية ثلاثة وستين صوتا، ومعارضة بريطانيا وفرنسا وإسرائيل وكندا وبلجيكا، وامتناع عشر دول عن التصويت.(٤٧)

ورغم ذلك فإن النتائج اتسمت بالسلبية, ويقف محمودفوزي وزير الخارجية المصري أمام الجمعية العامة في ٢٧ نوفمبر ليناشد الأمم المتحدة أن تطالب الدول المعتدية بتحديد مواعيد معينة لسحب قواتها, ويبين أنه إذا لم تمتثل, فمن واجب المنظمة الدولية وقف عضويتها, وحدد مهمة قوة الطوارئ الدولية, وندد بالأعمال الوحشية التي ارتكبتها القوات المعتدية ضد السكان المدنيين, وعرض الصور الفوتوجرافية التي تدل علي ذلك•وقد وضح التأييد التام والدفاع المتناهي من كلمات وفود الكتلة الشيوعية(٤٨)•وواصلت الجمعية العامة جلساتها, وكرر مندوبو الدول الأسيوأفريقية طلباتهم بشأن انسحاب المعتدين•(٤٩)

كثفت واشنطن اتصالاتها مع لندن, في الوقت الذي استقبلت فية المقابل, إذ أمر ايزنهاور بإرسال شحنات عاجلة من البترول إليها في ٣٠ نوفمبر, كذلك واصل المسئولون الأمريكيون المفاوضات مع البريطانيين بشأن تقديم المساعدات المالية الأمريكية(٥٠), وكانت الحالة الاقتصادية لبريطانيا قد بلغت أقصي درجة من السوء, حيث انخفض احتياطي الذهب, وهي نفس الحالة التي وصلت لها فرنسا•

وأخيرا, وفى ٣ ديسمبر أعلن وزير الخارجية البريطاني في مجلس العموم أنه تم الاتفاق بين لندن وباريس علي سحب القوات المشتركة من مصر علي وجه السرعة, وعلي الفور أصدر همرشولد تعليماته إلي الجنرال بيرنز لإعدادترتيبات الجلاء(٥١)•وفي ٢٢ ديسمبر انسحبت القوات الأنجلوفرنسية وتسلمت قوة الطوارئ الدولية بورسعيد, ولم تمض خمسة أيام إلا ودخلت قوات الجيش المصري المدينة•وهكذا وبعد إجراءات مريرة رضخت بريطانيا وفرنسا ووافقتا علي الانسحاب, وفي أول يناير ١٩٥٧ أعلنت مصر من جانبها إنهاء اتفاقية الجلاء لعام ١٩٥٤, اعتبارا من تاريخ ١٣ أكتوبر ١٩٥٦ يوم العدوان البريطاني الفرنسي عليها•

المراوغة الإسرائيلية

تقدمت إسرائيل للسكرتير العام للأمم المتحدة بطلب الحصول علي ضمانات شريطة انسحابها, ولكنه رفض وأصر علي الانسحاب دون قيد أو شرط(٥٢)•وفجأة صرح بن جوريون أن بلاده لن تنفذ قرارات الأمم المتحدة بشأن الانسحاب من قطاع غزة, فاحتج محمود فوزي لدي همرشولد الذي اجتمع مع جولدا مائير وعنفها, ورفض كل المعاذير الإسرائيلية عن بطء الانسحاب(٥٣)•وأصر موشي ديان علي عدم الانسحاب من شرم الشيخ ومضايق تيران عند خليج العقبة حتي

تحصل السفن الإسرائيلية علي ضمان حرية الملاحة في هذا الخليج - وكانت مصر قد فرضت الحظر عليها منذ عام ١٩٥١ - وأبلغت إسرائيل الأمم المتحدة بذلك(٥٤).

اجتمعت الجمعية العامة لبحث المسألة في الفترة من ١٧ - ١٩ يناير ١٩٥٧, وتحدث وزير الخارجية المصري وأعلن أن إسرائيل تدمر المنشأت والممتلكات المصرية في شبة جزيرة سيناء وقطاع غزة, وقدم مندوب سيلان مشروع قرار أعدته خمس وعشرون دولة أسيوأفريقية يتضمن الأسف والقلق لعدم امتثال إسرائيل لقرارات الجمعية العامة, ويطالب همرشولد مواصلة الجهد لتحقيق الانسحاب الكامل والعاجل لإسرائيل, وتحدثت جولدا مائير وبينت أن حكومة إسرائيل لن تقنع بالاتفاق مع قوة الطوارئ الدولية التي سترابط في قطاع غزة وشرم الشيخ والمضايق, وأبدي مندوب نيوزيلندا عطفه علي إسرائيل,واتهم مندوب فرنسا الأمم المتحدة وذكر أنه ليس بإمكانها فرض حل لا يمكن أن يقبله أحد الطرفين - مصروإسرائيل - وأيد المندوب الأسترالي وجهه نظر إسرائيل,أما مندوب بنما فندد بما أسماه الأعمال العدوانية المصرية ضد السفن الإسرائيلية.وعلي الجانب الآخر ساندت هولندا وبلجيكا وأيرلندا وتشيكوسلوفاكيا وإيطاليا ورومانيا ويوغوسلافيا وألبانيا وبورما وتايلاند وأندونسيا واليابان مشروع قرار الكتلة الأسيوأفريقية, وأيده المندوب البريطاني, لكنه أضاف مسألة تدويل خليج العقبة, ووضع قطاع غزة تحت إشراف وإدارة دوليين. وانتهي الأمر بالموافقة علي مشروع القرار بأغلبية أربعة وسبعين صوتا, ومعارضة إسرائيل وفرنسا, وامتناع كوبا وكوستاريكا عن التصويت(٥٥).

وعلي الفور أخطرت بعض الدول المشاركة في قوة الطوارئ الدولية وفي مقدمتها يوغوسلافيا والهند وأندونسيا السكرتير العام للأمم المتحدة بأنها ستسحب قواتها إذا لم تنسحب إسرائيل من قطاع غزة وشرم الشيخ وجزيرتي تيران وصنافير تنفيذا لقرار الأمم المتحدة, كما أعلنت أنها لا تقبل أن تحتل قواتها أي بقعة من الأراضي المصرية إرضاء لاسرائيل(٥٦).فكان ذلك موقفا إيجابيا لدحض كل التكهنات.

وعقدت الكتلة الأسيو أفريقية اجتماعا في ٢٦ يناير لدراسة تقرير تقدم به همرشولد يوصي فيه بأن تتوجه قوة الطوارئ الدولية إلي شرم الشيخ والضفة الساحلية للشاطئ الغربي لخليج العقبة, وضرورة رحيل القوات الإسرائيلية, وانسحابها من قطاع غزة - وكانت إسرائيل قد انسحبت من باقي شبه جزيرة

سيناء- وأن تستخدم وحدات من قوة الطوارئ الدولية في القطاع وأمام منطقة العوجة وداخل إسرائيل من ناحية خط الهدنة, ثم شرح محمودفوزي أبعاد الموقف, وتحدثت بعض الوفود عن مهمة قوة الطوارئ الدولية(٥٧)

وعقدت الجمعية العامة اجتماعها في ٢٨ يناير لمناقشة تقرير السكرتير العام للأمم المتحدة, وألقي وزير خارجية السودان الكلمة نيابة عن الكتلة الأسيوأفريقية, وسجل تحدي إسرائيل لقرارات الأمم المتحدة, وناشد الرأي العالمي الممثل في الجمعية العامة إدانه إسرائيل, وإنزال أشد العقاب بها, وإيقاف كل معونة اقتصادية أو عسكرية لها٠وأيد المندوب الأمريكي تقرير همرشولد, وطلب أبا إيبان المندوب الإسرائيلي تمكين السفن الإسرائيلية من المرور في خليج العقبة, وأن يبقي الطريق مفتوحا لإحداث تغيير في الوضع الخاص بقطاع غزة, ورفض توصية همرشولد الخاصة بتوزيع قوة الطوارئ الدولية(٥٨)٠

استكملت الجمعية العامة جلساتها في اليوم التالي لتستنفد جميع المحاولات لإرغام إسرائيل علي تنفيذ قرارات الأمم المتحدة, وهاجم المندوب السوفيتى إسرائيل, واتهم الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا وأستراليانيوزيلندا بتشجيعها, وطالب المندوب الكندي بضرورة سحب إسرائيل لقواتها تماما دون أية شروط, وقدم مشروع قرار يقضي بتولي الأمم المتحدة إدارة قطاع غزة,ولكن رفضته يوغوسلافياوالهند وأندونسيا, وعارضت مرة أخري استخدام قوة الطورئ الدولية بغرض الاحتلال٠(٥٩)

وفي أول فبراير عقدت الجمعية العامة جلستها, وبعد مشاورات اتفقت الدول السبع وهي الولايات المتحدة والنرويج ويوغوسلافيا والهند وأندونسيا وكولومبيا والبرازيل علي مشروعي قرارين, المشروع الأول يطالب بانسحاب إسرائيل من الأراضي المصرية والرجوع إلي ما وراء خط الهدنة لعام ١٩٤٩, والمشروع الآخر يقضي بتكليف همرشولد بالإشراف علي إخراج إسرائيل من قطاع غزة ومرابطة قوة الطوارئ الدولية علي خط الهدنة, وإرسال وحدات من تلك القوة إلي خليج العقبة٠ودارت المناقشات, وبرز مجهود دول عدم الانحياز ودول الكتلة الشيوعية والدول العربية واليابان وبعض الدول الأوربية, حتي بلجيكا التي كانت دائما في الصف المضاد لمصر, أعلن مندوبها عدم قبوله لأية تحفظات إسرائيلية, وطالب مندوب الولايات المتحدة بضرورة انسحاب اسرائيل علي وجه السرعة والعمل علي خلق أجواء سلمية في المنطقة٠(٦٠)

وجري التصويت علي مشروعي القرارين في ٣ فبراير ١٩٥٧, فحصل المشروع الأول علي موافقة أربعة وسبعين صوتا, ومعارضة إسرائيل وفرنسا, وامتناع هولندا ولكسمبورج عن التصويت. وحصل المشروع الثانى علي ستة وخمسين صوتا, وامتناع اثنتين وعشرين دولة عن التصويت من بينها مصر والكتلة الشيوعية والدول العربية, ومن اللافت للنظر أن إسرائيل امتنعت هي الأخرى علي أساس أن ما قدم لها من ضمانات غير كاف, وقد حاول المندوب السوفيتى إرجاء المشروع الثانى مدة يومين, وبين أنه يعنى الرضوخ لاشتراطات إسرائيل غير القانونية, وطالب بوجوب انسحاب قوة الطوارئ الدولية من مصر فور انسحاب إسرائيل .(٦١) ولكن ذلك لم يغير من الموقف شيئا.

وسرعان ما عقد وزير الخارجية الأمريكى مؤتمرا صحفيا, واستهل تصريحاته بالإعراب عن اعتقاده بأن إسرائيل ستمتثل لقرارات الأمم المتحدة, وعن أمله في أن تنفذ مصر قرارات مجلس الأمن بشأن حرية الملاحة سواء في خليج العقبة أو قناة السويس .(٦٢) والمقصود إلغاء الحظر المصرى على السفن الإسرائيلية.

ومن الملاحظ أن دور بريطانيا قد وهن, وغدت تابعة لواشنطن, وتؤكد الخارجية البريطانية على ضرورة الالتزام بخط موحد مع الولايات المتحدة إزاء الشرق الأوسط .(٦٣) وفى ذلك الوقت كان ايزنهاور قد أعد مشروعه عن الشرق الأوسط الذى يضفى علي الولايات المتحدة أن تكون الدولة الحامية للمصالح الغربية في هذه المنطقة.

رفضت إسرائيل التسليم بقرارى الجمعية العامة إلا إذا حصلت علي ضمانات أكثر . وفى ١١ فبراير يسلم دالاس مذكرة إلي أبا إيبان السفير الإسرائيلى فى واشنطن يضمنها استعداد الولايات المتحدة لممارسة حق المرور الحر والبرئ فى خليج العقبة باسمها, والانضمام مع دول أخرى لضمان الاعتراف العام بهذا الحق .(٦٤) كما بعث الرئيس الأمريكى برسالة إلى بن جوريون يطالبه بالانسحاب الفورى من قطاع غزة ويعده بدعم حق إسرائيل المرور البرئ فى خليج العقبة, ومرة أخرى يرفض رئيس الوزراء الإسرائيلى .(٦٥)

وبناء على موقف إسرائيل المعارض, طلبت مصر رسميا عقد اجتماع للجمعية العامة, وبدأت وفود الدول تتحدث عن فرض العقوبات بأنواعها على إسرائيل, ورأت الكتلة الأسيوأفريقية ضرورة اتخاذ التدابير الفعالة, وفى ذلك الوقت أبلغ أبا أيبان السكرتير العام للأمم المتحدة طلب الحصول على ضمانات بحرية لإسرائيل

فى خليج العقبة وقناة السويس, وعدم قيام مصر بأعمال حربية في هذا الخليج . وانشغلت الأذهان بمسألة فرض العقوبات على إسرائيل, وأبدى همرشولد ترددا فى ذلك, مبينا أن مثل هذا الإجراء قد يعقد الموقف في الشرق الأوسط .(٦٦) ومن المعروف أن منصب السكرتير العام للأمم المتحدة يمنعه من التوصية بالعقوبات أو معارضة فرضها.

كانت الولايات المتحدة حريصة على عدم فرض عقوبات على إسرائيل, وفى ١٥ فبراير أذاعت الحكومة الأمريكية بيانا أعلنت فيه أن مياه خليج العقبة دولية, ومن ثم فإن الملاحة فيه حرة, وأن قطاع غزة يمثل خطرا, لذا ينبغى نقل قوة الطوارئ الدولية إليه وعسكرتها على الحدود بين القطاع وإسرائيل .(٦٧) وعاد ايزنهاور وأكد ذلك, ومع هذا يستمر بن جوريون فى رفضه, ويتحرك المندوب الأمريكي فى الأمم المتحدة لمحاولة الخروج من مأزق فرض العقوبات على إسرائيل .(٦٨)

وقدمت الكتلة الأسيوأفريقية مشروع قرار فى ٢٢ فبراير للجمعية العامة يشتمل على وقف المساعدات الاقتصادية والمالية والعسكرية لإسرائيل حتي تنسحب قواتها إلى ما وراء خط الهدنة, وأنه إذا لم يوقف تحدى إسرائيل قد يؤدى الأمر إلى عواقب خطيرة . هنا تزعم وزير الخارجية الكندي حملة المعارضة لفرض العقوبات على إسرائيل, وقدم اقتراحا بشأن توزيع قوة الطوارئ الدولية, وأن تتولي الأمم المتحدة إدارة قطاع غزة, وأن تمارس حرية المرور البرئ فى خليج العقبة . وواصلت الجمعية العامة جلساتها, وطالت مناقشتها, فى الوقت الذى استمرت واشنطن فى ضغطها على إسرائيل . وأخيرا انتهى الأمر وأعلنت جولدامائير فى جلسة أول مارس عن انسحاب القوات الإسرائيلية, وطالبت بضرورة فتح خليج العقبة لجميع سفن الدول, وإقامة إدارة مؤقتة لقطاع غزة تابعة للأمم المتحدة, وألا تعود مصر إلى استخدامه فى نشاطها العسكري ضد إسرائيل ٠(٦٩)

وحلت قوة الطوارئ الدولية مكان القوات الإسرائيلية بعد انسحابها سواء فى قطاع غزة أو شرم الشيخ, وتأزم الوضع فى القطاع حيث جرى احتكاك بين القوة والأهالى الذين طالبوا بالحكم المصري, وعليه أصدر عبد الناصر قراره فى ١١ مارس بتعيين اللواء محمد حسن عبد اللطيف حاكما إداريا للقطاع .(٧٠) وعلى أثر ذلك طارت جولدامائير إلى واشنطن لتعبر عن انزعاج إسرائيل لذلك .(٧١) بينما حضر همرشولد للقاهرة لمناقشة الأمر مع عبد الناصر، وصرح – أى همرشولد–

بأن وجود قوة الطوارئ الدولية مؤقت .(٧٢) وبذلك خسرت إسرائيل ولم تحقق مساعيها بالنسبة لقطاع غزة, ولكنها كسبت الجولة فى إسقاط الحظر المصري على الملاحة الإسرائيلية فى خليج العقبة, وأخفقت الكتلة الشيوعية والكتلة الأسيوأفريقية والدول العربية فى تدعيم الموقف المصري إزاء هذه المسألة, فى حين ساندت باقي الدول الموقف الإسرائيلي, وبنى هذا الفريق حجته على أن مياه خليج العقبة تصل بين بحرين عالميين, وبالتالي فالملاحة فيه حرة.(٧٣)

ووضح أن الولايات المتحدة مثلت ثقلا في هذا الأمر, وفي الاجتماع الوزاري لمجلس حلف شمال الأطلنطي, أكد دالاس على حق إسرائيل الملاحي في خليج العقبة .(٧٤) وكان قد سبق أن رفض ايزنهاور تدخل الملك سعود في إثبات أن مياه هذا الخليج إقليمية, وذلك رغم المكانة التي يتمتع بها الحاكم السعودي لدى واشنطن, إذ احتفظت به كورقة رابحة يمكن استخدامها ضد عبد الناصر .(٧٥)

حاولت إسرائيل الحصول على رخصة لمرور سفنها عبر قناة السويس, وكان قد صدر قرار لصالحها من الأمم المتحدة عام ١٩٥١, لكن مصر لم تلتزم به, وأيد همرشولد الطلب الإسرائيلي وفاتح عبد الناصر في ذلك, لكنه استبعد الفكرة تماما.(٧٦) وبطبيعة الحال ساندت الولايات المتحدة إسرائيل في هذا الشأن, وتعددت التصريحات الأمريكية إزاء ذلك, وأشهرها تصريح ايزنهاور في ٢٠ فبراير ١٩٥٧ الذي حمل نوعا من التهديد –عن طريق الأمم المتحدة – إذ يؤكد على ضرورة أستخدام إسرائيل للقناة .(٧٧) ورغم ذلك جميعه ظل الحظر المصري مفروضا على الملاحة الإسرائيلية في قناة السويس, وخسرت إسرائيل هذه الجولة, وحاولت مرة أخرى إثارة المسألة أمام مجلس الأمن عند مناقشة وضع القناة بعد تطهيرها, إلا أن الأمر استقر على ما هو عليه .

التطهير ونهاية أزمة السويس

ساندت الدول مصر في محو آثار العدوان, وبطبيعة الحال كان التركيز على تطهير قناة السويس لما لها من أهمية قصوى لدى دول العالم التي تحملت الخسائر الاقتصادية نظرا لتوقف الملاحة طوال فترة العدوان . وعندما صدر قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة الخاص بوقف إطلاق النار في ٢ نوفمبر ١٩٥٦ أشار إلى إعادة تشغيل قناة السويس .

أخذت الأمم المتحدة على عاتقها مهمة تطهير القناة, وقام همرشولد بدور إيجابي في هذا الشأن, ووضع توجيهات مصر موضع التنفيذ, ورفض الاقتراحات بشأن الاستعانة بالبريطانيين ومعداتهم, وأجرى مفاوضاته مع شركة هولندية وأخرى دانمركية للقيام بالمهمة .(٧٨) وفي٢٣ نوفمبر عقدت الجمعية العامة جلستها, وقدمت الولايات المتحدة وكندا وكولومبيا والنرويج ويوغوسلافيا والهند مشروع قرار يمنح السكرتير العام للأمم المتحدة السلطات حول كافة الإجراءات التي يتطلبها التطهير, ووافقت الجمعية العامة بأغلبية خمسة وستين صوتا, وصمم عبد الناصر على أنه لا تطهير إلا بعد الجلاء عن منطقة القناة .(٧٩)

ووضع همرشولد الخطة مع الجنرال الأمريكي هويلر Heweler الذي تولى مسئولية العملية, ومن ثم شكل لجنة الخبراء بموافقة مصر التي رأت ضرورة قيام تناسق بين هويلر ومحمود يونس مدير هيئة القناة .(٨٠) واكتمل استعداد أسطول التطهير في ١٩ ديسمبر, وتكون من إحدي وثلاثين سفينة وصندلا من هولندا والدانمرك وألمانيا الغربية وإيطاليا والسويد وبلجيكا ويوغوسلافيا, وعليه حوالي ستمائة خبير ما بين مهندسين وملاحين وغواصين, معظمهم من هذه الدول .(٨١) ومن الملاحظ أن الهوية الغربية كانت سمة هذه العملية إذا استثنيت يوغوسلافيا .

وتتابعت إزالة العوائق بمهارة وسرعة وانتظام, ومع الانسحاب الإسرائيلي ناشد وزير الخارجية الأمريكي التعجيل بافتتاح القناة .(٨٢) وما لبثت أن أصدرت شركات الملاحة تعليماتها إلى السفن ذات الحمولة الكبيرة التي كانت تسلك طريق رأس الرجاء الصالح بالاستعداد للمرور في القناة, هذا وقد حضر همرشولد ليرى المشهد الأخير من عملية التطهير .(٨٣)

ووفقا لتقرير السكرتير العام للأمم المتحدة, فقد بلغت النفقات ٤٢٠ر٣٧٦ر٨ دولارا, وأسهمت عشر دول غربية في تقديم القرض للأمم المتحدة, وعلى رأسها الولايات المتحدة التي شاركت بنسبة كبيرة, وقدمت جزءا من النسبة كهدية, ولم يشارك الاتحاد السوفيتي ولا دول العدوان, أيضا لم تتحمل مصر شيئا .(٨٤) وعادت قناة السويس إلي حالتها الطبيعية في ٢٩ مارس ١٩٥٧, واستؤنفت حركة الملاحة بدقة وانتظام .

ولكن هل ينتهي الأمر عند هذا الحد؟ وهل مشكلة إدارة مصر للقناة التي تسببت في العدوان قد سقطت بمضي الأحداث؟ وكيف تحدد الموقف الدولي إزاء ذلك؟

أراد الغرب متمثلا في الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا عودة المفاوضات بشأن إدارة القناة, وانضم السكرتير العام للأمم المتحدة لهذه الرغبة, ورغم الهزيمة التي مني بها التحالف الأنجلوفرنسي, إلا أن الحرص على تسوية هذه المسألة كان قويا, فيكتب السفير البريطاني لحكومته عن أهمية هذا التحالف أثناء مفاوضات تسوية القناة .(٨٥)

وبدأت «هيئة المنتفعين» SCUA التي سبق تأسيسها قبيل العدوان وأنيط إليها إدارة القناة, تعقد اجتماعاتها, فأعدت مشروعا يختص برسوم المرور في القناة, وجعلت لمصر ٥٠٪ منها, والباقي يوضع في البنك الدولي حتى يتقرر طريقة استخدامه, وقدم هذا المشروع إلى همرشولدفي ٢٠ فبراير ١٩٥٧ باسم بريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة والنرويج .(٨٦)

وفي ١٨ مارس بعثت مصر إلى عواصم العالم بيانا عن الطريقة التي ستتبعها في إدارة القناة ومعاملة السفن المارة بها عند افتتاحها للملاحة, وأكدت تصميمها على احترام اتفاقية القسطنطينية لعام ١٨٨٨, وتمسكها بحقها في تحصيل الرسوم مقدما وكاملة, وبعد ثلاثة أيام التقى عبد الناصر مع همرشولد, وعرض الأخير وجهة نظر الغرب تجاه الرسوم .(٨٧) وبالطبع عارض عبد الناصر ذلك .

رفضت الولايات المتحدة وحلفاؤها ما قررته الحكومة المصرية, وبينت أنه لا يتفق مع المبادئ الستة التي أقرها مجلس الأمن في ٣١ أكتوبر ١٩٥٦ لتكون أساسا للمفاوضات بين مصر وبريطانيا وفرنسا, خاصة المبدأ الثالث الذي يقضي بعزل القناة عن السياسة .(٨٨) وفي مؤتمر صحفي عقده ايزنهاور في ٢ أبريل ١٩٥٧ صرح بأن واشنطن ستمضي في مفاوضاتها مع مصر لحل مسألة القناة ما دامت هناك تسوية مرضية, وأن مصر لم تخرق اتفاقية القسطنطينية لعام ١٨٨٨, ولكنها تتمسك بحق الدولة المحاربة بالنسبة للسفن الإسرائيلية, وأنه يجب عدم افتراض أن مصر ستمنع أي دولة من استخدام القناة . وعقب السكرتير العام للأمم المتحدة على التصريح بقوله «إنه ينطوي على افتراض معقول وحكيم» .(٨٩) وكان معنى ذلك الرغبة في الحصول على حق مرور سفن إسرائيل في قناة السويس .

ورأت بريطانيا وفرنسا وأستراليا عرض المسألة على مجلس الأمن, ولم يكن كل من ايزنهاور وهمرشولد في البداية يؤيدان تلك الخطوة رغبة في المفاوضة والاتفاق المباشر مع مصر, وبالفعل تعددت لقاءات السفير الأمريكي في القاهرة مع محمود فوزي وعبد الناصر, ورفض الأخير الموافقة على نظام للتعاون مع منتفعي القناة,

وعزلها عن السياسة, وأكد استعداد مصر لجعل اتفاقية القسطنطينية لعام ١٨٨٨ تتمشى مع روح العصر الجديد, وتوسيع دائرة الموقعين عليها .(٩٠)

وأصدرت مصر تصريحا في ٢٤ أبريل, بعث به محمود فوزي إلى السكرتير العام للأمم المتحدة لتسجيله باعتباره وثيقة دولية لما يحتويه من التزامات, وضمنته الأسس التي سبق أن أعلنت عنها, وزادت عليها قبولها التحكيم والولاية القضائية لمحكمة العدل الدولية فيما يختص بالخلافات القانونية بشأن القناة, وعددت نوعياتها.(٩١) وأمر طبيعي ألا يجد هذا التصريح قبولا لدي الغرب, وأعلن همرشولد أنه ليس هناك ثمة ما يمنع من إجراء تعديلات بطريق التفاوض أو الاتفاق على أية وثيقة مسجلة لدى الأمم المتحدة .(٩٢)

وجدت الولايات المتحدة ضرورة وضع حد لإنهاء الأزمة, فطلبت عقد مجلس الأمن, واجتمع في ٢٦ أبريل, وألقى المندوب الأمريكي كلمته, وذكر أن التصريح المصري لا يحقق المبادئ الستة, ولا ينص على التعاون مع منتفعي القناة, ثم أشار إلي أنه بالرغم من ذلك, ستسمح الولايات المتحدة للسفن الأمريكية بدفع الرسوم للهيئة المصرية لإدارة القناة مع الاحتجاج, وأنه إلى أن تتم تجربة النظام الذي اقترحته مصر, فإن بلاده تعترف بإشراف مصر على القناة اعترافا مؤقتا, وتحفظ لنفسها الحق في الإعراب عن رأيها في الموضوع مستقبلا, وأن ثقة الذين يستخدمون القناة رهن بالكيفية التي ستنفذ بها مصر تصريحها, وختم كلمته باقتراح أن يبقى الموضوع مدرجا بجدول أعمال المجلس, وانتظار نتائج تطبيق القواعد المصرية .(٩٣)

وتناول عمر لطفي التصريح بالتفصيل, وأعقبه المندوب الفرنسي الذي رفضه لكونه صادرا من جانب واحد, وانتقد مصر لمنعها السفن الإسرائيلية من المرور في القناة, وركز على أن عملية الملاحة في القناة يجب أن تنظم وفقا لاتفاق دولي . وأيده مندوبو بريطانيا وأستراليا والصين الوطنية, وانبري الاتحاد السوفيتي في الدفاع عن مصر, وبعد مهاجمته للعدوان الثلاثي, ركز على أن لمصر حق السيادة على القناة, وأثنى على نجاحها في إدارة الملاحة, وامتدح التصريح المصري . وانتهت الجلسة, وأعلن رئيسها أنه ستتخذ ترتيبات لمناقشات أخري تحدد فيما بعد.(٩٤) أي نهاية مفتوحة دون اتخاذ أي قرار .

من خلال ذلك تتضح سياسة المداهنة التي انتهجتها واشنطن, فهي حريصة على عدم معاداة مصر, حتى إنه في مؤتمر برمودا الذي عقد في مارس ١٩٥٧, وعند

مناقشة موضوع الشرق الأوسط, كان التركيز على مصر, حيث بين المؤتمرون أنها بمختلف الطرق أهم دولة عربية نظرا لموقعها الجغرافي, وشعبها العريض, وثقافتها, وقيادتها السياسية في المنطقة .(٩٥) هذا ويجب أن نضع في الاعتبار موقف مصر من مشروع ايزنهاور وخشية امتداد تأثيرها إلى باقي العالم العربي .

وكسبت مصر في مجلس الأمن نقطة مهمة, ومع أنه لم يوافق رسميا ولا نهائيا على نظام مصر لإدارة القناة, إلا أنه اصبح حقيقة واقعة مقبولة على أساس التجربة. واحتجت «هيئة المنتفعين» SCUA لكنها أجازت للدول الأعضاء السماح لسفنها باستئناف الملاحة في القناة, وتركت الحرية لكل دولة أن تتصرف تبعا لمقتضياتها بعد أن فشلت في اتخاذ قرار إيجابي إما باستخدام القناة أو مقاطعتها.(٩٦)

وسلمت بريطانيا بالأمر الواقع, وتصدع الوفاق الودي مع فرنسا التي قررت عرض الموضوع مرة أخرى على مجلس الأمن, الذي انعقد في ٢٠ مايو, وكان بينو Pineau وزير الخارجية الفرنسي قد اجتمع مع دالاس لعلة –أي بينو – يتمكن من التأثير عليه, ولكن وزير الخارجية الأمريكي أقنع زميله الفرنسي بإمكانية إتاحة الفرصة لتنفيذ النظام المصري بصفة مؤقتة, أيضا نجح الجانبان الأمريكي والبريطاني في الضغط على الوفد الفرنسي والحيلولة بينه وبين تقديم مشروع قرار خشية أن يسقطه الاتحاد السوفيتي باستخدام الفيتو, ومن ثم خفت حدة بينو حتى إنه عندما تكلم أمام مجلس الأمن بدا هادئا, وصرح أن فرنسا تعلق أهمية كبرى على الطبيعة المؤقتة للنظام المصري . وعندما تحدث المندوب الأمريكي طالب بمزيد من الإيضاحات حول شروط التحكيم, ومسألة تعويضات حملة أسهم شركة قناة السويس المؤممة, وتتابعت الكلمات, فأعلن المندوب المصري تمسك بلاده بموقفها, وأكد مندوب السويد على حرية الملاحة, ووصف المندوب الكولومبي النظام المصري بأنه حل مؤقت, وتمسك المندوب الصيني بالمبادئ الستة, أما مندوب أستراليا فذكر أن هذا النظام لا يضمن استقلال القناة عن الحكومة المصرية, وأنهى المندوب الأمريكي الجلسة بموجز عما دار فيها .(٩٧) بمعنى أن الجلسة اقتصرت على المناقشات التي لم يتمخض عنها أي عواقب مضادة لمصر, وسلمت فرنسا ومن ساند رؤيتها من الدول بالأمر الواقع الذي ما لبث أن أصبح وضعا دائما .

وأعلن السكرتير العام للأمم المتحدة في ٦ يونيو أن قبول مصر لأحكام محكمة العدل الدولية فيما يتعلق بمنازعات الملاحة في قناة السويس هو من الضروريات

الأولية لتسوية تلك المنازعات, وعندما افتتحت الدورة الثانية عشرة للجمعية العامة, أشاد رئيسها بقبول مصر مبدأ التحكيم, وفي جلسة ٣ اكتوبر أكد محمود فوزي في كلمته ما أعلنته مصر في هذا الشأن, وأنها خصصت مبلغ ٠٠٠ر٢٨٥ر٣ جنيه لتوسيع القناة وتعميقها وتحسينها .(٩٨) وكان ذلك معناه إعطاء الأمن والأمان لمنتفعي القناة مما دعم موقف مصر قانونيا, كما أن كفاءة وتفوق الإدارة المصرية في تسيير دفة الملاحة في القناة قد دعم موقف مصر عمليا .

وجاءت مسألة تعويضات حملة أسهم شركة قناة السويس المؤممة لتنهي الموقف الدولي, وتكون الحلقة الأخيرة من مسلسل أزمة السويس, وكان قرار التأميم ينص على تعويضهم حسب سعر الإقفال السابق عن تاريخ إعلان القرار داخل بورصة الأوراق المالية في باريس .(٩٩) وتناقش السكرتير العام للأمم المتحدة مع كل من عبد الناصر ورئيس الوزراء الفرنسي ووزير خارجيته ومدير شركة قناة السويس المؤممة, وقرب وجهات النظر, ووافقت مصر على المفاوضات, وشكلت لجنة أجرت مباحثاتها مع البنك الدولي, ورغم الصعوبات , إلا أن الأمر انتهى بالتوقيع على الاتفاق النهائي للتعويضات في ٣١ يوليو ١٩٥٨ وذلك بمقر الأمم المتحدة في جنيف, وبلغت ما يزيد قليلا عن ثلاثة وعشرين مليون جنيه بعد خصم خمسة ملايين جنيه كانت مودعة في باريس ولندن لحساب الشركة المؤممة, على أن يكون الدفع على أقساط سنوية تبدأ من يناير ١٩٥٩. (١٠٠)

الخلاصة

لقد لمسنا عبر السطور السابقة الموقف الدولي من العدوان على مصر, ومنه نستنتج أنه منذ الحرب العالمية الثانية لم يقع حدث ترك البصمات على السياسة الدولية مثل هذا الحدث الذي فرض نفسه على الساحة العالمية, وكانت له نتائجه العميقة الأثر, فقد أصبح يعد بمثابة بداية النهاية لبريطانيا وفرنسا كدولتين حاولتا استخدام الأسلوب الاستعماري للقرن التاسع عشر, كما أن هذا الحدث أثبت عملية التواطؤ بينهما وبين إسرائيل, تلك التي ارتفع صوتها مطالبة بما ليس من حقها.

أيضا وضح تماما دور القوتين المتمثلتين في الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي, إذ تمكنتا من الانغماس في الحدث, وقد بزغ نجماهما وتألق دورهما, حيث سعى كل طرف لاقتناص الفرصة والعمل على تحقيق مصالحه, ومن ثم اتسمت الحرب الباردة بسمات صبغها الحدث بألوان معينة. ورغم الصراع بين القوتين, إلا أنه كان هناك خيط رفيع قد جمعهما أحيانا, ولأول مرة تنتهج واشنطن أسلوبا يتنافى مع

حلفائها, ولكنها لم تطلق العنان لذلك الأمر, وإنما استخدمت سياسة المد والجزر. أما موسكو فقد اتاح لها الحدث التعبير عن وجهة نظرها التي كانت خير سند لمصر.

وكان الحدث أول اختبار للقوة الجديدة التي ظهرت على المسرح الدولي, فاجتازته بنجاح, وهي كتلة الدول الأسيوأفريقية, تلك التي عانت كثيرا من الخضوع للاستعمار الغربي وحصلت على استقلالها مؤخرا, وارادت أن تثبت ذاتها, وتدمغ شخصيتها بانتهاج سياسة الحياد وعدم الانحياز ,ومن ثم أعطاها الحدث المادة التي استخدمتها لتخدم بها أغراضها وتترجم سياستها, وبالتالي فإن مواقفها الإيجابية مثلت عونا لمصر.

وقد رسمت الأمم المتحدة الصورة البانورامية لتفاصيل الموقف الدولي, فمن خلال جلسات وقرارات مجلسي الأمن والجمعية العامة, وضحت الخطوط العريضة للسياسة الدولية, كما أن ما صدر من قرارات سواء الخاصة بانسحاب المعتدين أو إزالة بعض الآثار التي خلفوها, كان ترجمة صادقة للموقف الدولي من العدوان..

هوامش الدراسة

١ - الأهرام, عدد ٢٥٥٣٢ في ٣٠ اكتوبر ١٩٥٦.

- Dayan, Moshe, Story of my life, William Marrow and company, New York, 1976, P.239.
- Bowie, Robert, Eisenhower, Dulles, and the Suez Crisis, In Suez 1956, The crisis and its consequences, Edited By WM. Roger Louis and Roger Owen, Clarendon Press, Oxford 1989, P. 208 .

في ٢٥ مايو ١٩٥٠ صدر التصريح الثلاثي الذي وقعت عليه الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا, ويقضى بالمحافظة على الأوضاع العربية الإسرائيلية الراهنة Status quo سواء بالنسبة لخطوط الهدنة عام ١٩٤٩ أو للتوازن في التسلح بين الطرفين . تشايلدرز, ارسكين, الطريق إلى السويس, تعريب خيري حماد, الدار القومية للطباعة والنشر, د.ت, ص ١٢٦

- Kyle, Keith, Suez, Weidenfeld and Nicolon, London 1991, P. 356 .

٥ - نيف, دونالد, حرب السويس, ترجمة أحمد خضر, عبد السلام رضوان, مكتبة مدبولي, القاهرة ١٩٩٠, ص ٥١١ .

6 - Bowie, Op. cit, P.209, Dayan, op. cit., P.239,
الأهرام, عدد ٢٥٥٣٢ في ٣٠ اكتوبر ١٩٥٦.

٧ - نفس الدورية, عدد ٢٥٥٣٤ في أول نوفمبر ١٩٥٦, إيدن, أنتوني, مذكرات, القسم الثاني, ترجمة خيري حماد, دار مكتبة الحياة للطباعة والنشر , بيروت ١٩٦٠, ص ٣٨١ .

8 - Kyle, Op. cit., P

9 - Bowie, op. cit., PP.209,210.

١٠- الأهرام, عدد ٢٥٥٣٤ في أول نوفمبر ١٩٥٦, بينما يعد مجلس الأمن محور الأمم المتحدة وبمثابة وزارتها, فإن الجمعية العامة هي هيئة المناقشة والمجادلة, إيدن, المصدر المذكور, ص ٣٣٣.

١١- نفس الدورية, عـدد ٢٥٥٣٥ فـي ٢ نوفمبر ١٩٥٦, عـدد ٢٥٥٣٦ فـي ٣ نوفمبر ١٩٥٦, إيدن,المصدر المذكـور, ص٣١٦, نيـف,المرجـع المذكـور, ص٥٣٧

21 - Kyle, Op. cit,P. 386.

١٣- إيدن, المصدر المذكور, ص ٣٩٧

- Fry, Micheal, Canada, the North Atlantic Triangle and the United Nation, In Suez 1956, The crisis and its Consequences, Edited By WM. Roger Louis and Roger Owen,Clarendon press, Oxford 1989, PP. 287, 288, 293-295, 297, 3٣٠,307.

١٥- الأهرام, عدد ٢٥٥٣٨ في ٥ نوفمبر ١٩٥٦.

- Gopal, Sarvepalli, India, the Crisis, and the Non- Aligned Nations,In Suez 1956, The crisis and its consequences, Edited By WM.Roger louis and Roger Owen, Clarendon press, Oxford 1989 PP. 174, 175.
- Compbell, John, The Sovit union, the United States, and the Twin Crisis of Hungary and Suez, In Suez 1956, The crisis and its Consequences, Edited By WM. Roger Louis and Roger Owen, Clarendon press, Oxford 1989, P.246

١٨- ناتنج, أنتوني, ناصر, ترجمة شاكر ابراهيـم سـعيد, الطبعـة الثانيـة, مكتبـة مدبولي, القاهرة ١٩٩٣, ص ٢٠٩.

19 - Kyle, op. cit., P. 180.,- Campbell, OP. cit., P.245

20 - Kyle, op.cit., P.457

21 - Ibid, P.456, Bowie, op. cit.,212.

٢٢- نيف, المرجع المذكور, ص٥٥٢.

٢٣- نفس المرجع Dayan, op. cit., P.25

٢٤- مائير, جولدا, حياتي, القسم الثاني,مركز البحوث والمعلومات, ص ٢٨٣.

٢٥- الأهرام, عدد ٢٥٥٣٩ في ٦ نوفمبر ١٩٥٦.

٢٦- صلاح بسيوني, مصـر وأزمـة السـويس, دار المعـارف, القـاهرة ١٩٧,ص ٢٥٧.

27 - Campbell, op. cit., P.248.

٢٨ - ناتنج, المرجع المذكور, ص٢١٩.

29 - Higgins, Rosalyn, United Nation Peace keeping 1946 - 1967, I

The Middle East. Oxford University Press. 1969, P.227, ,
بريسون, توماس, العلاقات الدبلوماسية الأمريكية مع الشرق الأوسط من ١٧٨٤ إلى ١٩٧٥, ترجمة دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر, الطبعة الأولي, دمشق ١٩٨٥, ص ص ٤٩٦, ٤٩٧, نيف, المرجع المذكور, ص ١٦٥.

٣٠- الأهرام, عدد ٢٥٥٤٠ في ٧ نوفمبر ١٩٥٦ Higgins, op. cit., P227 - ,

٣١- ناتنج, المرجع المذكور , ص ٢٢٣.

32 - Campbell, op. cit., P. 249.

٣٣- أحمد عبد الرحيم مصطفى, مشكلة قناة السويس ١٨٥٤ – ١٩٥٨, معهد البحوث والدراسات العربية, القاهرة ١٩٦٧, ص ١٤٣, عبد الرؤوف عمرو, تاريخ العلاقات المصرية الأمريكية ١٩٣٩ – ١٩٥٧, الهيئة المصرية العامة للكتاب, القاهرة ١٩٩١, ص ٤٣٨.

- F.O. 371 / 121230, V1o345 / 3, Washington - F.O. , Nov. 14th,1956.
- Ibid, 118855, JE 10343/ 4, Middle East, Watson Nov.27th, 1956

٣٦- الأهرام , عدد ٢٥٥٣٩ في ٦ نوفمبر١٩٥٦ - ١٩٥٦36 Fry, OP. - , cit., P. 308, صلاح بسيوني, المرجع المذكور, ص ص ٢٤٥ – ٢٤٧, ٢٥٠, ٢٥١.

٣٧- Bowie, Op. cit, PP. 211,212. , إيدن, المصدر المذكور, ص ٤٢٥.

٣٨- الأهرام, عدد ٢٥٥٤١ في ٨ نوفمبر ١٩٥٦, صلاح بسيوني, المرجع المذكور ص ٢٦٩.

٣٩- نفس الدورية.

٤٠- نفس الدورية, عدد ٢٥٥٤٢ في ٩ نوفمبر ١٩٥٦.

٤١- Higgins, op. cit., P. 368, Kyle, op. cit., P.482 ., نيف, المرجع المذكور, ص ٨٧٥

42 - Kyle, op. cit., P. 158.

- Ibid, PP. 158, 395, 396, Gopal, op.cit., 185, Lyon, Peter, The commonwealth and the Suez Crisis, In Suez 1956, The Crisis and its Consequences, Edited By WM. Roger Louis and Roger Owen, Clarendon press, Oxford 1989, P. 262 .

44 - Kyle, op. cit., P.157

٤٥- مائير , المصدر المذكور, ص ٢٧٦.
٤٦- إيدن, المصدر المذكور, ص ص ٤٢٠, ٤٤٠.
٤٧- الأهرام, عدد ٢٥٥٥٧ في ٢٤ نوفمبر ١٩٥٦, عدد ٢٥٥٥٨ في ٢٥ نوفمبر ١٩٥٦.
٤٨- نفس الدورية, عدد ٢٥٥٦١ في ٢٨ نوفمبر ١٩٥٦.
٤٩- نفس الدورية, عدد ٢٥٥٦٢ في ٢٩ نوفمبر ١٩٥٦, عدد ٢٥٥٦٣ في ٣٠ نوفمبر ١٩٥٦.
٥٠- نيف, المرجع المذكور, ص ٥٩٠.
٥١- الأهرام, عدد ٧٦٥٥٢ في ٤ ديسمبر ١٩٥٦.
٥٢- نفس الدورية, عدد ٣٧٥٥٢ في ٠١ ديسمبر ١٩٥٦.
٥٣- نفس الدورية, عدد ٦٨٥٥٢ في ٢٣ ديسمبر ١٩٥٦, عدد ٥٨٥٥٢ في ٢٢ ديسمبر ١٩٥٦, محمد حسنين هيكل, ملفات السويس, الطبعة الأولى , مركز الأهرام للترجمة والنشر, القاهرة ١٩٨٦, ص ٨٩٦.
٥٤- نفس الدورية, عدد ٢٥٦٠٥ في ١١ يناير ١٩٥٧, عدد ٢٥٦١٠ في ١٦ يناير ١٩٥٧.
٥٥- نفس الدورية, عدد ٢٥٦١٢ في ١٨ يناير ١٩٥٦, عدد ٢٥٦١٣ في ١٩ يناير ١٩٥٦, عدد ٢٥٦١٤ في ٢٠ يناير ١٩٥٦.
٥٦- نفس الدورية, عدد٢٥٦١٤ في ٢٠ يناير ١٩٥٦.
٥٧- نفس الدورية, عدد ٢٥٦٢٠ في ٢٦ يناير ١٩٥٧, عدد ٢٥٦٢١ في ٢٧ يناير ١٩٥٧.
٥٨- نفس الدورية, عدد ٢٥٦٢٣ في ٢٩ يناير ١٩٥٧.
٥٩- نفس الدورية, عدد ٢٥٦٢٤ في ٣٠ يناير ١٩٥٧, عدد ٢٥٦٢٥ في ١٣ يناير ١٩٥٦, عدد ٢٥٦٢٦ في أول فبراير ١٩٥٧.
٦٠- نفس الدورية, عدد ٢٥٦٢٧ في ٢ فبراير ١٩٥٧.
٦١- نفس الدورية, عدد ٢٥٦٢٩ في ٤ فبراير ١٩٥٧.
٦٢- نفس الدورية, عدد ٢٥٦٣١ في ٦ فبراير ١٩٥٧.
63 - F.O. 371/217747, V1o51/4, Paris- F.O.,Jan 4th,1957
64 - Ibid, 127755, V1o75/4, Note by F.O., March,1957.
٦٥- نيف, المرجع المذكور, ص ٥٩٢.
٦٦- الأهرام, عدد ٢٥٦٣٧ في ٢١ فبراير ١٩٥٧.
٦٧- نفس الدورية, عدد ٢٥٦٤١ في ١٦ فبراير ١٩٥٧.

٦٨- نفس الدورية, عدد ٢٥٦٤٨ في ٢٣ فبراير ١٩٥٧, عدد ٢٥٦٤٩ في ٢٤ فبراير ١٩٥٧
٦٩- نفس الدورية, عدد ٢٥٦٤٨ في٢٣ فبراير ١٩٥٧, عدد ٢٥٦٥٢ في ٢٧ فبراير ١٩٥٧, عدد ٢٥٦٥٥ في ٢مارس ١٩٥٧.
٧٠- نفس الدورية, عدد ٢٥٦٦٥ في ١٢ مارس ١٩٥٧.
71 - F.O. 371/ 127755, V1o75/4,Note by F.O., March, 1957.
٧٢- الأهرام, عدد ٢٥٦٧٧ في ٢٤ مارس ١٩٥٧, عدد ٢٥٦٧٨ في ٢٥ مارس١٩٥٧, عدد٢٥٦٨٢ في ٢٩ مارس ١٩٥٧.
٧٣- مصطفى الحناوي, قناة السويس ومشكلاتها المعاصرة, الجزء الثالث, مكتبة النهضة المصرية, القاهرة ١٩٥٧, ص ص ٤٨٤, ٤٨٥.
- F.O. 371/ 127758, V1o79/ 1, Bonn- F.O., Note Ministerial Meeting, May 2nd, 1957 .
75 - Ibid.
٧٦- محمد حسنين هيكل, المرجع المذكور, ص ٥٩٣.
٧٧- الأهرام, عدد ٧٤٦٥٢ في ٢٢ فبراير ١٩٥٧.
٧٨- نفس الدورية, عدد ١٤٦٥٢ في ٨ نوفمبر ١٩٥٦, ٤٤٥٥٢ في ١١ نوفمبر ١٩٥٦, إيدن, المصدر المذكور, ص ٠٤٣.
٧٩- نفس الدورية, عدد ٢٥٥٥٧ في ٢٤ نوفمبر ١٩٥٦, عدد ٢٥٥٥٨ في ٢٥ نوفمبر ١٩٥٦, عدد ٢٥٥٦٠ في ٢٧ نوفمبر ١٩٥٦.
٨٠- محمد حسنين هيكل, المرجع المذكور, ص ص ٥٦٩, ٥٧٠.
٨١- الأهرام, عدد ٢٥٥٨٣ في ٢٠ ديسمبر ١٩٥٦.
٨٢- نفس الدورية, عدد ٢٥٦٥٩ في ٦ مارس ١٩٥٧.
٨٣- نفس الدورية, عدد ٢٥٦٧٨ في ٢٥ مارس ١٩٥٧, عدد ٢٥٦٧٩ في ٢٦ مارس ١٩٥٧, عدد ٢٥٦٨١ في ٢٨ مارس ١٩٥٧, عدد ٢٥٦٨٣ في ٣٠ مارس ١٩٥٧.
نفس الدورية, عدد ٢٥٩١٤ في ٢١ نوفمبر ١٩٥٧, عدد ٢٥٧٠١ في ١٧ ٨٤- أبريل ١٩٥٧ . 85 - F.O. 371/127747, V1o51/4, Paris- F.O., Jan. 4th 1957.
٨٦- الأهرام, عدد ٢٥٦٤١ في ١٦ فبراير ١٩٥٧, عدد ٢٥٦٤٥ في٢٠ فيراير١٩٥٧, عدد ٢٥٦٤٦ في٢١ فبراير١٩٥٧.

٨٧- نفس الدورية, عدد ٢٥٦٧٣ في ٢٠ مارس ١٩٥٧, عدد ٢٥٦٧٥ في ٢٢ مارس ١٩٥٧. ٨٨- نفس الدورية, عدد ٢٥٦٨٦ في ٢ أبريل ١٩٥٧.

٨٩- نفس الدورية, عدد ٢٥٦٨٨ في ٤أبريل ١٩٥٧, عدد ٢٥٦٨٩ في ٥ أبريل ١٩٥٧.

٩٠- نفس الدورية, عدد ٢٥٦٩٤ في ١٠ أبريل ١٩٥٧ , عدد ٢٥٦٩٥ في ١١ أبريل ١٩٥٧, عدد ٢٥٦٩٦ في ١٢ أبريل ١٩٥٧, عدد ٢٥٦٩٨ في ١٤ أبريل ١٩٥٧.

٩١- نفس الدورية, عدد ٢٥٧٠٨ في ٢٥ أبريل ١٩٥٧, مصطفى الحناوي, المرجع المذكور, ص ص ٦٢٣ - ٦٢٧, صلاح بسيوني, المرجع المذكور, ص ص٣٣٧, ٣٣٨. Kyle,op. cit., p. 545.

٩٢- نفس الدورية, عدد ٢٥٧٠٩ في ٢٦ أبريل ١٩٥٧.

٩٣- نفس الدورية, عدد ٢٥٧١٠ في ٢٧ أبريل ١٩٥٧.

٩٤- نفس الدورية.

- F.O. 371/127755, V1o75/5, Bermoda Conference, March 1957, Middle East, Egypt .

٩٦- الأهرام, عدد ٢٥٧٢١ في١٠ مايو ١٩٥٧, عدد ٢٥٧٢٢ في ١١ مايو ١٩٥٧.

٩٧- نفس الدورية, عدد ٢٥٧٣٣ في ٢٢ مايو ١٩٥٧, عدد٢٥٧٣٤ في ٢٣ مايو ١٩٥٧.

٩٨- نفس الدورية, عدد ٢٥٧٤٩ في ٧ يونيو ١٩٥٧, عدد ٢٥٨٥٠ في ١٨ ديسمبر ١٩٥٧, عدد ٢٥٨٦٦ في ٤ أكتوبر ١٩٥٧.

٩٩- نفس الدورية, عدد ٢٥٤٣٧ في ٢٧ يوليو ١٩٥٦.

١٠٠- نفس الدورية, عدد ٢٥٩٧٥ في ٢١ يناير ١٩٥٨, عدد ٢٥٩٤٩ في ٢٦ ديسمبر ١٩٥٧, عدد ٢٦٠٧١ في ٣٠ أبريل ١٩٥٨, عدد ٢٦٠٨٢ في ١١ مايو ١٩٥٨, عدد ٢٦١٤٦ في ١٤ يوليو ١٩٥٨.

♦ الفصل العاشر ♦

العرب والعدوان

د. عبد الحميد شلبى

مما لاشك فيه ، أن فترة الخمسينات من هذا القرن تعد من أخصب فترات تاريخ العرب الحديث والمعاصر ، فقد شهدت تلك الحقبة العديد من الأحداث ، التى لازلنا نحصد نتائجها ، وذلك بدءا من حركة التحرر من السيطرة الاستعمارية ، والتى تمثلت فى ثورتى ١٩٥٢ فى مصر ، و١٩٥٨ فى العراق ، كما شهدت المنطقة واحدة من أكبر حركات الوحدة العربية ، والتى تمثلت فى الوحدة المصرية / السورية ، والاتحاد الهاشمى عام ١٩٥٨ ، كما شهدت المنطقة — أيضا — واحدة من أهم وأخطر الصراعات العربية / الاسرائيلية والغربية ، وتمثل ذلك فى العدوان الثلاثى على مصر ، ذلك العدوان الذى هدد بقيام حرب عالمية ثالثة ، وقد كان للعرب موقفهم من ذلك العدوان ، اختلف — ذلك الموقف — من دولة لأخرى ، كما اختلف الموقف من العدوان فى الدولة الواحدة ، على المستويين الشعبى والرسمى .

وعند بداية الأزمة ، لم يكن عدد الأقطار العربية المستقلة يتعدى ثمانية أقطار ، هى مصر والعراق وسوريا ولبنان والأردن والسعودية واليمن وليبيا ، وإن كان بعضها يرتبط بمعاهدات مع الدول الكبرى ، فى الوقت الذى كانت دول الخليج ترزح تحت الحماية البريطانية ، بينما كانت دول المغرب العربى (المغرب ، الجزائر ، تونس) تحت السيادة الفرنسية ، التى كانت تبسط عليها نوعا من الحماية، فالمغرب كان يشكل دولة شبه مستقلة ، بينما كانت تونس تحت حكم الباى فى ظل حماية فرنسية عسكرية يمثلها جنرال فرنسى كبير ، أما الجزائر فقد اعتبرتها فرنسا جزءا لايتجزأ من فرنسا منذ احتلالها عام ١٨٣٠(١) .

وعلى ذلك ، فقد صدرت المواقف الرسمية تجاه أزمة السويس من الدول المستقلة دون غيرها، بينما كان للشعوب العربية فى مختلف الأقطار موقفها من الأزمة .

(أ) موقف الدول العربية مجتمعة :

شهدت الفترة فيما بين تأميم قناة السويس فى السادس والعشرين من يوليو (تموز) ١٩٥٦ ، وحتى بعد توقف العدوان فى الخامس

من نوفمبر (تشرين ثان) ١٩٥٦ ، نشاطا ملحوظا للدول العربية مجتمعة ، فعقدت العديد من الاجتماعات الرسمية وغير الرسمية .

فعلى المستوى غير الرسمي ، شهدت مدينة الأسكندرية في الحادى والثلاثين من يوليو (تموز) مؤتمرا عاما للشباب العربى حضره جميع الوفود العربية ، ومن بين ما اتخذ من قرارات، القرار الذى ينص على تأييد الرئيس جمال عبد الناصر تأييدا مطلقا فى قراره بتأميم شركة قناة السويس(٢) ، كما عقدت لجنة تحرير الشعوب الإسلامية مؤتمرا شعبيا لتأييد قرار التأميم ، وفى نهايته دعا المجتمعون إلى الإضراب العام والشامل فى جميع البلاد العربية والإسلامية (٣) ، وبالفعل شهدت البلاد العربية إضرابا عاما فى السادس عشر من أغسطس (آب) تضامنا مع مصر ، حيث شمل الإضراب جميع الدول العربية (٤) .

وبعد انتهاء العدوان ، وفى العاشر من ديسمبر (كانون أول) ١٩٥٦ عقد الطلاب العرب مؤتمرهم العام في القاهرة ، وفى نهاية المؤتمر طالبوا بانسحاب المعتدين انسحابا كاملا ، وضرورة دفع تعويضات لضحايا العدوان ، كما طالبوا الدول العربية بقطع علاقاتها مع الدول المعتدية ، وضرورة تصفية القواعد فى الوطن العربى ، وانسحاب العراق من حلف بغداد(٥) ، هذا على المستوى غير الرسمى للأقطار العربية .

أما على المستوى الجماعى الرسمى للدول العربية قبل وبعد العدوان ، فقد عقد المكتب الدائم للمؤتمر الإسلامى العام اجتماعه الدورى فى دمشق فى الثانى من أغسطس (آب) ١٩٥٦، واستمر انعقاده لمدة ثلاثة أيام ، وفى نهايته اتخذ المكتب القرارات التالية :

١- يعلن المكتب الدائم للمؤتمر الإسلامى العام تأييده التام لخطوة مصر بتأميم شركة قناة السويس ، ويطلب من الدول العربية والإسلامية حكومات وشعوبا ، بأن يقفوا صفا واحدا إلى جانب مصر ، وحث الدول العربية والإسلامية على مقاطعة مؤتمر لندن ، كما حذر المؤتمر الدول الغربية من القيام بأعمال عدوانية ضد مصر، لما سيكون لها من نتائج سيئة لدى الشعوب العربية .

٢- قرر المؤتمر الكتابة إلى فروعه فى العواصم العربية والإسلامية ، مبينا سلامة موقف مصر فى قضية التأميم وداعيا الحكومات والشعوب إلى العمل على اتخاذ خطوة جماعية ضد كل دولة تعتدى عليها (٦) .

وفى الجامعة العربية ، توافد على مصر فى الثانى عشر من أغسطس (آب) رؤساء الحكومات العربية ووزراء خارجيتها ، وفى ذات اليوم عقدت اللجنة السياسية اجتماعا ، قررت فيه تأييد قرار التأميم ، حيث أن القناة جزء من مصر ، ويعتبر المجتمعون أن التأميم عمل من أعمال السيادة الوطنية المصرية ، كما أعلنوا عن وحدة شعور وأهداف الدول العربية ، وتضامنها التام مع مصر فى جميع الخطوات التى خطتها ، كما دعوا الدول الغربية إلى نبذ الضغط والتهديد، اللذين تتعرض لهما مصر ، وقد وافق مجلس الجامعة على تلك القرارات فى نفس اليوم (١٩٥٦/٨/١٢) (٧) .

وفى مساء نفس اليوم ، عقدت اللجنة السياسية اجتماعا آخر ، قررت فيه :

١- تؤكد اللجنة السياسية من جديد ، تأييدها التام لإعلان حكومة مصر ايمانها بالعمل على المحافظة على السلام العالمى ، وتمسكها بتعهداتها فى ميثاق الأمم المتحدة ، وقرارات مؤتمر باندونج ، التى توصى بحل المشاكل الدولية بالطرق السلمية ، واستعدادها للقيام مع حكومات الدول الأخرى الموقعة على اتفاقية القسطنطينية ١٨٨٨ ، بالعمل على عقد مؤتمر منها ومن بقية حكومات الدول التى تمر سفنها بقناة السويس (*) .

٢- ترى اللجنة السياسية أن العرض الذى تقدمت به مصر يتفق مع قواعد الحق الدولى، ويتسم بحسن القصد ، وفيه توكيد صادق لجميع الدول بالمحافظة على حرية الملاحة فى القناة .

٣- تؤكد الدول العربية تضامنها مع مصر فى المحافظة على سيادتها وصيانة حقوقها القومية ، وتعتبر أن أى اعتداء على سيادة أية دولة عربية هو اعتداء على سيادة الدول العربية جمعاء .

(*) كانت مصر قد اقترحت تشكيل هيئة مفاوضة لبحث مسألة السويس كبديل لمؤتمر لندن على أن تضم الهيئة الدول التى تمر سفنها بالقناة وعددها ٤٥ دولة ، لمزيد من التفاصيل عن هذا الاقتراح ، أنظر:

وثائق الخارجية المصرية : محفظة ١٤٥٣ ، ملف ٣١/٥٢/٤٠، جـ١ ، مؤتمر القاهرة لبحث أزمة قنال السويس .

وقد عرضت هذه القرارات على مجلس الجامعة بعد ظهر يوم الثالث عشر من اغسطس (آب) ١٩٥٦ ، فأقرها بالإجماع (٨) .

وعندما اقترح دالاس Dulles أثناء مؤتمر لندن تكوين جمعية المنتفعين ، اجتمعت اللجنة السياسية لجامعة الدول العربية فى التاسع عشر من سبتمبر (أيلول) ١٩٥٦ ، وقررت رفضها لذلك الاقتراح ، كما رفض المجلس مقررات مؤتمر لندن، والتنديد بموقف بريطانيا وفرنسا(٩).

وعقب نشوب العدوان ، وفى أول نوفمبر (تشرين ثان) ١٩٥٦ ، اجتمع الاتحاد الدولى للعمال العرب ، وقرر :

١- حرمان الدول المعتدية على مصر من البترول العربى .

٢- نسف القواعد العسكرية للدول المعتدية حتى لا تستخدم ضد مصر (١٠).

وعلى مستوى جامعة الدول العربية ، دعا الرئيس اللبنانى كميل شمعون الدول العربية للاجتماع فى بيروت ، لبحث العدوان على مصر ، فاجتمع ملوك ورؤساء الدول العربية ، وقد أناب عبد الناصر سفير مصر فى لبنان "عبدالحميد غالب " لحضور الاجتماعات بدلا منه ، وقد استمرت الاجتماعات يومى ١٣ و ١٤ نوفمبر (تشرين ثان) ١٩٥٦ ، وفى نهاية الاجتماعات أصدر المجتمعون بيانا أعلنوا فيه :

١- ضرورة تنفيذ قرارات الأمم المتحدة القاضية بوقف إطلاق النار وسحب القوات المعتدية فورا من الأراضى المصرية ، وإذا لم تستجب الدول المعتدية لذلك، فإن الدول العربية المشتركة فى المؤتمر سوف تتخذ التدابير اللازمة وفقا لالتزاماتها بمقتضى المادة الثانية من معاهدة الدفاع العربى المشترك .

٢- الحرص على فصل قضية قناة السويس عن الظروف التى رافقت الاعتداء على مصر واعتبارها قضية مستقلة قائمة بذاتها ، والعمل على حلها حلا يتفق مع كرامة وسيادة مصر، وذلك فى نطاق الأمم المتحدة(١١).

وعقب انتهاء العدوان ، وفى العشرين من نوفمبر (تشرين ثان) قدم مندوبو إحدى عشرة دولة عربية فى الأمم المتحدة مذكرة إلى السكرتير العام ، طالبوا فيها بتنفيذ قرارى الجمعية العامة الصادرين فى الثالث والسابع من نوفمبر (تشرين ثان) ١٩٥٦ ، واللذين ينصان على سحب القوات الإسرائيلية فى الحال إلى ما وراء

خطوط الهدنة ، وطالب المندوبون العرب فى ختام المذكرة بتوزيع صور منها على جميع أعضاء الجمعية العامة للأمم المتحدة (١٢) .

ومع مماطلة القوات الإسرائيلية فى الانسحاب من الأراضى المصرية ، اجتمعت اللجنة السياسية لجامعة الدول العربية فى السابع من يناير ١٩٥٧ ، لبحث ذلك الموقف وما خلفه العدوان الثلاثى من آثار ، وقررت اللجنة ما يلى :

١- التمسك الكامل بقرارات الأمم المتحدة الصادرة فى شهر نوفمبر السابق بشأن هذا العدوان، والإصرار على تنفيذ ما تضمنته من وجوب سحب جميع القوات المعتدية إلى ما وراء خطوط الهدنة ، انسحابا كاملا دون قيد أو شرط .

٢- التنديد بما ترتكبه إسرائيل من أعمال السلب والنهب والتدمير ، وما تقترفه من الفظائع الوحشية ، وتنبيه الرأى العام العالمى إلى ما تجره هذه الجرائم من زيادة التوتر وتهديد السلم فى الشرق الأوسط(١٣) .

ويمكن القول بأن موقف الدول العربية من هذه الأزمة - وان كان موقفا موحدا- كان موقفا سلبيا ، وذلك لأن الأمر الذى انتهوا إليه هو إصدار البيانات التى تشجب العدوان ، دون اتخاذ أية إجراءات عملية ، رغم القرارات التى اتخذت بشأن وضع معاهدة الدفاع العربى المشترك موضع التنفيذ ، إلا أن القرارات التى اتخذت كانت حبرا على ورق ، حتى أن البعض قد وصف اجتماع الدول العربية فى بيروت لبحث العدوان بأنه " أسوأ مؤتمر عربى عقد فى أزمة خطيرة " (١٤) ، لأنه بالرغم مما للعرب من قوة اقتصادية مؤثرة فى مجال الطاقة - على سبيل المثال - فإنها لم تتخذ موقفا عمليا موحدا تجاه الدول المعتدية ، واكتفت بإصدار البيانات والتصريحات الغاضبة .

(ب) الموقف الشعبى العربى من الأزمة :

كان لأزمة السويس (قبل وبعد العدوان) صداها فى الشعوب العربية ، فقد تجلت فيها روح التضامن العربى ، والشعور بالقومية العربية ، حتى كأن الأزمة قد حدثت فى كل دولة من الدول العربية ، وفى كل جزء من أجزاء الوطن العربى ، وقد جاء التأييد الشعبى لمصر من مختلف الأقطار العربية (مستقلة وغير مستقلة).

ففى سوريا ، ما إن أعلن عبدالناصر قرار التأميم ، حتى خرج الشعب السورى فى مظاهرات عديدة ، كما أن معظم نواب سوريا انسحبوا من المجلس النيابى ليشاركوا الجماهير السورية فرحتها بهذا النبأ(١٥) ، كما تلقى الرئيس عبد الناصر

العديد من برقيات التأييد من الهيئات والأفراد السوريين ، معلنين وقوفهم بجانب مصر فى كل ما تتخذه من قرارات واجراءات(١٦) .

وفى الرابع عشر من أغسطس (آب) عقد مؤتمر شعبى فى الملعب البلدى بدمشق، حضره ما يقرب من مائة ألف شخص لتأييد مصر ، ومساندة قرار التأميم(١٧) ، ويوم الإضراب العام فى الدول العربية ، شهدت سوريا اضرابا عاما شمل جميع المصانع والمحلات (١٨) .

وقبيل وقوع العدوان حدث لقاء بين محمد العايش نائب رئيس الوزراء السورى والسفير البريطانى بدمشق ، وتباحثا بشأن أنابيب البترول العراقية ، والتى تمر بالأراضى السورية ، فأخبره العايش بأنه فى حالة وقوع عدوان على مصر ، فإنه لن يستطيع أن يقف ضد الشعب ، الذى سيهب لنجدة مصر بكافة الوسائل مهما كانت النتائج (١٩) .

وفور وقوع العدوان على مصر ، دمرت خطوط البترول التى تمتد من العراق إلى سوريا ولبنان ، فتعطل ورود البترول من كركوك إلى كل من طرابلس وبانياس، وبذلك وقف تدفق البترول العراقى إلى شاطئ البحر المتوسط ، وانقطع وصوله إلى أوربا (٢٠) ، وقد تم تدمير تلك الخطوط بمعرفة عبد الحميد السراج رئيس المخابرات العسكرية فى سوريا (٢١) .

وفى لبنان ، قامت مظاهرات كبيرة تحمل الأعلام اللبنانية والمصرية ، ولافتات التأييد لمصر ولرئيسها ، وسارت المظاهرات حتى دار السفارة المصرية ، وحملوا السفير المصرى تحيتهم وشعب لبنان لمصر ولرئيسها (٢٢) .

أما الأردن ، فقد قام شعبها بمظاهرات عديدة ابتهاجا بالتأميم ، وذلك إثر إعلان قرار التأميم كما قام أهل مدينتى رام الله والبيرة بمظاهرة كبيرة ، رددوا خلالها الهتافات الحماسية للوحدة العربية ، كما بعثت الهيئات الوطنية والحزبية ومختلف الأفراد العديد من برقيات التأييد للرئيس جمال عبد الناصر (٢٣) .

وفور وقوع العدوان بلغ الحماس الشعبى فى الأردن ذروته ، وطالب حكومته بالهجوم على إسرائيل ومساعدة مصر عسكريا ، وقد انهالت على السفارة المصرية بعمان ، وعلى القنصلية المصرية بالقدس جموع الشعب الأردنى طالبين التطوع لمحاربة المعتدين مع القوات المصرية(٢٤) .

وفى العراق ، ذكرت التقارير الواردة من السفارة المصرية ببغداد ، أن الشعب العراقى بجميع طوائفه قد استنكر صمت حكومته إزاء قضية التأميم ، وقد أصدرت بعض الدوائر القومية فى العراق نداء إلى الشعب ناشدت فيه أن يتضامن مع باقى الشعوب العربية لنصرة مصر ، وذلك بإعلان الإضراب العام يوم ١٦ أغسطس (آب) ، كما أصدرت النقابات المختلفة فى العراق نداءات إلى أعضائها للاشتراك فى ذلك الإضراب ، وفى صباح الخميس ١٦ أغسطس (آب) أضرب التجار إضرابا شاملا فى جميع الأسواق ، حتى أن القائم بالأعمال المصرى ببغداد يذكر أنه وجد أن حوالى ٩٥٪ من الحوانيت التجارية مغلقة ، فيما عدا المقاهى والمطاعم (٢٥) ، ومن ناحية أخرى ، قامت النقابات العراقية والعديد من أفراد الشعب بإرسال برقيات التأييد إلى عبدالناصر والحكومة المصرية (٢٦) ، كما بعث فريق من الشباب العراقى برسائل إلى السفارة المصرية فى بغداد ، يعلنون فيها استعدادهم للتطوع فى كتائب الجيش المصرى (٢٧) .

وعقب قيام العدوان على مصر ، خرجت المظاهرات من مختلف المدن والأقاليم العراقية تستنكر ذلك العدوان ، وتطالب الحكومة بالإسراع فى معاونة مصر بكل الوسائل ، والانسحاب من حلف بغداد (٢٨) ، كما قامت بعض الجمعيات والهيئات العراقية بحملة تبرعات لمساعدة مصر ماليا وعينيا ، وقررت جمعية الهلال الأحمر العراقية التبرع لنظيرتها المصرية بعشرة آلاف جنيه استرلينى ، وحضر إلى مقر السفارة المصرية ببغداد العديد من العراقيين ، الذين يعرضون تطوعهم للسفر إلى مصر للدفاع عنها (٢٩) ، ومن أهم المظاهرات التى شهدها العراق خلال تلك الفترة، المظاهرات التى نشبت فى مدينة النجف الأشرف ، وأدت فى النهاية إلى اصطدام الشرطة بالمتظاهرين ، ووقوع ضحايا من الجانبين (٣٠) ، وليس أدل على موقف الشعب العراقى المشرف من العدوان مما ذكره السفير البريطانى فى بغداد ، من أنه " ما لم يتوقف الهجوم على مصر بسرعة ، فلن تكون هناك قوة فى الأرض قادرة على حماية نظام نورى السعيد فى بغداد لأن مشاعر الشعب العراقى كلها فى حالة نقمة ضد بريطانيا " ، لم ير ظاهرة مثلها من قبل فى تجربته الدبلوماسية(٣١)، وقد أشاد عبد الناصر بموقف الشعب العراقى ، حيث قال أنه " رغم الاستبداد ، ورغم الحديد والنار ، فإن شعب العراق قابل كل هذا لينتصر لإخوانه العرب ، وأن الشعب العراقى يناصر مصر رغم معارضة نورى السعيد لذلك"(٣٢) .

وفى المملكة العربية السعودية ، ونتيجة لظروف وطبيعة الشعب السعودى ، لم تشهد المملكة مظاهرات كتلك التى شهدتها باقى الدول العربية ، اللهم إلا تلك

المظاهرة الجماهيرية التى خرجت للترحيب بجمال عبد الناصر أثناء زيارته للسعودية للقاء الملك سعود فى الدمام فى ١٩٥٦/٩/٢٢ (٢٣) .

وفى اليمن ، وبالرغم من قلة الوعى القومى لدى الشعب اليمنى فى ذلك الوقت ، إلا انه أبى الا ان يشارك الشعوب العربية فى مناصرتها لمصر فى قضيتها ، فيذكر وزير مصر المفوض فى اليمن " على الدسوقى " بأن شعب اليمن ظل ثمانية أيام متتالية عقب التأميم يتوافد على المفوضية المصرية لتأييد قرار التأميم ، وأن شباب اليمن أبدى استعداده للتطوع بجانب مصر للدفاع عن القناة (٣٤) ، ويذكر أحد ساسة اليمن بأن أول مظاهرات عرفها اليمن كانت من أجل قناة السويس (٣٥) .

وفور وقوع العدوان هاجمت القبائل قطارا حربيا بريطانيا على بعد ستين ميلا من عدن ، وقد وجهت هيئة تحرير الجنوب العربى نداء الى الشعب اليمنى تدعوه للكفاح ضد الإنجليز بجانب الشقيقة الكبرى مصر (٣٦) ، وفى الثانى عشر من نوفمبر أذاع راديو صنعاء أن نحو مائة ألف من اليمنيين قاموا بمظاهرة عامة طافت شوارع اليمن ، تهتف بسقوط الاستعمار ، وتحيى الوحدة العربية ومصر وجمال عبد الناصر ، ثم توجهت المظاهرة إلى دار المفوضية المصرية ، حيث ألقيت الخطب الحماسية (٣٧) .

أما فى السودان ، فقد خرجت المظاهرات المؤيدة لقرار التأميم ، وقد نظمت تلك المظاهرات بمعرفة الطلبة السودانيين ، حيث خرجت المظاهرات من جامعة الخرطوم متجهة إلى دار السفارة المصرية ، للتعبير عن تأييدهم لقرار التأميم (٣٨). وفى الأول من أغسطس (آب) اشتركت الأحزاب والهيئات والطوائف المختلفة وآلاف من أفراد الشعب السودانى فى مظاهرة وطنية كبرى ، طافت بشوارع الخرطوم قاصدة دار السفارة المصرية ، وحمل المتظاهرون لافتات التأييد لقرار التأميم (٣٩) .

وعقب العدوان ، وفى التاسع والعشرين من أكتوبر (تشرين أول) خرج الطلبة السودانيون فى مظاهرة كبرى تهتف بسقوط الاستعمار وحياة كفاح الشعب المصرى(٤٠) ، كما وفد على دار السفارة المصرية آلاف المواطنين الذين قيدوا أسماءهم متطوعين للدفاع عن مصر (٤١) .

وعلى الحدود الغربية لمصر ، وفى المملكة الليبية ، لم تنقطع وفود المهنئين إلى السفارة المصرية عقب إذاعة قرار التأميم ، كما قامت مظاهرات شعبية فى طرابلس

وغيرها من المدن الليبية (٤٢) ، وفى الثلاثين من يوليو (تموز) خرجت مظاهرات أخرى جابت معظم المدن الليبية، وكانت هتافات المتظاهرين تعلو بتأييد مصر ورئيسها وبحياة ملك ليبيا (٤٣) ، وشهد السادس عشر من أغسطس (آب) إضرابا عاما ومظاهرات شعبية كبيرة للتعبير عن مشاعر التأييد لمصر ، مما جعل مصطفى بن حليم رئيس الوزراء يصدر نداء إلى المتظاهرين فى ولاية طرابلس الغرب (أنشط الولايات الليبية) بأن يتفرقوا ، وأبلغهم أن الحكومة تتجاوب مع مشاعرهم، وتتبنى مطالبهم من أجل نصرة مصر(٤٤) .

وعقب وقوع العدوان الثلاثى على مصر ، شهدت المدن الليبية مظاهرت عنيفة ، خرجت لتهتف بحياة مصر وجمال عبد الناصر ، وتندد بالاستعمار والمعتدين ، وقد احتشدت جموع المتطوعين أمام دار السفارة المصرية فى بنغازى (٤٥) ، كما نفذ الشعب الليبى بعض العمليات ضد المصالح البريطانية فى ليبيا ، فألقى المتظاهرون قنبلة على بنك باركليز البريطانى ، كما نسفوا أنابيب البترول فى ميناء " تست " غرب بنغازى ، وأشعلوا النيران فى خزانات الوقود الخاصة بالقوات الانجيلزية(٤٦) .

ولم يتخلف اللاجئون الفلسطينيون عن مساندة مصر فى قرار التأميم ، حيث بعث اللاجئون فى قطاع غزة برقية تأييد لعبد الناصر، ووضعوا أنفسهم تحت أمره ، كما أعلنت اللجنة التنفيذية لمؤتمر اللاجئين التعبئة العامة بين اللاجئين فى قطاع غزة(٤٧) ، وفى القدس عقد عدد كبير من لاجئى فلسطين مؤتمرا بلواء نابلس ، أيدوا فيه قرار التأميم ، وأعلنوا عن إنشاء كتائب تحريرية من جميع اللاجئين القادرين للوقوف إلى جانب الشعب المصرى للمحافظة على القناة من اعتداءات المستعمرين ، والعمل على تخريب مصالح ومنشآت المستعمرين إذا حدث اعتداء على مصر (٤٨) .

وفى الخليج العربى ، وبالرغم من وقوع دوله تحت الحماية البريطانية ، إلا أن الموقف الشعبى لم يأبه بتلك الحماية ، وعبر عن تضامنه مع الشعب المصرى ، ففى الكويت ، عقد مؤتمر شعبى فى الرابع عشر من أغسطس (آب) بمناسبة يوم مصر ، وأرسلوا برقية تأييد إلى عبدالناصر متمنين له كل توفيق لتحقيق ما تصبو إليه الأمة من وحدة وحرية (٤٩) .

وعقب وقوع العدوان طلب حوالى ثلاثة آلاف كويتى الانضمام إلى جيش التحرير المصرى للدفاع عن مصر ، كما جمعت التبرعات لمساعدة منكوبى

العدوان (٥٠) ، كما طالبت لجنة أندية الكويت بوقف تصدير البترول إلى المعتدين ، وسحب الأموال العربية من البنوك البريطانية ، ومقاطعة البضائع الفرنسية والبريطانية (٥١) ، وفى النهاية يذكر تقرير بريطانى "أن الكويتيين لازالوا على موقفهم الثابت فى إدانة الأعمال العدوانية فى السويس (٥٢) .

وفى البحرين ، أعربت نقابة عمال البحرين والتى تضم حوالى ٨٧٠٠ عامل عن تأييدها لقرار التأميم ، كما قررت أنه إذا تعرضت مصر لعدوان فإن معامل تكرير البترول فى البحرين ستدمر تدميرا كاملا ، كما ستدمر كل المؤسسات الإنجليزية والأمريكية ، وأن شعب البحرين سيتخذ فورا التدابير الكفيلة بالقضاء على مصالح الولايات المتحدة وبريطانيا فى البحرين (٥٣). وبالفعل عقب وقوع العدوان على مصر نسفت الجماهير البحرينية خطين من خطوط أنابيب البترول التابعة لشركة البترول البريطانية / العراقية (٥٤) ، كما قام العمال بتعطيل مصافى النفط التى ينتفع بها البريطانيون ، كما امتنعوا عن تزويد السفن البريطانية بالبترول (٥٥) ، وقام المتظاهرون بمهاجمة العديد من المكاتب الحكومية البريطانية ، وأشعلوا الحرائق فى العديد من تلك المكاتب ، كما حاولوا إشعال النار فى الكنيسة الكاثوليكية(٥٦) ، وإزاء تلك الأعمال ألقت السلطات البريطانية فى البحرين القبض على بعض قادة هيئة الاتحاد الوطنى البحرينية (٥٧) .

وفى قطر ، خرجت المظاهرات المؤيدة للتأميم ، وتذكر صحيفة الأيام الدمشقية أن المتظاهرين فى قطر استطاعوا رفع العلم المصرى فوق القنصلية البريطانية ، كما هتف المتظاهرون لمصر ولعبد الناصر ، وأبرق المتظاهرون إلى الحكومة البريطانية منذرين بأن أى اعتداءعلى مصر سوف يؤدى إلى تدمير منشآت البترول فى قطر (٥٨) ، وعقب وقوع العدوان قام العمال فى قطر بتدمير خطوط الأنابيب البريطانية ، وتوقف مرور البترول فيها (٥٩) .

وفى المغرب العربى ، حيث كانت دوله تقع تحت وطأة الاستعمار الفرنسى ، وكانت تكافح أيضا من أجل الاستقلال ، فإنه عقب نشوب العدوان أرسل جيش التحرير الوطنى الجزائرى برقية إلى الرئيس جمال عبد الناصر ، يعلن فيها احتجاجه مع سائر شعوب العالم على هذا العدوان الغادر ، وتؤكد البرقية على تضامن جيش التحرير الوطنى مع مصر، معربا عن ثقته فى انتصار مصر التام على المعتدين (٦٠) .

وفى مراكش (المغرب) ، أيد حزب الاستقلال المراكشى قرار التأميم ، وقد كتب "عبدالحميد جلون" عضو اللجنة التنفيذية للحزب مقالا فى جريدة "العالم" ، أوضح فيه أن شركة القناة كانت دولة فى قلب مصر ، وأنها سببت مصائب عديدة لمصر وأدت إلى احتلالها (٦١) .

ومن تونس ، تلقى الرئيس عبد الناصربرقية من صالح بن يوسف الزعيم التونسى معربا فيها عن كامل تأييده لقرار التأميم ، وأن ثلاثين مليون عربى فى المغرب العربى الكبير "تغمرهم العزة والفخر لما تحققه لمصر والأمة العربية"(٦٢).

كان ذلك هو الموقف الشعبى الذى كان له أكبر الأثر فى التأثير على بعض الحكومات العربية ، فقد اضطرت بعض الحكومات إلى مجاراة الموقف الشعبى ، ومناصرة مصر فى موقفها، على سبيل المراوغة وكسب ود شعوبها .

أما على المستوى الإعلامى والحزبى ، فقد ساندت الصحافة العربية الموقف المصرى، ودعت إلى مساندة الشعب المصرى فى معركته ضد القوى الغربية ، كما تابعت الصحف العربية أخبار الأزمة ، ونقلتها إلى الرأى العام العربى أولا بأول .

ففى السودان ، ساندت الصحف السودانية الموقف المصرى منذ بداية الأزمة ، فعقب فشل مؤتمر لندن أعربت الصحف السودانية عن فرحتها ، فكتبت صحيفة الأيام مقالا تحت عنوان " هزيمة ونصر " ، أوضحت فيه هزيمة القوى الغربية ، وفشلها فى إجبار مصر على اتخاذ السياسة التى توافق مصالحهم ، وخرجت معظم الصحف السودانية تندد بالمؤتمر ، وتعلن فرحتها بفشله ، ومن تلك الصحف " الرأى العام " و " النيل " و " صوت السودان " و "الأيام" وغيرها(٦٣) .

وفى سوريا ، تناولت الصحافة السورية الأزمة منذ بدايتها وحتى نهايتها ، كما تبنت اقتراح مصر بتشكيل هيئة مفاوضة لحل أزمة القناة (٦٤) .

وفى لبنان ، يذكر تقرير مصرى أنه لم يحدث أن أجمعت الصحف اللبنانية على الاهتمام بحدث مصرى كالاهتمام البالغ الذى أبدته نحو قرار التأميم (٦٥) .

وفى الأردن ، احتل قرار التأميم افتتاحيات الصحف الأردنية التى أشادت بالقرار، ومنها ما كتبته جريدة " الدفاع " تحت عنوان " مرحى يا جمال " موضحة أن ما فعله عبد الناصر هو بداية الخلاص للأمة العربية ، وأوضحت الصحف الأردنية أن قرار التأميم يحمل معانى أوسع ونتائج أعمق من معانى العزة والكرامة(٦٦) ، كما لعبت الإذاعة الأردنية دورا هاما إبان الاعتداء ، وكانت تنقل

عن الإذاعة المصرية وتعلق عليها ، وحينما تعطلت إذاعة صوت العرب، تولت إذاعة عمان عملها ، وأمر الملك حسين بأن تستمر الإذاعة الإردنية طوال النهار والليل(٦٧) .

وفى المملكة الليبية ، حرصت الصحف على اذاعة أخبار مصر والتأميم ، ونشر المقالات المؤيدة لمصر ، حيث احتل خطاب الرئيس عبد الناصر الصحفات الأولى من هذه الصحف ، وكتبت الصحف الليبية كـ " طرابلس " و " الرائد " المقالات المختلفة التى توضح التأميم والإجراءات التى اتخذتها بريطانيا لمواجهة ذلك الحدث، كما نشرت الأخبار التى ترد عن مصر، والبيانات التى يصدرها المسئولون فى مصر ، وغيرها من المقالات المختلفة التى تؤيد وتوضح حق مصر فى التأميم(٦٨).

أما الصحف العراقية ، فقد حرصت منذ البداية على نشر خطاب عبد الناصر ، وقد نشرت جريدة " الأخبار " العراقية تعليقا يؤيد موقف مصر ، ووصفت التأميم بأنه ضربة أقوى من الضربة التى وجهها الغرب لمصر برفضه تمويل مشروع السد العالى (٦٩) ، كما تناولت بعض الصحف الأخرى مسألة التأميم بالترحيب ومساندة الموقف المصرى ، وأيدت حق مصر فى تأميم القناة ، وذكرت أن بريطانيا وفرنسا تتحديان حق مصر (٧٠) .

وعقب نشوب العدوان ، سلكت الصحافة العراقية مسلكا طيبا ، إذ وقفت بجانب مصر ، وكانت خير رسول إلى الشعب العراقى ، وخير معبر عما يجيش فى نفس كل مصرى مقيم بالعراق كما كانت الصحف العراقية تطالب الحكومة والجماهير العربية بخوض معركة التحرير مع مصر ضد العدوان (٧١) ، وبذلك أظهرت الصحافة أنها من أشد الوسائل تأثيرا فى الرأى العام .

أما الأحزاب والهيئات الوطنية ، فقد كان لها موقف مشرف فى مختلف الأقطار العربية :

ففى السودان ، أعلن الحزب الوطنى الديمقراطى برئاسة إسماعيل الأزهرى تأييده لقرار التأميم ، والوقوف مع الدول العربية فى كل ما تتخذه من خطوات لمناصرة مصر تنفيذا لقرارات باندونج ، ودعا الحزب البرلمان السودانى لجلسة فوق العادة ، لاتخاذ قرار وطنى لمناصرة مصر، وفى الختام أعلن الحزب أن الشعب السودانى سيقف دائما بجانب مصر فى كل ما من شأنه تدعيم حريتها

واستقلالها (٧٢) ، وفى الثانى عشر من أغسطس (آب) عقدت الهيئات والطوائف السودانية مؤتمرا فى هيئة التحرير العليا بالقاهرة ، وقررت باسم عشرات الآلاف من السودانيين بمصر ، بأنها ستخوض المعركة جنبا إلى جنب مع الشعب المصرى، وتأييدهم التام لقرار التأميم ، ورفض أى تدخلات خارجية فى شئون مصر الداخلية (٧٣٦١) ، وعقب وقوع العدوان أصدر المؤتمر الشعبى ، الذى عقده رجال الأحزاب والهيئات بيانا استنكروا فيه الاعتداء على مصر ، وأرسلوا برقية إلى رئيس الوزراء السودانى أبدوا فيها استعدادهم التام للدفاع عن مصر ، وطالبوا بإعلان التعبئة العامة فى السودان وتجنيد الشباب ، كما طالبوا بطرد السفيرين البريطانى والفرنسى من السودان ، والمطالبة باشتراك الجيش السودانى بجانب الجيش المصرى فى الدفاع عن مصر (٧٤) .

وفى لبنان ، أبرق المؤتمر الوطنى للأحزاب اللبنانية ، الذى يضم سبعة أحزاب وعددا من الهيئات والشخصيات اللبنانية إلى الرئيس عبد الناصر مهنئين إياه بقرار التأميم معلنين تأييدهم التام له فى هذه الخطوة ، وكل خطوة تخطوها مصر (٧٥) .

وفى الأردن ، وفى السابع والعشرين من يوليو (تموز) ألقى ممثلو الأحزاب الأردنية كلمات متعددة فى المتظاهرين ، وتحدث فى تلك المظاهرات مندوبون عن حزب البعث والجبهة الوطنية والتقدميين والجبهة الشعبية ، وقد أكد المتحدثون تأييدهم التام لقرار التأميم (٧٦) ، كما أذاع اتحاد نقابات العمال فى الأردن بيانا أوضحوا فيه تأييدهم لقرار التأميم واعلنوا وقوفهم والشعب الأردنى بأسره خلف مصر إذا ما وقع عدوان عليها (٧٧) .

وفى العراق ، وقفت الأحزاب العراقية موقفا مشرفا من قرار التأميم ، ويمكن القول بأن الأحداث الشعبية التى جرت فى العراق كانت بإيعاز من زعماء الأحزاب، حيث تكاتفت جميع الأحزاب من أجل نصرة مصر ، وأرسلت البرقيات لتأييد قرار التأميم ، ومن تلك البرقيات برقية الهيئة المؤسسة للمؤتمر الوطنى إلى عبد الناصر ، وبرقيتها إلى ايدن Eden محذرة إياه من اتخاذ أى سياسة عدوانية تجاه مصر(٧٨)، كما رفعت الهيئة نفسها مذكرة إلى الملك فيصل الثانى ، بتاريخ ٤ سبتمبر (أيلول) تطلب فيها أن يتخذ العراق موقفا عمليا فى مسألة القناة(٧٩)، أما حزب البعث العراقى ، فقد أصدر بيانات بعنوان " تأميم قناة السويس نصر جديد للسياسة العربية التحررية " ، بين فيه أن هذه الخطوة تعد نقطة انطلاق جديدة نحو التحرر العربى والوحدة العربية (٨٠) ، وإبان العدوان على مصر ، قدم بعض ساسة العراق طلبا

لعقد اجتماع من أجل نصرة مصر ، ولكن قائد القوات العسكرية فى بغداد رفض ذلك الطلب بسبب الأحكام العرفية التى تمنع الاجتماعات والمظاهرات (٨١) ، وقد استطاع أولئك الساسة بالاشتراك مع مختلف الأحزاب العراقية عقد اجتماع بجمعية إنقاذ فلسطين ، وقرروا رفع مذكرة إلى الملك فيصل طالبوه فيها بتنفيذ العراق لنجدة مصر وإعلان التعبئة العامة وقطع العلاقات مع كل من بريطانيا وفرنسا (٨٢) . كما قدمت الأحزاب والسياسيون مذكرات منفردة للملك فيصل ، طالبوه فيها بتأييد المطالبة الشعبية (٨٣) . كما قامت بعض الأحزاب العراقية كالشيوعى والبعث العربى بإصدار البيانات المؤيدة لمصر ، والتى تندد بموقف حكومة السعيد والتنديد بأسلوب الغرب فى معالجة الأزمة وطريقة حلها (٨٤) ، وعقب انتهاء العدوان وانسحاب القوات المعتدية عن أرض مصر ، أرسل رؤساء المعتدية (٨٥) .

ومما سبق يتضح أن الموقف الشعبى والحزبى – أى الموقف غير الرسمى – كان موقفا رائعا، استطاع أن يعبر وبحرية تامة عن مشاعره دون قيود ، ذلك لأن تلك الفئات لم تكن لها صفة رسمية ، ولم تقيد بأية معاهدات دولية أو إقليمية ، وعلى ذلك نجد – فى معظم الأحيان – أن بيانات تلك الفئات جاءت أقوى تعبيرا مما كانت عليه البيانات الرسمية للدولة التى تتبعها –كما سنرى – .

(ج) الموقف الرسمى للدول العربية منفردة :

كانت مصر على علاقة طيبة ببعض الدول العربية ، بل أنها عقدت مع بعضها معاهدات جماعية عام ١٩٥٦ (كسوريا والسعودية والأردن واليمن) ، وعلى الجانب الآخر كانت هناك بعض الدول تعارض سياسة مصر أو العكس (كلبنان والعراق) ، وعلى ذلك كانت هناك مواقف علنية ، وأخرى سرية لبعض الدول من تلك الأزمة .

ففى لبنان ، وعقب قرار التأميم ، خرجت التصريحات المؤيدة للقرار من كافة المستويات، وعلى رأسها كميل شمعون رئيس الجمهورية ، الذى أرسل برقية تأييد وتهنئة إلى عبد الناصر ، معلنا تأييد لبنان الكامل لكل خطوة تخطوها مصر (٨٦) ، وفى الخامس من أغسطس (آب) ألقى شمعون خطابا أهاب فيه بالدول الغربيةأن تنظر إلى قرار التأميم نظرة هادئة بعيدة عن التهديد والعنف ، ليمكن حل هذه المشكلة (٨٧) ، كما أعلن رئيس وزراء لبنان عبد الله اليافى فى الثلاثين من يوليو (تموز) عن ترحيبه بقرار التأميم ، وأن بلاده تقف بجانب مصر فى خطوتها(٨٨)، وقد استدعى اليافى سفير الولايات المتحدة بلبنان دونالد هيث D. Heath وطلب منه

إبلاغ حكومته أن أى اعتداء على مصر هو اعتداء على العالم العربى كله ، وخاصة على لبنان (٨٩)، كما أرسل سليم لحود وزير خارجية لبنان إلى مصر رسالة رسمية بشأن تأييد لبنان لقرار التأميم (٩٠) ، وقد أرسل البرلمان اللبنانى برئاسة عادل عسيران برقية تأييد إلى عبد الناصر (٩١) ، ولم تكتف الحكومة اللبنانية ببرقيات التأييد ، بل أنها أعلنت فور تسلمها اقتراح مصر بتشكيل هيئة مفاوضة لحل مشكلة التأميم ، تأييدها المطلق لذلك الاقتراح (٩٢) ، وقد سلمت السفارة اللبنانية بالقاهرة نص مذكرة التأييد الرسمية إلى وزارة الخارجية المصرية(٩٣) .

وعقب قيام العدوان الإسرائيلى على مصر ، وصدور الإنذار الأنجلو/ فرنسى إلى مصر وإسرائيل ، أعلن مجلس الوزراء اللبنانى استنكاره لذلك الاعتداء ، كما أبلغ سفيرى بريطانيا وفرنسا استنكاره (٩٤) . وحينما اشتركت فرنسا وبريطانيا فى العدوان على مصر ، أصدرت الحكومة اللبنانية المرسوم رقم ٣٩٢٥ الخاص بإعلان حالة الطوارئ فى جميع الأراضى اللبنانية(٩٥) ، وفى الثانى من نوفمبر (تشرين ثان) ١٩٥٦ عقدت الحكومة اللبنانية اجتماعا فى السراى الحكومى ببيروت برئاسة كميل شمعون لمناقشة العدوان على مصر ، وفى نهاية الاجتماع أصدرت قرارا باستنكار العدوان على مصر ، " وتتمنى الحكومة ومجلس النواب أن يتخذا ما يريانه مناسبا وضروريا من مقررات ، خدمة للمصلحة اللبنانية ، وتأييدا لمصر والقضية العربية " (٩٦) ، كما عقد مجلس النواب اللبنانى اجتماعا فى السادس من نوفمبر (تشرين ثان) وأصدر قرارا بضرورة أن تتخذ الحكومة كافة التدابير اللازمة لمناصرة مصر فى موقفها ، كما قرر المجلس الموافقة على مشروع قانون بفتح اعتماد بمبلغ مليون ليرة للهلال الأحمر المصرى(٩٧).

وعقب انتهاء العمليات الحربية ضد مصر ، أرسل شمعون برقية تهنئة إلى عبدالناصر هنأه فيها على صمود الشعب المصرى فى وجه العدوان (٩٨) .

ويلاحظ على ذلك الموقف أن الحكومة اللبنانية – بالرغم من استنكاراتها المتعددة وشجبها لأعمال العدوان ضد مصر – إلا أنها لم تتخذ خطوة ايجابية بشأن قطع العلاقات الدبلوماسية مع فرنسا وبريطانيا ، الأمر الذى أدى إلى استقالة وزارة عبد الله اليافى احتجاجا على موقف كميل شمعون الرافض لقطع العلاقات مع الدولتين(٩٩) ، وكان الداعى لذلك الموقف من شمعون هو ارتباطه الوثيق بالمعسكر الغربى ، وعدم رضائه عن السياسة التى يتبعها عبد الناصر – سياسة الحياد –

ومعاداته للمعسكر الغربى ، حتى أن شمعون - عقب انتهاء العدوان - كان من أول المؤيدين لمشروع أيزنهاور عام ١٩٥٧ .

أما سوريا ، فكانت موالية تماما للسياسة المصرية ، وكانت الحكومتان قد دخلتا - قبيل الأزمة- فى مفاوضات جدية من أجل الوحدة ، ولكن أحداث السويس أرجأت تلك المفاوضات حتى بداية عام ١٩٥٨ ونستشف من ذلك أن الموقف الرسمى لسوريا كان مؤيدا لمصر ، سواء كان ذلك أثناء التأميم أو بعد وقوع العدوان ، فعقب قرار التأميم أرسل صبرى العسلى رئيس وزراء سوريا برقية تأييد إلى عبد الناصر ، هنأه فيها بقرار التأميم (١٠٠) ، وفى الثامن والعشرين من يوليو (تموز) افتتح صبرى العسلى البرلمان السورى ، وأعلن البرلمان تأييده التام لقرار التأميم (١٠١) ، وفى التاسع والعشرين من يوليو (تموز) صرح العسلى بأن مجلس الوزراء قرر وضع القوات السورية فى حالة الطوارئ القصوى ، تحسبا لحدوث أى اعتداء على مصر (١٠٢) ، وقد استنكرت الحكومة اقتراح مؤتمر لندن بتأسيس جمعية للمنتفعين بالقناة ، لأن ذلك الاقتراح من شأنه أن يزيد الأزمة اشتعالا ، كما أعلن العسلى تأييد بلاده لاقتراح مصر بتشكيل هيئة مفاوضة لحل أزمة السويس بالطرق السلمية (١٠٣) ، وفى محاولة لمساعدة مصر اقتصاديا وقعت سوريا مع مصر اتفاقا تجاريا يقضى بتوريد مائة ألف طن من القمح إلى مصر (١٠٤) .

وعلى المستوى الرئاسى ، اجتمع كل من عبد الناصر والقوتلى مع الملك سعود فى الدمام فيما بين ٢٢-١٩٥٦/٩/٢٤ لبحث الأزمة الناتجة عن التأميم ، وفى نهاية اللقاء أصدر الزعماء الثلاثة بيانا أوضحوا فيه أن الأزمة التى نتجت عن التأميم " وما أحاط بها من ظروف وملابسات تعنى البلاد العربية جميعا ، وأن الوسيلة الوحيدة لضمان مصالح الذين يهمهم أمر الملاحة فى القناة هى الدخول فى مفاوضة مع مصر صاحبة هذه القناة ، تمشيا مع روح ميثاق الأمم المتحدة وقرارات باندونج"(١٠٥) .

أما فى أثناء العدوان ، فقد كان مقررا - قبيل بدء العدوان الإسرائيلى - زيارة الرئيس شكرى القوتلى إلى الاتحاد السوفيتى، فاتصل بعبد الناصر وأخبره بأنه سوف يعدل عن اتمام تلك الزيارة، إلا أن عبد الناصر نصحه بالذهاب ، وخلال تلك الزيارة سعى القوتلى لدى قادة الاتحاد السوفيتى لكى يمدوا يد العون لمساعدة مصر فى وقف ذلك العدوان (١٠٦) ، إلا أنه فشل فى إقناعهم بالتدخل العسكرى ، وذلك لاعتبارات دولية وضعها الروس فى اعتبارهم عند بحث كيفية مساعدة مصر .

ومن ناحية أخرى ، أرسل ناظم القدسي نائب رئيس الجمهورية برقية إلى عبد الناصر جاء فيها " إن العدوان الغادر عدوان على العرب كلهم ، وإن الشعب والحكومة والجيش في سوريا يستمدون العون من الله للقيام بهذه الواجبات المقدسة"(١٠٧) ، كما عقد مجلس الوزراء السوري في الحادي والثلاثين من أكتوبر (تشرين أول) اجتماعا حضره توفيق نظام الدين رئيس الأركان ، الذي صرح عقب الاجتماع بأن سوريا على أتم استعداد لدخول المعركة ، وأنها ستنفذ كل ما تطلبه مصر الشقيقة (١٠٨) ، وفي الأول من نوفمبر (تشرين ثان) صرح صبري العسلي رئيس الوزراء السوري في البرلمان أن حكومته سوف تقوم بواجباتها والتزاماتها تجاه الشقيقة مصر ، وتضع قواتها العسكرية تحت إمرة القيادة السورية / المصرية المشتركة (١٠٩)، وكانت سوريا من أولى الدول العربية التي قطعت علاقاتها الدبلوماسية ببريطانيا وفرنسا ، حيث أعلن عبد الرحمن العظم سفير سوريافي مصر في الثاني من نوفمبر (تشرين ثان) أنه تلقى قرارا من حكومته بقطع العلاقات الدبلوماسية بينها وبين فرنسا وانجلترا لاعتداءاتهما الغادرة على مصر (١١٠) .

كان هذا هو الموقف الرسمي للحكومة السورية ، وهو موقف مشرف بالمقارنة بموقف جارتها لبنان ، حيث اتخذت كل الإجراءات الكفيلة على المستوى العملي والدبلوماسي لنصرة مصر ، ولولا رفض عبد الناصر القاطع للتدخل عسكريا ، لكان للأمر شكل آخر على الجانب السوري .

أما الأردن ، فقد أعلنت تأييدها التام للتأميم ، حيث أرسل الملك حسين برقية تأييد لعبدالناصر في اليوم التالي لقرار التأميم (١١١) ، وفي أثناء المساعي الدبلوماسية لحل الأزمة أظهر الملك حسين امتعاضه للقائم بالأعمال المصري في عمان من الموقف الضعيف للدول العربية المنتجة للبترول وخاصة السعودية والعراق ، معلنا أنه يجب على تلك الدول أن تقف موقفا أكثر صلابة مع بريطانيا ، حتى يكون تأييدها لمصر أكثر جدوى (١١٢) ، وفي الثامن والعشرين من يوليو (تموز) أرسل ابراهيم هاشم رئيس وزراء الأردن برقية تهنئة وتأييد إلى عبدالناصر (١١٢) ، كما صرح السيد عوني عبد الهادي وزير الخارجية في الثلاثين من يوليو (تموز) بأن لمصر الحق في تأميم أي مؤسسة اقتصادية أو تجارية داخل حدودها ، معلنا تأييد بلده لتلك الخطوة (١١٤) ، ومع استمرار الأزمة وبدء الحشود العسكرية البريطانية/الفرنسية في جزيرة قبرص ، احتجت الأردن على تلك الإجراءات ، حيث صرح عوني عبد الهادي في السادس من سبتمبر (أيلول) بأنه كلف وكيل الوزارة

باستدعاء سفراء الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا فى عمان لإبلاغهم احتجاج الأردن على تلك الحشود العسكرية (١١٥) .

ومع بداية الهجوم الإسرائيلى على مصر ، كان الموقف فى الأردن مواتيا لاتخاذ سياسة قوية موالية لمصر ، فقبيل العدوان بساعات قليلة تولى رئاسة الوزراء سليمان النابلسى (١١٦) ، وهو معروف بميوله الوطنية ، ومع الساعات الأولى من العدوان ، اتصل الملك حسين بعبد الناصر تليفونيا ، وأخبره بأنه سيهاجم إسرائيل ، ولكن عبد الناصر رجاه ألا يفعل ذلك ، حفاظا على الجيش الأردنى (١١٧) ، كما اجتمع مجلس الوزراء الأردنى فى الثلاثين من أكتوبر (تشرين أول) وقرر الوفاء بالالتزامات التى يتعهد بها الأردن بموجب الاتفاقية العسكرية المعقودة بين مصر والأردن وسوريا ، كما قرر اتخاذ جميع الإجراءات الكفيلة بتنفيذ تلك الالتزامات(١١٨) ، وفى الحادى والثلاثين من أكتوبر (تشرين أول) أعلنت الحكومة الأردنية حالة الطوارئ فى البلاد ، كما أعلنت التعبئة العامة (١١٩) ، وقدمت الحكومة احتجاجا إلى رئيس مجلس الأمن ، وطالبته باتخاذ الإجراءات السريعة وإصدار الأمر فورا للقوات الإسرائيلية بالانسحاب من الأراضى المصرية(١٢٠) ، وأعلنت الحكومة أن الطائرات البريطانية غير مصرح لها باستخدام المطارات الأردنية فى العدوان على مصر أو أى قطر عربى آخر(١٢١)، وفى نفس الوقت أعلنت الحكومة الأردنية قطع علاقاتها الدبلوماسية مع فرنسا(١٢٢) ، وإعلان المقاطعة الاقتصادية مع فرنسا ، سواء المنتجات القادمة من فرنسا أو إحدى مستعمراتها (١٢٣)، أما بالنسبة لعلاقاتها مع بريطانيا فقد حالت الظروف وما بين البلدين من معاهدة دون قطع هذه العلاقة ، وقد نادى مجلس النواب بالأغلبية بقطع العلاقات مع دول العدوان بما فيها بريطانيا ، وقد وعدت الحكومة المجلس بالنظر فى هذا الموضوع (١٢٤) ، وفى الثالث من نوفمبر (تشرين ثان) أرسل الملك حسين برقية إلى عبد الناصر بأن العرب كلهم " يقفون خلف مصر فى جهادها، الأمر الذى سيكفل لأمتنا المجد والعزة والنصر " (١٢٥) .

مما سبق نجد أن موقف الأردن ، وإن كان موقفا مؤيدا لمصر بحكم الصلات الطيبة التى كانت بينهما وقتئذ ، إلا أنها كانت تدين الجانب البريطانى على استحياء، كما أنها لم تستطع قطع العلاقات مع بريطانيا ، بالرغم مما صرح به الملك حسين للقائم بالأعمال المصرى ، عن عدم رضائه عن الموقف العراقى والسعودى والدول المنتجة للبترول ، بسبب موقفهم غير الصارم مع بريطانيا ، ذلك الموقف الذى وقفه الملك حسين نفسه بعد نشوب العدوان واشتراك بريطانيا فيه .

أما فى العـراق ، فقـد كـان موقـف حكومتـه مـن أصعب المواقـف العربيـة علـى الإطلاق ، حيث حامت حولها الشبهات كثيرا إبان التأميم والعدوان ، فكانت الحكومة العراقية فى موقف لا تحسد عليه ، فهى عضو مؤسس وشريك لبريطانيـا فـى حلـف بغداد ، كما أن الظروف السيئة قد جعلت الملك وولى عهده ورئيس حكومته " نورى السعيد " فى ضيافة بريطانيا ، حينما أعلن عبدالناصر قرار التأميم ، وكأن الظـروف كانت تقف فى عناد مع الحكومة العراقية ، وقـد كـان للحكومـة فـى العـراق مواقـف علنية وأخرى سرية .

فعلى الجانب العلنى ، أعلن المسئولون تأييدهم الكـامل لحـق مصـر فـى التـأميم ، واستنكارهم لكل ما فيه مساس بسيادتها وكرامتها ، كما صـرح مصـدر مسئول بـأن العراق يضع كل امكانياتـه العسكرية تحت تصرف مصـر إذا اسـتدعت الضـرورة ذلك(١٢٦) ، كما أصدر بعض ساسة العراق بيانات أعربوا فيها عـن تـأييدهم لقـرار التـأميم ، وأوضحـوا أنـه حـق مـن الحقـوق الطبيعيـة التـى تمارسـها الـدول ذات السيادة(١٢٧) .

وبعـد عـودة نـورى السـعيد رئيـس الـوزراء مـن لنـدن ، اجتمـع مجلـس الـوزراء العراقى برئاسته ، وبعد الاجتمـاع أذيـع بيـان رسـمى لتـأييد مصـر ، جـاء فيـه " أن التأميم حق غير متنازع فيه للدول صاحبة السيادة ، وتعلن الحكومة أنهـا إلـى جـانب مصـر فيما يضمن كرامتها وسيادتها واستقلالها"(١٢٨) وعقـب اقـتراح مؤتمـر لنـدن بإنشاء جمعية المنتفعين بالقناة أبلغ نورى السعيد مجلس الوزراء العراقى بأنه أخطر سفيرى بريطانيا والولايات المتحدة بمعارضة العراق للمشروع ، " وأنه يرضى بـأى حل تفرضه الدول الغربية على مصر ، أو أى إجراء من شأنه أن يعكر صفو السلام العالمى " (١٢٩) ، وعندما اقترحت مصر تشـكيل هيئـة مفاوضـة دوليـة لحـل أزمـة السويس ، وافقت الحكومة العراقية على ذلك الاقتراح طبقا لموافقة اللجنـة السياسـية لجامعة الدول العربية (١٣٠) ، كما أعلنت الحكومة العراقية استعدادها للوساطة بين مصر والدول الغربية لإيجاد حل سلمى للأزمة ، ولكن مصر أعلنت أنهـا لـم تطلـب تلك الوساطة ، ولكنها جـاءت بنـاء علـى توجيهـات اللجنـة السياسية لجامعـة الـدول العربية ، التى اجتمعت كلمتها على أن تقوم كل حكومة عربية بتأييد مصر فى كافـة الميادين ، ومن بينها الميدان الدبلوماسى (١٣١) ، ولكن لم تتم هذه الوساطة .

وفى أثناء العدوان ناصر العراق مصر فى كافة الميادين ، ومن بينهـا القـرارات التى اتخذتها الأمم المتحدة منذ بداية الأزمـة ، وحتـى نهايـة العـدوان (١٣٢) ، وفـى

مجلس الوزراء العراقى عقد نائب رئيس الوزراء العراقى " فاضل الجمالى " اجتماعا موسعا لبحث العدوان على مصر ، وقرر الاحتجاج لدى كل من حكومتى فرنسا وبريطانيا ، وإعلان الأحكام العرفية فى البلاد " تطمينا للحالة ودفعا لكل احتمال " (١٣٣) .

وفى حلف بغداد ، أعلنت الحكومة العراقية مقاطعتها لاجتماعات الحلف فى حالة حضور مندوب بريطانيا (١٣٤) ، كما قامت الحكومة بقطع العلاقات الدبلوماسية مع فرنسا دون بريطانيا، وأعلن راديو بغداد أن الجيش العراقى مستعد للاشتراك فى الدفاع عن مصر " وأن العراق يعتبر نفسه النآ فى ميدان المعركة منذ عسكر جيشه فى أرض الأردن (١٣٥) ، كما أعلن نورى السعيد خلال لقائه بالسفير الأمريكى ببغداد أنه كان يعتقد أن بريطانيا سوف تتخذ بعض الإجراءات ضد إسرائيل ، لأن المعتدين لابد أن يعاقبوا " وأن مجريات الأحداث قد صدمته بشدة"(١٣٦) ، وفى لندن وجهت السفارة العراقية نقدا شديدا للحكومة البريطانية ، وصفه البعض بأنه "كان أكثر البيانات العراقية شدة منذ فترة طويلة (١٣٧) .

وفى مجلس النواب العراقى ، طلب عدد من الأعضاء عقد جلسة استثنائية لبحث العدوان على مصر ، وطالبوا بإعادة النظر فى ارتباطات العراق مع الدول المعتدية، وفى مقدمتها بريطانيا (١٣٨) .

كان ذلك هو موقف العراق المعلن ، أما الموقف غير المعلن فيتمثل فى لحظة وصول نبأ التأميم إلى إيدن أثناء ترحيبه بفيصل وعبدالإله ونورى على مأدبة العشاء فى ١٠ دوانتج ستريت، حيث تكاد تجمع المصادر والمراجع على أن نورى السعيد حينما علم بالخبر قال لإيدن "لم يبق أمامكم سوى سبيل واحد للعمل وهو أضربوا الآن ، أضربوه وبشدة ، وإلا فسيفوت الأوان " ، وإنه " إن لم يسقط عبد الناصر خلال وقت قصير فسوف تدمر المبادئ ويحل حلف بغداد " ، ونصحهم بالا يشتركوا مع إسرائيل أو فرنسا فى أى رد فعل مضاد (١٣٩) ، وقد ذكر سلوين لويد S. LLOYD ذلك حيث قال أنه بعد سماع نبأ التأميم كانت نصيحة نورى له بأننا يجب أن نضرب عبدالناصر وبسرعة (١٤٠) ، وقد أكد ناتنج A. NUTTING ذلك حيث يقول " إن عبدالناصر ادعى بأن نورى حث إيدن على أن يرد عليه بشدة ، وكان هذا الادعاء صحيحا تماما"(١٤١) ، ويذكر تقرير بريطانى أن الزعماء الوحيدين من دول الشرق الأوسط الذين طلبوا استخدام القوة لقهر عبد الناصر هم قادة العراق(١٤٢) ، وعلى الجانب الآخر نجد من ينكر عن نورى السعيد هذا القول ،

فيذكر السفير الأمريكي في بغداد أنه كان يرى نوري السعيد يوميا - تقريبا إبان أزمة السويس ، وأنه لم يكن أبدا واحدا من الذين اقترحوا استخدام القوة ضد عبد الناصر (١٤٣)، كما أن إيدن لم يذكر في مذكراته شيئا مما قاله نوري ، حيث ذكر إيدن أن الاجتماع بالضيوف قد انفض فور وصول نبأ التأميم (١٤٤) .

أما الموقف غير المعلن للحكومة العراقية عقب نشوب العدوان ، فقد أوجزه تقرير بريطاني بقوله " إن الإجراءات التي اتخذتها الحكومة البريطانية في أثناء أزمة السويس قد أسعدت كل العراقيين الذين يطلبون صداقة الحكومة البريطانية(١٤٥) .

وكان من أشد الأمور خطورة ، وإثارة للجدل موقف الحكومة العراقية ، هو ما تردد عن استخدام القوات البريطانية لقاعدة الحبانية العراقية أثناء العدوان على مصر ، إذ أجمعت معظم التقارير المصرية ، وبعض شهود العيان على أن الطائرات البريطانية كانت تقلع من قاعدة الحبانية ، لضرب المواقع المصرية ، كما كان مطار الحبانية يستقبل الجرحى البريطانيين الذين أصيبوا خلال المعارك(١٤٦).

وهناك رأي وسط ، يحدد ما قاله نوري السعيد ، ويبرر موقفه ، وهو أنه عقب سماع قرار التأميم ، أشار نوري على ايدن باستخدام القوة ضد عبد الناصر ، ويؤيد ذلك روايته هو نفسه ، حيث يقول أنه حينما وجد ضيقا من دفاعه عن عبد الناصر قال لإيدن " إذا كان بينكم وبين عبد الناصر ثار وتشعر بريطانيا بأن مصالحها مهددة فأنتم أحرار في اتخاذ قراراتكم ، فلست وصيا على عبد الناصر ، بل أقول لكم جهرا بأنه لم يأخذ رأي أية دولة عربية عندما قام بحركة التأميم، ورغم ذلك فإنني أحذركم تحذيرا قاطعا وأنصحكم بعدم إقحام إسرائيل في اية خطوة تتخذونها ضده ، فالعالم العربي بأسره سيهاجمكم وسيكون صوت العراق داويا وسيقف ثابتا الى جانب اخوانه العرب " (١٤٧) ، وهذا الكلام يتفق مع ما ذكر من قبل ، وفحوى كلام نوري أن تفعل بريطانيا ما تشاء ضد عبد الناصر ، ولكن دون إقحام إسرائيل في ذلك ، وأن العراق لن يتحرك إلا إذا دخلت إسرائيل طرفا في المشكلة .

أما الأمر الذي لا يقبله العقل فهو إشتراك العراق الفعلي في القتال ضد مصر وفتح مطاراته أمام الطائرات البريطانية ، ذلك لأن المعطيات التاريخية والشواهد المختلفة تنفي وقوع مثل هذا التواطؤ .

ومن تلك الشواهد :

١- تصريحات الحكومة العراقية المتكررة لتأييد ورفض العدوان .

٢- رفض العراق حضور اجتماعات حلف بغداد فى حالة حضور مندوب بريطانيا .

٣- الموقف الشعبى المؤيد لمصر والذى كان يراقب رد فعل الحكومة ، مما سيكون له عواقبه الوخيمة فى حالة تورط الحكومة العراقية فى الحرب .

٤- أما أهم هذه الشواهد فهو وجود القواعد البريطانية فى قبرص ومالطة وهى أقرب من القواعد العراقية ، فضلا عن اشتراك إسرائيل فى القتال بجانب بريطانيا وفرنسا وهى أقرب من العراق إلى مصر .

ويبقى سؤال وهو : لماذا اتهم العراق دون غيره من الدول العربية كالأردن مثلا أو ليبيا، مع وجود قاعدة بريطانية فى طبرق ؟

يمكن القول ، أن سوء العلاقات المصرية / العراقية قبيل الأزمة بسبب اختلاف السياسة بين كلا البلدين ، واشتراك العراق فى حلف بغداد ، كان السبب الرئيسى فى اتهام العراق دون غيره من الدول العربية الأخرى .

وفى المملكة العربية السعودية، كان الموقف الحكومى يدور حول ما كان يصدره الملك سعود من تصريحات وبيانات ، وما كان يتخذه من إجراءات ، وكان أول رد فعل من جانب الملك سعود على قرار التأميم هو البرقية العاجلة التى سلمها السفير السعودى بالقاهرة لعبدالناصر نيابة عن الملك سعود ، وفيها أعلن الملك تأييده الكامل للخطوة التى خطاها بتأميم شركة قناة السويس(١٤٨) ، وقد عبر سعود عن تأييده لقرار التأميم فى أكثر من مناسبة ، حيث صرح لمندوب الإذاعة الأهلية الأمريكية فى الرياض ، بأن مسألة التأميم تعتبر قضية داخلية وهى حق من حقوق مصر المشروعة ، وأن موقفه وموقف شعبه من هذه القضية هو التأييد التام ، وقد أذاعت المديرية العامة للإذاعة والصحافة والنشر فى السعودية ذلك الحديث فى الحادى عشر من أغسطس (آب) ١٩٥٦ (١٤٩) ، ومن الناحية العملية ، فإنه فى السابع والعشرين من أغسطس(آب) وضعت السعودية عشرة ملايين دولار تحت تصرف مصر (١٥٠) .

وعقب التهديد باستخدام القوة من جانب الغرب ، أرسل الملك سعود إلى عبد الناصر برقية يخبره فيها أن تهديدات الغرب لمصر قد أزعجته ، لأن هذه الأزمة ليست أزمة مصر وحدها " بل هى أزمة موجهة لنا جميعا " ، وفى النهاية أكد الملك للرئيس عبد الناصر " بأننا مع مصر بكل إمكاناتنا " (١٥١) ، وحينما اقترح مؤتمر لندن الثانى إنشاء جمعية المنتفعين بالقناة، رفضت السعودية تلك المقترحات ، معلنة أنها تسعى جاهدة لكل ما يؤيد موقف مصر ، وتعتبر أنها ومصر يد واحدة (١٥٢) ، وقد عرض الملك سعود التوسط بين عبد الناصر والولايات المتحدة لاحتواء الأزمة، وقد بعث إلى عبد الناصر بذلك (١٥٣) ، وعندما اقترحت مصر تشكيل هيئة مفاوضة لبحث مسألة التأميم ، أعلنت الحكومة السعودية تأييدها التام والكامل لهذا الاقتراح (١٥٤) .

وعقب وقوع العدون الإسرائيلى على مصر ، وفى نفس اليوم (١٠/٢٩) أرسل الملك سعود إلى رؤساء الدول العربية برقية موحدة ، طالبا منهم ضرورة المبادرة بإعلان التعبئة العامة، والاستعداد للذود عن البلاد العربية (١٥٥) ، كما اتصل سعود بعبذ الناصروأبلغه أن السعودية شعبا وحكومة على أتم استعداد منذ اللحظة التى وصلت فيها أخبار الاعتداء الإسرائيلى على مصر لتقديم كل ما يتطلبه التضامن العربى من تضحيات (١٥٦) ، وقد أصدرت الحكومة السعودية بلاغا رسميا يعلن التعبئة العامة ، ويعلن وضع الجيش موضع الاستعداد للقيام بواجبه فى الدفاع عن مصر (١٥٧) ، وحينما اشتركت بريطانيا وفرنسا فى القتال بجانب إسرائيل ، أسرعت الحكومة السعودية فى السادس من نوفمبر (تشرين ثان) بقطع علاقاتها الدبلوماسية بدولتى الاعتداء (١٥٨) ، وعلى الجانب العملى - أيضا - أوقفت المملكة السعودية شحن البترول السعودى لبريطانيا وفرنسا ، كما أوقفت ضخه إلى البحرين الواقعة تحت الحماية البريطانية (١٥٩) ، ومن ناحية أخرى سعت السعودية دبلوماسيا لوقف العدوان على مصر ، حيث أبرق الملك سعود إلى الرئيس الأمريكى أيزنهاور ، طالبا إيقاف كل عدوان ضد مصر ، ومحذرا بأنه إذا لم تعمل الولايات المتحدة عملا إيجابيا " فسوف يتطور الأمر فى الشرق الأوسط إلى إيجاد هوة كبيرة بينه وبين الغرب يصعب تلافيها ، وقد يجر إلى أفظع النتائج على السلم العالمى " (١٦٠) .

كان ذلك هو الموقف الرسمى للمملكة العربية السعودية ، وهو موقف مساند لمصر ، وذلك لأن السعودية كانت أحد حلفاء مصر فى تلك الفترة .

أما اليمن ، وهى رابع الحلفاء مع مصر ، فلم يتعد رد الفعل الرسمى عندها أكثر من تهنئة إمام اليمن لعبدالناصر بالتأميم ، وأرسل ابنه وولى عهده محمد البدر فى الخامس من أغسطس (آب) ليبلغ عبد الناصر تهنئة والده بنفسه (١٦١) ، كما أرسل الإمام أحمد برقية تهنئة إلى عبدالناصر راجيا لمصر كل خير ومجد (١٦٢) ، وفى خطاب ألقاه الإمام على الشعب اليمنى أعلن التعبئة العامة تحسبا لوقوع عدوان على مصر (١٦٣) ، وعقب العدوان لم يتعد موقف الإمام أحمد بيانات التنديد والإستنكار(١٦٤) ، ولم تذكر المصادر والمراجع ما إذا كان الإمام قد قطع علاقاته الدبلوماسية بدولتى الاعتداء أم لا .

أما فى ليبيا ، والتى كانت تحت حكم الملك إدريس السنوسى ، وكان يرأس الحكومة فيها مصطفى بن حليم ، فقد أعلن الملك تأييد بلاده للتأميم (١٦٥) ، أما رئيس الوزراء فقد صرح فى التاسع والعشرين من يوليو (تموز) ١٩٥٦ بأن ما أعلنه عبد الناصر عن تأميم شركة قناة السويس خطوة جريئة " نتمنى لها النجاح ، وأن تلك الخطوة هدفها تأمين مصالح مصر ، وهى من صميم شئون مصر الداخلية"، وقد أرسل برقية تهنئة إلى عبدالناصر (١٦٦) ، وفى الثانى عشر من أغسطس (آب) أعلن بن حليم بأن ليبيا تؤيد مصر تأييدا مطلقا فى خطوتها الجبارة بتأميم شركة القناة ، وترغب الحكومة الليبية فى أن تتغلب الحكمة والعقل فى معالجة الأزمة(١٦٧) ، وإزاء تهديدات الغرب باستخدام القوة ضد مصر ، استدعى " على الساحلى " وزير خارجية ليبيا بالنيابة سفراء الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا ، وحذرهم من استخدام القوة ضد مصر ، كما حذرهم بأنه غير ضامن للنتائج المترتبة على أى عمل عدوانى ضد مصر ، وكلف سفير الولايات المتحدة بأن يبلغ حكومته بأنه فى حالة أى اعتداء على مصر ، فإن القاعدة الجوية الأمريكية فى ليبيا (هويلوس) ستتعرض لأخطر اعتداء من الشعب الليبى (١٦٨) ، وعقب مؤتمر لندن رفضت ليبيا ما اقترحه المؤتمر بشأن جمعية المنتفعين باعتبار أنه ينطوى على اعتداء خطير على سيادة مصر ، كما أن تنفيذه يهدد السلام ، ويؤدى إلى قيام الحرب (١٦٩) ، وفى الوقت نفسه أيدت الحكومة الليبية اقتراح مصر بقد مؤتمر دولى لبحث مسألة قناة السويس(١٧٠) .

وفور وقوع العدوان الإسرائيلى على مصر، اجتمع مجلس الوزراء الليبى فى الحادى والثلاثين من أكتوبر (تشرين أول) وقرر استنكار ذلك العدوان ، وأعلن مؤازرته التامة لمصر والدول العربية لرد العدوان (١٧١) ، كما احتجت الحكومة الليبية على الإنذار البريطانى / الفرنسى ، معلنة أنها تلفت نظر الحكومة البريطانية

بصفتها دولة حليفة صديقة لليبيا إلى النتائج الخطيرة التى ستترتب عليها هذه الأعمال بالنسبة لبريطانيا فى العالم العربى عامة وليبيا على وجه الخصوص(١٧٢)، وحينما بدأ العدوان الثلاثى احتجت الحكومة الليبية على ذلك العدوان ، حيث اعتبرته خرقا صارخا لميثاق هيئة الأمم المتحدة الذى يعتبر أساسا لمعاهدة التحالف والصداقة المبرمة بين ليبيا وبريطانيا ، وخطرا يهدد سلام العالم وأمنه ، وطلبت من الحكومة البريطانية أن تكف عن المضى فى سياستها العدوانية ضد مصر (١٧٣) ، وقد أثارت مسألة القواعد البريطانية فى ليبيا جدلا كبيرا ، عما إذا كانت بريطانيا ستستخدم تلك القواعد ضد مصر أم لا ، إلا أن الحكومة الليبية لم تترك فرصة إلا وصرحت بأنها لن تسمح باستخدام أراضيها فى العدوان على مصر ، أو أى دولة عربية أخرى ، وكانت الحكومة البريطانية قد تدارست فكرة مهاجمة الأسكندرية عن طريق ليبيا ، ولكن تلك الفكرة لاقت اعتراضا من عدد من السياسيين ، لأن ذلك من شأنه إحداث اضطرابات سياسية فى ليبيا ، وربما تؤدى إلى إلغاء المعاهدة الليبية / البريطانية (١٧٤) ، وقد سعت الحكومة الليبية لدى نظيرتها البريطانية لعدم استخدام تلك القواعد ضد مصر ، وقد تقابل بن حليم مع السفير البريطانى فى ليبيا لبحث ذلك الموضوع ، فأجابه السفير بأن القواعد لن تستخدم ، ولكن لا تمتلك الحكومة الليبية أن تحصل على تصريح مكتوب بعدم استخدامها (١٧٥) ، إلا أن بن حليم يذكر أنه حصل على تأكيد رسمى من السفير البريطانى فى الأول من نوفمبر (تشرين ثان) ١٩٥٦ بشأن عدم استخدام الأراضى الليبية ضد مصر ، مما جعله يصدر بيانا رسميا أخبر فيه الشعب الليبى بأن القواعد البريطانية فى ليبيا ستجمد تماما (١٧٦) .

ومما سبق نلاحظ أن موقف الحكومة الليبية لم يكن على مستوى بعض الحكومات الأخرى نظرا للعلاقات التى كانت تربطها بالحكومة البريطانية ، وحرص بن حليم على استمرار تلك العلاقات واستمرار الدعم البريطانى لحكومته ، حتى أنه كان يصدر بيانات التنديد والاستنكار على استحياء حتى لاتضار مصالحه مع بريطانيا وكما ذكر هو نفسه ذلك للقائم بالأعمال المصرى بليبيا (١٧٧) .

وفى السودان القطر العربى الذى كان حديث العهد بالاستقلال ، كانت أزمة السويس أول اختبار فى سياسته الخارجية ، ففور إعلان التأميم أعلن عبد الله خليل رئيس الوزراء أن التأميم خطوة جريئة ، وأعرب عن أمله فى أن تنجح مصر فى إتمام تلك الخطوة (١٧٨) ، وفى التاسع من أغسطس (آب) أدلى الناطق باسم الحكومة السودانية " محمد أبوسن " بتصريح أعلن فيه تأييد الحكومة لكل ما جاء فى

بيان المعارضة السودانية والمؤيد لموقف مصر من التأميم ، وأعلن استعداد الحكومة لدعوة البرلمان للانعقاد إذا حدثت أى تطورات تستدعى ذلك (١٧٩) ، وفى السادس عشر من سبتمبر (أيلول) قرر مجلس الوزراء السودانى تأييد مصر فى موقفها من قرار التأميم ، واستنكار التهديد باستخدام القوة من جانب دول الغرب ، وأشار البيان الرسمى الذى أعلنه المجلس إلى أن المجلس يقف بجانب مصر فى تأكيد سيادتها على أراضيها (١٨٠) ، وحينما أعلنت مصر اقتراحها بإنشاء هيئة مفاوضة دولية لحل أزمة السويس ، أعلن رئيس وزراء السودان عبدالله خليل موافقة حكومته على ذلك الاقتراح (١٨١) .

وفور وقوع العدوان الاسرائيلى ، وفى الحادى والثلاثين من أكتوبر (تشرين أول) أصدر مجلس الوزراء السودانى بيانا استنكر فيه ذلك الاعتداء ، وكذلك الإنذار البريطانى / الفرنسى " الذى لا يقوم على المنطق أو الحق ، بل هو اعتداء واضح على استقلال مصر وسيادتها"(١٨٢)، وحينما اشتركت فرنسا وبريطانيا فى العدوان أرسل رئيس الوزراء السودانى برقية إلى كل من مجلس الأمن ورئيس مجلس العموم البريطانى فى الثانى من نوفمبر (تشرين ثان) طالب فيها الأول بمعالجة الموقف بشجاعة وإنصاف ، واتخاذ كافة الإجراءات الكفيلة بإزالة هذه الحالة الخطيرة ، وأوضح للثانى بأن العدوان الثلاثى على مصر من شأنه تعريض الأمن والسلام العام فى منطقة الشرق الأوسط بأكملها للخطر ، ورجاه بأن تتخذ الإجراءات السريعة لمعالجة ما قد حصل ، واستعادة حالة الأمن والطمأنينة (١٨٣)، وقد استنكر البرلمان السودانى العدوان الثلاثى على مصر ، وطلب من المعتدين الانسحاب من الأراضى المصرية بناء على قرارات هيئة الأمم المتحدة (١٨٤) ، وكمساعدة فعلية لمصر ضد العدوان فتح السودان مطاراته لإيواء الطائرات المصرية التى أفلتت من الهجوم الثلاثى (١٨٥) .

أما الخليج العربى ، فقد كان يرزح تحت الحماية البريطانية ، ولم تكن له أية ردود أفعال رسمية ، اللهم بعض الآراء التى صدرت بصورة غير رسمية عن طريق بعض الحكام ، ففى العشرين من سبتمبر (أيلول) تقابل المقيم السياسى فى البحرين بالشيخ صباح الصباح أحد أفراد الأسرة الحاكمة فى الكويت ، حيث أخبره الشيخ صباح بأن عبد الناصر أصبح خطرا على جميع الدول العربية ، وفى نهاية اللقاء ذكر المقيم السياسى أن فحوى محادثته مع الشيخ صباح بأن عبدالناصر أصبح خطرا على جميع الدول العربية ، وفى نهاية اللقاء ذكر المقيم السياسى أن فحوى محادثته مع الشيخ كانت دعوته لنا بأن نقطع الثرثرة TO CUT OUT THE

CACKLE والدخول فى عمل مناسب لعزل عبد الناصر(١٨٦) ، ويذكر ناتتج أن الدول العربية المنتجة للبترول ، وخاصة تلك الدول التى لاتملك خطوط أنابيب إلى موانئ البحر المتوسط ، بدأت تشعر بالخوف لأن القناة تعتبر المخرج الوحيد لصادراتهم من البترول إلى الغرب . ومع بداية أكتوبر (تشرين أول) حث " شيوخ البترول فى الخليج " القاهرة للدخول فى اتفاق أو قبول حل وسط مع الغرب(١٨٧) ، وعلى ذلك نجد أن شيوخ الخليج حفاظا منهم على مصالحهم ، كانوا يريدون إنهاء تلك الأزمة بصورة أو بأخرى حتى لا تضار مصالحهم . وقد كان لشيوخ الخليج موقف خاص من عبد الناصر ، ذلك لأنه كان دائما يطالب بضرورة توحيد الدول العربية الصغيرة لتصبح امبراطورية عربية متحدة(١٨٨) ، وكان دائما يصفهم بعملاء الاستعمار ، وخوفا من تهديدات عبد الناصر بتصفية الحكومات المواليةللغرب لم يعبأ شيوخ الخليج بما كان يحدث بين عبد الناصر والغرب ، إلا بقدر حرصهم على مصالحهم .

أما المغرب العربى ، فلم يكن أكثر حظا من الخليج ، حيث كان يقع تحت السيطرة الفرنسية ، فلم تصدر عن حكوماته أية مواقف رسمية إلا بالقدر القليل .

ففى تونس ، أبلغت الحكومة التونسية الجامعة العربية رسميا فى الخامس من أغسطس (آب) تأييدها لمصر فى تأميم قناة السويس ، وكذلك تأييدها للقرارات التى أصدرها مجلس الجامعة العربية فى هذا الشأن(١٨٩) ، وفى السادس عشر من أغسطس (آب) أدلى متحدث بلسان وزارة الشئون الخارجية التونسية ببيان ، طالب فيه الدول الغربية بتغليب الحكمة فى معالجة قرار التأميم، حيث أن التأميم حق مشروع ، وأن مصر تمارس حقها كدولة ذات سيادة(١٩٠) ، وفى الخامس من سبتمبر (أيلول) صرح باهى الأدغم رئيس الوزراء التونسى والقائم بأعماله ، بأن تونس تعتقد أن قناة السويس يجب أن تظل ممرا مائيا مصريا مفتوحا لبواخر جميع الدول ، وأعرب عن أمله فى أن تحل هذ الأزمة حلا سلميا ، وأن أية محاولة من جانب فرنسا وبريطانيا لشن حرب ضد مصر سوف تؤدى إلى إثارة اضطرابات خطيرة فى طول البلاد العربية وعرضها (١٩١) ، وبعد أن اقترحت مصر تشكيل هيئة مفاوضة دولية لحل أزمة السويس ، بعثت الخارجية التونسية بموافقتها على ذلك الاقتراح إلى السفارة المصرية بتونس(١٩٢).

وعقب نشوب العدوان الثلاثى على مصر ، أرسل رئيس وزراء تونس الحبيب بورقيبة فى الأول من نوفمبر (تشرين ثان) ببرقية إلى الأمين العام للأمم المتحدة

طالبه فيها بالعمل على وقف القتال الدائر فى منطقة الشرق الأوسط ، وسحب القوات المعتدية من مصر(١٩٣).

وفى المغرب ، لم يعلن السلطان محمد الخامس سلطان المغرب تأييد بلاده رسميا للتأميم، ولكنه أيد تلك الخطوة بطرق غير رسمية ، وذلك بسبب ارتباطه الوثيق بفرنسا ، حيث أنه كان حديث العهد بالاستقلال (مارس ١٩٥٦) ، حتى أنه لم يعلن موافقته على اقتراح مصر بتشكيل هيئة مفاوضة ، معللا ذلك بأنه يقوم بدور الوساطة بين فرنسا والمجاهدين الجزائريين ، وأنه لو تعجل وأظهر موافقته على الاقتراح سيضعف مركزه كوسيط(١٩٤) .

وبعد العدوان ، أشارت الصحف المصرية إلى أن السلطان محمد الخامس رفض مقابلة مبعوث فرنسى احتجاجا على الأعمال العدوانية التى قامت بها فرنسا ضد مصر (١٩٥) .

كان ذلك هو الموقف الرسمى للدول العربية من أزمة السويس ، أما الموقف الشعبى والحزبى فإنه موقف سليم وطبيعى ، من حيث توحد كلمة الشعوب العربية ومناصرتها لمصر ، واستعداد الشعوب العربية للقتال بجانب مصر فى حربها ضد المعتدين ، أما الموقف الرسمى فهو ولاشك موقف لم يرق لجلال الحدث ، حيث كان يجب اتخاذ موقف مغاير لذلك الموقف تماما ، فكان الواجب يحتم أن تتوحد الدول العربية لاتخاذ خطوة موحدة تجاه العدوان والمعتدين ، ولو سعى العرب لتحقيق توصيات مجلس الجامعة العربية التى أعقبت العدوان ، لكان للأمر شكل آخر، ولكن لماذا لم تتخذ الدول العربية خطوة موحدة ؟ .

إن الدول العربية فى تلك الفترة كانت تتنازعها الصراعات ، حتى أن الدول العربية كانت قبيل الأزمة قد انقسمت إلى فريقين ، فريق موال لمصر ، وآخر موال للعراق ، حتى الجامعة العربية أصبحت قراراتها حبرا على ورق ، وعلى هذا فإن الصراعات العربية / العربية ، والمصالح الشخصية لبعض الحكام العرب ، حالت دون توحيد كلمة العرب .

وأما لماذا لم تضع الدول العربية معاهدة الدفاع العربى المشترك ١٩٥٠ موضوع التنفيذ؟، ولماذا أيضا لم تتدخل جيوش الحلف العربى المكون من سوريا والأردن والسعودية ومصر ؟ .

لقد كان الأمر الطبيعي أن تسارع الدول العربية فور قيام العدوان الإسرائيلى لنجدة مصر، عملا بمعاهدة الدفاع العربى المشترك ، أو على الأقل عملا بالحلف العربى ، ولكن الظروف الدولية التى أحاطت بالحدث حالت دون تدخل القوات العربية ، إما لارتباط بعض تلك الدول بدولتى العدوان بريطانيا وفرنسا ، وإما تفاديا لاتساع رقعة القتال ، مما كان يهدد بقيام حرب عالمية ثالثة ، وقد كشف تقرير مصرى – بعد انتهاء العدوان – أن يوم الاعتداء الإسرائيلى على مصر ، صادف توقيع الاتفاقية العسكرية المصرية / الأردنية حيث صدر الأمر للقائد العام للقوات المصرية ، ليضع ما يراه من خطط وتوجيه عسكرى ، وفعلا صدرت تعليمات من القيادة المصرية بأن يقوم الأردن بعمل هجومى ضد إسرائيل ، وطلبت السلطات العسكرية الأردنية مهلة ثمان وأربعين ساعة ، حتى تصل القوات السورية لتحتل بعض المواقع بالجبهة وتتسلمها من القوات الأردنية ، لكى تندفع هذه بعد ذلك للقيام بواجبها الهجومى على اسرائيل ، إلا أنه عندما اتضح أن العدوان كان مقصودا به استدراج الجيش المصرى داخل سيناء ، ثم قيام بريطانيا وفرنسا بضرب هذه القوات من ظهرها والقضاء عليها ، وأدركت مصر خطة الأعداء الثلاثة ، وصدر الأمر للجيش المصرى بالانسحاب إلى منطقة القنال ، طلبت القيادة المصرية من الأردن تعديل الخطة وعدم تعرض القوات الأردنية لإسرائيل ، فامتثلت الأردن لرغبة مصر، وأعربت عن أنها تحت تصرف مصر فيما تريد وفيما تأمر به (١٩٦) ، وعلى هذا ، فإنه عندما عرضت سوريا والأردن التدخل العسكرى ، طلب منهما عبد الناصر عدم التعرض لإسرائيل ، لأنه كا يعلم أن الأمر لم يكن يحتمل دخول أطراف أخرى فى النزاع ، حتى لا تتسع رقعة القتال ، الأمر الذى كان يتفاداه عبد الناصر ، ولأن طاقة الدول العربية القتالية المحدودة بالنسبة لدول العدوان ، كانت من الممكن أن تؤدى إلى تدمير القوة العسكرية لدى الدول العربية ، خاصة وأن الدول التى كان من الممكن أن تدخل القتال بجانب مصر هى الأردن وسوريا .

أما ماذا كان يمكن أن يقدمه العرب لمصر فى تلك الأزمة ؟ فمن أهم الأمور التى كان يمكن أن يقدمها العرب هو قطع العلاقات الدبلوماسية مع دولتى العدوان ، وطرد رعاياهم من الدول العربية ، مع وقف إمداد تلك الدول بالبترول العربى ، وسحب الأرصدة العربية من البنوك الغربية ، ولو كان العرب قد اتخذوا هذا الموقف جماعيا لما استمر العدوان ، أما ما شاهدناه من تخبط فى السياسة العربية ، جعل وكأن الأمر لايعنى إلا دولا بعينها ، فتارة نجد دولة تقطع العلاقات مع دولتى

العدوان ، وأخرى ترفض ودولة تقطع العلاقات مع إحداهما دون الأخرى ، مما سهل الأمر بالنسبة لدولتى العدوان ليفعلا بمصر ما يريدان .

ومهما يكن من أمر ، فأن ذلك العدوان قد خلف عدة نتائج هامة على المستويات الدولية والإقليمية والعربية ، وما يعنينا هنا هو النتائج التى خلفها العدوان على المستوى العربى ، فقد كانت أهم تلك النتائج هى بروز القومية العربية بصورة كبيرة، وشملت جميع الدول العربية على المستوى الشعبى ، وقد وصف البعض ذلك بقوله " إن الدرس المستفاد من معركة السويس هو هذا اللقاء بين عبد الناصر والجماهير العربية ، التى تحولت لأول مرة إلى قوة فاعلة وحاسمة فى صنع الأحداث "(١٩٧) ، كما كان لتلك الأزمة نتيجة إيجابية بالنسبة لعبد الناصر ، حيث برز على المسرح السياسى العربى " كممثل لحركة القومية العربية المناهضة للاستعمار " (١٩٨) . كما ذكر البعض أن إسم عبد الناصر أصبح حينما يذكر يمس الوتر السحرى STRUCK THE MAGIC CHORD فى قلوب الوطنيين العرب (١٩٩) . وأن الحركة الناصرية قد وصلت إلى أوجها وعنفوانها فى نهاية الخمسينيات(٢٠٠). وفى النهاية ، فقد أرادت بريطانيا من العدوان على مصر إرجاع شركة القناة وإسقاط عبد الناصر ، إلا أن النتيجة التى انتهى اليها العدوان هى أن أصبحت القناة ملكية خالصة لمصر . وأصبح عبد الناصر بطلا قوميا ، ورائدا لحركة القومية العربية .

الهوامش

١ - مصطفى أحمد بن حليم : صفحات مطوية من تاريخ ليبيا السياسى ، (وكالة الأهرام للتوزيع ، ١٩٩٢) ، ص ٢٤٩ .
٢ - الأهرام : الأربعاء ٨١٩٥٦/١ ، ص ٧ .
٣ - هنرى أزو : فخ السويس ، ترجمة محمود حسن إبراهيم (دار القاهرةللطباعة والنشر ، ١٩٦٦) ، ص ١٩٤ .
٤ - أحمد حمروش : ثورة يوليو وثورات التحرر الوطنى العربية ، (ثورة يوليو والعالم العربى ، ٣- ٥ مارس ١٩٩٠ ، مركز وثائق وتاريخ مصر المعاصر) ، ص ص ٩ ، ١٠ .
٥ - د. نبيه بيومى عبد الله : تطور فكرة القومية العربية فى مصر ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٥) : ص ٢٣٣ .
٦ - وثائق الخارجية المصرية : محفظة ١٤٠٢ ، ملف ١٠/١٦١/٤ " المؤتمر الإسلامى"، من السفير المصرى بدمشق " فتحى رضوان إلى وكيل وزارة الخارجية بشأن تأييد المؤتمر الإسلامى لتأميم شركة القنال ، سرى بتاريخ ٨ /١٩٥٦/٨ ، برقم ٤٦٣ سرى .
٧ - الأهرام : الأثنين ١٩٥٦/٨/١٣ ، ص٦ .
٨ - جامعة الدول العربية : تقرير عن أعمال الأمانة العامة فى المدة بين الدورتين العاديتين ٢٥ ، و٢٦ ، دور الانعقاد العادى السادس والعشرين ، أكتوبر ١٩٥٦، ص ص ٧ -٩.
٩ - الأهرام : الأربعاء ١٩٥٦/٩/١٩ ، ص٥ ، أميل الغورى : صراع القومية العربية ، (مطابع فتى العرب ، سوريا ، ١٩٥٨) ، ص ٢٦ .
١٠- سمير صادق : قصة العدوان الثلاثى على مصر ، (الدار القومية للطباعة والنشر،١٩٦١) ، ص١٥٠ .
١١- جامعة الدول العربية : تقرير الأمين العام إلى مجلس جامعة الدول العربية فى دور انعقاده العادى السابع والعشرين ، مارس ١٩٥٧ ، ص ١٩ ، د. يوسف خروى : المشاريع الوحدوية العربية ١٩٨٧/١٣ ، دراسة توثيقية ، (مركز دراسات الوحدة العربية ، ط١ ، ١٩٨٨) ، ص٢٠٩ ،

U. S Policy in The Middle East, 1956 - June 1957 , Documents , (Greenwood Press, Publishers, N.Y., 1968) , pp 221 - 222 .

١٢- الأهرام : الأربعاء ٢١ نوفمبر ١٩٥٦ ، ص٤ .

١٣- وثائق وزارة الخارجية المصرية : محفظة ملفات مختلفة ، قرارات اللجنة السياسية لجامعة الدول العربية فى اجتماعها فى ٧ يناير ١٩٥٧ .

١٤- خالد العظم : مذكرات خالد العظم ، (الدار المتحدة للنشر ، بيروت ، ط١ ، ١٩٧٢) ، مج٢ ، ص٤٨٢ .

١٥- الأهرام : السبت ١٩٥٦/٧/٢٨ ، ص٧ .

١٦- وثائق الخارجية المصرية : مفظة ٢٧٢ ، ملف ١/١/٢أ ، رسائل التأييد بمناسبة تأميم قنال السويس .

١٧- خالد العظم : مذكرات ، مج٢ ، ص ص ٤٧٨ - ٤٧٩ .

١٨- وثائق الخارجية المصرية : محفظة ١١٨٢ ، ملف ١/ ٧/٤ سرى ، تأميم شركة قنال السويس ، من القنصل العام المصرى بحلب بالنيابة إلى السفير المصرى بدمشق سرى بتاريخ ١٩٥٦/٨/١٧ ، برقم ٨١ سرى .

١٩- المصدر نفسه : مفظة ١٥٠٦ ، ملف ٢٠/٤٥/١٥ ، ج٤ ، تأميم شركة قنال السويس ، من القائم بالأعمال المصرى فى دمشق (أحمد فتحى رضوان) إلى وكيل وزارة الخارجية الدائم بشأن تصريح أكرم الحوارنى بتخريب المنشآت البترولية فى البلاد العربية إذا حدث اعتداء على مصر ، سرى جدا ، بتاريخ ١٩٥٦/٨/١٤ ، برقم ٤٧١ سرى .

٢٠- وحيد مانع أحمد : عبد الناصر ٥٢-١٩٧٠ ، (الأنوار للموسوعات العربية ١٩٧٦) ، ص ٩٧ .

٢١- جاسم علوانى : أسرار مؤامرة ليلة الانفصال ، (مجلة آخر ساعة ، العدد ٢٧٨٢ ، ١٧ فبراير ١٩٨٨) ، ص ٢٤ ، محمود رياض : رأيت الانفصال ليلة إعلان الوحدة ، (مجلة آخر ساعة ، العدد ٢٧٨٤ ، ٢ مارس ١٩٨٨) ، ص٢٤ .

٢٢- الأهرام : الخميس ١٩٥٦/٨/٢ ، ص١ .

٢٣- الأهرام : الجمعة ١٩٥٦/٧/٢٧ ، ص١ ، السبت ١٩٥٦/٧/٢٨ ، ص ص ٣ ، ٧.

٢٤- وثائق الخارجية المصرية : محفظة الأردن ١ ، ملف ١٩٢ س/ عمان ، تقرير من القائم بالأعمال المصرى بالنيابة بعمان " عز الدين عبد العزيز "

إلى وكيل وزارة الخارجية ، بشأن الاعتداء الثلاثي على مصر وموقف الحكومة الأردنية منه ، بتاريخ ١٩٥٧/١٢/٧، سرى جدا برقم ٢٦ سرى جدا .

٢٥- المصدر نفسه : محفظة ١٥٠٦ ، ملف ١٥/٤٥/٣٠ ، ج٦ ، تأميم شركة قناة السويس ، تقرير من القائم بالأعمال المصرى ببغداد " أحمد إبراهيم " إلى وكيل وزارة الخارجية الدائم ، بشأن تطورات موقف الحكومة العراقية من تأميم شركة قناة السويس سرى جدا، بتاريخ١٩٥٦/٨/١٧ ، رقم ٣٥٤ سرى .

٢٦- عبد الجبار مصطفى : تجربة العمل الجبهوى فى العراق ٢١-١٩٥٨ ، (الجمهورية العراقية ، وزارة الثقافة والفنون ، ١٩٧٨) ، ص ٢٦ .

٢٧- الأهرام : الأربعاء ١٩٥٦/٨/٨ ، ص٧ .

٢٨- وثائق الخارجية المصرية : محفظة ٥ بغداد ، ملف س / بغداد ، تقرير من السفير المصرى ببغداد " توفيق قطامش " إلى وكيل وزارة الخارجية ، بتاريخ ١٩٥٦/١١/١٩ ، بشأن صدى الاعتداء البريطانى / الفرنسى / الإسرائيلى فى العراق برقم ٤١٤ .

٢٩- المصدر نفسه : من السفير المصرى ببغداد إلى وكيل وزارة الخارجية ، بتاريخ ١٩٥٦/١١/١٢ ، سرى برقم ٤١٣ .

٣٠- المصدر نفسه : من السفير المصرى ببغداد إلى وكيل وزارة الخارجية بشأن المظاهرات والاضطرابات فى العراق ، سرى ، بتاريخ ١٩٥٦/١١/١٤ ، برقم ٤٣٣ .

٣١- محمد حسنين هيكل : ملفات السويس ، حرب الثلاثين سنة ، (مركز الأهرام للترجمة والنشر ، ط١ ، ١٩٨٦) ، ص ٤٥٦ .

٣٢- جهاد مجيد محيى الدين : العراق والسياسة العربية ٤١-١٩٥٨ ، (رسالة دكتوراة، كلية الآداب ، جامعة عين شمس ، ١٩٧٧) ، ص ٢٢٤ .

٣٣- هيكل : المرجع السابق ، ص ٥٠٩ .

٣٤- الأهرام : الأربعاء ١٩٥٦/٨/٢٢ ، ص٣ .

٣٥- وثائق ندوة السويس الدولية : معركة السويس " ثلاثون عاما " ، (دار الشروق ، ط١ ، ١٤٠٩هـ /١٩٨٩م) ، كلمة محمد لطفى الصباحى أمين عام مجلس القضاء الأعلى فى اليمن العربية ، ص ص ٢٩٦ - ٢٩٧ .

٣٦- الأهرام : الخميس ١٩٥٦/١١/٨ ، ص١ .

٣٧- أمين سعيد : العدوان ، (دار إحياء الكتب العربية ، ١٢٧٩ هـ / ١٩٥٩م)، ص ١٢٨.
٣٨- الأهرام : الأحد ١٩٥٦/٧/٢٩ ، ص ٦ ، الأثنين ١٩٥٦/٧/٣٠ ، ص ٣ .
٣٩- الأهرام : الخميس ١٩٥٦/٨/٢ ، ص ٦ .
٤٠- أمين سعيد : العدوان ، ص ١٢٩ .
٤١- الأهرام : السبت ١٩٥٦/١١/٣ ، ص٧ .
٤٢- وثائق الخارجية المصرية : محفظة ١٥٠١ ، ملف ١٥/٤٥/٣٠ ، ج٢، تأميم شركة قناة السويس ، تقرير من القائم بالأعمال المصرى بالنيابة بليبيا " أنور محمد السكرى " إلى وكيل وزارة الخارجية الدائم ، سرى ، بتاريخ ١٩٥٦/٧/٣٠ ، بشأن صدى خطاب الرئيس جمال عبد الناصر فى ليبيا ، برقم ٣١٩ .
٤٣- جريدة طرابلس الغرب : الثلاثاء ٣١ يوليو ١٩٥٦ ، السنة ١٦ ، العدد ١٣٠ ، ص١ .
٤٤- مصطفى بن حليم : صفحات مطوية ، ص ٤١٥ .
٤٥- الأهرام : الجمعة ١٩٥٦/١١/٢ ، ص٥ ، الأحد ١٩٥٦/١١/٤ ، ص٢ .
٤٦- الأهرام : الأحد ١٩٥٦/١١/٤ ، ص٢ .
٤٧- الأهرام : الأثنين ١٩٥٦/١١/٦ ، ص٣
٤٨- الأهرام : الأثنين ١٩٥٦/٨/١٣ ، ص٩ .
٤٩- الأهرام الأحد ١٩٥٦/٨/١٩ ، ص٣ .
٥٠- د. نادر العطار : العلاقات الدبلوماسية بين مصر وبريطانيا ، (دمشق / ط١ ، ١٩٦٣)، ص ٢٣٨ .
٥١- د. نبيه بيومى : تطور فكرة ، ص ٢٢٥ .
52 - Assiri , Abul - Reda , Kuwait's Foreign policy " a city state in world politics ",Westview Press , London , I st ed., 1990) , p. 8
٥٣- الأهرام : الجمعة ١٩٥٦/٨/١٠ ، ص ص ١ ، ٥ .
٥٤- الأهرام : الأحد ١٩٥٦/١١/٤ ، ص٣ .
٥٥- د. عبد الرحمن البزاز : بحوث فى القومية العربية ، (معهد البحوث والدراسات العربية، ١٩٦٢/٦١) ، ص ٤٢٥ .
- Keesing's Contemporary Archives 17 - 24 Nov . 1956 , p. 15211.

٥٧- الأهرام : الثلاثاء ١٩٥٦/١١/١٢ ، ص٥ .
٥٨- الأهرام : الأثنين ١٩٥٦/٨/٢٧ ، ص ص ١ ، ١٢ .
٥٩- د. نبيه بيومى : تطور فكرة ، ص ٢٢٦ .
٦٠- وثائق ندوة السويس الدولية : معركة السويس . (كلمة الجنيدى خليفة ، أحد المناضلين للثورة الجزائرية) ، ص ٢٩١ .
٦١- الأهرام : الأثين ١٩٥٦/٧/٣٠ ، ص٣ .
٦٢- الأهرام : الأحد ١٩٥٦/٨/١٢ ، ص ٦ .
٦٣- لمزيد من التفاصيل عن موقف الصحافة السودانية من الأزمة ، أنظر : وزارة الخارجية المصرية : الشئون السياسية ، إدارة الصحافة ، العدد السادس ، سبتمبر ١٩٥٦ ، ص ص ١٤٣ - ١٤٥ .
٦٤- المصدر نفسه : العدد الثامن ، ص ١٢٨ .
٦٥- وثائق الخارجية المصرية : محفظة ١٥٠١ ، ملف ١٥/٤/٣٠ ، ج٢ ، تأميم شركة قنال السويس ، تقرير من السفير المصرى ببيروت " عبد الحميد غالب " إلى وكيل وزارة الخارجية ، بشأن قرار تأميم قناة السويس فى ١٩٥٦/٢٦ ، وصداه فى لبنان ، سرى جدا، بتاريخ ١٩٥٦/٨/٢٠ ، برقم ١٥٩ سرى جدا .
٦٦- الأهرام : السبت ١٩٥٦/٧/٢٨ ، ص٧ .
٦٧- وثائق الخارجية المصرية : محفظة الأردن ١ ، تقرير من القائم بالأعمال المصرى بالنيابة بعمان إلى وكيل وزارة الخارجية ، سرى ، بتاريخ ١٩٥٧/٣/٧ برقم ٢٦ .
٦٨- المصدر نفسه : محفظة ١٥٠١ ، ملف ١٥/٤٥/٣٠ ، ج ٢ ، تأميم شركة قنال السويس، تقرير من القائم بالأعمال المصرى بالنيابة بليبيا إلى وكيل وزارة الخارجية الدائم بتاريخ ١٩٥٦/٧/٣٠ ، سرى برقم ٣١٩ .
٦٩- المصدر نفسه : محفظة ١٥٠٧ ، ملف ١٥/٤٥،٣٠ ، ج١ ، تقرير من السفير المصرى ببغداد " توفيق قطامش " إلى وكيل وزارة الخارجية ، بشأن صدى خطاب السيد الرئيس وتأميم شركة قنال السويس ، سرى وعاجل ، بتاريخ ١٩٥٦/٧/٢٨ ، برقم ٢٣٩ .
٧٠- وزارة الخارجية المصرية : النشرة الأسبوعية خاصة بموضوع تأميم قناة السويس، العدد السادس ، ص١٤١ .

٧١- وثائق الخارجية المصرية ، محفظة ٥ بغداد ، ملف س / بغداد ن تقرير من السفيرالمصرى ببغداد إلى وكيل وزارة الخارجية ، بتاريخ ١٩٥٦/١١/١٩، برقم ٤١٤ .
٧٢- المصدر نفسه : محفظة ١٥٠١ ، ملف ١٥/٤٥/٣٠ ، ج٢ ، تأميم شركة قناة السويس تقرير من السفير المصرى بالسودان " محمود سيف اليزل خليفة " إلى وكيل وزارة الخارجية الدائم ، بشأن تأميم قناة السويس ، سرى جدا ، بتاريخ /١٩٥٦/٨ ، برقم ١٠٢.
٧٣- الأهرام : الأثنين ١٩٥٦/٨/١٣ ، ص ٥ .
٧٤- الأهرام : الخميس ١٩٥٦/١١/١ ، ص ٧ .
٧٥- الأهرام : السبت ٢٨ /١٩٥٦/٧ ، ص ١٠ .
٧٦- الأهرام : السبت ١٩٥٦/٧/٢٨ ، ص ٧ ، الثلاثاء ١٩٥٦/٨/٧ ، ص٣ .
٧٧- الأهرام : الأربعاء ١٩٥٦/٨/١٥ ، ص٣ .
٧٨- محمد مهدى كبة : مذكراتى فى صميم الأحداث ١٩٥٨/١٨ ، (دار الطليعة، بيروت ، ط١ ، ١٩٦٥) ، ص ص ٤٢٨ ، ٤٣١ .
٧٩- وزارة الخارجية المصرية : النشرة الأسبوعية خاصة بموضوع تأميم قناة السويس، ج٦ ص ص ١٤٠ - ١٤١ .
٨٠- فكرت نامق عبد الفتاح : سياسة العراق الخارجية فى المنطقة العربية ٥٢/ ١٩٥٨،(منشورات وزارة الثقافة والإعلام ، الجمهورية العراقية ، ١٩٨١)، ص ص ١٧٧ - ١٧٨ .
٨١- د. فاضل حسين : تاريخ الحزب الوطنى الديمقراطى ٤٦ /١٩٥٨ ، (مطبعة الشعب ، بغداد ، ١٩٦٣) ، ص ٣٨٢ .
٨٢- وثائق الخارجية المصرية : محفظة ٥ بغداد ، ملف س / بغداد ، تقرير من السفيرالمصرى ببغداد إلى وكيل وزارة الخارجية ، بتاريخ ١٩٥٦/١١/١٣.
٨٣- المصدر نفسه : محفظة ٤ بغداد ، ملف ٢/٨١/٧٥٢ ، تقرير من الإدارة العربية بوزارة الخارجية إلى سكرتير الرئيس للشئون السياسية ، بتاريخ ١٩٥٧/٤،٢٣ .
عبد الرازق الحسنى : تاريخ الوزارات العراقية ، (منشورات مركز الأبجدية ، بيروت ، ط٦ ، ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢م) ، ج١ ، ص ص ١٢٦ - ١٣٧ .
٨٤- فكرت نامق : سياسة العراق ، ص ص ١٧٨ ، ١٩١ .

٨٥- وثائق الخارجية المصرية : محفظة ٥ بغداد ، ملف س / بغداد ، تقرير من السفير المصرى ببغداد إلى وكيل الخارجية ، بشأن برقية السيدين محمد مهدى كبة ومحمد حديد إلى الرئيس عبد الناصر ، سرى ، باري ١٩٥٦/١٢/٢٧ ، برقم ٤٦٣ .
٨٦- الأهرام : السبت ١٩٥٦/٨/٤ ، ص ٦ .
٨٧- الأهرام : الأثنين ١٩٥٦/٨/٦ ، ص١ .
88 - Facts on file 1956 , p. 251 ,
Keesing's Arehives 28 July - 4 August 1956 , p. 15004.
٨٩- الأهرام : الجمعة ١٩٥٦/٨/١٠ ، ص٦ .
٩٠- الأهرام : الأربعاء ١٩٥٦/٨/١ ، ص ١ .
٩١- الأهرام : الأربعاء ١٩٥٦/٨/١ ، ص ص ٥ ، ٦ .
٩٢- وثائق الخارجية المصرية : محفظة ١٤٥٣ ، ملف ٥٢/٤٠ /٣ ، Lo ، مؤتمر القاهرة لبحث أزمة قناة السويس ، من السفير المصرى ببيروت " عبد الحميد غالب " إلى وكيل وزارة الخارجية الدائم ، فى ١٩٥٦/٩/١٢ ، سرى برقم ٥٤٨ .
٩٣- المصدر نفسه : من السفارة اللبنانية بالقاهرة إلى وزارة الخارجية المصرية، سرى، بتاريخ برقم ٥٤٨ .
٩٤- المصدر نفسه : من السفارة اللبنانية بالقاهرة إلى وزارة الخارجية المصرية، سرى ، بتاريخ ١٩٥٦/٩/١٣ ، برقم ٢٥٩ / ٥٦ .
٩٥- الأهرام : الخميس ١٩٥٦/١١/١ ، ص ٦ .
٩٦- أحمد خليل حمودى : لبنان فى جامعة الدول العربية ٤٥ /١٩٥٨ ، (المركز العربى للإبحاث والتوثيق ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٤) ، ص ٢٢٢ .
٩٧- المرجع نفسه ، ص ص ٢٢٢ - ٢٢٣ .
٩٨- المرجع نفسه : ص ص ٢٢٣ - ٢٢٥ .
٩٩- الأهرام : الخميس ١٩٥٦/١١/٨ ، ص ٢ .
١٠٠- د. حمدى الطاهرى : سياسة الحكم فى لبنان ، (د. ت) ، ص ٤٨٩ .
١٠١- الأهرام : الأحد ١٩٥٦/٧/٢٩ ، ص٧ .
١٠٢- الأهرام : الأحد ١٩٥٦/٧/٢٩ ، ص ص ٧ ، ٩ .
103 - Keesing's Archives : July 28 - August 4, 1956, p. 15004 .
١٠٤- وزارة الخارجية المصرية : الشئون السياسية ، إدارة الصحافة ، العدد الثامن ، ص١٣٠.

١٠٥- هنرى أزو : فخ السويس ، س ٢٤١ .
١٠٦- سمير صادق : قصة العدوان ، ص ٤١ .
١٠٧- محمد حسنين هيكل : عبد الناصر والعالم ، (دارة النهار للنشر ، بيروت ، ١٩٧٢) ، ص ص ١٦٥-١٦٦ .
١٠٨- أمين سعيد : العدوان ، ص ١٢٢ .
١٠٩- الأهرام : الخميس ١٩٥٦/١١/١ ، ص٢ .
١١٠- بيير بوداغوفا : الصراع فى سوريا ٤٥/ ١٩٦٦ ، (ترجمة د. ماجد علاء الدين وآخر، دار المعرفة ، دمشق ، ط١ ، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٧م) ، ص ص ١٠٩ - ١١٠ .
١١١- الأهرام : الأربعاء ١٩٥٦/١١/٢١ ، ص٦ .
١١٢- أمين سعيد : الثورة ، (سلسلة كتب تاريخ مصر السياسى الحديث ، دار إحياء الكتب العربية ، ١٣٧٩هـ / ١٩٥٩م) ص ٣٩٤ .
١١٣- وثائق الخارجية المصرية : مخفظة ١٥٠٦ ، ملف ١٥/٤٥/٣٠ ، جـ٥ ، تقرير من القائم بالأعمال المصرى بالنيابة فى عمان " عز الدين عبد العزيز" إلى وكيل وزارة الخارجية، سرى جدا ، بتاريخ ١٩٥٦/٩/١ ، برقم ١٨٨ سرى .
١١٤- الأهرام : الأحد ١٩٥٦/٧/٢٩ ، ص٧ .
115 - Keesing's Archives : July 28 - August 4, 1956, p. 15004 .
١١٦- الأهرام : الجمعة ١٩٥٦/٧ ، ص١ .
١١٧- أحمد حمروش: قصة ثورة ٢٣ يوليو ، (مكتبة مدبولى ، القاهرة ، ط ٣ ، ١٩٨٣) ، ج ٢ ، ص ١١٠ .
١١٨- هيكل : عبد الناصر والعالم ص ١٦٥ .
١١٩- الأهرام : الأربعاء ١٩٥٦/١٠/٣١ ، ص٦ .
120 - Keesing's Archives Nov 17- 24, p. 15211 .
١٢١- الأهرام : الخميس ١٩٥٦/١١/١ ، ص٢ .
122 - Keesing's Archives Nov 17- 24, p. 15211 .
١٢٣- وثائق الخارجية المصرية : محفظة الأردن ١ ، تقرير من القائم بالأعمال المصرى بالنيابة بعمان إلى وكيل وزارة الخارجية الدائم ، بتاريخ ١٩٥٦/٣/٧ ، برقم ٢٦ سرى جدا .
124 - Keesing's Archives Nov 17- 24, p. 15211 .
١٢٥- وثائق الخارجية المصرية : المصدر السابق ، نفس الملف والتقرير .

١٢٦- الأهرام : الأحد ١٩٥٦/١١/٤ ، ص ٢ .
١٢٧- وزارة الخارجية المصرية : الإدارة السياسية ، النشرة الأسبوعية ، خاصة بموضوع التأميم ، ج ٦ ، ص ١٤٠ .
١٢٨- وثائق الخارجية المصرية : محفظة ١٥٠٧ ، ملف ١٥/٤٥/٣٠، جـ١ ، من السفير المصرى ببغداد إلى وكيل وزارة الخارجية ، سرى وعاجل ، بتاريخ ١٩٥٦/٧/٢٨ ، برقم ٣٣٩ .
١٢٩- المصدر نفسه : محفظة ١٥٠٦ ، ملف ١٥/٤٥/٣٠ ، جـ٤ ، من القائم بالأعمال المصرى بالنيابة ببغداد " أحمد إبراهيم " إلى وكيل وزارة الخارجية ، بشأن تطورات موقف الحكومة العراقية من تأميم شركة قناة السويس ، بتاريخ ١٩٥٦/٨/١٥ ، سرى برقم ٣٤٩ .
الحسنى : وزارات ، جـ ١٠ ، ص ٩٧ .
١٣٠- الأهرام : الثلاثاء ١٩٥٦/٩/١٨ ، ص ٦ .
١٣١- وثائق الخارجية المصرية : محفظة ١٤٥٣ ، ملف ٣١/٥٢/٤٠ ، جـ١ ، مؤتمر القاهرة لبحث أزمة قنال السويس ، موافقات الدول العربية على اقتراح مصر بتشكيل هيئة مفاوضة لبحث أزمة قنال السويس .
١٣٢- المصدر نفسه : محفظة ٢ بغداد ، ملف ٢١٧ /١/٧ ، جـ١١ ، تقارير السفارة المصرية في بغداد ، بيان رسمى صادر عن سفارة جمهورية مصر فى بغداد ، ١٩٥٦/٨/١٩ .
133 - Year Book of the United Nations , 1956 , pp. 35 - 38 .
١٣٤- الحسنى : وزارات ، جـ ١٠ ، ص ص ٩٨ - ٩٩ .
- A . I . Dawisha : Egypt in the Arab World , (The Macmillan Press Ltd , I st ed., 1976), p . 15 ,
Haddad , George : Revolutions and Military Rule in the M. E., Vol. 2, (Report Speller & Sons Publishers, N. Y. Ist ed., 1971) , p. 84.
١٣٦- الأهرام : الأثنين ١٩٥٦/١١/١٢ ، ص٥ .
137 - Gallman , WALDMAR., Iraq under General Nuri , (The Johns Hopkins Prees, Paltimore), pp.74 -75 .
- Birdwood Lord , Nuri As-Said “A study in Arab leadership “ , (Cessel & Comoany Ltd, London , Ist ed., 1959) , p. 242 .
١٣٩- وثائق الخارجية المصرية : محفظة ٥ بغداد ، ملف س / بغداد ، تقرير من السفير المصرى ببغداد " قطامش " إلى وكيل وزارة الخارجية ، بتاريخ ١٩٥٦/١١/١٣ ، برقم ٤١٢ .

١٤٠- أنظر ما دار فى لقاء فيصل ونورى وعبد الإله بايدن ، فى :
جورج كيرك : السياسة العربية المعاصرة ، (ترجمة عبد الواحد الإمبابى ، الدار القومية للطباعة والنشر ، سلسلة كتب سياسية ، ١٩٦٣) ، ص ٦٨ ، طالب مشتاق : أوراق ايامى ، جـ١ ، ١٩٠٠ - ١٩٥٨ ، (دار واسط للطباعة والنشر ، بغداد ، جـ١،١٩٨٩)، ص ٥٨٩ ، هيكل : عبد الناصر والعالم ، ص ص ١٤١ - ١٤٢ ، هيكل : ملفات السويس ، ص ٤٧٠ ، هيكل : خبايا السويس ، (دار العصر الحديث ، ١٩٦٧) ، ص ١١ .
Haddad : op. cit, p. 84 .

141- Lloyd, Selwyn : Suez 1956 , (Jonathan Co.m., 1978) , p. 74.
- Nutting , Anthony : Nasser , (Constable, London , 1972) , p. 149.
- F .O. 371L 119107 L JE 14211 L 812 , Baghdad to F.O. Cable 892, 15 Aug, 1956

نقلا عن :
Lucas , W. Scott : Divided we stand , (Hodder & Stoughton, London , Ist ed ., 1991) , p. 183.

144- Gallman : op. cit ., p. 159

١٤٥- أنتونى إيدن : مذكرات السير أنتونى إيدن ، (ترجمة خيرى حماد ، دار مكتبة الحياة للنشر ، بيروت ، د . ت) قسم ٢ ، مج٢ ، ص ٢٣٤ .

146 - F.O. 371 L 128038 , Wright to Lloyd , confidential , 8 Feb. 1956.

١٤٧- للتفاصيل عن ذلك الموضوع ، أنظر :
وثائق الخارجية المصرية : محفظة ١٥٠٥ ، ملف ١٥/٤٥/٣٠ ، جـ ٦ ، تقرير ٣٧٦ ، وتقرير ٣٩٠ ، ومحفظة ٥ بغداد ، ملف س بغداد ، ٤١٦.

١٤٨- د. عصمت السعيد : نورى السعيد " رجل الدولة والإنسان " ، (مبرة عصمت السعيد ، لندن ، ١٩٩٢) ، ص ١٩٥ .

١٤٩- إبراهيم المسلم : العلاقات السعودية / المصرية ، (مكتبة مدبولى ، ١٩٨٩)، ص ص ٥١ - ٥٢ .

١٥٠- أمين سعيد : الثورة ، ص ٣٩٤ .

١٥١- هنرى أزو : فخ السويس ، ص ٢٤١ .

١٥٢- هيكل : ملفات السويس ، ملف الوثائق ، الوثيقة رقم ١٣٨ ، ص ٨١٩ .

١٥٣- وثائق الخارجية المصرية : محفظة ١٤٥٣ ، ملف ٣١/٥٢/٤٠ ، جـ١ ، مؤتمر القاهرة لبحث أزمة قنال السويس ، من القائم بالأعمال المصرى

بجدة " إبراهيم محمود " إلى وكيل وزارة الخارجية ، بتاريخ ١٩٥٦/٩/١٩، برقم ١٢٧ سرى .

١٥٤- هيكل : ملفات السويس ، الوثيقة رقم ١٣٩ ، ص ص ٨٢٠ - ٨٢١ .

١٥٥- وثائق الخارجية المصرية : المصدر السابق ، من القائم بالأعمال المصرى بجدة "إبراهيم محمود" إلى وكيل وزارة الخارجية ، سرى ، بتاريخ ١٩٥٦/٩/١٦ ، برقم ١١٧ سرى .

١٥٦- أمين سعيد : العدوان ، ص ص ١٢٤ - ١٢٥ .

١٥٧- الأهرام : الأربعاء ١٩٥٦/١٠/٣١ ، ص٦ .

١٥٨- د. نبيه بيومى : تطور فكرة القومية ، ص ٢٢٤ .

159 - Keesing's Archives Nov 17- 24, p. 15211 .

١٦٠- صلاح بسيونى : مصر وأزمة السويس ، (دارة المعارف بمصر ، ١٩٧٠)، ص ٢٢٠، محمد رفعت : التوجيه السياسى للفكرة العربية الحديثة ، (دار المعارف بمصر ، ١٩٦٤)، ص٣٧٥ .

١٦١- وثائق الخارجية المصرية : محفظة ٣٣٤ ، تقارير جامعة الدول العربية ، ملف ٣/٦٢ ، ص /جدة ، تقرير من القائم بالأعمال المصرى فى جدة إلى وكيل وزارة الخارجية ، بتاريخ ١٩٥٦/١١/١٦ ، برقم ١٧٥ سرى .

١٦٢- أمين سعيد : الثورة ، ص ٢٩٤ .

١٦٣- الأهرام الأربعاء ١٩٥٦/٨/١ ، ص٦

١٦٤- الأهرام : الأحد ١٩٥٦/٩/٩ ، ص٦ .

١٦٥- د. صادق عبده على : الحركات السياسية والاجتماعية فى اليمن ، (مؤسسة دار الكتاب الحديث ، بيروت ، ط ١ ، ١٤١٢ هـ / ١٩٩٢م) ، ص ١٤٠.

166 - Nutting : Nasser , p . 159

١٦٧- وثائق الخارجية المصرية : محفظة ١٥٠٦ ، ملف ١٥/٤٥/٣٠ ، جـ٤ ، تأميم شركة قناة السويس ، من القائم بالأعمال المصرى بالنيابة بليبيا " أنور محمد السكرى " إلى وكيل وزارة الخارجية الدائم ، سرى ، بتاريخ ١٩٥٦/٧/٣٠ ، برقم ٢١٩ .

١٦٨- وزارة الخارجية المصرية : الشئون السياسية العدد السادس سبتمبر ١٩٥٦، ص ١٣٤.

١٦٩- الأهرام : الخميس ١٩٥٦/٨/١٦ ، ص١ .

١٧٠- وثائق الخارجية المصرية : محفظة ١٤٥٣ ، ملف ٣١/٥٢/٤٠ ، جـ١ ، مؤتمر القاهرة لبحث أزمة قنال السويس . من السفير المصرى بليبيا إلى وكيل وزارة الخارجية الدائم ، بتاريخ ١٩٥٦/٩/٢٤ ، سرى برقم ٣٥/٥.

١٧١- المصدر نفسه : نفس التقرير .

١٧٢- أمين سعيد : العدوان ، ص ص ١٣٠ - ١٣١ .

١٧٣- مصطفى بن حليم : صفحات مطوية ، ملحق رقم ٥٧ ، ص ص ٧٨٦ - ٧٨٧ .

١٧٤- المصدر نفسه : ملحق رقم ٦٧ .

- P . R . O . GAB. 134L 1216 : EC . 58. II th meething , 7 Aug. 1956 .

نقلا عن :

Lucas : Divided we stand, p. 161.

١٧٦- د. صلاح العقاد : ليبيا المعاصرة ، (معهد البحوث والدراسات العربية ، ١٩٧٠) ، ص١٣١ .

١٧٧- مصطفى بن حليم : صفحات مطوية ، ص ص ٤٣٦ - ٤٣٨ .

١٧٨- أنظر لقاء بن حليم مع القائم بالأعمال المصرى بليبيا ، فى :
وثائق الخارجية المصرية : محفظة ١٥٠٦، ملف ١٥/٤٥/٣٠ ، ج٤ ، من القائم بالأعمال المصرى بالنيابة بليبيا إلى وكيل وزارة الخارجية الدائم ، سرى ، بتاريخ ١٩٥٦/٧/٣٠، برقم ٣١٩ .

179 - Facts on File , 1956 , p . 251

١٨٠- وثائق الخارجية المصرية : محفظة ١٥٠١ ، ملف ١٥/٤٥/٣٠ ، جـ ٢ ، تقرير من السفير المصرى بالسودان " محمود سيف اليزل " إلى وكيل وزارة الخارجية الدائم ، بشأن تأميم قناة السويس ، سرى جدا ، بتاريخ ١٩٥٦/٨/٩ ، برقم ١٠٢ /٦٢٢ .

١٨١- الأهرام : الأثنين ١٩٥٦/٩/١٧ ، ص٢ .

١٨٢- وثائق الخارجية المصرية : محفظة ١٤٥٣ ، ملف ٣١/٥٢/٤٠ جـ١ ، مؤتمر القاهرة لبحث أزمة قنال السويس ، من السفير المصرى بالخرطوم إلى وكيل وزارة الخارجية الدائم ، سرى ، بتاريخ ١٩٥٦/٩/١٨ ، بشأن رد الحكومة السودانية على مذكرة مصر ، برقم ١٠٢/٦٦٣ .

١٨٣- المصدر نفسه : محفظة ١٣٠٧ ، ملف ٥٥/١٠/٤ ، تأييد الحكومات الصديقة لمصر ، نشرة مكتب الاستعلامات للجمهورية السودانية .

١٨٤- المصدر نفسه : نفس المحفظة والملف نشرة مكتب الاستعلامات للجمهورية السودانية ، بتاريخ ١٩٥٦/١١/٣ .
١٨٥- المصدر نفسه : نفس المحفظة والملف ، مرفق بتقرير من السفارة السودانية بالقاهرة إلى وزارة الخارجية المصرية ، بتاريخ ١٩٥٦/١١/٢٤ .
١٨٦- صلح بسيونى : مصر وأزمة السويس ، ص ٢٤٢ .
- Rush, A. De L. (ed.) : Records of Kuwait 1899 - 1961 , Redwood Burn Ltd, England , Archive ed ., 1989) , Vol. 6, from Bernard Burrows, British Residency , Bahrain, to British Embassy , Beirut, Sep. 20 , 1956, confldential, No. 1632 L 43156 , p. 15 .
188 - Nutting , Nasser , p. 160 .
189 - Shwadran , Benjamin , The Kuwait incident , (middle Eastern affairs , Vol. 13 , No. 1 , Jan . 1962) , p. 8.
١٩٠- الأهرام : الجمعة ١٩٥٦/٨/٢٤ ، ص ٦ .
١٩١- الأهرام : الجمعة ١٩٥٦/٨/١٧، ص٧ .
١٩٢- وزارة الخارجية المصرية : الشئون السياسية ، العدد السادس ، سبتمبر ١٩٥٦ ، ص ١٣٦ .
١٩٣- وثائق الخارجية المصرية : محفظة ٤٥٢/ ملف ٤٠٥٢/ ٣١ ، جـ١ ، مؤتمر القاهرة لبحث أزمة قناة السويس ، من السفير المصرى بتونس " على كامل فهمى " إلى وكيل وزارة الخارجية ، بشأن موقف الحكومة التونسية من مشكلة قناة السويس ، سرى للغاية، بتاريخ ١٩٥٦/٩/٢٢ ، برقم ١٩ .
١٩٤- الأهرام : الجمعة ١٩٥٦/١١/٢ ، ص٦ .
١٩٥- وثائق الخارجية المصرية : محفظة ١٥٠٦ ، ملف ١٥/٤٥/٣٠ ، جـ ٦ ، تأميم شركة قناة السويس ، من السفير المصرى بباريس " كمال الدين عبد النبى " إلى وكيل وزارة الخارجية الدائم ، بشأن موقف الحكومة المراكشية من مشكلة قناة السويس ، سرى جدا ، بتاريخ ١٩٥٦/٩/٢٥ ، برقم ١٧٨ ، أعد التقرير الملحق المصرى بالسفارة " محمود أبو النصر " .
١٩٦- الأهرام : الثلاثاء ١٩٥٦/١١/٢٠ ، ص ٦ .
١٩٧- وثائق الخارجية المصرية : محفظة الأردن ١ ، من القائم بالأعمال المصرى بعمان بالنيابة إلى وكيل وزارة الخارجية الدائم ، بشأن الاعتداء

الثلاثى على مصر وموقف الحكومة الأردنية منه ، سرى جدا ، بتاريخ ١٩٥٧/٣/٧ ، برقم ٢٦ سرى .

١٩٨- وثائق ندوة السويس الدولية : معركة السويس ، (كلمة أحمد عبد الرحمن المتحدث الرسمى باسم منظمة التحرير الفلسطينية) ، ص ٢١٧ .

١٩٩- د. عبد الله القباع : السياسة الخارجية السعودية ، (وزارة الإعلام ، المملكة السعودية ، ط١ ، ١٩٨٩) ، ص ٢٥٦ .

200 - Nutting , Nasser , p. 194 .
- Selwyn , Ilan Iroen (others) : The Suez - Sinai Crisis 1958 , (New York, - Cloumbia Un. Press , 1990) , p. 169 .

◆ الفصل الحادي عشر ◆

المقاومة الشعبية

د . سيد عشماوي

باقتدار ادارت القيادة السياسية المصرية ، الأزمة التى نجمت عن تأميم شركة قناة السويس ، وهى مسألة خضعت لتوازنات القوى المحلية والأقليمية والدولية ، لكن الأداء العسكرى للقوات المسلحة المصرية لم يكن على نفس القدر من الكفاءة خاصة أثناء العدوان الثلاثى (١).

فى ٤ نوفمبر ١٩٥٦ اتخذ عبد الناصر قراره بالذهاب الى بورسعيد ليقاتل بنفسه ، وفى طريقه الى الاسماعيلية ، وكان معه البغدادى ، شاهدا العربات والدبابات محطمة على جانبى الطريق، وقال جمال بصورة مؤثرة ومحزنة " انها بقايا جيش محطم " وأخذ يتحسر على المبالغ التى كانت قد انفقت على تسليح الجيش قائلا:"مائة وثلاثة ملايين من الجنيهات قد ضاعت هباء، كما قال أيضا بالانجليزية : قد هزمت بواسطة جيشى" "I Was defeated by my army" (٢).

عند تقويم حرب ١٩٥٦ ، ثمة اجماع فى الرأى الذى يؤكد على الهزيمة العسكرية للقوات المصرية ، والانتصار السياسى للنظام المصرى ولعبد الناصر بالذات ، فقد طرد بعض الضباط المسئولين عن اخطاء القيادة العسكرية فى الدفاع عن بورسعيد ، ولكن القيادات العليا للجيش والتى تقع عليها المسئولية الكبرى بالنسبة للاوضاع العامة للجيش ، هذه القيادات استمرت تتربع على كراسيها رغم ما انكشف عن عجزها الفنى والتنظيمى ، وحدث نوع من الجمود فى القيادة العسكرية المصرية ، وكما يؤكد الفريق أول محمد فوزى " شاءت الظروف السياسية والمعنوية بعد معركة ١٩٥٦ أن تمنع القيادة العسكرية نشر أو ذكر حقائقها ، خوفا من تقليل شأن المكاسب السياسية الباهرة التى حققتها مصر عقب هذه المعركة(٣).

فى تاريخ مصر لحظات من الوعى الاجتماعى – السياسى ، وقف فيها الشعب يساند قيادته الوطنية التحررية وتصدى لكل المحاولات التى تقهر ارادته القومية ، وحول وادى النيل الى " مقبرة للغزاة " ، وكما يقول جمال حمدان " ومن الواضح تماما فى تاريخ مصر أن المصريين قوة صامدة صابرة وكتلة صماء صلبة غير

منفذة للأجنبى بسهولة ، وعلى هذه الصخرة بالذات ، حتى بسلبيتها أحيانا أكثر منها بايجابيتها ، تحطمت الغزوات أو تآكلت وأرهق الاحتلال والاستعمار حتى رحل"(٤).

وقد تأكدت هذه المقولة عام ١٩٥٦ ، فلم تؤد معركة تأميم القناة الى ادخال عبد الناصر فى عقول الجماهير المصرية والعربية ، فحسب ، بل فى قلوبهم أيضا ، وأبرز الدلائل على ذلك المظاهرات الشعبية التى قوبل بها فى الأزهر فى نوفمبر ١٩٥٦ حينما ذهب لآداء فريضة الجمعة ، والهتافات المدوية فى انحاء مصر (ناصر – ناصر ..) وفى بورسعيد ارتفع شعار المقاومة الشعبية (كلنا عبد الناصر) (٥) وثمة اجماع فى الكتابات الغربية ، وغيرها ، أن هذا العدوان ادى الى ازدياد قوة ونفوذ عبد الناصر وعزز مكانته ، واضمحل وتقلص النفوذ الغربى.(*)

فى يوم ٨ نوفمبر ١٩٥٦ أصدر قائد القوات المصرية فى بورسعيد أمره بالانسحاب بناء على تقدير للموقف ، واستطاعت القوات أن تخرج من المدينة خاصة والعدو لم يسيطر عليها بعد، وتركت مهمة الدفاع عنها لقوات المقاومة الشعبية ورجال المقاومة المسلحين من الجيش الذين صدرت اليهم الأومر بالانضمام لقوات الشعب ، والواقع يثبت أن الشعب المصرى ، الممثل فى رمز مقاومة بورسعيد هو الذى قام بالدور الرئيسى فى احباط الغزو ، شواين لاى ، رئيس وزراء الصين ، أكد على هذا المعنى بقوله: " لو لم يكن الشعب قد وقف بقيادة عبد الناصر فى بورسعيد ، فان الخلاف بين واشنطن وبين لندن وباريس ، كان يفقد تأثيره – وحتى بندقية خروشوف الفارغة كانت تفقد فرقعتها "(٦).

فى عام ١٩٦٠ ، وأثناء مقابلة بينهما فى نيويورك ، قال كاسترو لعبد الناصر : "فى عام ١٩٥٦ كنا فى الجبال نقاوم نظام باتيستا ، ووصلنا الى حال من اليأس ولكن عندما رأينا انكم صمدتم امام الانكليز والفرنسيين والاسرائيليين ، وان العالم وقف الى جانبكم قررنا أن نصمد ، وتلك كانت نقطة تحول بالنسبة الينا "(٧) .

هذا الصمود للمقاومة الشعبية ، اعترف به قادة العدو آنذاك ، فقد أكد محافظ بورسعيد – آنذاك – أن " ستوكويل صرح لى بأنه لم يشهد فى حياته مثل هذه

---

* فتحى رضوان ، : فى المعركى ، ص ١١٩-١١٢

* Mansfield , P. :Nasser's Egypt , p. 209

Zartman . W. : Govermments and politasin Northern Africa, p.p.11-3 and 124

المقاومة التى لمسها من شعب بورسعيد "(٨) ، وذكر الجنرال اندريه بوفر – وكان نائب قائد القوات البرية فى الحملة البريطانية الفرنسية : " لقد جاء وقت شعرنا فيه ان قرار مصر باستمرار المقاومة قد قلب التوازن فى لحظة رأسا على عقب ، فقد كانت الخطة موضوعة وفى تصور الموجهين لها سياسيا ان الظروف لن تضطرنا الى تكملتها لأن الجبهة الداخلية المصرية سوف تبدأ فى التهاوى والانهيار "(٩) .

وفى رده ، على تساؤل الدكتور أنور عبد الملك ، أكد ناتتج " إنى على ثقة اكيدة بأن الحكومة البريطانية لم تكن تتوقع أن تكون المقاومة المصرية بهذا القدر من القوة الذى ووجهت به وخاصة فى بورسعيد ، وانا اعتقد أنه ربما الخطأ الذى ارتكبناه اننا لم نقدر هذا الموقف ، بل ان عنف المقاومة المصرية وفعاليتها كان أمرا غير مفهوم لنا بتاتا "(١٠) .

هذه المقاومة البطولية " النابوليونية الطابع " كما وصفها كارانيجيا عاشت بورسعيد فى ظل الاحتلال الانجليزى الفرنسي ستة وأربعين يوما ، صبغت جدرانها إبانها بدماء الشهداء وقتلى العدوان وامتلأت بشظايا القنابل المتطايرة وارتفعت صور عبد الناصر على هذا الجدران ، المصبوغة بالدم " (١١) ، والتى أعتبرها أحد المشاركين فيها ، بأنها " قمة الثورة الشاملة وبذلك يحق لهذه الحركة أو الانقلاب كما يتعمد خصومها أن يطلقوا عليها منذ هذه المقاومة الشعبية وبخاصة فى تحقيق التحرر والتغيير الكاملين أن يطلق عليها ثورة وثورة لشعب مصر بأكمله"(١٢)

بعض الخصائص النسبية للمقاومة الشعبية :

بصورة أوسع وأكثر ، تتضح القيمة الحقيقية للمقاومة الشعبية (١٩٥٦) على ضوء وضع الخصائص التالية فى الاعتبار .

أولا : " حنحارب .. حنحارب .. " هى الصيحة التى انطلقت آنذاك وأصبحت من ضمن شعارات وهتافات تلك الأيام ، واستطاعت " أن تجمع الشعب المصرى على هدف واحد وأن تكتسح أمامها صدمة المفاجأة التى وجدت مصر نفسها فيها "(١٣).

وغالبية قوى وفئات الشعب المصرى ، بادرت بالاشتراك والمساهمة فى هذه المعركة تلبية لنداء الواجب " نحن أولى من غيرنا بالذهاب الى الميدان .. نريد أن ننتقم بأنفسنا من الذين القوا الدمار على بيوت الأهالى أمام عيوننا "(١٤) كانت الكلمات السابقة لبعض رجال المقاومة الشعبية فى أبوزعبل .

ثانيا : أنها تبلورت فى الوقت الذى تحطمت فيه قدرات المؤسسة العسكرية المصرية الأساسية والتى كانت قد بدأت تسليحها وإعداد كوادرها فى فترة قصيرة للغاية ، وذلك على الرغم من افلاتها من (مصيدة سيناء) بأقل خسائر ممكنة ، وعدم دخولها فى معارك جوية مع العدو " لأن المعركة غير متكافئة ، وليس مهما تدمير الطائرات المصرية وانما المهم الحفاظ على الطيارين المصريين المدربين وعددهم محدود "(١٥) ، وفى بورسعيد ، خاصة تبلورت هذه المقاومة بعد تبعثر القوات العسكرية " نتيجة انهيار القيادة المسئولة ، " قائمقام عبد الرحمن قدرى، واصدار القائد – اميرالاى صلاح الموجى ، الأوامر بوقف اطلاق النار ثم الغائها بعد ذلك – وفشل قائد المقاومة الشعبية – صاغ غريب الحسينى – وقائد جيش التحرير الشعبى ، صاغ عبد المنعم الحديدى فى اقناع الجماهير بالتحرك معهم لبعدهم عن فهم روح الشعب الحقيقية ثم هربهم بعد ذلك من بورسعيد "(١٦) .

وتحت شعار " انقاذ ما يمكن انقاذه " اتخذ بعض السياسيين القدامى وبعض الرأسماليين موقفا متخاذلا فطلبوا من القيادة العسكرية أن تستسلم للانذار البريطانى وان يعود العسكريون الى ثكناتهم ليتولوا هم التفاوض مع الانجليز واصلاح ما فسد بقرار التأميم ، وهؤلاء ممن تصوروا أن " السيارة قد غرقت وانهم سيعودون الى السلطة "(١٧) على حد قول على صبرى !! كان يمثلهم آنذاك سليمان حافظ ، ففى مقابلة له مع مجلس قيادة الثورة قال : " ان المقاومة الشعبية تحتاج الى تنظيم ومعنويات والتنظيم يحتاج الى وقت طويل ، وانتم لم تقوموا بعمل هذا التنظيم وليس امامكم الا الاعتماد على المعنويات ، وهذه المعنويات لن تتوافر الا اذا تولى المقاومة شخص محبوب من الشعب كمحمد نجيب وعلى جمال عبد الناصر ان يعود الى الكتيبة السادسة مشاه "(١٨) ولكن الاعضاء رفضوا اقتراحه وأوضحوا له فى النهاية أن المقاومة ستستمر .

ثالثا : تبلورت المقاومة مع التفوق العسكرى لدول العدوان ، تلك التى وضعت فى مواجهة مصر امكانيات عسكرية ساحقة ، وأكبر قوة شهدتها المنطقة منذ الحرب العالمية الثانية ، وزاد من تفوق المعتدين أن بريطانيا " كانت لها خبرة سابقة بالمنطقة ، تصل الى حد المعرفة الكاملة لكل ظروفها (١٩) ، بينما كانت وحدات الجيش المصرى من المشاه فقط باسلحتها الصغيرة والعادية وكانت قاصرة على بعض الكتائب وبطارية مدافع صاروخية وبعض أفراد الحرس الوطنى (*) .

---

* محمد عبد الفتاح أبو الفضل : تأملات فى ثورات مصر ، جـ١ ، ص٢٥٣ .

وامام شدة الغارات على بورسعيد " حدثت ٤٧٢ غارة على مدينة بورسعيد فى خلال ٢٤ ساعة .. صحفى بريطانى يقول ان سماء بورسعيد تحولت الى جحيم"(٢٠) . وأعمال القصف الجوى والبحرى والانزال البرى أصابت المدينة بخسائر فادحة نتيجة لقتال الشوارع وبين القتلى الكثير من النساء والاطفال على أثر اشتداد المقاومة ، بينما خسائر العدو لا تقارن وان تزايدت خلال عمليات المقاومة الشعبية (**) . خاصة بعد أن أمر عبد الناصر القائمقام صلاح الموجي قائد القوات المصرية ببورسعيد بعدم تسليم المدينة ، وفى احدى وثائق تلك الفترة أنه " فى يوم ١٦ ديسمبر ١٩٥٦ قامت القوات البريطانية بمهاجمة المدنيين المصريين فى بورسعيد بالدبابات والمصفحات وترتب على هذا الهجوم مقتل ١٠٠ مواطن مصرى وعدد كبير من الجرحى لم يتم حصرهم بعد ، كما قامت هذه القوات فى نفس الوقت بعمليات تفتيش واسعة النطاق للمنازل فى الاحياء الوطنية اسفرت عن اعتقال ١٠٠٠ مواطن مصرى سيقوا الى المعسكرات البريطانية حيث عذبوا بحجة استجوابهم . وقد ترتب أيضا على عمليات التفتيش المزعومة والتى قامت بها القوات المعتدية ان نهبت المساكن والمتاجر الوطنية كما استولت هذه القوات المعتدية على أغلب المواد التموينية اللازمة للمواطنين فى بورسعيد مما نتج عنه أزمة تموينية خطيرة بالمدينة "(٢١).

رابعا : على قدر الامكانيات المتاحة ، حاولت القيادة السياسية – العسكرية تنظيم المقاومة وكان أهم ما قدمته آنذاك ، توزيع السلاح لحركة المقاومة الشعبية .

فمنذ أول نوفمبر ، حث عبد الناصر الشعب على الصمود وعدم الاستسلام ، " كل فرد منكم أيها الأخوة جندى فى جيش التحرير الوطنى ، لقد صدرت الأوامر بتوزيع السلاح ، وعندنا منه الكثير وسنقاتل فى معركة مريرة من قرية الى قرية...، وليكن شعارنا اننا سنقاتل ولن نسلم، سنقاتل – سنقاتل ولن نسلم ، أننا اليوم أيها الأخوة نكتب صفحة جديدة فى تاريخ مصر"(٢٢) . ويذكر الرافعى : " بلغ مجموع ما وزعته الحكومة على المواطنين ، نحو نصف مليون قطعة سلاح وهذه أول مرة فى تاريخ مصر الحديث توزع الحكومة هذا العدد الضخم من السلاح على الأهلين "(٢٣) وحول السلاح الذى وزع باغداق ليؤدى الشعب واجبه ، ذكر زكريا

** حول هذه الخسائر أنظر :
أحمد حمروش : قصة ثورة ٢٣ يوليو ، جـ ٥ ، ص٤٥ .

محى الدين ، وزير الداخلية آنذاك " والذى أعلمه تمام العلم أن السلاح وزع على الأفراد بكشوف وعلى الاشخاص الموثوق بهم "(٢٤) وان كان البعض يؤكد أن التوزيع فى بعض الاماكن بدون كشوف " لم يكن علينا رقيب ونحن نفتح تلك الصناديق - الأسلحة - وتتوزع بيننا بلا رقيب ولا ورقة أو قلم "(٢٥) .

ويذكر لطفى واكد : " وزعنا السلاح على ثلاثة مستويات :

١- توزيع السلاح على بعض الناس وتحديد واجبات لها فى حالة أى تقدم معاد شرق الدلتا .

٢- مخازن احتياطية للسلاح .

٣- مخازن سرية للسلاح لا يعلم أحد مكانها ولا تستعمل إلا فى وقت الاحتلال .

وأذكر أيضا أن جمال عبد الناصر كان قد اتصل بآمال المرصفى الذى كان يعمل معى كأركان حرب للمنطقة ، سائلا عنى ولما لم يجدنى لأنى كنت فى الخارج سأله عما اذا كان عنده سلاح فأجاب آمال " نعم ٨٠٠٠ بندقية " وهنا قال له عبد الناصر:- وزعهم على الاهالى من أبوحماد الى نفيشة ووزع الذخيرة ، وعاوز ده كله يتم الليلة . وقد نفذ ذلك فعلا" (٢٦) .

فى فترة متأخرة كتب رئيس مكتب مكافحة الشيوعية : " أعلن الشيوعيون أنهم سيحاربون المستعمر متحدين مع الحكومة الوطنية ، والأمر الذى أعجب له حتى الآن ، أن الحكومة سمحت لهم بالتدريب على حمل السلاح "(٢٧) ، لقد كان البعض، وبصفة خاصة كبار المسئولين فى وزارة الخارجية يعترضون على عملية توزيع السلاح خشية أن يؤدى الى عواقب يصعب التنبؤ بها ، لكن عبد الناصر كان رده " أنه يستبعد تماما حدوث شغب فى هذه الظروف ، لأن الشعب يغضب ويثور ويحطم اذا أحس أن الحكومة فى ناحية وهو فى ناحية أخرى .. وان المسألة مسألة ثقة بالدرجة الأولى "(٢٨) .

توزيع السلاح على الأهالى - من بعض النواحى - دون نظام وهى غير مدربة أو منظمة ، وعدم توحيد السلاح وكذلك الذخيرة ، " وكانت النتيجة أن الذى حمل سلاحا روسيا حمل معه ذخيرة انجليزية والذى حمل سلاحا انجليزيا حمل معه ذخيرة روسية أى انه لم يعد السلاح ينفع ولا الذخيرة "(٢٩) ، أحدث بعض الخسائر وقلل من فاعليتها الى أن قررت القيادة ارسال سلاح وذخيرة جديدة من نفس الطراز.

لكن المحصلة النهائية أن توزيع السلاح كبد العدو خسائر فادحة فى الأفراد والمعدات .

خامسا : لم تنطلق المقاومة الشعبية من فراغ ، بل استفادت من خبرات حركة المقاومة التى دارت فوق منطقة القتال فى عام ١٩٥١ و ١٩٥٣ ، خاصة خبرة عدد كبير من الفدائيين الذين سبق لهم الاشتراك فى المقاومة ، أو خبرة المنظمين الذين تولوا أعمال المقاومة فى عام ١٩٥٦ فعهد اليهم بنفس الدور ، مثل كمال رفعت وعبد الفتاح أبو الفضل وسعد عفرة ومحمد فائق وكمال الصياد وغيرهم (*) .

زد على ذلك أن المقاومة ضمت فى صفوفها عددا كبيرا من ضباط وجنود القوات المسلحة المدربين تدريبا عسكريا عاليا أو المدربين على الأعمال الانتحارية وخاصة قوات الصاعقة(**). كما أن كميات السلاح الكبيرة التى كانت تهرب الى بورسعيد مما جعل امكانيات المقاومة تتعاظم ، ويذكر عبد الفتاح أبو الفضل " فى ٣

---

* أشير فى هذا المجال الى قيمة الكتابات والتى كان لها تاثيرها على حركة المقاومة الشعبية آنذاك مثل كتاب أحمد حمروش (حروب العصابات) تأليف بانك ليفى (القاهرة ١٩٤٧) وكتاب صلاح الدين البستانى (معركة القناة كما شاهدتها ١٩٥١ - ١٩٥٢) مكتبة العرب (القاهرة ١٩٥٦) وكتاب سعد زغلول فؤاد (معركة القتال .. أو حرب العصابات) دار السلام للنشر (القاهرة ١٩٥٦) . وفى اثناء المعركة (١٩٥٦) أصدر محمود عيسى مدير تحرير مجلة الجيش كتابه (المقاومة الشعبية) فأتى فى وقت مناسب. وأصدر عاشور عليش (الموت ولا العار) كتب مقدمته خالد محى الدين ، وبالطبع كان للصحافة ، دورها آنذاك ، عن جريدة الجمهورية صدرت " المعركة " صوت المقاومة الشعبية . وأخيرا أشير الى أهمية كتاب كمال رفعت (حرب التحرير الوطنية) والذى صدر فى فترة تالية يستعيد فيه ذكرياته عن معارك القناة خاصة ١٩٥١، ١٩٥٣ (دار الكاتب العرب) القاهرة ١٩٦٨ .

** أنظر الطليعة ، العدد الثانى عشر ، السنة الثالثة ، ديسمبر ١٩٦٧ ، ص٥٣ . وحول أسرار عمليات الصاعقة داخل بورسعيد ، دخول الذخائر وعمليات المقاومة الفردية والكمائن الجماعية ، وتعاون الاهالى معهم ، وتدريبهم على السلاح وتنظيم المقاومة مما أزعج حقا قوات الاحتلال ، كما وضح فى مقابلة همرشولد (السكرتير العام للامم المتحدة) مع عبد الناصر ، أنظر بصفة خاصة : أحمد حمروش : أسرار معركة بورسعيد (١٩٥٧) .
الاهرام ٢٤ ديسمبر١٩٥٦ ، ٣١ ديسمبر ١٩٥٦ (حديث قائد فرقة الصاعقة) .
آخر ساعة ، العدد ١١٦٠ ، ١٦ يناير ١٩٥٧ .
عبد الفتاح أبو الفضل : كنت نائبا لرئيس المخابرات ، ص١٨٤ .
ابو الحجاج حافظ : صفحات من التاريخ السرى لمعركة بورسعيد .
محمد حسنين هيكل : ملفات السويس ، ص ٥٧٢ - ٥٧٤ .

نوفمبر أرسلت كميات كبيرة من الاسلحة والذخائر ومواد النسف الى المقاومة الشعبية فى بورسعيد دخل بها الزميل سمير غانم وعاد "(٣٠). كما يذكر محمد رياض فى يومياته (٦ نوفمبر ١٩٥٦) أنه " حدث أن ضبطت كميات من الذخيرة والاسلحة فى قارب للصيد ببحيرة المنزلة كما ضبطت كميات أخرى مدفونة فى قرية (القابوطى) وعلى اثر ذلك أصدر جنرال ستوكويل أمرا بمنع الصيد فى بحيرة المنزلة "(٣١).

ومع العمليات الفدائية السريعة والمباشرة ، ومع بعض العمليات شبه العسكرية المنظمة عندما تلكأ المعتدون فى الانسحاب ، امتلك أفراد الشعب حاسة القتال " الناس جميعا فى الشوارع أصبحوا خبراء فى أنواع الطائرات والمدافع ، والمدفع الذى لا يعرفون اسمه يطلقون عليه أى اسم شعبى ، ففى أحد أحياء القاهرة يطلقون على المدفع المضاد للطائرات المنصوب اسم "الحاج" فإذا سمعوا صوته اثناء الغارة قالوا " هذا هو الحاج ! "(٣٢) وفى منطقة القناة أصبح للأهالى آذان موسيقية يميزون بها بين طلقات المدافع والقنابل ، وفى بورسعيد بالذات برع أهلها فى ذلك فيقولون لك وهم فى الخنادق هذا فيكرز – وذاك الفا وذاك هاون – وهذه قنبلة فرنسية "(٣٣) . وقد اطلقوا على (القنابل اسم التفاح والبندقية اسم الدوست والمدفع اسم الفتك)(٣٤).

الأشكال التنظيمية للمقاومة بين المؤسسة الحاكمة والمبادرات الشعبية :

علينا أن نؤكد فى البداية على هذه الحقائق التاريخية ، عند الحديث عن الأشكال التنظيمية :

أولا : رغم القصور النسبى للقيادة – العسكرية قبل العدوان ، الا أنها اتخذت بعض المبادرات – قبل وبعد التأميم – استعدادا للحرب والمقاومة ، كان عبد الناصر بالذات " واثقا أن مجمل الأحداث منذ قيام الثورة قد خلق حالة من الوعى والتأهب وصلت الى أرقى درجاتها ، وحين أطلقت صيحة الدفاع دفاعا عن الوطن لم تسمع فى مصر على مستوى الجماهير صيحة غيرها والى النهاية "(٣٥) ، فى ٢٥ أكتوبر سنة ١٩٥٣ صدر قانون بانشاء الحرس الوطنى " وهى قوة عسكرية شعبية معاونة للقوات المسلحة بطريقة التطوع تقوم أساسا بأعمال الدفاع المدنى(٣٦). ويذكر البغدادى ، أنه " فى أواخر ١٩٥٥ " تم اتفاقنا على انه فى حالة دفعهم اسرائيل الى الهجوم علينا ، أو أى تحرك منهم لتهديدنا أن نقوم بتقسيم جمهورية مصر الى مناطق وأن يتولى كل عضو من أعضاء مجلس الثورة قيادة

منطقة ويصبح حاكما عسكريا عليها وأن نعمل على تعبئة الشعب كله للمعركة"(٣٧) وأكد على توافر أجهزة الاتصال والاسلحة والأموال اللازمة لاستخدامها اذا اضطروا للقيام بحرب عصابات ضدهم لضمان استمرار المعركة (*). ومنذ أوائل ١٩٥٦ بدأت عدة تجارب للدفاع المدنى خاصة فى القاهرة " وتعاون المواطنون مع رجال البوليس والدفاع المدنى فى الغارة التجريبية(٣٨) .

ومع تأميم شركة القناه ، ومع التهديد الانجلو - فرنسى لمصر أعلن عبد الناصر (٢٨ يوليو) التعبئة العامة ، وصدرت الأوامر لتنظيم المقاومة فى القناه ، وعن طريق جهاز المخابرات تم انتقاء نخبة من ضباط الجيش والبوليس والمدنيين وتحدد لكل منهم منطقة لنشاطه للتحضير لعمل المقاومة السرية ، وتمت عملية تجهيز اماكن رئاسات المقاومة الفرعية والتجهيز تحت رئاسة عبد الفتاح أبو الفضل (الاسماعيلية) والصاغ يحيى القاضى ومصطفى كمال الصياد فى بورسعيد ، وجندت هذه القيادات الفدائية عناصر من شعب القناه جرى تدريبهم وتخزين المواد والعتاد واسلحة المقاومة - كما يؤكد أبوالفضل(٣٩) - فى القرى والكفور .

وبعد أن صدرت الأوامر الى الجيش البريطانى بالاستعداد والى الاسطول البريطانى بأن يكون قريبا من قناة السويس (٢١ يوليو) تم فتح باب التطوع لتكوين الكتائب الشعبية فى مصر، ثم أصدر عبد الناصر قرارا بانشاء جيش التحرير الوطنى من الحرس الوطنى وكتائب التحرير والشباب والمتطوعين (٩أغسطس)(*) وقد تولى كمال الدين حسين قيادته ، وبدأت دعوة المواطنين للانضمام والتطوع فى جيش التحرير وعقد أكثر من مؤتمر شعبى ، وبدأت التبرعات الشعبية لتدعيم هذا الجيش ، وأخذ المواطنون يتدربون على حمل السلاح ، خاصة وان القيادة المصرية" اعتبرت المثلث الممتدة اضلاعه بين بورسعيد والسويس والقاهرة ، هو منطقة المجهود الرئيسى للقوات المسلحة "(٤٠) .

---

* لاحظ ما كتبه صلاح نصر (مذكرات ، جـ١ ، ص٢٦٢) حول تصور عبدالناصر لحرب العصابات .

* راجع : يوميات الثورة ، مجلة الطليعة ، العدد السابع عام ١٩٦٥ ، وحول جيش التحرير راجع: عبد الرحمن الرافعى : المرجع السابق ، ص ٢٧٢ ، وحمدى لطفى : ثوار يوليو - الوجه الآخر ، ص٣٠٢ ، وما ذكر فى جرائد الشعب (١ سبتمبر ١٩٥٦) والمساء (٣٠ اكتوبر ١٩٥٦) والاهرام ٢٤ ديسمبر ١٩٥٦) .

ويذكر أحمد حمروش " كان زكريا محى الدين هو المسئول عن اعداد ترتيبات المقاومة السرية ، وقد بدأ فعلا فى اتخاذ الاجراءات الضرورية مؤكدا أنه لم يكن هناك خطر على اشتراك أى قوة سياسية فى هذه المعركة الوطنية(**) ، وانه لم تتخذ اجراءات أمن الا ضد بعض السياسيين القدامى ، مع محمد نجيب ، كانت هناك ٤٨ ساعة حاسمة اتخذت فيها كافة ترتيبات المقاومة السرية من اعداد عربات بنمر مدنية وأوراق تحقيق شخصية مزيفة وأجهزة لطبع أى منشورات أو مجلات وحتى جوازات السفر وأجرت بعض الشقق باسماء مستعارة كما كلف بعض الأفراد بتشكيل هيكل للتنظيم السرى ، وأعدت أجهزة اتصال لاسلكى ، ومخازن سرية للسلاح ومعداته وأدوات للتفجير "(٤١) ويضيف " كانت الاستعدادات تسير فى هذا الاتجاه بجدية شديدة دليلا على الاصرار على القتال وعدم التسليم ولكن عندما اجبرت الظروف قوات المعتدين بوقف اطلاق النار ، تغير التفكير فى معالجة الموقف ، وأصبحت المقاومة من موقع السلطة"(٤٢) .

ثانيا : ثمة صلة وثيقة بين القيادة السياسية – العسكرية العليا بالقاهرة وبين قيادات المقاومة الشعبية سواء فى بورسعيد أو حتى فى المناطق التى لم تسقط فى يد العدو " كان التنسيق تاما ، اذ كانت توجيهات القيادة السياسية العليا وتحركها فى المجال الدولى ، تضع فى اعتبارها – كأحد الاعتبارات – موقف المقاومة المصرية، كما أن قوات المقاومة كانت تتحرك فى تنسيق متكامل مع الحركة السياسية العامة ، وكانت توجيهات القيادة السياسية العليا تشير احيانا بعمليات فدائية سريعة ومباشرة ، أو مجرد عصيان مدنى شامل ، خاصة بعد صدور قرار اطلاق النار"(٤٣) ، ولقد تراوحت اشكال التنظيم لحركة المقاومة على هذا النحو :

* بالنسبة للمؤسسة السياسية العسكرية " تقرر تشكيل لجنة عليا للاشراف على أعمال المقاومة الشعبية والدفاع المدنى والتعمير ، وتم تقسيم المحافظات الى

(**) تضارب موقف الاخوان من عدوان ١٩٥٦ ، البعض اشتد حماسه للدفاع عن مصر لا عن عبد الناصر (على عشماوى : مذكرات .. التاريخ السرى لجماعة الاخوان المسلمين، ص ٤٣) وأرسل بعضهم الى عبد الناصر برقية فى ٣١ اكتوبر ١٩٥٦ يطلبون الجهاد فى سبيل الله والوطن (حسين محمد أحمد حمودة : اسرار حركة الضباط الاحرار والاخوان المسلمون ، ص١١٢) والبعض رأى أن العدوان عقاب أنزله الله بعبد الناصر (لا عدوان الا على الظالمين). كما يؤكد على ذلك على عشماوى فى مذكراته السابقة ، وأحمد الرفاعى فى شهادته (قضايا فكرية ، يولية ١٩٩٢ ، ص ٣٨٢) .

قطاعات تختص كل منها بتوجيه المقاومة الشعبية فى المناطق المختلفة التى تم اعدادها بما يلزمها من متطوعين وعتاد"(٤٤) ، وكان رئيس الجمهورية قد أصدر قرارا باعلان التعبئة العامة فى جميع انحاء الجمهورية " لهذه التعبئة شقان أحدهما يسمى أمرعسكرى وهو يتلخص فى دعوة ضباط الاحتياط والجنود والحرس الوطنى لاداء شرف الدفاع عن الوطن والشق الثانى شعبى وهى تعبئة اختيارية"(٤٥) .

وبدأت لجان التعبئة عملها " تألفت لجان فى المراكز والقرى للتعبئة القومية حيث بدأ التدريب على استعمال السلاح وتكوين كوادر للدعاية ضد الشائعات وتألفت لجان لتنظيم ايواء المهاجرين (*) واغاثتهم وجمع التبرعات "(٤٦) .

استعدادا للحرب الشعبية ، خطط عبد الناصر لاقامة مقر قيادة حرب العصابات فى طنطا اذا كانت هناك ضرورة لذلك ، ونقلت اليها محطة ارسال سرية ، واختيرت الدلتا " كأفضل مكان لتعجيز القوات البريطانية "(٤٧) واقيمت مستودعات للاسلحة الخفيفة فى جميع انحاء البلاد .

وبمجرد بدء الهجوم بدأت الدعوة لقوات الفدائيين وقوات المقاومة الشعبية بالتوجه الى المعسكرات ، " وان يبلغ أصحاب عربات النقل فى جميع مناطق الجمهورية عن عرباتهم لتكون تحت تصرف قيادات جيش التحرير "(٤٨) ، وزاد عدد المتطوعين الذين تدفقوا على المعسكرات، تسلموا السلاح ، نقلوا الدم ، ساهموا فى أعمال الدفاع المدنى ، نظموا توزيع مواد التموين ، واثبتت فرق مكافحة الغارات الجوية من رجال الدفاع المدنى ، كفايتها وحسن تدريبها على حد قول تشيلز (**).

فى الاسماعيلية بدأ اعداد الجيش تحت قيادة كمال الدين حسين ومعه الشعب ، وفى السويس كان صلاح سالم معتمدا على الجماهير قد حول المدينة الى حصن كله خنادق ودشم ، بينما كانت المقاومة الشعبية تقاتل فى بورسعيد ، بعد توقف الجيش المنظم عمليا عن القتال وفى عشرات المعسكرات فى المدن والاقاليم " تدرب مالا

---

* اتضح أن عدد المهاجرين هو ١٣٥٥٧١ مهاجرا منهم ١٢٢١٥ بالوجه البحرى ، تضم منهم معسكرات الحكومة ٣٥٤٠١ ومنهم ١٥٣٥٦ بالوجه القبلى تضم منهم معسكرات الحكومة ٧٢٧٩ (المساء ، ٢٦ ديسمبر ١٩٥٦) .

** الطريق إلى السويس ، ص ٢٥٩ .

يقل عن نصف مليون فرد من شباب ورجال ونساء على حمل السلاح"(٤٩) ، بل "وانشئت لجان الوعى السياسى فى كل مدن واقاليم مصر"(٥٠) ، وفى بورسعيد بصفة خاصة ، ومن مكبرات الصوت التى طافت بها السيارات احياء المدينة ، ترددت النداءات وكانت " المعسكرات تعج بالوطنيين القادرين على حمل السلاح بينما قوات الحرس الوطنى وبعض افراد من قوات الجيش يدربون الأهالى على استخدام الاسلحة"(٥١) ، وبدأ توزيع السلاح بنظام على الشعب المقاوم " ووزعت حوالى ٥٠٠ بندقية لى انفيلد ومع كل منها ذخيرة مكونة من ٥٠ رصاصة "(٥٢) حدث ذلك صبيحة يوم ٣٠ أكتوبر .

فى جميع انحاء مصر ، تكونت لجان المقاومة الشعبية والتى ضمت العمال والفلاحين والطلاب الحرفيين وصغار التجار والموظفين ، تحت اشراف جيش التحرير ، ووزعت الحكومة السلاح على هذه اللجان ، وبدأ تنظيم الدفاع المدنى وحرب العصابات والتدريب العسكرى ، والدعاية الوطنية عن طريق المؤتمرات والمحاضرات والمعارض والافلام وذلك من أجل تعبئة الشعب ضد العدوان والدعوة الى الالتفاف حول قيادة ناصر الوطنية والتصدى لاشاعات العدو الكاذبة هذه اللجان النابعة من صفوف الشعب " كانت شكلا من أرقى أشكال التنظيم الجماهيرى التى عرفتها مصر"(٥٣) .

ويلاحظ ، أن هناك عدة لجان نوعية للمقاومة الشعبية ، فهناك اللجنة النسائية للمقاومة الشعبية والتى قامت بدور عظيم فى المعركة ، وفى بورسعيد ، تعددت أشكال هذه اللجان مثل "اللجنة النوبية للمقاومة الشعبية" و " اللجنة السودانية لمقاومة الاستعمار " وقد وجهت لجنة المقاومة الشعبية عدة نداءات الى الشعب " حثت فيها المواطنين على الاشتراك فى المعركة وافساح الطريق للتحركات العسكرية ، وبذل الجهود لتقديم العون لافراد القوات المسلحة ومراقبة الخونة والدخلاء ونصحت بعدم الاستماع الى اذاعات العدو المضللة الكاذبة "(٥٤) ، وكذلك أصدرت لجنة المقاومة الشعبية نداء بأن جميع التبرعات الخاصة باسر شهداء بورسعيد من الافراد ، الهيئات ، الشركات ، المؤسسات ، الاتحادات ، والنقابات والروابط والاندية ترسل لرياسة الجمهورية "(٥٥) .

ويذكر أن للحركة الشيوعية المصرية السبق فى تنظيم مثل هذه اللجان ، بل وكما يؤكد حسن المصيلحى " ظلت الدعوة الى تكوين لجان المقاومة الشعبية وحمل السلاح فى المدن والقرى تتضمنها النشرات التى كانت تصدرها منظمة " حدتو "

الشيوعية حتى فى أعوام تالية لعام ١٩٥٦، مثل (صوت الفلاحين ١٩٥٨/٨/١٢ ، صوت القاهرة ١٩٥٨/٩/٣) "(٥٦) .

وفى بورسعيد " شكل الفدائيون منظمات سرية لقتل الأفراد من جنود الاعداء والقاء القنابل اليدوية عليهم وتوزيع المنشورات السرية على المواطنين "(٥٧) .

ويروى كمال رفعت الدور البارز الذى قامت به التشكيلات الخمسة السرية التى- كونت ببورسعيد ، وكيف باشرت عملها وظلت تقاوم مع الشعب قوات العدوان ثمانية وأربعين يوما " بحساسية بالغة دون راحة أو هوادة " (*) .

كانت هناك عدة منظمات صغيرة تحت اسماء مختلفة : " المدمرون الأحرار ، الانتقاميون، المقاومة السرية ، الأسد المرعب ، هاتا شاما ، وقد لعبت هذه المنظمات دورا هاما " سارعت " الهاتاشاما - هيئة تحرير شعب مصر - الى اصدرا عدة منشورات ترد بها على مزاعم الانجليز أو تلعنهم أو تطلب من الاهالى اتباع بعض النصائح ، وتدعوهم الى عدم القاء السلاح بل قتلهم ومن يتعاون معهم ، ترفع من معنوياتهم " ولاتهنوا ولا تحزنوا فأنتم تعرفون أولاد الحرام من أفعالهم ، وأنكم لتعرفون أن كل فرنسى لا يعرف من هو أبوه ، فهم عواهر ابناء عاهرات ، زوانى أبناء زانيات "(٥٨) .

حقيقة كان لدى الجميع رغبة صادقة فى عمل شئ لكنهم على حد قول أحد الشهود " كانوا يفتقرون للتنظيم والقيادة " . وقد تم توحيد بعض هذه المنظمات مع اللجنة العليا للمقاومة الشعبية فى لجنة واحدة اطلق عليها اسم " الجبهة المتحدة للمقاومة الشعبية " .

نبرة الفخر فى كتابات الحركة الشيوعية المصرية ، لدورها التنظيمى فى معركة بورسعيد، خاصة وأنهم شاركوا فى القتال ، جمعوا السلاح ووزعوه على الاهالى وجمعوا خرائط المعركة واخفوها ، أرتفعوا بمستوى وعى الجماهير - السياسى ، شاركوا فى عملية ايواء المهاجرين من منطقة القناة والراغبين فى الهجرة ، وعندما تذكرمعركة المقاومة تتداعى الى الذاكرة مجموعة من الاسماء (الرموز) فى

(*) عن دور هذه التشكيلات بالتفصيل راجع : محمد عبد الرحمن : نضال شعب مصر ١٧٩٨ - ١٩٥٦ ، ص ٣٥١ ، ص ٣٥٩ - ٣٦٠ ، وانظر ايضا ما كتبه احسان عبد القدوس "تجارب من بورسعيد" ، روزاليوسف ، العدد ١٤٩٢ ، ١٤ يناير ١٩٥٧ .

مقدمتها : عبد المنعم شتلة ، أحمد الرفاعى ، ابراهيم هاجوج ، سعد رحمى ، يوسف أدريس ، أحمد عباس صالح ، حسن فؤاد أحمد مجاهد ، على الشلقانى وزوجته نانا سالم ومحسن لطفى ومنير موافى وغيرهم ، ويذكر لطفى واكد " لعب الشيوعيون دورا بارزا فى أعمال المقاومة "(٥٩) فقد كانت القوات البريطانية قد احتلت بورسعيد وتستعد للتقدم نحو الاسماعيلية ، وقد استغلق على قيادة قوات المقاومة الشعبية (كمال الدين حسين فى الاسماعيلية) وكمال الدين رفعت (فى منطقة بين بورسعيد والاسماعيلية) ولطفى واكد فى " الزقازيق استغلق عليها النفاذ الى بورسعيد المحاصرة لدفع قوات تتعامل مع مؤخرات قوات العدو ، لكن عبد المنعم شتلة – وصحبه – شق طريقا آمنا عبر بحيرة المنزلة الى داخل بورسعيد ، وهكذا تكاملت أعمال المقاومة الشعبية التى أزعجت قوات العدو وبلغت تعاظمها مع تأسيس الجبهة المتحدة للمقاومة الشعبية بقيادة الشيوعيين المصريين (*)– خاصة " وانهم أقدر من غيرهم على فهم نفسية الجماهير والتعامل معهم "(٦٠) ، وتصبح ايديولوجية حرب التحرير الشعبية (حرب العصابات) جزءا من تراثهم الفكرى ، اذ سرعان ما اندفعت " مجموعة كبيرة من كوادر الجبهة المتحدة للتطوع وتمركز الكثيرون منهم فى نقاط متقدمة فى أبو صوير وبوز القرد ونفيشة وغيرها وتعاونوا تعاونا وثيقا مع رجال المخابرات الذين انيط بهم ادارة هذه المعركة"(٦١) .

ويذكر رفعت السعيد: " اللجنة المركزية (لحدتو) كلفت أحمد الرفاعى مسئولية قيادة العمل الحزبى لمقاومة الاحتلال فى بورسعيد ، كانت المبادرة الأولى للمواجهة الشعبية للاحتلال"(٦٢) وقد استطاع مع رفاقه " من العمل مع الاهالى وتوعيتهم وتنظيمهم ، وبالفعل بدأنا نتصل باللجان وحاولنا اقناعهم بتكوين لجنة مشتركة ، بعضهم رفض نتيجة غياب الوعى ، والبعض كان يأمل فى الاستحواذ على ثمار النصر وحده ، عبر محاولات معينة استطعنا تكوين "الجبهة المتحدة للمقاومة الشعبية"(٦٣) ، وقد اصدرت بيانا هاما الى المواطنين " فى هذه المرحلة من تاريخنا المجيد وفى ظروفنا هذه التى يتحتم على جميع أفراد الأمة وكل طوائفها أن تتحد لتقف كتلة واحدة امام عدو مشترك لعين ، وعلى ذلك عقد مؤتمر من مندوبى : اللجنة العليا للمقاومة الشعبية ، الاحرار الانتقاميين ، م . س ، المدمرون ، ووافق المؤتمر على ادماج جميع لجان المقاومة الشعبية المختلفة الاسماء فى لجنة واحدة موحدة البرنامج تحت اسم : " جبهة المقاومة الشعبية المتحدة ببورسعيد "ويناشد

* لاحظ ما كتبه الاهرام (١٧ ابريل ١٩٩٦) عن (عبد المنعم شتلة) فى صفحة الحوار القومى.

المؤتمر كافة الجماعات الوطنية ومختلف سائر لجان المقاومة أن تتحد من أجل : الكفاح المسلح لطرد قوات الاحتلال . عدم المساومة على حقوقنا الكاملة بالنسبة لتأميم القناة ، رفع الروح المعنوية للشعب ، محاربة الخونة ومروجي الاشاعات ، عاشت وحدة الشعب والحكومة والجيش ، تحيا وحدة لجان المقاومة الشعبية "(٦٤) .

وحول الدور البارز الذى قامت به الجبهة اثناء احتلال بورسعيد نذكر الآتى(٦٥):

- كتابة منشورات بخط اليد ولصقها على الجدران وتوزيع البعض على الاهالى وقد اشترك الاطفال فى عمليات توزيع المنشورات ولصق صور الرئيس جمال عبد الناصر على عربات قوات الاحتلال والكتابة على أراضى الشوارع بالعربية والانجليزية والفرنسية .

- المظاهرات المنظمة وحفظ الأمن ومساعدة السلطات المحلية .

- إخفاء الفدائيين والقيام بعمليات عسكرية .

- اصدار (الانتصار) .

القوى والفئت الاجتماعية البازغة وحركة المقاومة الشعبية :

يستحق موضوع القوى الاجتماعية ، دراسة تفصيلية ، خاصة وقد جمعت صيحة "سنقاتل" غالبية قوى الشعب المصرى على هدف واحد لمواجهة المعتدين ، وتفاوتت وتعددت امكانياتها ومقدراتها فى هذه المعركة ، وإليك بعض النماذج الدالة دلالة موحية :

* كان للمؤسسات الدينية دورها فى التأثير الثورى على التحرك الشعبى ، وقد أدرك ناصر حقيقة أهمية الرمز الدينى فى عملية التعبئة السياسية(*) ، ولذلك نجده يتجه إلى الأزهر - أكثر من مرة - ليخطب فى الجماهير أثناء العدوان ، وتكونت " لجنة بالأزهر من لفيف من المشايخ للدعوة إلى الجهاد والمناداة به فى جميع المساجد ، بواسطة ميكرفونات فى الشوارع"(٦٦) وقد أعلن شيخ الأزهر (الشيخ عبد الرحمن تاج) وقف الدراسة فى كليات ومعاهد الأزهر منذ أول نوفمبر ١٩٥٦ لاتاحة الفرصة لشباب ورجال الأزهر للقيام بواجبهم ، ووجه أكثر من نداء إلى

* راجع : رفعت سيد أحمد : عن الناصرية والاسلام ، دراسة مقدمة فى هذا الكتاب ، ص ١٦٥-١٨٠.

العرب والمسلمين والمصريين للدفاع عن الوطن " فقد اصبح الجهاد الآن فرضا عليكم جميعا بكل ما تملكون من نفس ومال وولد "(٦٧) ، مفتى الديار المصرية (الشيخ حسن مأمون) أصدر فتوى شرعية " الجهاد اليوم واجب على الجميع "(٦٨) وأخرى " عن حكم الله فى المتطوعين والمتطوعات فى جيش التحرير والمقاومة الشعبية(٦٩) . وقرر المجلس الملى العام للأقباط الارثوذكس الجهاد بالنفس والمال دفاعا عن الوطن وعقد مؤتمر شعبى كبير بالقاعة اليوسابية ، حضره كبار الاقباط والباقورى ومندوب شيخ الأزهر ، حيث أعلن الاستمرار فى الكفاح(**) . وتذكر أحدى المجلات " وقد أنضم الأب متى يونان راعى كنيسة حدائق شبرا إلى كتيبة الأزهر"(٧٠) .

انضم العمال إلى كتائب المقاومة الشعبية والحرس الوطنى وبلغوا حوالى ٤٥٠٠ عامل من عمال كفر الدوار وحدهم ، انضم اليهم الآلاف – خاصة من شبرا الخيمة وحلوان والمحلة الكبرى والاسكندرية كذلك بدأ التركيز على زيادة الانتاج والتى وصلت مثلا إلى ١٢٥٪ مما كانت عليه قبل المعركة فى شركة الغزل الرفيع بكفر الدوار ، وتبرع العمال من أجورهم من أجل بورسعيد(**) وتذكر روزاليوسف " أجمع كل من شاهد معركة المقاومة الشعبية على أن البنبوطية والصيادين وعمال الميناء والجزارين والعربجية كانوا على رأس قائمة الابطال ، كان الجزارون يستخدمون السكاكين والعربجية يستعملون الكرابيج "(٧١) .

وقد حاولت السلطات العسكرية البريطانية أن ترغب عمال بورسعيد ليقوموا بشحن وتفريغ سفنهم بأجور مرتفعة " رفعوا الأجر إلى جنيهين ثم الى ثلاثة ثم إلى خمسة فلم يتقدم لخدمتهم عامل رغم حالة الجوع التى كانت تجتاح المدينة "(٧٢) بل " سارع هؤلاء العمال الابطال إلى السلاح يحملونه إلى فرق المقاومة الشعبية التى ينضمون إليها "(٧٣) وقد ساهم بعضهم فى تأسيس جبهة العمال للمقاومة الشعبية التى أصدرت عدة بيانات تحث فيها شعب بورسعيد على الصمود والوقوف بلا تردد

** حول الدور الخالد التاريخى للكنيسة القبطية فى معركة ١٩٥٦ ، مراجع (الشعب) ٤اكتوبر ١٩٥٦ ، (الجمهورية) ٣ نوفمبر ١٩٥٦ ، (النصر) أول ديسمبر ١٩٥٦ ، (الأهرام) أول ديسمبر ١٩٥٦ .

** راجع : شهدى عطية الشافعى : تطور الحركة الوطنية المصرية ، ص١٨٤ – ١٨٥ .

مع حكوماتهم الوطنية(***) . وتذكر جريدة اخبار اليوم (أول ديسمبر ١٩٥٦) أن بعض العمال المصريين عادوا من الخارج لينضموا إلى حركة الكفاح الشعبى .

من الريف المصرى انطلقت كتائب التحرير والمقاومة الشعبية " طلب المزارعون بالاصلاح الزراعى الانضمام إلى جيش التحرير وحمل السلاح ويبلغ عددهم مليونا و ٢٠٠ الف مزارع وعامل "(٧٤) وقد تم تدبير السلاح اللازم للمتطوعين فى مناطق الاصلاح الزراعى .

واذا كان أحمد الرفاعى فى مذكراته يذكر أن بعض الضباط قد صرفوا بعض الفلاحين من معسكر طويحر ونفيشة وأبقوا على الافندية ، الا انه يؤكد فى شهادته " تطوع عدد من الفلاحين للمشاركة فى المعركة فأرسلنا بعضهم إلى طويحر واصطحبنا الباقين إلى بورسعيد"(٧٥).

أما الطلاب ، فقد أوقفت الدراسة مؤقتا فى الجامعات المصرية والمعاهد العليا والمدارس الثانوية وما فى مستواها " لتتاح الفرصة للشباب للانضمام إلى قيادات جيش التحرير الوطنى"(٧٦) وتحولت وزارة التربية والتعليم إلى " وزارة من وزارات الحرب ، وانقلبت المدارس إلى قلاع ومعسكرات "(٧٧) . وبدأت تتشكل كتائب من الطلبة والاساتذة "وبدأت حملة تبرعات ضخمة بالدم وتكونت فرق للطلبة للدفاع المدنى وانضم البعض إلى كتائب التحرير"(٧٨) وفتح باب التطوع "يقرب عدد المتطوعين من طلبة وطالبات الجامعات الثلاث الآن من ٢٥ الفا"(٧٩) . وتذكر الأهرام (١٢ نوفمبر ١٩٥٦) أنه قد بدأ تدريب كتائب للمقاومة الشعبية بعضها من طالبات الجامعة والأخرى من طالبات المدارس الثانوية .

تكونت اللجنة العامة للكفاح الشعبى للتجار بالقاهرة ، وتقرر تكوين لجان فرعية بالاقسام تكون مهمتها " بحث المسائل التموينية ومراقبة الاسواق للحد من ارتفاع الاسعار وفحص التى يتقدم بها التجار وتكوين فرق للدفاع والاسعاف الشعبى(٨٠) .

وقد ساهم التجار بنصيب وافر فى التبرع للمعركة ، والقوائم التى نشرتها الصحف لحملة التبرعات دلالة على ذلك ، وقد تبرع التجار بالمال لتسليح جيش مصر .

*** أحمد الرفاعى: أيام الانتصار ، ص١٥ .

وفى بورسعيد كان موقف " تجار بورسعيد يتحدون العدو ويرفضون انذاره بالتعاون معه بفتح محالهم التجارية "(٨١) خير دليل على موقف التجار الوطنى .

يذكر البغدادى ، انه فى الاسماعيلية " البائع المتجول كان يجلس على الرصيف وبندقيته إلى جواره ، فأشعرتنا هذه الصورة بالأمل "(٨٢) وقد دعا الاتحاد العام للباعة الجائلين جميع اعضائه إلى التوجه إلى مراكز التدريب وتقديم انفسهم إلى قيادة جيش التحرير للاشتراك فى المعركة(*)، وفى بورسعيد تضامن الباعة الجائلون مع اخوانهم التجار ، وأصحاب المحال وامتنعوا عن بيع أى شئ للاعداء ، كما تؤكد على ذلك الأهرام (٨ ديسمبر ١٩٥٦) .

بهمة ونشاط قامت المرأة بدور ريادى فى المعركة ، والقصص التى تروى عن هذا الدور داخل بورسعيد لا حصر لها . ونذكر أيضا دور الاتحاد النسائى ومراكز التعبئة النسائية وتدريب المتطوعات مع المقاومة الشعبية ، اتحاد فتيات مصر والتدريب على السلاح ، اللجان النسائية للتمريض والدفاع المدنى وجمع التبرعات ، الاجتماعات المتواصلة فى دار الاتحاد النسائى المصرى ، الهلال الأحمر ودوره ، مظاهر ملموسة ، لدور المرأة فى المعركة ، لكن اللجنة النسائية للمقاومة الشعبية توضح هذا الدور أكثر(*) .

بمبادرة من انجى افلاطون وسيزا نبراوى تم اعادة تكوين اللجنة النسائية للمقاومة الشعبية ، على نمط تلك اللجنة التى تكونت خلال ثورة ١٩١٩ ، وعام ١٩٥١ أثناء حرب القناة وقد أصدرت بيانا نشرته (الأهرام فى ٢٧نوفمبر ١٩٥٦) أوضحت فيه اهدافها وبرنامجها ، وقد تفرع منها ١٨ لجنة نسائية فى الاحياء الشعبية وفى الريف والتى عملت على تدريب المواطنات على حمل السلاح " كما دعت وفدا من الاتحاد النسائى الديمقراطى العالمى لمشاهدة آثار العدوان الثلاثى"(٨٣) وامكن لهذه اللجنة أن تقوم بحث المواطنات على الانخراط فى الجيش الشعبى والتدريب على حمل السلاح ، حملات التبرع بالدم ، رعاية المهاجرين ،

(*) راجع الأهرام ، الشعب ٣ نوفمبر ١٩٥٦ .

(*) انظر : انجى افلاطون ، مذكرات ، ص١٦١-١٦٤ ، آخر ساعة ، العدد ١١٥١ ، ١٤ نوفمبر ١٩٥٦ ، والعدد ١١٥ ، ٢١ نوفمبر ١٩٥٦ ، ومقال وداد مترى (انجى افلاطون، مسيرة نضال وصداقة ، ص٣٥-٣٦.

إقامة الندوات والمحاضرات ، والتموين والدفاع المدنى " ورعاية الطفولة التى تشردها الحرب واطفال الشهداء"(٨٤) ، وقد ارسلت وفودها إلى منطقة القتال والاسكندرية للاشراف على تكوين لجان للمقاومة النسائية هناك (روزاليوسف ، العدد ١٤٨٦ ، ٣ ديسمبر ١٩٥٦) وتذكر حكمت أبوزيد أنها سافرت مع سيزا نبراوى وانجى افلاطون إلى بورسعيد " وكنا نشارك فى كل شئ بداية من الاسعافات الأولية حتى الاشتراك فى المعارك العسكرية "(٨٥) .

واذا كان الشباب الصغير قد قاتل فى اصرار وعناد ، على حد رؤية كاتب فرنسى "وجدنا شبابا فى سن ١١ سنة و١٢ و ١٣ سنة يحملون السلاح ويقاتلون ببراعة "(٨٦) فأن الأطفال قد لعبوا دورا جديرا بالاعتبار فى المقاومة " بترديدهم أغنيات تحدى جنود الاحتلال ، حيث كان لتلك الاغنيات أثرها فى إلهاب مشاعر المواطنين – ومن الطريف أن الأطفال استطاعوا بذكاء تضليل جنود الاحتلال ، وذلك بتغيير وضع اللافتات المميزة للطرق الرئيسية أو سرقتها ، وكان ذلك سببا فى ارباك الجنود الذين كانوا يعتمدون فى انتقالهم على خرائط مرسومة على أساس من وجود هذه اللافتات"(٨٧) .

فتوات الحسينية " اجتمعوا فى بيت أحدهم ويسمى ، سيدهم الجدع ، وقرروا فض خصوماتهم والذهاب سويا لحمل السلاح "(٨٨) ، عميان معهد الزيتون " ارسلوا رسالة الى وزير الشئون الاجتماعية يطلبون منه أن يكلفهم بأى شئ يساهمون به فى المعركة ، وأمر الوزير بتكليفهم باعداد بعض المصنوعات اليدوية التى يحتاجها الجنود " ، حتى بعض جماعات " الصم والبكم " (٨٩) . وثبت الى ميادين التدريب كذلك " انضم ١٢ قزما الى جيش التحرير .

تحولت الأندية الرياضية إلى معسكرات للتدريب ومراكز لتنسيق أعمال الاغاثة والاسعاف والمقاومة الشعبية ، أعلن " الاتحاد العام للأندية الريفية تكوين كتيبة باسم هذه الأندية للاشتراك فى أعمال المقاومة الشعبية "(٩٠) ، وقد بدأت كتائب الرياضيين (*) كانت أبرزهم (كتيبة الدراجات للمقاومة) (للمقاومة الشعبية)(٩١) تحت اشراف البكباشى على قنديل .

* حول معسكرات وتدريب الرياضيين ، ودور ادارة التربية الرياضية والاجتماعية بوزارة التربية، والمباريات التى اقيمت لصالح شهداء بورسعيد ، انظر (أخبار اليوم ١٧ نوفمبر ١٩٥٦، الأهرام ١٢ نوفمبر ١٩٥٦ ، الجمهورية ٢٤ ، ٣٠ نوفمبر ١٩٥٦) .

بدأ التفكير فى تسليح (العرب والبدو)(٩٢) بالصحراء الغربية ، وتقدم بعض اليهود المصريين للتطوع لأنهم ارادوا أن يكونوا مصريين حتى الممات (**) .
وبدأت كتائب النقابات المهنية فى التطوع ، برز دور (المحامين والقضاة ووكلاء النيابة)(٩٣) وتشكلت من (الدبلوماسيين)(٩٤) فرق للمقاومة الشعبية ، وبرز بشكل أوضح دور رجال البوليس)(٩٥) الذين استشهد منهم فى معارك بورسعيد ٤٠٠ شخص ، أحد قادة البوليس ممن انيط بهم عملية المقاومة الشعبية وهو القائمقام حسن رشدى ، مفتش المباحث العامة ، برز دوره الايجابى ، جنود فرق الأمن الذين اشتركوا فى معارك القناة السابقة اعلنوا استعداهم لفداء الوطن .

المجلس الاعلى لرعاية الفنون والآداب(٩٦) انشأ لجنة عليا لتنظيم وتنسيق الجهود لتعبئة الشعور القومى ، (كتائب الفنانين العسكرية)(٩٧) بدأت تتكون ، ثمة (لجنة مركزية للتعبئة الفنية)(٩٨) من الفنانين والنقاد والأدباء تشكلت .

حناجر الأذاعيين (منى الحديدى ، وصلاح زكى ، جلال معوض ، أحمد سعيد ، فهمى عمر، ثريا نجم ، سميرة الكيلانى ، مديحة نجيب ، همت مصطفى... الخ) بدأت تتلعلع فى أجواء المعركة ، على الرغم من ضرب محطة الارسال فى أبى زعبل لكن المهندسين المصريين أصلحوه على الفور برامج الاذاعة منذ السادسة صباحا وحتى الثانية ونصف بعد منتصف الليل وظفت من أجل المعركة ، خاصة وقد كانت هناك حرب اذاعية لدرجة أن الاخبار (١٢ نوفمبر ١٩٥٦) تكتب " السوق التى راجت فى الاسبوع الأخير هى سوق أجهزة الراديو"(*) ، وقد اقامت لجنة المقاومة الشعبية محطة اذاعة داخلية أطلق عليها "صوت التحرير" تقوم المحطة عن طريق مكبرات الصوت بإذاعة تعليمات اللجنة الى جانب الاحاديث والاناشيد الحماسية ، يشرف الصاغ كمال الدين حسين على برامجها "(٩٩) .

** ٩٩- راجع رؤية شحاتة هارون فى كتاب جيل بيرو : هنرى كوربيل – رجل نسيج خاص، ص ٣٠٤ .

* الاخبار ، ١٢ نوفمبر ١٩٥٦ ، وحول الدور الذى لعبته الاذاعة والاذاعتين انظر بصفة خاصة: آخر ساعة ، العدد ١١٥ ، ٧ نوفمبر ١٩٥٦ ، الفن الاذاعى ، السنة ١٢ العدد ٦، يناير ١٩٥٨ ، الاذاعة ، العدد ١١٣٠ ، ١٠ نوفمبر ١٩٥٦ ، والعدد ١١٣٢ ، ٤ نوفمبر ١٩٥٦، وعبد الرحمن الرافعى : المرجع السابق ، ص ٢٩٢ وأنظر برنامج الاذاعة التى تبدأ منذ السادسة صباحا وحتى الثانية عشرة ونصف بعد منتصف الليل فى أى جريدة .

استطاعت مصلحة الفنون تصوير فيلم (بورسعيد) أثناء المعركة " يصور فضائح الانجليزوالفرنسيين كما يصور المقاومة الشعبية "(١٠٠) وبدأ تصوير أول فيلم مصرى (بورسعيد) انتاج وبطولة فريد شوقى اخراج نيازى مصطفى ، كما " استطاع قسم السينما التابع لمصلحة الفنون الحصول على مجموعة ضخمة من الافلام السينمائية التى تمثل دور المقاومة الشعبية تجاه المستعمر ، وقد عرضت هذه الافلام فى الساحات الشعبية وفى لجان المقاومة الشعبية التى كونت فى الاحياء ، وكان أول حى عرضت فيه هذه الافلام(حى المدبح) "(١٠١)، ومن بين الافلام القصيرة التى قام المجلس الاعلى لرعاية الآداب والفنون بأعدادها للمعركة فيلم من اخراج وتأليف عبد القادر التلمسانى ، وقام بكتابة حوار الفليم واغانيه صلاح جاهين، والابطال فى الفيلم شخصيات الأراجوز التى تمثل جون بول وحوادثه وقد قام الفنان زهدى مع بعض الرسامين باعداد الماكينات اللازمة لهذا الفيلم(١٠٢) .

يتبقى أخيرا دور العناصر الأجنبية والشقيقة والتى وجدت داخل مصر آنذاك وكان لها دورها فى حركة المقاومة الشعبية ، لقد كان للموقف الدولى أثره آنذاك ، خاصة بعد الانذار السوفيتى والذى وضح من خلال رسائل بولجانين الى ايزنهاور وايدن وموليه وبن جوريون(*) لقد كان ايدن يضع العنصر الذى يمكن للخبراء الفنيين والاجانب العاملين فى مصر أن يقوموا به " ليس بصفتهم " كخبراء فنيين " بل " كمتطوعين لأن تجربة الحرب الكورية ماثلة أمام الأعين "كيف أقبل المتطوعون الصينيون لنجدة الكوريين الشماليين " ان من الممكن ان يتكرر ذلك فى مصر"(١٠٣). لقد اعلن عبد الناصر فى مؤتمره الصحفى " ان مصر تلقت طلبات للتطوع من عدد كبير من الدول الصديقة "(١٠٤) وعلى هذا " كان الكثيرون ينظرون بجدية بالغة إلى احتمال ارسال متطوعين من بلدان المنظومة الاشتراكية إلي مصر وقد كان ذلك أحد اسباب التعجيل بوصول قوات الطوارئ التابعة للامم المتحدة إلى هناك "(١٠٥) .

وفى داخل مصر ، وفى معسكرات التدريب وقف مع المصريين طلاب من دول صديقة وشقيقة خاصة من باكستان والهند والاتحاد السوفيتى ، بالاضافة إلى طلاب الشعوب العربية والاسلامية تذكر روزاليوسف " أكثر من ٩٠٪ من افراد الجالية

(*) انظر محمود فوزى ، حرب السويس ١٩٥٦ ص ١٥٥ – ١٦٣ ، وبول جونسون : حرب السويس ، ص١٤٩ – ١٥٠ .

الاندونيسية أنضموا إلى جيش التحرير الوطنى للمساهمة فى الدفاع عن مصر"(١٠٦) وتؤكد " تطوع جميع رجال مكاتب المغرب العربى ضمن قوات المقاومة الشعبية وطالبوا بترحيلهم فورا إلى بورسعيد "(١٠٧) ويذكر أحمد الرفاعى فى شهادته (قضايا فكرية ، يوليه ١٩٩٢ ، ص٣٨٠) كيف استطاعت منظمته التنسيق مع الجنود الجزائر بين المتواجدين بين القوات الفرنسية ونجحنا فى تهريب عدد منهم عبر بحيرة المنزلة ، أما بالنسبة للقوات البريطانية فقد اخترقناها من خلال الجنود اليونانيين العاملين فى صفوفها ، وكنا فى ذلك الوقت على صلة جيدة بمنظمة " أبوكا " التى كانت تمارس نشاطها فى اليونان وقبرص وعبر هذه المنظمة انتقلت الينا جميع اسرار القوات البريطانية المشاركة فى العدوان "(١٠٨) وتذكر روزاليوسف " أبدى سكان المدينة اليونانيون بسالة رائعة فى الدفاع الى جانب القوات الشعبية " ففى بورسعيد تواجدت جالية يونانية كان من بين أفرادها (جورج قسنطين ، الياملاكوس ، بنايوتى مافرومانيس)(١٠٩) كان لهم دورهم فى حركة المقاومة الشعبية نظرا لعدائهم للاستعمار " وكانت قيادة المقاومة قد سبق لها تجنيدهم فى معركة ١٩٥٣ فاثبتوا روحهم العالية ، وكانوا يتطوعون للعمل فى مجموعات المقاومة المسلحة وكانوا ينجحون فى عملهم نظرا لأن قوات الاحتلال كانت تتصور أنهم كأجانب سيكونون فى صفها أن لم يقفوا على الحياد ، وعندما صدرت تعليمات من قوات المقاومة باغلاق جميع المقاهى ، ترك محل المواطن اليونانى التقدمى " ملاكسوس " مفتوحا لاتخاذه طعما لصيدهم فيه ، كما أن المقابلات بين فرق الاستطلاع وبين العاملين لحسابها من المالطيين والقبارصة (وكان أكثرهم من منظمة أبوكا الثورية) كانت تتم فيه "(١١٠) .

وداخل مصر " طلب عدد كبير من اليونانيين المقيمين فى مصر التطوع فى جيش التحرير الوطنى كما طلب عدد آخر من الجالية الايطالية نفس الطلب(١١١) وقد ابدى القنصل اليونانى استعداد الرعايا اليونانيين للتعاون مع الشعب المصرى والاشتراك فى المقاومة الشعبية"(١١٢) وتذكر الأهرام أن " الجالية اليونانية فى مصر تعلن أن ٢٢٣ فردا من أفرادها انضموا إلى جيش التحرير ولم تتخلف عن جمع التبرعات والاقبال على مراكز التدريب على أعمال التمريض ، كذلك فعل بعض الأرمن .

أبرز مظاهر المقاومة الشعبية :

التحمت قوات الجيش والبوليس مع المقاومة الشعبية بورسعيد وقد أتخذ القتال شكل الاقتناص واساليب حرب العصابات " وكان القتال الذى دار فى الشوارع معقدا اذ ان معظم القوات النظامية المصرية اختلطت بالمدنيين الذين كان أكثرهم مسلحا أيضا وصمدت مراكز المقاومة "(١١٣) .

تعدد صور المقاومة وتنوعت اشكالها العنيفة والسلبية ، لتعود بنا الذاكرة إلى الاشكال المنظمة والعفوية لتاريخ مقاومة الشعب المصرى خاصة منذ ايام الحملة الفرنسية ومرورا بثورة عرابى ووصولا لثورة ١٩١٩ .

تتجلى المقاومة العنيفة منذ بدء عمليات الانزال وأصبح واضحا أن قتال الشوارع فى الطرق الجانبية الضيقة فى بورسعيد سوف يستمر ساعات طويلة وان القوات التى تقرر انزالها فى اليوم التالى سوف تلقى المقاومة "(١١٤) وبالفعل " فى الحى العربى بلغ الحماس أقصاه ، بدأت الصيحات تتعالى (تحيا مصر – الموت للاعداء) وبدأ الحى وعلى رأسه الحاج رمضان تاجر الثوم يضعون المتاريس على مداخل الشوارع واستعملوا فى ذلك جذوع النخيل وأخشاب المنازل المهدمة وعلى ناصية كل شارع كانت تقف دبابتان على اليمين ومدفع مضاد للطائرات على الشمال(١١٥) أرسلت الاسلحة الى فرق المقاومة السرية التى تشكلت فى بورسعيد التى شددت من عملياتها العسكرية وبدأ هجوم شامل على دوريات العدو فى شوارع المدينة وهجوم آخر مركز على معسكر الدبابات استخدم فيه القنابل والمدافع السريعة الطلقات وقد " استعملت قنابل مولوتوف المصرية لأول مرة فى معركة بورسعيد "(١١٦) وتزايدت الهجمات على الدوريات " وكلف عدد من الفدائيين بركوب الدراجات ومعهم قنابل يدوية ، وكانت الدراجات تقترب من الدوريات فتلقى عليها القنابل ثم تنحرف بسرعة فى أول شارع جانبى ، وقد تم بهذه الطريقة تصفية عشرين دورية من جنود الاعداء فى ظرف عدد قليل من الساعات "(١١٧) وعندما اشتدت عمليات المقاومة " اغلقت السلطات البريطانية الاسلاك الشائكة المنطقة التى تقع شرقى شارع السلطان محمود شمالا حتى التقائه بشارع مصطفى كامل ، وبات غير مسموح لسكان هذه المنطقة بالخروج منها إلا اذا ختمت ايديهم ضمانا لعدم تسلل الفدائيين الى هذه المنطقة"(١١٨).

حكاوى هذه المقاومة العنيفة الفردية والجماعية تتضمنها صفحات الكتب التى صدرت عنها ورواها شهود العيان ، خاصة يوميات محافظ بورسعيد – محمد

رياض – والذى قدم إليه الجنرال ستو كويل احتجاجا تضمن عمليات التسلل خلسة عن طريق بحيرة المنزلة وهى محملة بالاسلحة الى داخل بورسعيد ، وعمليات القاء القنابل على الدوريات وخطف الملازم مور هاوس، كذلك روى اللواء سعدى نجيب بدوى ، قائد منطقة بورسعيد ، سير هذه المعارك ، وروى الملازم أول محمد أحمد الجيار الذى اشترك فى خطف الضباطين موريس هاوس ووليم مدير المخابرات الانجليزى أثناء العدوان ، ماشاهده(*) ، كذلك يروى محمد عبد الفتاح ابوالفضل بعض اسرار عمليات المقاومة المسلحة داخل بورسعيد خاصة بعد أن تمكنت بعض وحدات الصاعقة المصرية بقيادة جلال هريدى من تعزيز المقاومة الشعبية واسلحتها وذخائرها وكيف قامت المقاومة الشعبية – خارج بورسعيد – بنسف طريق المعاهدة والقتال المقابل لمنطقة جسر الحرش (بين الكاب والقنطرة غرب القناة) مما عطل تقدم الدبابات والمصفحات والعربات وحتى المشاة من بورسعيد إلى الاسماعيلية(١١٩) .

وتتجلى صور المقاومة الأقل عنفا ، والتى تقترب من أن تكون سلبية سلمية وان كانت فعالة ومؤثرة ، فى عملية التبرع بالدماء والأموال للمساهمة فى تسليح الجيش ومساعدة بورسعيد خاصة أسر المهاجرين والشهداء – حملة التبرعات هذه كانت على المستوى الشخصى والجماعى وشملت معظم مناطق مصر ، وكان بعضها عينيا كما حدث فى الريف(*) .

كما تتجلى فى صورة المقاطعة ورفض التعامل مع قوات العدو ، عرض الجنرال كيتلى تقديم الأكل لمحافظ بورسعيد " فرفضت مطلقا وعشنا أياما فى ظروف صعبة على العيش والجبن فقط "(١٢٠) رفض التجار وعمال الميناء – على نحو ماحدث– التعامل معهم ، حتى الصيادين رفضوا أن يبيعوا لهم مايصطادونه "وكانوا ان قتلوا منهم عدة افراد ثم منعوهم من الصيد نهائيا"(١٢١) حتى الأطفال رفضوا " قبول الحلوى التى كانوا يحاولون استمالتهم إليهم عن طريقها ، ولكن بعضهم لايكتفى بالقائها – على حد رواية حسن رشدى مفتش مباحث بورسعيد آنذاك – على الأرض

---

* راجع مذكرات ايدن ، ص ٢٧٥ وكتاب محمد عبد الرحمن ، نضال شعب مصر ، ص ٣٣٧ ، ومصطفى الشكعة : معركة بورسعيد ، ص١٥٥–١٥٨ ، ويوميات محافظ بورسعيد ، ص٣٢–٣٣ ، مجلة الشاطئ (مجلة مدرسة بورسعيد الثانوية للبنين ، العدد الثانى مايو ١٩٥٨ ، ص٢٠).

* ١٢٦– انظر : الشعب ٩ ، ١٥ ، ١٨ نوفمبر ١٩٥٦ ، والجمهورية ٨ نوفمبر ١٩٥٦ .

بل يدوسها "(١٢٢) . كذلك رفض اطفال بورسعيد أن يتعلقوا بدبابات الاعداء ويصفقوا لها فقتلوا منهم واحدا ليتعظ الباقون"(١٢٣) وقتل الأهالى بعض من تعامل مع الاعداء ، لعبت وسائل الاعلام ، خاصة الاذاعة ، دورها فى حرب ١٩٥٦ ، وقد أكد على هذه الفاعلية بايندر فى كتابه (الثورة العقائدية(١٢٤) فى الشرق الأوسط(١٢٥) وصلاح نصر فى كتابه عن (الحرب النفسية – معركة الكلمة والمعتقد)(١٢٦) وخاصة والاذاعات السرية مثل اذاعة صوت مصر الحرة ، واذاعة الشرق الادنى الموجودة فى قبرص قامت بدور فى الحرب النفسية الموجهة ضد مصر وقيادتها(*) ، رد الفعل المصرى يتجلى فى أصوات جلال معوض وأحمد سعيد وصلاح زكى وغيرهم التى تدفقت فى رفع الروح المعنوية للمقاومة ، لدرجة جعلت قوات الاحتلال فى بورسعيد تقتحم " مساكن النساء لجمع ألات الراديو وظفرت بأكثر من ٥٠٠ جهاز حطمتها جميعا فى الشوارع "(١٢٧) .

معركة المنشورات والمطابع السرية ومحلات المعركة ، مثل مجلة (الانتصار) والتى واصلت الاصدار على مجموعة الرونيوهات ، رغم القبض على أصحابها والعاملين بها ، المنشورات التى كانت تصدر بالانجليزية والفرنسية والتى كانت توزع باستمرار على قوات العدو وتتضمن تهديدات مستمرة دائمة لافرادها .

---

* وقد عرض فى هذا الجزء (ص ٥٥٠ – ٥٥٥) دور الاذاعات السرية ضد مصر والتى أكد عليها تشيلدرز (اضواء على أسرار الانذار الانجلو فرنسى ١٩٥٦ ، ص ٥٣-٥٤).

الهوامش

١- أحمد حمروش : قصة ثورة ٢٣ يوليو ، جـ٤ ، ص١٨٨ .
وحول خطأ تقدير القيادتين السياسية والعسكرية للموقف الاستراتيجى قبل الحرب بالنسبة لاستبعاد تورط بريطانيا وفرنسا مع اسرائيل ، وافتقادهما الى نظام متطور للسيطرة على القوات المسلحة وادارة الصراع المسلح مع التفوق العسكرى الساحق لدول العدوان ، لاحظ (اللواء طيار دكتور جبر على جبر : " الحقيقة التاريخية بين ناصر ٥٦ وناصر ٦٧ " ، الاهرام٣١ أغسطس ١٩٩٦م) .

٢- عبد اللطيف البغدادى : مذكرات ، ص٣٥٣ - ٣٥٤.

٣- راجع : طارق البشرى : الديمقراطية ونظام ٢٣ يوليو ، ص٣٣٤ .
محمد فوزى (الفريق أول) مذكرات ، حرب الثلاث سنوات ، جـ ١ ، ص٨-٩ عبدالله امام : على صبرى يتذكر ، ص٨١ .

٤- شخصية مصر - دراسة فى عبقرية المكان ، المجلد الثانى ، ص٧١١ .

٥- أنظر " ثورات العالم " - وثائق تاريخية وصور نادرة ، الهلال ، اغسطس ١٩٦٨، ص١٣٩.

٦- مناقشة محمد حسنين هيكل مع شواين لاى فى بكين ، فى كتاب (أحاديث فى آسيا، ص٨٨) ، وأنظر كذلك : محمد حسنين هيكل : وثائق ندوة السويس الدولية ، كيف أدار جمال عبد الناصر أزمة معركة السويس ؟ ، ص٣٤ " .

٧- فؤاد مطر : بصراحة عن عبد الناصر - حوار مع محمد حسنين هيكل ، ص٨٨ .

٨- المساء ، ٢٤ ديسمبر ١٩٥٦ .
طلب ستوكويل من رياض أن يتدخل لجمع السلاح من الاهالى على ان يقوم حسن رشدى بتولى هذه المهمة ، لكنه رفض طلبه ، وأعرب له أن المقاومة الشعبية أمر طبيعى ينبع من الشعب (المصور ، ٢٨ ديسمبر ١٩٥٦ ، ص١٦-١٧) .

٩- محمد حسنين هيكل : قصة السويس - آخر المعارك فى عصر العمالقة ، ص٢٣٥.

١٠- وثائق ندوة السويس الدولية ، ص ٦٥-٦٦ .

وانظر ما كتبه الدكتور نور الدين طراف - وزير الصحة آنذاك - فى اخبار اليوم (أول ديسمبر ١٩٥٦) حول أخطاء الاستعمار) خاصة الحكم على مدى قوة المقاومة الشعبية لدى الامة المصرية .

١١- كيف نجح عبد الناصر ، ص٨١ .
١٢- محمد عبد الفتاح أبو الفضل ، تأملات فى ثورات مصر ، جـ١ ، ص٢٦٣ .
١٣- وثائق ندوة السويس الدولية ، ص٢٥١ .
١٤- محمد حسنين هيكل : ملفات السويس ، ص٥٦٢ - ٥٦٣ .
انظر الاذاعة ، العدد ١١٣٠ ، ١٠ نوفمبر ١٩٥٦ ، ص٢٢-٢٣ ، الشعب ، ١ نوفمبر ١٩٥٦ .
١٥- آخر ساعة ، العدد ١١٥٠ ، ٧ نوفمبر ١٩٥٦ .
١٦- محمد حسنين هيكل : قصة السويس ، ص٢٣٤ .
وانظر كذلك : وثائق ندوة السويس الدولية ، ص٤٧ ، ص٢٤٣-٢٤٤ .
١٧- أحمد حمروش : قصة ثورة ٢٣ يوليو ، جـ ٢ ، ص١١٢ .
ويذكر صلاح نصر فى مذكراته (الجزء الأول ، ص٢٨٠) ان اللواء صلاح الموجى قائد حماية بورسعيد اتصل بالقيادة فى مصر ، وقد أصدر اليه عبد الناصر تعليمات باستمرار المقاومة وان يطلب من قائد العدوان أن يسلم نفسه ومن معه من جنود .
١٨- عبد الله امام : على صبرى يتذكر ، ص٦٨ .
١٩- عبد اللطيف البغدادى : مذكرات ، ص٣٤٦ - ٣٤٧ .
٢٠- الطليعة ، العدد ١٢ ، السنة الثالثة ، ديسمبر ١٩٦٧ ، ص٥٢ .
٢١- الأخبار ، ٧ نوفمبر ١٩٥٦ .
٢٢- محمد حسنين هيكل : ملفات السويس ، ص٨٩٤ - ٨٩٥ .
٢٣- أنظر جرائد ٢ نوفمبر ١٩٥٦ وبصفة خاصة مانشيتات (الجمهورية والشعب) وكذلك : مجموعة خطب وتصريحات الرئيس جمال عبد الناصر، القسم الأول من ٢٣ يوليو ١٩٥٢ الى يناير ١٩٥٧ ، اصدار الهيئة العامة للاستعلامات ، ص١٦٠٥ .
٢٤- ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ، ص٢٩٤ .
ذكر هيلك (وثائق ندوة السويس الدولية ، ص ٦٥) أنه حدث فى أول يومين أو ثلاثة ، أن وزعت فى الشارع المصرى مائة وخمسين الف قطعة

سلاح ، وأضاف أمين هويدى " بدون كشوفات " . وان ذكرت جريدة الاهرام (٦ نوفمبر ١٩٥٦) أن ٥,٥ مليون مصر تسلموا سلاحا.

٢٥- المصور ، العدد ١٦٧٧ ، ٣٠ نوفمبر ١٩٥٦ .
٢٦- تعقيب فاروق أبو عيسى (وثائق ندوة السويس الدولية) ، ص٢٣١ .
٢٧- أحمد حمروش : قصة ثورة ٢٣ يوليو ، جـ٤ ، ص٧٦ .
٢٨- حسن المصيلحى : قصتى مع الشيوعية ، ص٨١ .
وأذكر ما كتبه هيكل (عبد الناصر والعالم ، ص١٧٤-١٧٥) من استغلال عدد من الشيوعيين المصريين الوضع ومحاولتهم بسط سيطرتهم على المليشيا الوطنية (الحرس الوطنى) فى بورسعيد .
٢٩- محمد حسنين هيكل : ملفات السويس ، ص ٥٦٢ .
٣٠- محمود الجيار : الأسرار الشخصية لجمال عبد الناصر ، ص١٢٥-١٢٦ .
أحمد حمروش : قصة ثورة ٢٣ يوليو ، جـ٢ ، ص١١٢ - ١١٣ .
٣١- عبد الفتاح أبو الفضل : كنت نائبا لرئيس المخابرات ، ص١٩١ - ١٩٤ .
٣٢- يوميات محافظ بورسعيد ، ص ٣٠ .
٣٣- صباح الخير ، ٨ نوفمبر ١٩٥٦ ، العدد ٢٤ ، ص٩ .
٣٤- روزاليوسف ، ١٢ نوفمبر ١٩٥٦ ، العدد ١٤٨٣ .
٣٥- الشعب ، ٣٢ ديسمبر ١٩٥٦ .
٣٦- محمد حسنين هيكل : وثائق ندوة السويس الدولية ، ص٤٨ .
٣٧- عبد الرحمن الرافعى : ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ، ص١٠٥ .
٣٨- عبد اللطيف البغدادى : مذكرات ، ص ٢٠٩ - ٢١٠ .
٣٩- الثورة ، ١٩ ابريل ١٩٥٦ ، ص٤ .
٤٠- عبد الفتاح أبو الفضل : كنت نائبا لرئيس المخابرات ، ص١٨٣ .
٤١- وزارة الارشاد القومى ، مصلحة الاستعلامات : أسرار حرب السويس ، ص ٧٢ .
محمد كمال عبد الحميد : معركة سيناء وقناة السويس ، ص ٤٣ - ٤٧ .
٤٢، ٤٣- قصة ثورة يوليو ، جـ ٢ ، ص ١١١ .
٤٤- حول هذا التنسيق راجع : الطليعة ، ديسمبر ١٩٦٧ ، ص ٥٣ ، ورد أمين هويدى على تساؤل محمد عبد السلام الزيات ، (وثائق ندوة السويس الدولية ، ص ٢٥٢) .
٤٥- الشعب ، ٢٥ ديسمبر ١٩٥٦ .

٤٦- المساء ، ٣٠ ، ٣١ اكتوبر ١٩٥٦ .
وحول الانشطة المختلفة للجان التعبئة الشعبية ، خاصة لجان السيدات ، راجع الأهرام ، ٣ نوفمبر ١٩٥٦) و (الشعب ١١ ، ٢٠ ، ٢٣ نوفمبر ١٩٥٦) حيث كلفت النساء بأعمال ادارية ومراقبة الحالة التموينية ، والدفاع المدنى والاسعاف وجمع التبرعات وتفصيل الملابس ورعاية مراكز الايواء ، وعقد مؤتمرات تأييد للقيادة السياسية ، وقد صدرت آنذاك (الهدف) مجلة التعبئة العامة والثقافة الكاملة .

٤٧- الشعب ، ٢٠ نوفمبر ١٩٥٦ .

٤٨ - محمد حسنين هيكل : قسة السويس ، ص ٢٣٥ .
عبد الناصر والعالم ، ص١٦٤ .

٤٩- الاخبار أول نوفمبر ١٩٥٦ .
وحول تدفق المتطوعين على المعسكرات ، انظر (الجمهورية أول ، ٥ نوفمبر ١٩٥٦) وكتاب محمد كما عبد الحميد : معركة سيناء وقناة السويس ، ص ١٦٩ .

٥٠،٥١ - عريان نصيف (مقدمة) لكتاب ايام الانتصار ، ص١٣ .

٥٢- المصور ، العدد ١٦٧٧ ، ٣٠ نوفمبر ١٩٥٦ ، ص ١٤ .

٥٣- احمد الرفاعى - عبد المنعم شتلة : أيام الانتصار ، ص٧ .

٥٤- شهدى عطية الشافعى : تطور الحركة الوطنية المصرية ، ص ١٨٣ - ١٨٤ .
فوزى جرجس : دراسات فى تاريخ مصر السياسى منذ العصر المملوكى ، ص٢٦١ .

٥٥- الاهرام ، ٥ نوفمبر ١٩٥٦ .

٥٦- الجمهورية ، ١٠ نوفمبر ١٩٥٦ .

٥٧- قصتى مع الشيوعية ، ص ١٣٤ .

٥٨- عبد الرحمن الرافعى : ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ، ص ٣٠١ .

٥٩- هناك نماذج كثيرة لهذه المنشورات فى كتاب مصطفى الشكعة : معكرة بورسعيد ، ص ١٤٧ ، ١٥٠ .

٦٠- أحمد حمروش : المرجع السابق ، الجزء الثانى ، ص ١١٢ .
وانظر بصفة خاصة ما كتبه الدكتور أنور عبد الملك (المجتمع المصرى والجيش ، ص١٧ ، ص ١٣٤ - ١٣٨) حول دور اليسار فى تدعيم

الجبهة الداخلية واقتران عطف الجماهير واعجابها به مع الموقف السوفيتى آنذاك .

٦١- رفعت السعيد : منظمات اليسار المصرى ١٩٥٠ - ١٩٥٧ ، ص٢٩٣ - ٢٩٤ .

٦٢- رفعت السعيد : مجلة اليسار (أرشيف اليشار ، ص ٧٩ - أحمد الرفاعى) العدد ٧٨ ، أغسطس ١٩٩٦ .

٦٣- أحمد الرفاعى (شهادة) مجلة قضايا فكرية ، يوليه ١٩٩٢ ، ص ٣٧٩ .

٦٤- احمد الرفاعي : ايام الانتصار ، ص ١٢ .

٦٥- راجع بصفة خاصة : (المساء ٢٩ ديسمبر ١٩٥٦) (شهدى عطية الشافعى : تطور الحركة الوطنية المصرية من ١٨٠ - ١٨٢) ، (انجى افلاطون مذكرات ، ص١٦٧ - ١٦٨) ، (رفعت السعيد : منظمات اليسار المصرى ١٩٥٠ - ١٩٥٧ ص ٢٩٦ وتاريخ الحركة الشيوعية المصرية المجلد الخامس ، ص٢٤٦ ، ص٤٢٧) ، (احمد حمروش قصة ثورة ٢٣ يوليو ، جـ ٤ ، ص ٢٦٩) (مجلة الطليعة ١ ديسمبر ١٩٦٧، ص٥٤) وأخيرا وليس آخرا الكتاب الهام الرئيسى الذى شارك فى كتابته أحمد الرفاعى ، وعبد المنعم شتلة (ايام الانتصار) .

٦٦- روزاليوسف ، العدد ١٤٨٢ ، ٥ نوفمبر ١٩٥٦ ، وراجع كذلك الكتاب الهام (الاسلام والجهاد) ، مختارات الاذاعة ، مطبوعات الادارة العامة للشئون الثقافية بوزارة الارشاد القومى ، القاهرة ١٩٥٦ .

٦٧- أنظر مجلة الأزهر ، الجزء الرابع (٤ نوفمبر ١٩٥٦ ، ص ٣٧٢ - ٣٧٣ ، والجزء الخامس (٣ ديسمبر ١٩٥٦) ص ٤٧٩ ، مجلة الاذاعة ، العدد ١١٣٠ ، ١٠ نوفمبر ١٩٥٦ ، ص ٤٣ .

٦٨- الأخبار ، ٧ نوفمبر ١٩٥٦ ، والمساء ٢ ديسمبر ١٩٥٦ .

٦٩- الاهرام ١٩ نوفمبر ١٩٥٦ .

٧٠- صباح الخير ، العدد ٤٤ ، ٨ نوفمبر ١٩٥٦ ، ص١١ .

٧١- العدد ١٤٨٥ ، ٢٦ نوفمبر ١٩٥٦ .

٧٢- مصطفى الشكعة : معركة بورسعيد ، ص١٤٢ .

٧٣- يوميات محافظ بورسعيد ، ص١٩ .

٧٤- أخبار اليوم ٣ نوفمبر ١٩٥٦ ، الجمهورية ٧ نوفمبر ١٩٥٦ .

٧٥ - أحمد الرفاعى : مذكرات (فى كتاب رفعت السعيد : تاريخ الحركة الشيوعية المصرية، ص٤١٩) وشهادة فى مجلة قضايا فكرية - يولية ١٩٩٤ ، ص ٣٧٩ .
٧٦- مصطفى الشكعة : معركة بورسعيد ص١٣١ .
٧٧- الاذاعة ، العدد ١١٣١ ، ١٧ نوفمبر ١٩٥٦ .
٧٨- الجمهورية ، ٨ نوفمبر ١٩٥٦ .
٧٩- الاهرام ١٢ نوفمبر ١٩٥٦ ، ٢٠ نوفمبر ١٩٥٦ .
٨٠- الاهرام ١٢ نوفمبر ١٩٥٦ ، ٢٠ نوفمبر ١٩٥٦ .
٨١- الأهرام ٣ ديسمبر ١٩٥٦ ، وأيضا ، يوميات محافظ بورسعيد ، ص٢٣ - ٢٤ .
٨٢- عبد اللطيف البغدادى : مذكرات ص ٣٥٥ - ٣٥٦ .
٨٣- ثريا أدهم (وداعا انجى) مقال فى كتاب تأبين انجى افلاطون ، ص٩ .
٨٤- الأهرام ٣ نوفمبر ١٩٥٦ .
٨٥- ذكريات ، مجلة نصف الدنيا ، العدد ٣٤٧ ، ٦ اكتوبر ١٩٩٦ ، ص٧٥ .
٨٦- عبد الرحمن الرافعى : ثورة ٢٣ يولية ١٩٥٢ ، ص ٣٠١ .
٨٧- أحمد الرفاعى (شهادة) مجلة قضايا فكرية ، يولية ١٩٩٢، ص ٣٨٠ ، وأيام الانتصار ص ٤٢ - ٤٣ .
٨٨- صباح الخير ، ١٥ نوفمبر ١٩٥٦ .
٨٩- المصور ، العدد ١٦٧١ ، ١٩ أكتوبر ١٩٥٦ .
٩٠- الجمهورية ٩٠ نوفمبر ١٩٥٦ .
٩١- الشعب ، ١٤ نوفمبر ١٩٥٦ .
٩٢- حمدى حافظ ، ثوار يوليو - الوجه الآخر ص ٣٠٢ .
٩٣- أخبار اليوم ، ٢٤ نوفمبر ١٩٥٦ ، والمساء ٨ ديسمبر ١٩٥٦ .
٩٤- وثائق ندوة السويس ، ص ٢٥٧ .
٩٥- الشعب ٢٠ ديسمبر ١٩٥٦ ، الأخبار ٩ نوفمبر ١٩٥٦ ، المصور ، العدد ١٦٧٧، ٣٠ نوفمبر ١٩٥٦ .
٩٦- أخبار ٦ نوفمبر ١٩٥٦ .
٩٧- روزاليوسف ، العدد ١٤٨٣ ، ١٢ نوفمبر ١٩٥٦ ، الجمهورية (١٣ نوفمبر ١٩٥٦) .
٩٨- الأخبار ، ٥ نوفمبر ١٩٥٦ .

٩٩- الشعب ، ١٩ نوفمبر ١٩٥٦ .
١٠٠- الشعب ، ١٩ نومفبر ١٩٥٦ .
١٠١- روزاليوسف ، العدد ١٩٨٦ ، ٣ ديسمبر ١٩٥٦ .
١٠٢- روزاليوسف العدد ١٤٨٣ ، ١٢ نوفمبر ١٩٥٦ ، والاخبار ، ١٩ نوفمبر ١٩٥٦.
١٠٣- ايدن : مذكرات ، ص ٢٢٧ .
١٠٤- الشعب فى ٣ سبتمبر ١٩٥٦ .
١٠٥- أحاريشيف : جمال عبد الناصر ، ص ١٢٩ - ١٣٠ .
١٠٦- روزاليوسف : العدد ١٤٨٤ ، ١٩ نوفمبر ١٩٥٦ .
١٠٧- العدد ١٤٨٣ ، ١٤ نوفمبر ١٩٥٦ .
١٠٨- العدد ١٤٨٥ ، ٢٦ نوفمبر ١٩٥٦ .
١٠٩- انظر عن دور هذه المجموعة اليونانية كتاب محمد عبد الرحمن : نضال شعب مصر ، ص٣٧٤ - ٣٧٥ .
١١٠- انظر : مجلة الطليعة ، ديسمبر ١٩٧٦ ، ص ٥٤ ، وكذلك احمد الرفاعى : أيام الانتصار " ص ٢٠ ، ص ٢٢ وتذكر روزاليوسف (العدد ١٤٩٠ ، ٣١ ديسمبر ١٩٥٦) أن الجالية اليونانية وعددها سبعة آلاف وقفت جميعا مع المقاومة واعادت إلى رؤوس جنود الامبراطورية هجوم " أبوكا " فى قبرص ورفض التجار اليونان التعامل مع الاعداء وصاح القنصل اليونانى للقنصل البريطانى فى بورسعيد ان التجار اليونانين ليسوا لصوصا ، وعندما بدأت حرب المنشورات ، ومع منشورات " الجبهة المتحدة للمقاومة الشعبية" كانت هناك منشورات أبوكا (المقاومة القبرصية ببورسعيد) .
١١١- روزاليوسف: العدد ١٤٨٢ ، ٥ نوفمبر ١٩٥٦ .
١١٢- الشعب ، ٣ نوفمبر ١٩٥٦ .
١١٣- أيدن مذكرات ، ص ٢٤٧ ، وانظر كذلك ماذكره الجنرال كيتلى فى تقريره أن القتال كان معقدا (عبد الرحمن الرافعى ، ثورة يوليو ١٩٥٢ ، ص ٣٠٢) وراندولف تشرشل (أسرار حرب السويس ، ص٥٦ وعن التقرير البريطانى الرسمى الذى امتدح شجاعة المقاومة المصرية راجع :
Hapwood : Egypt politics & Society. 1945 - 1981 , p . 54 .
١١٤- راندولف تشرسل : نفس المرجع ، ص٥٦/٥٧ .
١١٥- روزاليوسف : العدد ١٤٨٤ ، ١٩ نوفمبر ١٩٥٦ .

١١٦- الاذاعة ، العدد ١١٣٣ ، أول ديسمبر ١٩٥٦ .
١١٧- الاهرام ، ٣١ ديسمبر ١٩٥٦ ، الطليعة ، ديسمبر ١٩٦٧ ، ص٥٤ .
١١٨- يوميات محافظ بورسعيد ، ص٣٢ .
١١٩- عبد الفتاح ابو الفضل : تأملات فى ثورات مصر ، جـ١ ، ص٢٥٨ .
كتب نائبا لرئيس المخابرات ، ص١٩٢ ، ١٩٥ .
١٢٠- أحمد حمروش : قصة ثورة ٢٣ يوليو ، جـ ٤ ، ص ٣٩٥-٣٩٦ .
١٢١- المساء ٢٥ ديسمبر ١٩٥٦ .
١٢٢- المساء ٨ ديسمبر ١٩٥٦ .
١٢٣- روزاليوسف ، العدد ١٤٨٥ ، ٢٦ نوفمبر ١٩٥٦ ، مقال احسان عبد القدوس (اسلحة جديدة) .
١٢٤- Binder , Leonard : The Ideological Revolution , p. 265
١٢٥- الجزء الأول ، ص ٣٥ .
١٢٦- المصور ، العدد ١٦٧٧ - ٣٠ نوفمبر ١٩٥٦ ، الأخبار ١٢ نوفمبر ١٩٥٦.
١٢٧- المصور ، العدد ١٦٧٧ ، ٣٠ نوفمبر ١٩٥٦ ، الأخبار ١٢ نوفمبر ١٩٥٦.

◆ الفصل الثانى عشر ◆

ديناميكية
إدارة الحرب والنتائج

د . ممدوح أنيس فتحى

أولا : تطور التخطيط للعمليات لأطراف الصراع العسكرى

لقد مر التخطيط الانجلو فرنسي بمراحل كثيرة وضعت أكثر من خطة ويتم تعديلها الى أن أستقر الوضع على الخطة النهائية لشن العدوان – باشتراك اسرائيل– على مصر .

كانت العمليات (٧٠٠) (١) هى اول خطة وضعها العسكريون البريطانيون لعمل عسكرى يقتنص القناة من مصر، وتشمل غزوا بحريا للاسكندرية كمقدمة لاحتلال القاهرة ويتم تدمير القوات المصرية فى عملية تدار على الاتجاه الاستراتيجى الاسكندرية – القاهرة الامر الذى قد يترتب عليه سقوط الحكم القائم فى مصر " .

ولكن أنتونى أيدن رفض الموافقة عليها وطلب تعديلها عندما عرضت عليه يوم ٨ اغسطس ١٩٥٦ ، وعندما وافق الفرنسيون على الاشتراك فى الحرب مع بريطانيا ضد مصر ، تم تكليف رئاسة الاركان البريطانية باعداد الخطة الثانية المسماة " هاميلكار (٢) ، وهى تعديل للعملية "٧٠٠" اكثر تحديدا للمهام وحجم القوات اللازمة والقيادة ، ونجد أن بريطانيا قد خصصت حوالى ٤٥,٠٠٠ جندى ، ١٢,٠٠٠ عربة ، ٣٠٠ طائرة و ١٣٥ سفينة حربية منها ٥ حاملات طائرات و٥ طرادات ، بينما خصصت فرنسا حوالى ٤٣,٠٠٠ جندى ، ٩٠٠٠ عربة ، ٢٠٠ طائرة، وحوالى ٣٠ سفينة حربية منها ٢ حاملة طائرات و٣ طرادات (٣) .

وقد تم تخصيص قاعدتى قبرص ومالطة لهذه العملية وتم تعيين الجنرال شارلس كيتلى (قائد القوات البريطانية فى الشرق الاوسط) قائدا عاما للحملة وذلك فى ١١ أغطس ١٩٥٦ ، وتم تعيين نواب القادة جميعا من الفرنسيين وتقرر أن الوقت اللازم لتنفيذ هذه الخطة يتطلب فترة أستعداد لاتقل عن ٦ أسابيع .

وفى ١٥ أغسطس تم الاتفاق على الخطة "موسكتير– الأولى" والتى بنيت على نفس أسس الخطة هاميلكار بالهجوم على الاسكندرية أساسا لتجنب تدمير المنشآت والمخازن فى القاعدة البريطانية فى قناة السويس ثم تكون القاهرة هى الهدف النهائى

وتحدد يوم ١٥سبتمبر يوما للهجوم على الاسكندرية وكانت الخلافات بين الفرنسيين والبريطانيين قد بدأت بسبب أسلوب تنفيذ الخطة ، فالفرنسيون اعترضوا على النزول فى الاسكندرية للكثافة العالية وكثرة المبانى وتعرض القوات المهاجمة للنيران الساحلية من مسافات بعيدة ، وأيضا طلبوا تقليل مدة التمهيد النيرانى الجوى إلا أن البريطانيين لم يوافقوا ، على ذلك .

كما وجه الى الخطة انتقاد آخر هو طول المسافة بين قاعدة مالطه والشاطئ المصرى. ولذلك جرى تغيير الخطة الى الخطة " موسكتير المعدلة " .

وكان قد جرى إتصال فرنسى إسرائيلى فى الأول من سبتمبر وتم الأتفاق على عقد اجتماع بين الجانبين فى باريس يوم ٧ سبتمبر (٤) وفى أعقاب هذا الاجتماع عقد مؤتمر انجليزى فرنسى يومى ١٠ ، ١١ سبتمبر ١٩٥٦ فى لندن حيث وافق انتونى ايدن اخيرا على فكرة اشراك اسرائيل فى الحرب ضد مصر (٥) .

ويرجع السبب الرئيسى الذى يكمن وراء تراجع بريطانيا عن موقفها بعدم مشاركة اسرائيل إلى إمكان إستخدامها كذريعة لشن العدوان على مصر وليس كشريكه أو حليفه خاصة بعد وضوح الموقف الأمريكى من رفض إستخدام القوة وتفضيل حلها سلميا . حيث يمكن أن تقوم اسرائيل بجذب مصر الى شرك مصنوع بدقة فتزج بقواتها المسلحة وتكون اسرائيل على أتم استعداد لمقابلة القوات المصرية على الأرض وفى الوقت المناسب لاسرائيل فتهزم مصر وتطارد اسرائيل فلول جيشها نحو القناة فتحدث حالة صراع على مشارفها تعرضها للخطر فتسرع انجلترا وفرنسا بالتدخل تحت رداء " البوليس الدولى " وليس المعتدى الغاشم وتتم المؤامرة وتعود انجلترا لاحتلال منطقة القناة ويسقط نظام الحكم المصرى (٦) ولقد بنيت فكرة الخطة موسكتير المعدلة على تغيير اتجاه الهجوم فأصبح بورسعيد وإضافة دور القوات الاسرائيلية فى الخطة ، وأتفق الأطراف الثلاثة على أن أنسب يوم لتغزو انجلترا وفرنسا وبورسعيد بحرا هو يوم ٢٦ سبتمبر ، وأن تشن إسرائيل غاراتها ضد الاردن فى الفترة مابين ١٦ - ١٨ سبتمبر وتخلق حالة صراع مسلح قرب ضفة القناة الشرقية حوالى يوم ٢٥ - ٢٦ سبتمبر وتتم الحبكة ويحدث الغزو البحرى وتحسم الأمور (٧) .

واشتملت الخطة " موسكتير المعدلة " على تعليمات الغزو البحرى وتخصيص الأهداف فى منطقة رأس الشاطئ لقوات الأبرار البحرى والجوى ، كما اشتملت على أسلوب إدارة الغزو البحرى فى ظل إحتمالين :

الأول : هو إذا أبدى المصريون مقاومة ضعيفة يتم الهجوم بقوات محدوده وتمهيد جوى لمدة قصيرة ، والثانى : إذا أبدى المصريون مقاومة شديدة فيكون الغزو البحرى الكامل والتمهيد الجوى العنيف .

وبسقوط بورسعيد يتم الزحف نحو الاسماعيلية ثم يوجه الطرفان ضربة ذات شعبتين من أبو صوير والسويس تتلاقى فى القاهرة .

وقد تم اقرار الخطة المعدلة فى اجتماع ١٠ ، ١١ سبتمبر بين موليه وأيدن وتقرر أن يبدأ التنفيذ فى مكتب وزير الدفاع الفرنسى حيث سافر إلى تل أبيب فى ٢٠ سبتمبر وألتقى مع بن جوريون وموشى ديان ، ولكن بن جوريون صمم على الايبدأ الحرب إلا بعد أخذ ضمانات من بريطانيا نفسها حتى لايتم توريد اسرائيل فى الحرب وحدها (٨)

وتسفر مطالب وشروط بن جوريون وبمؤازرة من جى موليه وبورجس مونورى عن تعديل جديد "للخطة موسكتير المعدلة " وابتداء من يوم ١٨ سبتمبر ١٩٥٦ يصبح الاسم الرمزى للخطة الجديدة " خطة موسكتير المعدلة النهائية " وقد انحصرت التعديلات التى أدخلت على الخطة فى زيادة حجم المعاونة البحرية والجوية البريطانية لاسرائيل ، وزيادة بمطالبها من الاسلحة والمعدات الحربية ، وترك تحديد توقيت بدء العدوان لمشيئة اسرائيل .

وفى مساء يوم ٢٥ سبتمبر ١٩٥٦ قرر بن جوريون ارسال وفد إلى فرنسا ليستوضح من الحكومة الفرنسية مجالات العمل المشتركة ضد مصر ويتكون الوفد من وزيرة الخارجية جولدا مائير ووزير النقل موشى كارميل ومدير وزارة الدفاع شيمون بيريز ورئيس الاركان موشى ديان (٩).

وكانت توجيهات بن جوريون للوفد أن اسرائيل لن تشن حربا وحدها وإذا بدأ أصدقاؤها فسوف تنضم إليهم ، وأن تكون الولايات المتحدة على علم بالعملية المرتقبة ويجب أن لايكون لها اعتراض عليها (١٠) . وأن هدف اسرائيل هو تحقيق السيطرة على الشواطئ الغربية لخليج العقبة كضمان لحرية مرور السفن الاسرائيلية فى ذلك الممر المائى .

وسافر الوفد الاسرائيلى إلى فرنسا مساء ٢٨ سبتمبر واجتمع بالوفد الفرنسى فى صباح اليوم التالى ، وعاد الوفد الاسرائيلى من باريس مساء يوم الأول من أكتوبر باتفاق على شن الحرب ضد مصر إما بتنسيق ثنائى إسرائيلى / فرنسى أو ثلاثى

بأنضمام بريطانيا ، لذلك قام موشــى ديـان فـى الثـانى مـن اكتوبـر علـى الفـور بعقـد إجتماع لهيئة الاركان العامة ليصدر لهم أمرا انذاريـا مبكـرا باحتمـال قيـام اسـرائيل بحملة مشتركة مع فرنسا وربما بريطانيا ضد مصر (١١) .

ولكن فى صباح يوم ٣ من أكتوبر تسلم ديان مذكرة من رئيس الوزراء دافيد بـن جوريون يوضح فيها أنه بدون إشتراك بريطانيا فى العملية فـإن اسرائيل قد تواجـه أخطارا جسيمة ، وفى اليوم التالى قام موشـى ديـان بزيـارة لبن جوريـون ليقدم لـه تقريرا عن الموقف ، حيث وافـق بـن جوريـون علـى استمرار الاسـتعدادات لتكملـة خطة العمليات بالتنسيق مع الفرنسيين لحين إتضاح موقف بريطانيا ، وفى ظهر يـوم ٨ أكتوبر عقد موشى ديان إجتماعـا لقيـادات الجيش الاسـرائيلى عـرض فيـه خطـة العمليـات الاسـرائيلية ضـد مصـر فـى سيناء واختـار لهـا الاسـم الرمــزى "العمليـة قادش"(١٢) .

وفى ٢٠ أكتوبر عقد فى باريس اجتماع بين مندوبى بريطانيا وفرنسا حيـث سـلم البريطانيون إعلانا من فقرتين مكتوبا بخط اليد وموقع من انتونى إيدن على أن يقوم الفرنسيون بتسليمه إلى اسرائيل حيث كـان هـذا الأعـلان يحتـوى فـى فقرتـه الأولـى على ايجاد المبرر القانوني والسياسي والادبى لقيام انجلترا وفرنسا بغزو مصر ، أما الفقرة الثانية فهى تأكيد باشتراك انجلترا وفرنسـا فـى الحـرب ، ولكـن بـن جوريـون إعترض على أن تكون اسرائيل هى البادئة بالحملة وتقوم بدور المعتدى فـى الوقـت الذى يبدو فيه البريطـانيون والفرنسيون فى صورة النجده.

لذلك دعت فرنسا لاجتماع تنسيق ثلاثى ، بدأ فـى سيفر عصـر يـوم ٢٢ أكتوبـر بين الفرنسيين والاسرائيليين حضره كل من جى موليه رئيس وزراء فرنسا ودافيـد بن جوريون رئيس وزراء اسرائيل وأعضاء الوفدين من وزارتى الخارجية والدفاع، ثم تكرر الاجتماع فى اليوم التالى وتم الاتفاق على أن تؤمن القوات الجوية الفرنسـية المدن الاسرائيلية وتتولـى القـوات البحريـة الفرنسـية حمايـة السـواحل الاسـرائيلية ، وتعلـن اسـرائيل التعبئـة العامـة فـى ٢٦ اكتوبـر علـى أن تصـل اسـراب الطــائرات الفرنسية المقاتلة المستير ٤ أ يومى ٢٧ ،٢٨ اكتوبر وتصـل البـوارج الفرنسـية إلـى مواقـع قريبـه مـن السـاحل الاسـرائيلى فـى ٢٩ اكتوبـر وهـو اليـوم الـذى حـدده بـن جوريون لبدء الهجوم الاسرائيلى على مصر (١٣) وانتهى الأتفـاق الـى وعـد موليـه باستخدام حق الفيتو ضد أية محاولة من الأمم المتحدة لادانة العدوان الاسرائيلى .

ونظرا لوصول وزير الخارجية البريطانى سلوين لويد إلى باريس وتقديمه مقترحات بريطانية جديدة تقرر أن يتوجه سيازبينو إلى لندن لمقابلة أيدن وعرض الاتفاق الفرنسى الاسرائيلى وعاد بينو من لندن بعد ظهر ٢٤ اكتوبر ودعى على الفور الوفد الاسرائيلى الى غرفة الاجتماعات حيث أعلن أن وفدا بريطانيا سوف يلحق بالاجتماع بعد ساعة واحدة للوصول إلى اتفاق نهائى ، وقد وصل فعلا الوفد البريطانى مكونا من مستر لوجان سكرتير وزير الخارجية البريطانية وباتريك دين الوكيل الدائم لوزارة الخارجية كرئيس للوفد ، حيث تتم صياغة وثيقة إتفاقية لتنفيذ العدوان سميت "إتفاقية سيفر" (١٤) والتى على أساسها نفذت الخطة الفعلية للعدوان.

وبعد ذلك أرسلت صورة من نص الاتفاق إلى أيدن لاعطاء موافقته النهائية ، فوافق عليها، حيث تم اعداد وثيقة رسمية وقع عليها كل من باتريك دين عن بريطانيا وبن جوريون عن اسرائيل عن فرنسا . وبذلك عاد بن جوريون لاسرائيل فى ٢٥ أكتوبر وهو يحمل معه نسخة من المعاهدة واجتمع بمجلس الوزراء وأحاطه علما بالموقف وأصدر أمر التعبئة العامة لتتحول اسرائيل لمرحلة العدوان .

وكانت فكرة خطة موسكتير المعدلة النهائية والتى تم الاتفاق على تنفيذها تشتمل فى الحقيقة على عمليتين هجوميتين تشكل الأولى منهما " الخطة قادش المعدلة" المجهود الثانوى للحرب وتقوم به اسرائيل ويتبعها العملية الثانية وهى عملية الهجوم الرئيسى " الخطة موسسكتير المعدلة" وتقوم به فرنسا وانجلترا يفصل بين العمليتين فترة زمنية يتم خلالها توجيه الانذار وتنفيذ التمهيد الجوى .

العملية الهجومية الثانوية (الهجوم الاسرائيلى- خطة قادش المعدلة)(١٥) :

حيث تقوم القوات الاسرائيلية يساندها مجهود جوى وبحرى مشترك إنجليزى فرنسى بالقيام بالهجوم على عدة محاور فى شبه جزيرة سيناء مع سرعة خلق حالة صراع مسلح على مشارف قناة السويس تكون ذريعة لشن الهجوم الرئيسى ، على أن يتم استدراج أغلب القوات المسلحة المصرية نحو شرك مدبر يجهزلها فى سيناء تمهيدا لعزلها وحصارها والقضاء عليها ، وتسعى القوات الاسرائيلية لجذب أنظار القيادة العامة المصرية بعيدا عن اتجاه الضربة الرئيسية مع تهيئة افضل الظروف لنجاح هذه الضربة .

العملية الهجومية الرئيسية (الهجوم الانجلو فرنسى- خطة موسكتير المعدلة النهائية) :

حيث تقوم القوات الانجلو فرنسية بالهجوم المدبر على قناة السويس بمواجهة من ١٥ - ٧٠ كم وعمق حتى ١٧٠ - ٢٥٠ كم والاستيلاء عليها واستعادة السيطرة ، وبالتعاون مع القوات الاسرائيلية يتم عزل القوات المصرية بسيناء وحصارها استعدادا لتدميرها ، من خلال تمهيد جوى مركز إبتدائى لمدة ستة أيام يعقبه تمهيد نيرانى مباشر بالطيران ومدفعية الأسطول لمدة ٣ أيام قبل الغزو ، تقوم قوات الغزو البحرى المشترك أول ضوء يوم ٩ بأقتحام منطقة بورسعيد والاستيلاء على رأس الشاطئ بها بمواجهة ١٠ كيلو مترات وعمق ٤٠ مترا كمهمة مباشرة لها على أن تتم بنهاية يوم ١١ عمليات ، ثم تطور الهجوم وتستولى على منطقة الاسماعيلية يوم ١٢ كمهمة أساسية لها طبقا للخطة (أ) أو تكون مستعدة لاستغلال النجاح لحسم الحرب بالاندفاع صوب السويس والقاهرة للاستيلاء عليها وتحقيق المهمة الأساسية طبقا للخطة (ب) (١٦) .

وصدرت تعليمات تنفيذ الخطط الهجومية الرئيسية والثانوية ، ليكون تنفيذ خطة قادش المعدلة يوم ٢٩ أكتوبر وموسكتير المعدلة النهائية هو يوم ٧ أو ٨ نوفمبر .

الخطة أو مليت ١ :

وبينما القوات البحرية الأنجلو فرنسية تمخر عباب البحر المتوسط توطئة للغزو فوجئ رؤساء أركان الحرب الأنجلو فرنسيين بطلب وضع خطة عاجلة لتنفيذ احتلال بورسعيد خلال يومى ٣ و ٤ نوفمبر أى فى توقيت مبكر عما هو متفق عليه فى خطة موسكتير المعدلة النهائية، وكان هذا يرجع إلى أن الساسة الأنجليز والفرنسيين أرادوا أن يضعوا العالم باسره أمام الأمر الواقع حتى لايحول أى شئ دون تنفيذ الخطة .

ولذلك نصت الخطة أومليت على الاقتصار على الأبرار الجوى فقط دون أى ابرار بحرى وأن تنزل قوات المظلات الانجليزية غربى مدينة بورسعيد (مطار الجميل) بينما ينزل الفرنسيون جنوبها (منطقة الرسوة) وبعد ذلك يتم إحتلال المدينة، وتمت الموافقة عليها وأصبحت جاهزة يوم ٣١ أكتوبر (أى بعد بدء العدوان الاسرائيلى بيومين) .

الخطة أومليت ٢ أو ساملكس :

تم إدخال بعض التعديلات على الخطة أومليت (١) تنص على تكليف القوات الفرنسية بالقيام بعملية ابرار جوى إضافية ضد بورفؤاد لاحتلالها هى أيضا ، وأطلق على الخطة المعدلة هذه أسم الخطة أومليت ٢ ثم اشتهرت بأسم رمزى هو "ساملكس"

الخطة "تلسكوب" ١٧ (الخطة الانجلو فرنسية التى نفذت فعلا) :

فى صباح ٢ نوفمبر ١٩٥٦ أرسلت حكومتا إنجلترا وفرنسا إلى القيادة المشتركة أمرا تلحان فيه باحتلال بورسعيد فورا ، لفرض الأمر الواقع إزاء الموقف العالمى الذى بدأ ينذر بالخطر الشديد من تدخل للمجتمع الدولى فضلا عن ضرورة استغلال نتائج الأحداث الناجمة عن العدوان الاسرائيلى وضرب الطيران المصرى ، فلابد من وجود سيطرة للقوات على "الفراغ" الذى قد يترتب على سقوط الحكومة المصرية (١٨).

وفى هذا الوقت لم يكن جاهزا أمام القيادة العسكرية لقوات الغزو فى قبرص سوى الخطة (ساملكس) وذلك لعدم وصول القوات المخصصة للغزو البحرى ولم يكن من المتوقع استعدادها للعمل قبل يوم ٦ نوفمبر .

ولكن عندما شرعوا فى تنفيذ الخطة (ساملكس) واجهتهم بعض الصعوبات وعلى رأسها مفاجأتهم بسحب القوات المصرية من شرقى القناة إلى غربها " بعد أن تكشفت المؤامرة الثلاثية أمام القيادة العليا المصرية .

ولذلك تم اعداد الخطة (تلكسوب) وهى مزيج من الخطة (ساملكس) والخطة (موسكتير النهائية) بحيث تنفذان على التعاقب يومى ٦،٥ نوفمبر من خلال تنفيذ قصف بطاريات المدفعية الساحلية المصرية بالطيران يوم ٤ نوفمبر، وفى اليوم التالى ٥ نوفمبر تنفذ الخطة (ساملكس) حيث يهبط جنود المظلات البريطانيين فى مطار الجميل والفرنسيون فى جنوب بورسعيد وبورفؤاد ، ثم يبدأ الغزو البحرى للعملية (موسكتير النهائية) يوم ٦ نوفمبر .

وبذلك يظهر للعالم أجمع أن الأنجليز والفرنسيين نزلوا فى بورسعيد فعلا يوم ٥ نوفمبر فيتم الادعاء بأنهم قد أستولوا على بورسعيد فعلا ، وتلك الخطة – تلسكوب– هى التى نفذت فعلا بالتواطؤ مع اسرائيل عندما نشبت حرب العدوان الثلاثى على مصر .

ومن ثم يمكن اعتبار الخطة (تلسكوب) والتى وضعت يوم ٣ نوفمبر ١٩٥٦ أى أثناء العدوان الاسرائيلى على مصر فى الحقيقة " عملا ديناميكيا " أقتضته ظروف القتال الاسرائيلى وأملاه الموقف السياسى العالمى وأهداف ومصالح فرنسا وانجلترا.

والجداول أرقام ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ توضح حجم التجمع الرئيسى لقوات العدوان الثلاثى ومقارنة القوات . أما التخطيط الاستراتيجى المصرى لمواجهة العدوان ، فقد بدأ فى أوائل سبتمبر ١٩٥٦ حيث قامت القيادة العامة المصرية بأعادة تقديرها وتقويمها للموقف الاستراتيجى بعد أن ظهر جليا احتمال قيام الدول الغربية بأعمال عدائية ضد مصر ، وتأكدها من بدء تجمع قوات بريطانيه وفرنسية فى قبرص ومالطه وليبيا بأعداد كبيرة ، فضلا عن وجود قوات بريطانية فى العقبة ، والأسطول السادس الامريكى فى شرق البحر المتوسط .

وقد رأت القيادة العامة المصرية أن الاحتمالات الرئيسية للهجوم الاستراتيجى للعدوان تتركز فى الآتى :

* تركيز العدو كافة قواته فى الهجوم على قناة السويس .

* أو تركيز العدو كافة قواته فى الهجوم على الاتجاه الاستراتيجى الشمالى الغربى (ليبيا - الاسكندرية - القاهرة) .

* أو الهجوم على كلا الاتجاهين فى آن واحد أو بفاصل زمنى قصير .

وفى جميع الاحتمالات تم استبعاد اسرائيل من إحتمال المشاركة فى هذا العدوان.

وقد حددت القيادة المصرية القوات المتيسرة لدى العدو فى أوائل سبتمبر ١٩٥٦ بفرقة مشاه موجودة فى قبرص ، وفرقة مدرعة بليبيا ، وفرقة مظلات فرنسية بالجزائر ولواء مظلات فى قبرص بالأضافة إلى لواء فدائيين بحريين فى مالطة ، وأكدت دراسة عرضت على القيادة العامة المصرية أن العدو لن يمكنه حشد قوات إضافية من قواعده بأوربا قبل مضى شهرين تقريبا ، ليصل حجم هذا الحشد جيشا ميدانيا قوامه من ٣ - ٤ فرقة مشاه ، ومن ١ - ٢ فرقة مدرعة ، بالأضافة إلى بعض الألوية المستقله ، وعندئذ يكون قادرا على شن هجومه ضد الاسكندرية ، أما اذا شن هجومه قبل ذلك ، فإن قواته المحدودة المتيسرة لديه سوف ترغمه على تحديد الفتح الاستراتيجى وتركيز مجهوده الرئيسى فى اتجاه واحد هو القناة ، ومن ثم بنيت فكرة الخطة الدفاعية الاستراتيجية المصرية على أساس أن التهديد الرئيسى

لمصر هو التهديد الأنجلو فرنسى لمنطقة قناة السويس وشمال الدلتا ولهذا تقرر الآتى (٢٠) . . .

* تخفيف القوات بشبه جزيرة سيناء إلى الحد الذى يمنع إغراء اسرائيل عن القيام بمغامرة سريعة لحسابها الخاص .

* تركيز الجهود الرئيسية للدفاع بالتمسك بمنطقة القناة – الدلتا وتعزز بالمقاومة الشعبية فى الدلتا والمدن .

* توزع القوات الجوية في أكبر عدد ممكن من قواعدها وتعمل فى تركيز كبير ضد الأهداف الحيوية المعادية .

* تعتبر منطقة المثلث بورسعيد – السويس – القاهرة هى منطقة المجهود الرئيسى للقوات المسلحة .

* ينظم الدفاع غرب النيل فى منطقتين – الأولى منها غرب القاهرة والثانية حول الاسكندرية – تعمل بينهما وحدات خفيفة الحركة من خطوط داخلية .

* يحتشد الاحتياطى الاستراتيجى فى منطقة القاهرة ويكون مستعدا للعمل من خطوط داخلية إما صوب القناة أو الاسكندرية وتسانده اكبر معاونة جوية ممكنه .

* يوفر الاكتفاء الذاتى للمناطق الدفاعية لأطول مدة ممكنة لتكون قادرة على العمل الايجابى بصفة مستمرة .

* الدفاع عن القواعد الجوية والمطارات والقواعد البحرية والموانئ وحرمان العدو من الاستفادة منها.

وبناء على ذلك تم اعداد خطة دفاعية منفصلة للاتجاه الاستراتيجى الشمالى الشرقى (سيناء) وخطط الدفاع عن قطاع بورسعيد وشرق الدلتا وقطاع غزه وخليج العقبة وايضا الموانئ والمطارات والقواعد الجوية والبحرية (٢١) .

ثانيا – ديناميكية إدارة الحرب :

خلال الفترة من ٢٥ وحتى ٢٧ اكتوبر تم رفع درجات استعداد القوات المخصصة للعدوان وبدء ابحار الأسطول البريطانى والفرنسى اعتبارا من ٢٨ اكتوبر تحت زعم اجراء تدريبات فى البحر المتوسط وبحلول يوم ٢٩ اكتوبر انتقل مركز قيادة القوات الانجلو فرنسية من الجزائر إلى قبرص (٢٢) .

ولقد بدأ الهجوم الاسرائيلى مساء يوم الاثنين ٢٩ أكتوبر ١٩٥٦ بمفاجأة كاملة للرئيس جمال عبد الناصر الذى لم يعتقد فى إمكانية حدوثه وظل حتى بعد ظهر يوم ٣١ أكتوبر مستبعدا للتواطؤ وظن أن اسرائيل تستغل الموقف لكسب مصالح لها(٢٣) .

وقد اجتمع مجلس الوزراء المصرى مساء الثلاثاء ٣٠ اكتوبر لدراسة موضوع العدوان واثناء الاجتماع جاء الانذار البريطانى الفرنسى لمصر ورفضه مجلس الوزراء على الفور ، وكان جمال عبد الناصر يعتقد فى أن الهدف من الانذار هو الاحتفاظ بالجزء الاكبر من القوات المصرية فى سيناء ، ورغم كل الشواهد التى أكدت على أن هناك هجوما فرنسيا بريطانيا وشيكا ظل عبد الناصر على اعتقاده(٢٤) .

وفى ظهر يوم الاربعاء ٣١ اكتوبر عدل عبد الناصر عن اعتقاده وشعر بوجود تواطؤ قد يورط الجيش المصرى ويحصاره ، فاصدر قراره بسرعه إنسحاب الجيش من سيناء رغم معارضة عبد الحكيم عامر للقرار (٢٥) .

كان الهجوم الاسرائيلى قد بدأ فى الخامسة من بعد ظهر يوم ٢٩ اكتوبر حيث اخترقت مجموعة اللواء ٢٠٢ مظلات عدا كتيبة الحدود المصرية وهاجمت الكونتلا ، كما تم اسقاط كتيبة مظلات فى صدر الحيطان (منطقة المدخل الشرقى لممر متلا الجبلى) فى آخر ضوء(٢٦) وعلم جمال عبد الناصر بنبأ الهجوم من بيان رسمى أذيع من تل أبيب ، وخلال ليلة ٣٠/٢٩ أكتوبر أظهرت المعلومات الواردة من جبهة القتال ، أن الهجوم الاسرائيلى يتخذ شكلا واسع النطاق ضد القوات المصرية فى سيناء ، وفى اجتماع القيادة العامة للقوات المسلحة برياسة جمال عبد الناصر تقرر دفع الفرقة الرابعة المدرعة الى منطقة تجمع فى بير روض سالم ، واللواء الاول المشاه الى منطقة العريش بهدف شن ضربة مضادة فى إتجاه أبو عجيله وتدمير الهجوم الاسرائيلى .

ولم تدرك القيادة المصرية فى حينه مغزى ولاية ودلالة إسقاط كتيبة مظلات اسرائيلية فى صدر الحيطان وعلى مسافة ٦٠ كم من القناة وفى منطقة خالية من القوات المصرية وعلى أتجاه هجوم ثانوى أى إنها لن تؤثر أو تساعد عمل القوات المهاجمة والذى هو من صميم عملها .

لقد توقعت القيادة الاسرائيلية ألا يتم التدخل العسكرى المصرى ضد هذه الكتيبة قبل منتصف نهار يوم ٣٠ أكتوبر، وهذا يعطى للكتيبة الوقت فى تجهيز دفاعاتها وتأمين نفسها لحين وصول القوات الاسرائيلية .

ولكن من المؤكد أن الهدف من إسقاط هذه الكتيبة والظروف التى أحاطت بها ، كان مجرد عمل سياسى وليس عملا عسكريا يستند إلى أسس قتال سليمة ويؤكد على أن الهدف هو خلق ذريعة تهديد القناة .

وإذا أضفنا إلى ذلك قيام القوات الجوية البريطانية بأعمال استطلاع فوق منطقة بحيرة البردويل فضلا عن قيام السفير الامريكى بأصدار تعليماته بترحيل الرعايا الامريكيين من مصر حفاظا على سلامتهم ، يصبح قرار القيادة العامة والرئيس جمال عبد الناصر بدفع الاحتياطى الاستراتيجى العام والمتمثل فى الفرقة الرابعة المدرعة إلى سيناء أمرا لايتناسب مع طبيعة وأبعاد موقف التواطؤ والذى كانت جميع الشواهد تؤكده .

لقد بدأت الفرقة الرابعة المدرعة عبور القناة بعد منتصف ليلة ٣٠/٢٩ أكتوبر أى فى الساعات الأولى من صباح ٣٠ اكتوبر متجهة إلى منطقة بير روض سالم ، وفى أول ضوء كان الطيران المصرى يقذف اللواء ٢٠٢ المظلى الذى كان قد نجح فى الاستيلاء على الكونتلا والتمد وفى طريقة إلى نخل ، فأحدث به خسائر كبيرة ، كما تم اجراء قصف جوى لكتيبة المظلات الاسرائيلية فى مدخل ممر متلا الشرقى وفى نفس الوقت كانت قوات اللواء الثانى المشاه قد عبرت القناه وفى طريقها إلى ممر متلا للقضاء على قوة المظلات الاسرائيلية بها .

وبعد ظهر يوم ٣٠ أكتوبر دار القتال العنيف بين قوة المشاه المصرية وقوة المظلات الإسرائيلية التى خسرت ٤٠٪ من افرادها بين قتيل وجريح ، ولكن ليلة ٣١/٣٠ أكتوبر تمكن باقى اللواء ٢٠٢ مظلات من الاتصال بالكتيبة ثم شرع فى الاستيلاء على ممر متلا وأرسل قوة لتأمين المدخل الغربى له تحت حماية الطائرات الفرنسية والاسرائيلية .

وفى مساء ٣٠ أكتوبر جاء الانذار البريطانى الفرنسى يطلب ايقاف القتال فى البر والبحر والجو وسحب جميع القوات المصرية والاسرائيلية الى مسافة عشرة أميال من القناة ، وأن تقبل مصر بصفة مؤقته احتلال القوات البريطانية والفرنسية لمنطقة القناة لتأمينها ، حتى يتم التوصل التى تسوية سلمية وحدد الانذار مدة أثنتى

عشرة ساعة لقبوله أو رفضه ، وفى حالة رفضه فإن الحكومتين البريطانية والفرنسية تتدخلان بالقدر الذى تريانه ضروريا لضمان إجابة مطالبها ، وبالطبع رفضت مصر الأنذار.

وكان القتال فى سيناء مازال مستمرا حيث دفعت القوات الاسرائيلية بأنساقها الأولى من الألوية المشاه وتبعها الألوية المدرعة وبعد معارك مضنية فشل فيها هجوم اللواء السابع المدرع على دفاعات أم قطف الجنوبية ، وأيضا معركتا اللواء العاشر واللواء السابع المدرع الاسرائيلى على نفس الدفاعات (٢٧) .

وكذلك الحال فى منطقة دفاعات سد الروافعه وأم قطف الرئيسية .

ولكن فى نحو السابعة من مساء يوم ٣١ اكتوبر بدأت قاذفات القنابل البريطانية من طراز "كانبيرا" قذف المطارات المصرية حول القاهرة ، مما أدى إلى عقد إجتماع فورى بمبنى القيادة العامة للقوات المسلحة حضره الرئيس جمال عبد الناصر وإستقر الرأى فيه على ضرورة الانسحاب السريع من سيناء على ليلتين متتاليتين ، وقد صور هذا القرار بأصرار من عبد الناصر فى العاشرة مساء (٢٨) .

وخلال هذه الفترة كانت القيادة الاسرائيلية تصر على ضرورة الاستيلاء على موقع أبو عجيلة، فتم الهجوم بعدة ألوية مدرعة ولواء مشاه من عدة اتجاهات متلاقية، إلا إنها فشلت جميعا وقتل قائد اللواء ٣٧ المدرع ، ثم أنسحبت تلك القوات بعد فشل الهجوم الثالث على أبو عجيله .

ونتيجة لقرار الانسحاب بدأ توالى استيلاء القوات الاسرائيلية على العريش ورفح، والمداخل الغربية للممرات الجبلية والرملية ، ولكن نظرا لأن السيطرة على مضايق تيران هى الدافع الرئيسى لاسرائيل للاشتراك مع بريطانيا وفرنسا فى العدوان علىمصر لذلك اسرعت يوم ٣١ أكتوبر بدفع مجموعة اللواء التاسع المشاه الاسرائيلى للاستيلاء على رأس النقب وطابا وواسط وذهب ورأس نصرانى ثم تستولى على شرم الشيخ وتؤمنها وتعاون مجموعة اللواء التاسع مجموعة لنشات طوربيد ومجهود بحرى بريطانى ، كل هذه القوات لمهاجمة الكتيبة ٢١ المشاه المصرية ، فضلا عن دفع قوات اسرائيلية من إتجاه محور خليج السويس فى أتجاه الطور. وإستطاع اللواء التاسع الاتصال بدفاعات رأس نصرانى وشرم الشيخ ظهر يوم ٤ نوفمبر وكانت القوات الاسرائيلية قد أتمت حصارها لشرم الشيخ عن طريق إحتلال الطور يوم ٢ نوفمبر.

ورغم فشل الهجوم الاسرائيلى على شرم الشيخ أكثر من مرة ، استؤنف الهجوم الأخير فى أول ضوء يوم ٥ نوفمبر بعد قصف مركز من المدفعية والهاونات وغارات جوية متواصلة وبعد قتال عنيف إستمر حتى الساعة التاسعة والنصف صباحا ، سقط آخر موقع مصرى فى شرم الشيخ .

أما الغزو البحرى الأنجلو فرنسى فقد بدأت العمليات بضربة جوية بريطانية على المطارات والقواعد الجوية المصرية خلال يومى ٣١ أكتوبر ، ١ نوفمبر وتم تدمير عدد كبير من الطائرات المصرية على الأرض ، فتحققت السيطرة الجوية الكاملة لقوات الغزو .

وفى ٥ نوفمبر تم اسقاط ٦٠٠ جندى بريطانى ، ٤٧٨ جنديا فرنسيا من قوات المظلات فى بورسعيد وبعد مقاومة شديدة نجحوا فى الاستيلاء على رأس شاطئ وتأمينه ، وفى صباح ٦ نوفمبر بدأ الانزال البحرى البريطانى الفرنسى ونجح فى الاستيلاء على بورسعيد وبورفؤاد وتم تحرك كتيبة مدرعة بريطانية فى اتجاه قرية الكاب .

وفى الساعات الأولى من صباح السادس من نوفمبر وجه الاتحاد السوفيتى إنذارا إلى بريطانيا وفرنسا وإسرائيل موقعا بأسم المارشال بولجانين رئيس وزراء الاتحاد السوفيتى لايقاف القتال والانسحاب من الاراضى المصرية التى أحتلت بالعدوان .

ولذلك سرعان ما أتخذ أيدن وموليه قرارهما بقبول وقف اطلاق النيران بناء على عدة اعتبارات أولا إستمرار المقاومة المصرية الباسلة فى وجه العدوان الغاشم ، والانذار الروسى ، وعدم تأييد الولايات المتحدة الأمريكية لاسرائيل أو موافقتها على العدوان أساسا .

وهكذا إضطرت قوات انجلترا وفرنسا بعد أقل من اسبوع من تنفيذ المؤامرة الى وقف القتال وقبول الانسحاب بعد أن فقدوا عددا كبيرا من القتلى ، وتدمير عشر طائرات فى ذلك اليوم ٦ نوفمبر(٢٩).

ثالثا - النتائج السياسية والاقتصادية والعسكرية المباشرة للحرب :

١ - النتائج السياسية المباشرة للحرب :

خرجت مصر من محنة العدوان أكثر قوة وتماسكا ، وأكدت على قوة التضامن العربى الذى ظهرت آثاره الواضحة فى تأييد الشعوب العربية لموقف مصر ، وقيام

سوريا بتدمير أنابيب البترول المارة فى أراضيها ، وامتناع الدول العربية عن تقديم أى دعم أو تعاون مع دول العدوان(٣٠) .

فضلا عن تألق نجم عبد الناصر وذيوع صيته على مستوى السياسة الدولية بوقوفه فى وجه الدول المعتدية (٣١) .

أما بريطانيا فقد خسرت قاعدة قناة السويس ومخازنها بها وفقدت أموالها وممتلكاتها فى مصر، بل وفقدت مكانتها فى المنطقة الأمر الذى أدى فى النهاية إلى اغتكاف أنتونى أيدن ثم استقالته .

أما فرنسا فلم تربح بمشاركتها فى العدوان وتعرضت لفقد أموالها وممتلكاتها فى مصر ونفوذها السياسى والثقافى فى المنطقة .

أما اسرائيل فقد حققت بعض أهدافها من الحرب ومن أهمها فتح خليج العقبة للملاحة الاسرائيلية واستطاعت أن تحصل على وعد من الولايات المتحدة بضمان استمرار ملاحتها فى الخليج وللملاحة المتجهة لاسرائيل فى قناة السويس .

ومن المؤكد أن العدوان الثلاثى قد أعطى للاتحاد السوفيتى الفرصة للتقارب مع أنظمة الحكم فى بعض البلاد العربية نتيجة لموقفه الواضح بجانب الحق العربى ، وكذلك بدأت الولايات المتحدة تندفع لملء الفراغ فى المنطقة بعد خروج بريطانيا حيث ظهر مشروع أيزنهاور فى يناير ١٩٥٧ وحاول تنفيذه على مدى الثلاثة أشهر الأولى من عام ١٩٥٧ ولكنه قوبل بالرفض من معظم الدول العربية .

ومن أهم نتائج هذه الحرب هى ظهور القومية العربية كقوة فعالة تلعب دورا أساسيا فى تجمع الشعوب العربية وكانت المقدمة للاتحاد ين مصر وسوريا .

كما قررت بريطانيا نقل قيادة قواتها فى الشرق الأوسط من قبرص الى كينيا وكان هذا يعنى نقل الاهتمامات الاستراتيجية لبريطانيا من منطقة الشرق الأوسط إلى القادة الأفريقية بمنطقة المحيط الهندى ، كما بدأت تعد نفسها لتصفية مشكلة قبرص بالأفراج عن مكاريوس والموافقة على منح الجزيرة الاستقلال الذاتى (٣٢)، كما قامت الأردن بأنهاء معاهدتها مع بريطانيا وجلاء الأخيرة عنها .

وكان قيام ثورة العراق نتيجة مباشرة أيضا لموقف ساسته بالنسبة لأزمة العدوان على مصر ، وكان طبيعيا - بعد حرب ١٩٥٦ - أن تزداد مكانة مصر ويرتفع

رصيدها فـى المستويين الأقليمـى والدولـى ويـزداد تاثيرهـا فـى مجـال السياسـة العالمية(٣٣) .

ولقد تنبهت إسرائيل مبكرا إلى حقيقة الدور الامريكى فى منطقة الشـرق الأوسـط فسارعت فى أعقـاب الحـرب بـالتحول بصـورة جذريـة نحـو التحـالف مـع الولايـات المتحدة ودعم ذلك بدء أنهيار .الحلـف المقـدس بيـن اسـرائيل وفرنسـا بتولـى ديجـول الحكم عام ١٩٥٨ .

٢ - النتائج الاقتصادية المباشرة للحرب :

نتيجة لغلق قناة السويس أبان فترة الحرب أتجهت السياسة البترولية الدولية العليـا إلى وضع خطة بناء ناقلات ضخمة من حمولة ١٠٠,٠٠٠ - ٢٠٠,٠٠٠ طـن بـل تزيد ، لتكون وسيلة بديلة فى المستقبل لنقل البترول الخام من منطقة الخليج العربـى عن طريق راس الرجاء الصـالح إلى أوروبا بدلا من مرور البترول بالناقلات العادية عبر قناة السويس ، وترتب على ذلك دراسة تطوير الموانئ الموجودة لتكون صـالحة لتموين وتفريـغ النـاقلات العملاقـة التـى يزيـد غاطسـها . تحـت المـاء علـى أعمـاق الموانئ الحالية .

كما أتجهت النية إلى أنشاء خطوط أنابيب بترول جديـدة تمتـد مـن حقـول الخليـج العربى إلى البحر الأبيض عن طريق كركوك فى العراق إلى الاسكندرية عن طريق تركيا وأن هذا الخط كان سيتكلف ٥٠٠ مليـون دولار وقتهـا وكـان يمـر فـى الـدول الاعضاء فى حلف بغـداد ولكـن لـم يتـم تنفيـذ هـذا المشـروع الـذى كـانت الشـركات الألمانية الغربية قد أتمت دراسته بالتعاون مع الشركات الأمريكية .

ولقد تولت فرنسا مشروع فى إسرائيل لانشاء خط أنـابيب مـن ايـلات علـى راس خليج العقبة الى بئر سبع ومنها إلى مصب وادى سكريير جنوب حيفـا ، بقصـد نقـل البترول الخام الوارد من حقول الخليج العربى الـذى تسـتغله الشـركات الغربيـة إلـى اسرائيل لحرمان قناة السويس مـن الانتفـاع برسـوم مـرور النـاقلات فيهـا مـن هـة ، ولتشجيع صناعة البترول فى اسرائيل من حيث نقله وتكريره وشحنه من جهة أخرى لرفع قدرتها الاقتصادية .

كما قامت فرنسا بأنشاء منطقة حرة فى ميناء جيبوتى بالصومال الفرنسى لحساب اسرائيل. لتكون قاعده رئيسية للتجارة الخارجية بين اسرائيل وبعض أسواق الشـرق الاقصى والحبشه والصومـال وجنـوب أفريقيـا وبذلـك يخـف الحصـار العربـى علـى

اسرائيل ، فضلا عن قيام فرنسا بانشاء مصانع لتجميع بعض المعدات ولصناعة الذخائر الصغيرة لحساب أإسرائيل ولتسويق الاسمنت الوارد من ميناء إيلات .

وبالنسبة لمصر فقد فرضت سيطرتها على القناة وعادت الملاحة من جديد فى المجرى المائى فى التاسع من ابريل ١٩٥٧ وسجلت مصر فى اليوم التالى مذكرتها عن القناة فى الأمم المتحدة حيث أعلنت تمسكها باتفاقية ١٨٨٨ وأعلنت أن الملاحة فى القناة قد صارت طبقا لهذه الأتفاقية وأن هيئة قناة السويس المصرية سوف تحتجز ماقيمته ٢٥٪ من ايرادات المرور فى القناة لتحسينها وقبلت غالبية الدول البحرية البيان المصرى .

وكانت من نتائج العدوان الاقتصادية فى الميدان العالمى تتلخص فى خسارة المعتدين اقتصاديا واتجاه بريطانيا لتخفيض مصروفاتها والتوسع فى تجارتها مع الصين الشعبية مما ضعف من حرج الولايات المتحدة وقلقها وإنشاء السوق الاوروبية المشتركة لدول غرب أوروبا ، وتتم تنشيط استغلال الطاقة الذرية فى غرب أوروبا لتوليد القوى المحركة بأسرع مايمكن كمصدر بديل للبترول .

٣ - النتائج العسكرية المباشرة للحرب :

* من الواضح أن خطة بريطانيا لتخفيض قواتها فيما وراء البحار ، ولو بحجة تخفيض الأعباء المالية على خزينتها أنما هو من النتائج المباشرة لفشل عدوانها على مصر ، لتسعى لتوفير التدابير المالية اللازمة لتعديل نظم التسليح وادخال قوة النيران الذرية فى حساب قدراتها العسكرية الشاملة .

* كما برزت أهمية إنشاء وتنظيم قيادات مشتركة لادارة العمليات المشتركة تكون متكافئة التوازن فى التنظيم إذ يرجع جانب كبير من فشل الحرب - طبقا لما كتبه الجنرال بوفر - سلط القيادة البريطانية الى حد أنزوت معه القيادة الفرنسية للتبعية الكاملة فضلا عن انعدام الصلة السياسية فى باريس عن قيادة الحملة فى الميدان مما أثر على التبادل المباشر للمعلومات وهو مايثير أمرا حيويا فى مثل هذه العمليات العسكرية .

* لم تظهر نتائج إيجابية للقصف الجوى البريطانى لمصر، وهذا يرجع لضعف كفاءة القوات الجوية البريطانية فى تلك الأونة فى التحديد الدقيق للأهداف ، فضلا عن عدم تحقيق الحشد الكافى لتنفيذ المهام المخصصة .

* برزت أهمية الحصول على معلومات موقوته ودقيقه عن العدو وتحضيراته وأعمال التعبئة والحشد والفتح الاستراتيجى حتى يمكن التخطيط بصورة ملائمة وتتمشى مع طبيعة أعمال العدو.

* لقد أكدت الحرب على أهمية تجهيز وتنظيم الدفاعات ، وتدريب القوات على القتال فى ظل تفوق للعدو المهاجم ، فلقد أثبتت ذلك معركة أبو عجيله ، ففى الوقت الذى وصلت فيه نسبة تفوق القوات الاسرائيلية إلى ٤,٥ : ١ فى المشاه ، و ١٨ :١ فى المدفعية بالأضافة إلى أعمال قتال ٢ لواء مدرع إسرائيلى ضد الدفاعات المصرية فى أبو عجيلة والتى لم يكن بها أى عنصر مدرع، لم تتمكن القوات الاسرائيلية من أقتحام أو دخول الموقع الا بعد انسحاب القوات المصرية منه .

* ببرزت أهمية تدريب القوات الاحتياط تدريبا منظما ومنتظما يصل بهم للمستوى الذى يسمح بالاستفادة منهم بفعالية وتأثير عند الحاجة إليهم .

* تأكد الدور الفعال للقوات الجوية عندما تعمل فى المعاونة الجوية القريبة ، أى فى مساندة أعمال قتال القوآت البرية ، سواء للقوات المصرية حيث أحدثت أكبر خسائر بالعدو خلال الثلاثة أيام الاولى للقتال وقبل أن تتعرض للضربة الجوية البريطانية ، أو للقوات الجوية للعدو عندما شنت هجومها ضد اللواء الثانى المشاه عند عبوره قناة السويس وأثناء تقدمه لممر متلا الأمر الذى أدى إلى تعطيل تنفيذه لمهمته وإحداث خسائر كبيرة به .

* ضرورة إعطاء القادة المرؤوسين على كافة المستويات حرية التصرف فى المواقف الطارئة فى إطار الالتزام بالهدف العام من العملية ، لما يحققه ذلك من مرونة ومبادأة وإرادة فى اتخاذ القرار المناسب وفى الوقت المناسب ، حيث كل لتدخل القائد العام للقوات المسلحة المصرية فى كل صغيرة وكبيرة وكافة تفاصيل أدارة العمليات إعاقة دور القوات وبطء رد فعلها والذى ربما يصبح عند تنفيذه عديم الفعالية .

* أكدت الحرب على أهمية أسلوب استخدام الدبابات فى تشكيلات مدرعة مستقله ذات مهام محددة مع توفير مدفعية ذاتية الحركة لمرافقة الدبابات ، ومن هنا نجد أن القوات الاسرائيلية أسرعت فى أعقاب الحرب بوضع برنامج جديد لتدعيم وبناء قوة مدرعة فعالة إسرائيلية .

* وخرجت اسرائيل بدرس رئيسى ، وهو ضرورة الاعتماد على قوتها الذاتية لتحقيق مصالحها الحيوية وأطماعها المرحلية ، فقررت تعزيز سلاح الطيران وجعله قوة مؤثرة فعالة ، والعمل على تطوير المدرعات باعتبارها حجر الأساس فى القوة الضاربة لأى جيش مصرى ، مع ضرورة تصنيع جميع أنواع الأسلحة خاصة المتقدمة تكنولوجيا داخل اسرائيل .

* أكدت الحرب على ضرورة إرتباط الهدف السياسى العسكرى للحرب بالقدرات والامكانيات الحقيقية للقوات المسلحة حتى نضمن النجاح فى تحقيق هذا الهدف .

* برزت أهمية الترابط بين القيادة السياسية والقيادة العسكرية خلال مراحل إدارة الازمة وأن ترتبط آليات تنفيذ السياسة الخارجية بما يمكن أن تحققه الآله العسكرية ، على الرغم من أن الادارة السياسية لهذه الحرب هى التى أدت إلى تحقيق النصر وإنسحاب قوى العدوان .

المصادر

١ - هنرى أوز - فخ السويس (ترجمة : محمود: حسن ابراهيم) - دار القاهرة للطباعة والنشر - ١٩٦٦ (ص ص ٢٢٨ - ٢٢٩) .

٢ - هى تطوير أو تعديل للخطة ٧٠٠ وتسمى أحيانا "موسكتير" الاولى بمعنى الفارس ، وهاميلكار قائد قرطاجي له غزوات شهيرة فى التاريخ ولعل البريطانيين قد رمزوا خطتهم بأسمه تيمنا بانتصاراته .

٣ - وزارة الدفاع المصرية - حرب العدوان الثلاثى على مصر (خريف ١٩٥٦) الجزء الأول - مطابع الاهرام التجارية (ص ٨١) .

٤ - موشى ديان - قصة حياتى (الجزء الاول) ترجمة الهيئة العامة للاستعلامات برقم ٧٣٠ - (ص ص ٢٠٨ - ٢١٢)

٥ - حيث كانت بريطانيا ترفض تماما فكرة اشتراك اسرائيل فى التخطيط للحرب ضد مصر أو مشاركتها فيها .

٦ - وثائق وزارة الحربية المصرية (غير منشورة) وثائق حرب ١٩٥٦ - دار المحفوظات المركزية للقوات المسلحة ملف رقم ٩٨ (ص ص ٥٣ - ٥٦).

٧ - المصدر السابق (ص ص ٥٧ - ٥٨) .

٨ - المصدر السباق (ص ٥٩ - تعديل الخطة المعدلة وموقف بن جوريون منها) .

٩ - موشى ديان - قصة حياتى (الجزء الاول) - مصدر سابق (ص ٢١٢)

١٠ - دافيد بن جوريون - تاريخ شخصى (الجزء الثانى) - ترجمة المخابرات العامة - ١٩٧٠ (ص ص ٨٩ -٩١) .

١١ - موشى ديان - قصة حياتى (الجزء الاول) مصدر سابق (ص ص٢٢٣- ٢٢٤) .

١٢ - المصدر السابق (ص ص ٢٣٠ - ٢٣٨) .

١٣ - عاطف السيد - القرارات المصيرية والاسرار الخفية فى الصراع العربى الاسرائيلى - القاهرة - ١٩٥٨ (ص ص ١٠٢ - ١٠٣) .

١٤ - محمد حسنين هيكل - ملفات السويس - مركز الاهرام للترجمة والنشر - القاهرة (ص٥٢٨) ، صلاح بسيونى - مصر وأزمة السويس - دار المعارف بمصر - ١٩٧٠ (ص ١٨٧) .

١٥ - تؤكد الوثائق بأن هذه الخطة كان قد تم اعدادها فى شهر أكتوبر ١٩٥٠ بناء على طلب بن جوريون من موشى ديان رئيس الاركان فى أعقاب تولى بنى جوريون أعباء وزارة الدفاع الاسرائيلية حيث تم اعداد خطة قادش الاولى ، وأكد بن جوريون فى خطابه امام الكنيست يوم ٢ نوفمبر ١٩٥٥ أن اسرائيل تستعد للعمل فى الزمان والمكان المناسبين لها لتنفيذ مصالحها.

١٦ - وزارة الدفاع المصرية - حرب العدوان الثلاثى على مصر (خريف ١٩٥٦) مصدر سابق (ص ١٦٥) .

١٧ - أطلق عليها هذا الاسم الرمزى لكونها تجمع بين خطتين متباينتين هما (أومليت) و(موسكتير المعدلة النهائية) فى عملية مزدوجة كما يجمع التلسكوب بين عدستين مختلفتين فى منظار واحد .

١٨ - مذكرات أنتونى أيدن - (الجزء الاول : ترجمة خيرى حماد) - دار مكتبة الحياة للطباعة والنشر - بيروت - ١٩٦٠ (ص ص ٣١١ - ٣١٣)

١٩ - وزارة الدفاع المصرية - حرب العدوان الثلاثى على مصر (خريف ١٩٥٦) - مصدر سابق (ص ١١٩) .

٢٠ - وثائق وزارة الحربية المصرية (غير منشورة) وثائق حرب ١٩٥٦ - دار المحفوظات المركزية للقوات المسلحة ملف رقم ٩٩ (ص ص ١٢١ - ١٢٢) .

٢١ - وزارة الدفاع المصرية - حرب العدوان الثلاثى على مصر (خريف ١٩٥٦) مصدر سابق - حول تفصيلات خطط الدفاع المختلفة أنظر :(ص ص ١٦٩ - ٢١٣) .

٢٢ - هنرى أوز - فخ السويس لترجمة : محمود حسن ابراهيم) - مصدر سابق (ص ص ٣١٥ - ٣١٧) .

٢٣ - محمد حسنين هيكل - قصة السويس - شركة المطبوعات والتوزيع والنشر - بيروت - مارس ١٩٨٣ (ص ٢٢٧)

٢٤ - عبد اللطيف البغدادى - مذكرات (الجزء الاول) - المكتب المصرى الحديث (ص٣٣٨).

٢٥ - محمد حسنين هيكل - قصة السويس - مصدر سابق (ص ص٢٣٠ - ٢٣٣)، صلاح بسيونى - مصر وازمة السويس - مصدر سابق (ص ٢٠٦) ، عبد اللطيف البغدادى - مذكرات (الجزء الاول) مصدر سابق (ص ٣٣٩) .

٢٦ - موشى ديان - قصة حياتى (الجزء الاول) - مصدر سابق (ص ٢٧٣ ومابعدها)، هنرى أوز - فخ السويس - مصدر سابق (ص ص ٣١٩ - ٣٢٠) .
٢٧ - موشى ديان - يوميات معركة سيناء - ترجمة المخابرات العامة - ١٩٦٩ (ص١٥٠) .
٢٨ - محمد حسنين هيكل - قصة السويس - مصدر سابق (ص ٢٣٢) .
٢٩ - توماس هيو - الاهرام فى ١١ سبتمبر ١٩٦٦ (ص ٩) .
٣٠ - زكى منصور - معارك حاسمة فى القرن العشرين - العدد ١٨٥ - الدار القومية للطباعة والنشر - القاهرة - ١٩٦٦ (ص ص ١٣٨ - ١٣٩) .
٣١ - انتونى ناتنج - ناصر (ترجمة : شاكر ابراهيم سعيد) دار ومكتبة الهلال - بيروت - ١ / ١٩٨٥ (ص ص ٢٣١ - ٢٣٢ .
٣٢ - كمال عبد الحميد - الشرق الاوسط فى الميزان الاستراتيجى - مكتبة الانجلو المصرية - (ص ٦١٢ ، ٦١٨ ، ٦١٩)
٣٣ - المصدر السابق (ص ٦١٩).
٣٤ - وزارة الدفاع المصرية - حرب العدوان الثلاثى على مصر (خريف ١٩٥٦) - مصدر سابق (ص ص ١٠٥ - ١٠٨) .
٣٥ - المصدر السابق (ص ص ١٠٩ - ١١٠) .
٣٦ - المصدر السابق (ص ١١٠ - ١١١) .
٣٧ - المصدر السابق (ص ١٣١) .

تطوير التخطيط للعمليات لأطراف الصراع العسكرى

التخطيط الاسرائيلى (٢٣ أكت ١٩٥٥ - ٢٥ أكت ٥٦)

خطة قادش الأولى

القضاء على القوات المصرية
تأمين خليج العقبة
القضاء على النظام المصرى

التخطيط البريطانى (٢٧ يوليو - ٨ أغسطس ١٩٥٦)

العملية ٧٠٠

ضد الاسكندرية
تدمير القوات المصرية
احتلال القاهرة

التخطيط الأنجلو فرنسى (٨ أغسطس - ١١ سبتمبر ١٩٥٦)

هاميلكاى (عن طريق ليبيا ثم الاسكندرية)

موسكتير (للتنفيذ ١٥ سبت)
موسكتير المعدلة (بورسعيد)

التخطيط الأنجلو فرنسى / اسرائيلى (١٢ أغسطس - ٢٣ أكتوبر)

إسرائيل

عملية هجومية ثانوية يوم ٢٩ اكتوبر
خطة قادش المعدلة
لخلق حالة صراع مسلح على مشارف القناة

بريطانيا وفرنسا

عملية هجومية رئيسية فى ٨/٩ نوفمبر
موسكتير المعدلة النهائية
الخطة أومليت (١) تنفذ ٣ أو ٤ نوفمبر
الخطة أومليت (٢) بابرار جوى فرنسى
الخطة تلسكوب لمواجهة سحب القوات المصرية من سيناء

جدول رقم (١)
الفتح الاستراتيجى للقوات البريطانية (٣٤)

القوات البرية

الفرقة ٣ المشاه	مالطة
رئاسة مجموعة اللواء ٥٠ المشاه المستقل	قبرص
رئاسة مجموعة اللواء ٥١ المشاه المستقل	قبرص
١٠ كتائب مشاه	قبرص
كتيبة مشاه	برقة
مجموعة اللواء ١٦ مظلات	قبرص
اللواء ٣ فدائيين بحريين	مالطة
الفرقة ١٠ المدرعة	ليبيا
الآلاى ٦ المدرع	مالطة
مجموعة الاى مدرع	العقبة – الاردن
الاى سيارات مدرعة	قبرص
١٨ الاى مدفعية (ميدان ومتوسط ومضاد للطائرات)	قبرص –مالطة – ليبيا

القوات الجوية (بقواعد قبرص ومالطة والأردن وليبيا)

النوع	السرب	نوع الطائرات	القاعدة الاصلية	تاريخ التحرك	قاعدة العمليات
القاذفات	٩	كانبيرا ٦	بيمبروك	اكتوبر ٥٦	لوقا وهالفار
	١٠	كانبيرا ٦	هونتينجدون	٥٦/١٠/٢٦	نيقوسيا
	١٢	كانبيرا ٦	بيمبروك	سبتمبر	هالفار
	١٥	كانبيرا ٢	هونتينجدون	اكتوبر ٥٦	نيقوسيا – لوقا
	١٨	كانبيرا ٢	اب وود	اكتوبر ٥٦	نيقوسيا
	٢٧	كانبيرا ٢	وادينجتون	اكتوبر ٥٦	نيقوسيا
	٣٥	كانبيرا ٢	اب وود	اكتوبر ٥٦	نيقوسيا
	٤٤	كانبيرا ٢	هونتينجدون	اكتوبر ٥٦	نيقوسيا
	٥٧	طيارون فقط	هونتينجدون	اكتوبر ٥٦	نيقوسيا
	٦١	كانبيرا ٦	اب وود	اكتوبر ٥٦	نيقوسيا
	١٠١	كانبيرا ٦	بيمبروك	اكتوبر ٥٦	لوقا
	١٠٩	كانبيرا ٦	بيمبروك	سبتمبر ٥٦	لوقا
	١١٥	كانبيرا ٢	ماوهام	اكتوبر ٥٦	نيقوسيا

	١٣٨	فاليانت	ويتاريج	اكتوبر ٥٦	لوقا
	١٣٩	كانبيرا ٦	بيمبروك	اكتوبر ٥٦	لوقا
	١٤٨	فاليانت	مارهام	اكتوبر ٥٦	لوقا
	٢٠٧	فاليانت	مارهام	اكتوبر ٥٦	لوقا
	٢١٤	فاليانت	مارهم	سبتمبر ٥٦	لوقا
المقاتلات	١	هنتر – ٥	تانجمير	اكتوبر ٥٦	نيقوسيا
	٦	فينوم ٤	اكروتيرى	اكتوبر ٥٦	اكروتيرى
	٣٢	فينوم ٤	اكروتيرى	اكتوبر ٥٦	اكروتيرى
	٢٤	هنتر – ٥	تانجمير	اكتوبر ٥٦	نيقوسيا
	٣٩	ميتيور ١٣	لوقا	اكتوبر ٥٦	اكروتيرى
	٧٣	فينوم ٤	اكروتيرى	اكتوبر ٥٦	اكروتيرى
	٢٤٩	فينوم ٤	اكروتيرى	اكتوبر ٥٦	اكروتيرى
استطلاع بالتصوير	١٣	كانبيرا –٧	اكروتيرى	اكتوبر ٥٦	اكروتيرى
	٣٧	شاكلتون	لوقا	اكتوبر ٥٦	لوقا
	رف ١٩٠٣	اوستر –٦	نيقوسيا	اكتوبر ٥٦	اكروتيرى
النقل	٣٠	فاليتا –١		اكتوبر ٥٦	تيمبو
	٧٠	هاستنجر–١	تيمبو	اكتوبر ٥٦	
	٨٤	فاليتا – ١	تيمبو	اكتوبر ٥٦	تيمبو
	٩٩	هاستنجز ٢/١	لينهام	اكتوبر ٥٦	تيمبو
	١١٤	فاليتا – ١	خور مكسر	اكتوبر ٥٦	تيمبو
	٢١٦	كوميت ٢	لينهام	اكتوبر ٥٦	تيمبو
	٥١١	هاستنجز ٢/١	لينهام	اكتوبر ٥٦	تيمبو
	وحدة الهليكو بتر	سيكامور	ميديل والاب	اكتوبر ٥٦	الحاملة اوشن

من حاملات الطائرات

النوع	السرب	نوع الطائرات	الحاملة الاصلية	الطائرات
ضرب اراضى	٨٠٠	سى هوك ٤	ايجل	البيون
	٨٠٢	سى هوك ٣	ارك رويال	البيون
	٨٠٤	سى هوك ٤	ارك رويال	بولوارك
	٨٠٩	سى فينوم ٢٢	البيون	البيون
	٨١٠	سى هوك ٦	البيون	البيون
	٨٣٠	وايفرن ٤	ايجل	ايجل

	٨٣١	وايفرن ٤	ايجل	ايجل
	٨٩١	سي فينوم ٢١	ايجل	ايجل
	٨٩٣	سي فينوم ٢١	ارك رويال	ايجل
	٨٩٤	سي فينوم ٢١	البيون	البيون
	٨٩٥	سي فينوم ٢١	البيون	البيون
	٨٩٧	سي هوك ٤	بولوارك	بولوارك
	٨٩٩	سي هوك ٤	ايجل	ايجل
استطلاع بالصور الخ	رف (أ) سرب٨٤٩ رف (ب) سرب ٨٤٩	سكاى ريدر سكاى ريدر	ايجل البيون	ايجل البيون
نقل وهليكوبتر	الوحدة ٨٤٥	هويراوند ٢٢ سـيكامور - هوبر لوند	تيسوس اوشان	تيسوس اوشان

فى الأردن :

١ سرب طائرات فينوم

عدد من طائرات ميتيور وفامبير

فى عدن

٢٥ طائرة فينوم

١٥ طائرة فامبير

٦ طائرة هنتر هوكر

٣ طائرة كانبيرا

فى الجزيرة البريطانية :

السرب ٢١٦ نقل جوى كوميت خصص لامداد قبرص

٣ - قوات بحرية :

فى البحر المتوسط :

٥ حاملة طائرت	ايجل - تيسوس - بولوارك - البيون - اوشن - برمنجهام - جاميكا - كمبرلاند - كينيا - رويااليست النيوزيلاندى
١٢ مدمرة	دوتيشيس - تشيفتين - تشابلين - بالفلير - اينكورت - بروزا - كورونا - علمين - ديـاموند - ديكوى - شفرن - كرين
٧ فرقاطة	منها سفينة مركز قيادة قائد العمليات المشتركة واخرى مركز قيادة عملية الغزو البحرى ومنها سبراى رايز - انديان اوليسيس
٧ غواصة	منها ترنشارد - تيودور - كوتوم - سنتناى - سان جوان - سنشال . منها فينتون - ايسنجتون - دارلستون - هيكلستون دوتون - رود نجتون - فلورستون - هيكستون

١ بث الغام – سيفتون مانكسفان
١١ ناقلة جند
١١ سفينة انزال جنود / دبابات
٢ سفينة ورشة
٣ نقالة بترول
١٤ زورق حربى
٨ زورق صغير
٣٠ سفينة وزورق مساعدة

البحر الاحمر :
١ – طراد نيوفوند لاند
٢ مدمرة فى عدن

جدول رقم (٢)
الفتح الاستراتيجى للقوات الفرنسية (٣٥)

١ – قوات برية
الفرقة ١٠ مظلات — قبرص
الكتيبة ١ مظلات من الفرقة الاجنبية — قبرص
ثلاث كتائب فدائيين بحريين
الآلاى السابع الخفيف — قبرص
علاوة على القوات الفرنسية التى تاهبت بالجزائر وجنوب فرنسا
٢ – قوات جوية
(١) فى قبرص واسرائيل :

النوع	السرب	نوع الطائرات	القاعدة الاصلية	تاريخ التحرك	قاعدة العمليات
المقاتلات	الجناح – ١	ف ٨٤ ف	سان ديزيه	٥٦/١٠/٢٣	اللد
	الجناح – ٢	مستير ١٤	ديحون	٥٦/١٠/٢٣	حيفا
	الجناح – ٣	ف ٨٤ ف	ريمس	اكتوبر ٥٦	اكروتيرى
استطلاع بالصور	الجناح – ٣٣	رف ٨٤ ف	كونياك	اكتوبر ٥٦	اكروتيرى
نقل	الجناح – ٦١	نور اطلس	الجزائر	اكتوبر ٥٦	تيمبو
	الجناح – ٦٣	نور اطلس	اورليانز	اكتوبر ٥٦	تيمبو
		وداكوتا			
	الجناح – ٦٤	نور اطلس		اكتوبر	حيفا

ملحوظة : طبقا للتنظيم الفرنسى يتكون الجناح من ثلاثة اسراب .

(ب) من حاملات الطائرات

النوع	السرب	نوع الطائرات	الحاملة الاصلية	الطائرات
القاذفات المقاتلة	١٤	كورسير	اروماتش	وفرت هذه الحاملات
	١٥ ف	كورسير	اروماتش	مطارات عائمة بحرية
	٩ ف	افينجر	لافاييت	للطائرات على بعد ٧٠ ميل فقط من الساحل المصرى

(ج) فى فرنسا :

خصص عدد من طائرات الكونستليشن والبريجيه للامداد الجوى بقبرص .

٣ – قوات بحرية :

١ بارجة " جان بارت"

٢ حاملة طائرات "فايت" – اروماتش "

٣ طراد " جورج ليجوس " – د ى جراس "

٤ مدمرة " رانس " سليف " – " أودية " – ليتا " .

٨ فرقاطة .

٢ غواصة .

زوارق بحرية (اسطول "اليجاتور")

٨ سفينة نقل جند – انزال – مطاردة للغواصات – مساعدة عدد كبير من قوارب الانزال.

جدول رقم (٣)

الفتح الاستراتيجى للقوات الاسرائيلية (٣٦)

١ – القوات البرية (المنطقة الجنوبية)

مجموعة اللواء	١	المشاه	العامل
مجموعة اللواء	٤	المشاه	الاحتياط
مجموعة اللواء	٨	المشاه	الاحتياط
مجموعة اللواء	٩	المشاه	الاحتياط
مجموعة اللواء	١٠	المشاه	الاحتياط
مجموعة اللواء	١١	المشاه	الاحتياط
مجموعة اللواء	١٢	المشاه	الاحتياط
مجموعة اللواء	١٦	المشاه	الاحتياط
مجموعة اللواء	١٧	المشاه	الاحتياط
مجموعة اللواء	٣٠٢	مظلات	العامل
مجموعة اللواء	٧	المدرع	العام
مجموعة اللواء	٢٧	المدرع	الاحتياط
مجموعة اللواء	٢٧	المدرع	الاحتياط

١٦ كتيبة مدفعية ميدان ومتوسطة ومضادة للدبابات ومضادة للطائرات من احتياطى الرئاسة العامة .

٤ كتائب نحال .

٢ - القوات الجوية :

٩ سرب مقاتلات

٧ سرب مقاتلات قاذفة

٤ سرب قاذفات

٣ سرب نقل جوى

٣ سرب استطلاع

٢ سرب إمداد جوى وإتصال

٣ - القوات البحرية :

٣ فرقاطة طراز ريفور _ ميسجان - ميفتاح - ميتاك)

٣ فرقاطة طراز فلاور

٢٢ زورق طوربيد

١٧ زورق إنزال

٣ سفينة حراسة

٦ زورق سريع ساحلى

جدول رقم (٤)

مقارنة القوات المتضادة (بعد الفتح الاستراتيجى) (٣٧)

البيان	القوات المصرية	المقارنة		قوات العدو			
		المصرية	العدو	الاجمالى	بريطانية	فرنسية	اسرائيلية
قوات برية							
الوية	١٢	١	٣٠٣	٣٨	١٢	٥	٢١
دبابات	٣٠٠	١	٣٠٥	٧٥٠	٤٠٠	١٠٠	٢٥٠
مدفع وهاون	٧٧٦	١	٣٠٢	٢٥١٠	١٣٠٠	٢٢٠	٩٩٠
قوات بحرية							
بارجة	-		١	١		١	
حاملة طائرات	-		٧	٧	٥	٢	
طراد	-		٨	٨	٦	٢	
مدمرة	٢	١	١٠	٢٠	١٤	٤	٢
فرقاطة	٧	١	٣	٣٠	٧	٨	٥
غواصة	-		٩	٩	٧	٢	
لنش طوربيد	٢٤	١	٩	٢٢			٢٢
سفن اخري	٤٠	١	٣٠٤	١٣٤	٩٤	١٤	٢٦
قوات جوية							
بالسرب	٧	١	٤	٢٨	١٠	٩	٩
سرب مقاتلات	١	١٠	٢٥	٢٥	.١٥	٣	٧
سرق قاذفات مقاتلة	٢	١	١١٥	٢٣	١٩		٤
سرب قاذفات	٣	١	٦	١٩	٧	٩	٣
سرب نقل جوى	-		٩٠٥	٩٠٥	٣٠٥	٣	٣
سرب استطلاع	-		٢	٢	٢		
سرب هليلوكبتر اقتحام	١	١	٥	٥	١	٢	٢

◆ خـــاتمة ◆

الـدلالات التاريخيــة
لحرب السويس

د. رؤوف عباس

كانت حرب السويس ١٩٥٦ - رغم قصرها الزمنى - علامة فارقة فى تاريخ العالم ، حسمت ما أسفرت عنه الحرب العالمية الثانية من نتائج ، وأرست دعائم النظام التى برز فى أعقاب الحرب. وبذلك نستطيع أن نميز ما كان قبل حرب السويس عما جاء بعدها دوليا ، واقليميا ، ومحليا .

فعلى الصعيد الدولى ، أسدلت حرب السويس الستار على القوى الاستعمارية التقليدية ، والنمط الاستعمارى الذى مارسته على مدى ما يقرب من القرن ، فخرجت بريطانيا من الأزمة مهيضة الجناح ، مكللة بالعار ، مما كان له آثار سلبية بعيدة المدى على ما بقى لبريطانيا من نهيبة فى العالم الثالث عامة ، والشرق الأوسط خاصة، وأصبحت ملاحظة هارولد ماكميلان حول " رياح التغيير " شعار العقد التالى لحرب السويس ، ولم يعد باستطاعة بريطانيا أن تلعب دور القوة الكبرى فى الشرق الأوسط ، - وهو الدور الذى كانت تمارسه بعد ١٩٤٥ - لأن امريكا سمحت لها بذلك ، أما بعد حرب السويس ، فلم تعد هناك ضرورة - من وجهة النظر الأمريكية - لاستمرار بريطانيا فى لعبه . وإن كانت بريطانيا قد استمرت لوقت قصير تؤثر فى المنطقة ، فقد كان ذلك من خلال أمريكا وفى حدود المساحة التى سمحت لها بالحركة من خلالها، مثلما حدث نتيجة قيام ثورة العراق عام ١٩٥٨ ، وإن كان ذلك الحدث قد قوض دعائم الوجود البريطانى فى الشرق الأوسط، الذى بدا شاحبا فيما بين ١٩٥٨ والانسحاب النهائى من شرق السويس عام ١٩٧١ .

وتركت أزمة السويس أثرا بالغا على " الكمنولث البريطانى " ، فلم يعد باستطاعته أن يقدم لبريطانيا الدعم المطلوب على نحو ما حدث فى الحرب العالمية الثانية ، بعدما أصبح يضم مجموعة من الدول المستقلة ، فتحول إلى مجرد " نادى دولى " ، وخاصة أن بريطانيا لم تستشر أعضاءه خلال الأزمة ، مما جعل ردود أفعالهم تجاهها تتناقض مع بعضها البعض من ناحية ، ومع المصالح البريطانية من ناحية أخرى ، وانعكس ذلك على السياسات التى انتهجتها دول الكومنولث بعد السويس ، والتى استلهمت مصالحها الوطنية وحدها .

وإذا كانت حرب السويس قد أسدلت الستار على بريطانيا كقوة استعمارية تقليدية، فقد رفعت الستار عن دور الولايات المتحدة التى أصبحت تلعب – منفردة – دور الحارس للمصالح الغربية فى الشرق الأوسط ، فهى تقبل باستقلال دول المنطقة وبحياد نسبى ، ولكنها تصر على ربطها بعجلة الغرب ، على أن يكون لها وحدها مفاتيح القوة فى المنطقة . ومن ثم كان حرصها على تحجيم نفوذ عبد الناصر ، أو حتى اسقاطه ، ولكن بطرق أخرى غير تلك التى اتبعتها بريطانيا ، وأدت الى نكبة السويس .

وشهد عام ١٩٥٧ ملامح تلك السياسة الأمريكية بالاعلان عن " مبدأ ايزنهاور "، ومحاولات اسقاط نظام الحكم فى سوريا من خلال مؤامرات داخلية أو خارجية ، وعندما فشلت تلك المحاولات ، سعت الولايات المتحدة الى الاحتفاظ بعلاقات من نوع فريد مع عبد الناصر تراوحت درجة حرارتها وتنوعت مظاهرها ، حتى تمكنت من تحقيق أهدافها فى ١٩٦٧ .

وكان وقع نتائج حرب السويس على فرنسا شديدا فقضت على مالها من نفوذ اقتصادى وثقافى فى الشرق الأوسط ، بل فقدت فرنسا مكانتها فى السياسة العالمية وأصبحت تعانى درجة من درجات العزلة ، مما أدى الى سقوط الجمهورية الرابعة، وقيام الجمهورية الخامسة بزعامة ديجول ، حتى تستعيد فرنسا بعض ما فقدته من مكانة دولية ، واتجه ديجول الى بناء قوة عسكرية مستقلة بما فى ذلك مظلة نووية فرنسية ، والسعى لاقامة وحدة أوربية تستند إلى الصداقة الفرنسية – الألمانية . واستطاعت فرنسا الديجولية أن تستعيد تدريجيا مكانتها فى الشرق الأوسط بعد استقلال الجزائر ، والتقارب مع العرب على حساب العلاقة مع اسرائيل .

لقد حرصت فرنسا الديجولية على أن تكون لأوربا سياستها المستقلة ، وألا يتحول حلف شمال الأطلنطى الى أداة أمريكية لاحتواء أوربا فى عالم ما بعد حرب السويس ، فكللت جهودها بوضع أسس الوحدة الأوربية من خلال معاهدة روما ١٩٥٧ ، التى كانت حجر الزاوية فى اقامة السوق الأوروبية المشتركة ، دعامة الاتحاد الأوربى فيما بعد .

كذلك أدت حرب السويس إلى سرعة ايقاع حركة تصفية المستعمرات ، وبذلك اتسع وجود العالم الثالث مع زيادة عدد الدول المستقلة فى آسيا وافريقيا ، فأضاف ذلك رصيدا لحركة عدم الانحياز ، التى برزت على شكل تجمع للدول النامية ، غير أن الحركة عجزت عن التوصل إلى صيغة للتعاون الاقتصادى لدعم المصالح

المشتركة بينها ، مما يسر لقوى الاستعمار الجديد ، والاحتكارات العالمية ، أن تحول سياسات الدول حديثة العهد بالاستقلال لمصلحتها ، من خلال الانقلابات العسكرية ، والعلاقات الاقتصادية غير المتكافئة ، ونصب شباك التبعية حولها ، مما كان له أثره فى تبديد الطاقات السياسية لدول عدم الانحياز .

وحددت حرب السويس ايقاع الصراع بين قطبى الحرب الباردة وإطاره ، فكان الاتحاد السوفيتي يسعى الى توسيع مجال نفوذه السياسى من خلال تقديم المعونات لدول العالم الثالث ، على حين سعت الولايات المتحدة الى سد الثغرات التى تسرب من خلالها النفوذ السوفيتى ، حتى إذا بلغ الصراع ذروته بين القطبين كان الصدام من خلال حروب اقليمية تدار بالوكالة ، بين أطراف تمثل القطبين ، اللذين يقفان وراءها بالدعم المادى والسياسى ، السافر والمستتر على حد سواء .

وعلى الصعيد الاقليمى ، كرست حرب السويس زعامة عبد الناصر للعالم العربى ، وقيادته الطبيعية لحركة القومية العربية ، ونعنى بذلك اعتبار الجماهير العربية عبد الناصر قائدا للحركة دون أن يترتب على ذلك اقامة تنظيم سياسى للحركة له قواعده وكوادره ومستوياته التنظيمية ، وقد ألقى ذلك على عاتق النظام فى مصر تبعة تحمل مسئولية الدفاع عن البلاد العربية التى تتعرض للعدوان ، فهبت مصر لنصرة العراق وسوريا والجزائر واليمن ، وهى مسئوليات أثرت – فى تقدير الخبراء العسكريين – تأثيرا سلبيا على كفاءة الجيش المصرى وقدراته القتالية، وكانت من بين أسباب هزيمة ١٩٦٧ . هذا فضلا عن تحمل مصر عبء معاونة الدول العربية حديثة العهد بالاستقلال على المضى على طريق التنمية ، بما كان يمثله ذلك من تكلفة كبيرة تحملتها الخزانة المصرية . إضافة الى ما ترتب على تجربة الوحدة الفاشلة مع سورية من آثار سلبية .

أما بالنسبة لاسرائيل ، فإن حرب السويس أحدثت تغيرا جذريا فى الصراع العربى – الاسرائيلى وفى العلاقات بين اسرائيل والقوى الكبرى . فقد أدركت اسرائيل أن الصراع الرئيسى بينها وبين مصر ، وأن عبد الناصر لايريد السلام إلا بشروطه (على نحو ماحدث خلال الاتصالات السرية التى سبقت غارة غزة ١٩٥٥) . واذا كانت اسرائيل قد فقدت تحالفها مع بريطانيا ، ثم مع فرنسا على عهد ديجول ، فقد بنت استراتيجيتها على الاعتماد على النفس ، والتفوق النوعى فى القدرات العسكرية ، بحيث يصبح ميزان القوى فى صالحها فى مقابل الدول العربية مجتمعة . وخاصة أن وجود قوات الطوارئ الدولية على طول حدود مصر معها

أعطاها فرصة التحرك الحر لبناء قوتها دون خشية الدخول فى مناوشات مع مصر. كما أعطاها " حق المرور البرئ " غبر مضايق تيران فرصة ترويج تجارتها على آسيا وافريقيا ، ومحاولة اقتلاع النفوذ المصرى فى أفريقيا من خلال العلاقات الاقتصادية مع بلاد القارة .

ومع تصاعد الدور الاقليمى لمصر ، وما تضمنه من أخطار قد تمس مصالح الغرب عامة والولايات المتحدة خاصة فى الشرق الأوسط ، تحركت السياسة الأمريكية على محورين: الأول ايجاد بديل اقليمى لمصر من خلال السعودية ، وتهيئة الأخيرة للعب دور اقليمى من خلال حلف اسلامى ترعاه الولايات المتحدة مع المحافظة – فى نفس الوقت – على شعرة معاوية مع عبدالناصر ، فاستمر امداد مصر بالمعونة والقمح ، وحثت الولايات المتحدة الدول الغربية (وخاصة المانيا الغربية وبريطانيا) على تقديم العروض الاستثمارية فى الخطة الخمسية الثانية ، بل وعرض تمويل المرحلة الثانية من مشروع السد العالى ، ولكن عندما دعمت مصر ثورة اليمن ، وتورطت فى الوجود العسكرى المكثف عند باب المندب ، كان ذلك يعنى أن عبدالناصر قد يمسك بتلابيب المصالح الغربية بالتحكم فى طرق امدادات البترول عبر باب المندب وقناة السويس ، ولذلك بدأ العد التنازلى لما حدث عام ١٩٦٧ .

أما المحور الآخر، فهو اعتبار اسرائيل العماد الثانى للمصالح الأمريكية بالشرق الأوسط اضافة إلى البترول ، فقد أحست الولايات المتحدة أن الاعتماد على عبد الناصر ليس فى مصلحتها ، كما أن البدائل المطروحة لعبد الناصر فى المنطقة لاتحظى بمصداقية كافية لحماية المصالح الأمريكية ، فلم يبق إلا إسرائيل التى تستطيع أن تلعب دور كلب الحراسة لمصالح الغرب عامة والولايات المتحدة خاصة فى المنطقة . لذلك بنت أمريكا سياستها على ضمان سلامة اسرائيل ، ودعمها بالسلاح المتفوق نوعيا من ترسانات دول الأطلنطى أولا ، ثم من الترسانة الأمريكية مباشرة بعد ذلك .

وأدرك الساسة الاسرائيليون ذلك ، فبذلوا أقصى الجهد لتحقيق اكبر فائدة ممكنة من العلاقة الخاصة مع أمريكا التى تحولت – فيما بعد – الى تنسيق استراتيجى سافر ، للعمل على انهاء الصراع العربى – الاسرائيلى وفق شروط " السلام الاسرائيلى " وليس وفق شروط العرب، وهو خط ثابت فى السياسة الأمريكية أصبحت معالمه واضحة تماما للعيان .

وكان لحرب السويس دلالاتها على الصعيد المحلى ، فقد حسمت شرعية نظام عبد الناصر وقطعت الطريق على ما تبقى من قوى المعارضة السياسية المخضرمة، ونظرت الجماهير الى عبد الناصر نظرتها إلى البطل المخلص فى الأساطير الشعبية، وأعطت عبد الناصر تأييدا غير مشروط . وبذلك أتيحت لعبد الناصر فرصة ذهبية تاريخية ، كان باستطاعته استثمارها بالعمل على تسييس الجماهير ، وتوسيع دائرة المشاركة الشعبية الحقيقية ، غير أن عبد الناصر أهدر تلك الفرصة التاريخية باقامة نظام سلطوى يعتمد على شبكة معقدة من الأجهزة الأمنية ، وتنظيم سياسى يضم من الانتهازيين اكثر مما يضم من العناصر الوطنية المخلصة ، ورغم أن عبد الناصر كان شديد التحيز للفقراء ، وللتنمية الاجتماعية لصالح الجماهير ، إلا أنه فعل ذلك من منطلق " أبوى " سلطوى . ولذلك عندما عصف السادات بمنجزات الحقبة الناصرية لم يحرك أحد ساكنا ، فالتنظيم السياسى الوحيد كسب كراهية الجماهير ، كما أن الجماهير لم تتح لها فرصة التنظيم والتوعية السياسية لحماية المكاسب التى نالوها .

وأدى خروج مصر منتصرة فى تلك الحرب ، إلى سيطرتها على مواردها ، فلم يعد ينازعها ملكية قناة السويس أحد ، كما تمت تصفية المصالح الاقتصادية الأجنبية فى مصر من خلال تأميم ممتلكات رعايا الدول المعتدية ، واتباع سياسة التمصير ، ووضع نواة القطاع العام ، وأصبحت مصر قادرة لأول مرة فى تاريخها – أن تضع خطة للتنمية الاقتصادية والاجتماعية لاتعوق تنفيذها مصالح أجنبية أو قوى خارجية. ورغم الاعتماد على الاتحاد السوفيتى فى خطة التنمية الخمسية الأول إلا أنه كانت هناك مساحة للاستثمارات الغربية فى الخطة ، كان وجودها ضروريا لموازنة الدور السوفيتى فى التنمية واستمر العمل فى مشروع السد العالى كرمز للارادة الوطنية والتنمية الذاتية ، لا بالنسبة لمصر وحدها ، ولكن بالنسبة لبلاد العالم الثالث الذى تأثر كثيرا بالتجربة المصرية .

وهكذا غيرت حرب السويس المعالم السياسية للعالم كله ، وصاغت تاريخه كله حتى نهاية الحرب الباردة ، ولازالت بعض آثارها ماثلة حتى الآن ، وما التنافس الأوربى – الأمريكى الآن فى التسويات الخاصة بسلام الشرق الأوسط إلا تعبيرا عن محاولة أوربا موازنة النفوذ الأمريكى، وعدم التخلى عن مصالحها الحيوية بالشرق الأوسط . وما أطروحات السوق الشرق أوسطية أو التعاون الاقتصادى بين بلاد حوض البحر المتوسط ، إلا محاولات لايجاد صيغة جديدة للهيمنة على المنطقة

فى اطار جماعى ، تسعى أوربا من خلاله الى تحقيق التوازن لصالحها ، وخاصة بعد ما كشفت حرب الخليج الثانية عن حجم النفوذ الأمريكى فى الشرق الأوسط .

ولم يكن ذلك الحدث الجلل ليسفر عن ذلك كله ، لولا الارادة الوطنية الصلبة التى عبر عنها جمال عبد الناصر ، والبراعة التى أدار بها الأزمة فى ظل مناخ دولى عاصف ، رغم كل ما يوجه إليه من انتقاد . استطاع عبد الناصر أن يلمس أوتار حساسة عند الشعب المصرى باستخدامه للرمزية الوطنية فى خطابه السياسى ، وجاءت مقاومة الشعب المصرى للعدوان لتصنع تلك الملحمة التاريخية الرائعة .

رقم الإيداع بدار الكتب

١٩٩٧ / ١٣٢٧٧

مطابع الأهرام التجارية - قليوب - مصر